جامعـــة مؤتـــة

كليـــة الآداب

التربية والتعليم

في العراق في العصر العباسي الأوّل

١٣٢ - ٢٤٧ هـ/ ٧٤٩ - ٨٦١م

إعداد

طالب حامد حسن الضمور

إشراف

الدكتور حسين الكساسبة

١٩٩٦ م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جامعــــة مؤتــــة

كليــــــة الآداب

التربية والتعليم

في العراق في العصر العباسي الأول

١٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٧٤٩ - ٨٦١م

إعداد

طالب حامد حسن الضمور

بكالوريوس تاريخ/ تربية / الجامعة الأردنية ١٩٨٣

دبلوم تربية / جامعة مؤتة ١٩٩١

إشراف

الدكتور حسين الكساسبة

قُدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير

في التاريخ من جامعة مؤتة

لجنة المناقشة

١- الدكتور حسين الكساسبة مشرفاً

٢- الدكتور احمد الحسن عضواً

٣- الدكتور زريف المعايطة عضواً

تاريخ تقديم الرسالة: / ٧/ ١٩٩٦

تاريخ مناقشة الرسالة: ٢٧/ ٧/ ١٩٩٦

شكر وتقدير

الشكر لله تعالى أولاً وآخراً على رعايته وعونه لي على إتمام هذه الدراسة، ثم أتقدّم بخالص الشكر والعرفان للدكتور الفاضل حسين الكساسبة على ملاحظاته القيمة وتوجيهاته السديدة، التي كان لها أثر كبير في كشف معالم الطريق أمامي، فكان لمتابعته المتواصلة وإشرافه المستمر دورٌ كبيرٌ في إتمام هذه الدراسة.

وجزيل شكري لأساتذتي في قسم التاريخ على ما أبدوه من ملاحظات ونصائح في السنوات التحضيرية.

كما وأتقدم بالشكر إلى كل من له فضل في هذه الدراسة، سواء بكلمة أسداها أو رأي تقدم به وأخص بالذكر الزميل محمد سالم الملاحمة فيما أبداه لقراءة فصول الرسالة وتدقيقها لغوياً.

ولا أنسى الجهود الخيرة لموظفي المكتبة في جامعة مؤتة على ما أبدوه من تسهيلات وجهود مشكورة.

الإهداء

إلى والديّ الكريمين تقديراً لفضلهما.....

وإلى إخوتي الأعزاء......

أول غرسة في رياض العلم

مع خالص محبتي وتقديري

فهرس المحتويات

المختصرات والرموز

الرموز الواردة في الرسالة ودلالتها:

ص : صفحة

ق : قسم

ج : جزء

ط : طبعة

ع : عدد

م : مجلد

د. د : دون دار نشر

د. م : دون مكان نشر

د. ت: دون تاريخ نشر

ت : توفي

م : بعد السنوات تعني ميلادي

هـ : هجري

[....] : إضافة كلمة أو كلمات في أثناء الاقتباس

EI[1] : Encyclopaedia of Islām (First Edition)

EI[2] : Encyclopaedia of Islām (New Edition)

P : Page

Vol : Volume

المقدمة

من أبرز ما يميّز الحضارة العربية الإسلامية في العصر العباسي الأول، هو ذلك الاهتمام الكبير بالجانب الثقافي، وما بلغته المعرفة من اهتمام وتطور كبير، وما أصاب التعليم من ازدهار واسع.

وقد وقع اختياري على موضوع «التربية والتعليم في العراق في العصر العباسي الأول ١٣٢ ـ ٢٤٧هـ/ ٧٤٩ ـ ٨٦١م»، رغبةً في إلقاء الضوء على واقع التربية والتعليم لتلك الفترة الهامة، والتي لم تحظَ بعد - في حدود علمي - بالاهتمام الذي تستحقّه. وقد جاءت هذه الدراسة لتعالج واحداً من موضوعات التاريخ الإسلامي وجانباً من جوانب المعرفة الحضاريّة، الذي يشكّل بعداً حيوياً من أبعاد التطوّر الحضاري وجانباً مهمّاً في معرفة التفاعل الثقافي المتبادل بين العناصر المكوّنة للمجتمع الإسلامي، بهدف تكوين صورة حضارية للأمة إجمالاً.

ولعلّ العصر العباسي الأوّل أجدر العصور بالبحث في ميدان التربية والتعليم لأنه - في اعتقادي - الأساس في كلّ التراكمات اللاحقة، والفاصل الزمني الذي تبلورت فيه التطورات العلمية والثقافية للأمّة الإسلامية، وقد اتّصلوا بالثقافات الأخرى، فأخذوا وترجموا وانتقدوا وابتكروا.

وقد يختلف الباحثون في تحديد نهاية العصر العبّاسي الأول بين نهاية حكم الواثق (٢٣٢هـ/ ٨٤٦م)، ونهاية حكم المتوكل (٢٤٧هـ/ ٨٦١م)، ولكنّ طبيعة التطوّر الثقافي الذي شهده هذا العصر، انتهت بالباحث إلى الوقوف عند نهاية حكم المتوكل لما تلا هذه الفترة

من تسلّط تركي، ظهر من خلال التدخّل المباشر في شؤون الحكم والإدارة، فانشغل الخلفاء بمشاكلهم السياسية وأمور حكمهم الخاصة، فانعكس ذلك سلباً على الجوانب الحضارية المختلفة.

ويواجه الباحث في دراسة التربية والتعليم مشاكل متعددة، في مقدمتها تعدّد المصادر وتنوّعها بين مؤلفات تاريخية، وأدبية، وجغرافية، وفقهية، ومصادر تتعلق بالنواحي الإدارية، وأخرى بالنواحي التعليمية، بالإضافة إلى تشتّت المعلومات وتبعثرها في المصادر، وهذا يتطلب دراسة فاحصة للمصادر بأنواعها المختلفة؛ الأمر الذي تحتاج معه الدراسة إلى جهدٍ وصبرٍ ومثابرةٍ.

وتتألف الدراسة من عرضٍ وتحليلٍ لأهم المصادر التي اعتمدت عليها، ومن خمسة فصول.

١- الفصل الأول: المعلمون وتعليم الصبيان:

يتناول المعلمين من حيث مدلول كلمة معلم، ومكانة المعلمين الاجتماعية وصفاتهم وشروط اختيارهم، والوضع المالي للمعلمين. كما يتناول تعليم الصبيان في المساجد، والكتاتيب العامة التي تناولها الفصل من حيث أماكن وجودها، وهيكليتها، ومواد التعليم فيها، وأوقات التعليم ومدته. كما تناول تأديب الصبيان ووسائل إنزال العقوبة بهم وواجبات وأساليب المعلم في الدرس.

٢- الفصل الثاني: مؤدبو أبناء الخلفاء والأمراء والخاصة:

يتناول معنى كلمة مؤدب، والصفات والشروط الواجب توفرّها في المؤدّب، ومكانة المؤدبين الاجتماعية، وأوضاعهم المالية، والمواد التي يتعلّمها أبناء الخلفاء والأمراء والخاصة،

مع التركيز على الجوانب السلوكية في تأديبهم وأوقات تعليمهم والأساليب المتبعة في تدريس هذه المواد، بالإضافة إلى الحديث عن سن التعليم والعقاب.

٣- الفصل الثالث: حلقات التعليم ومجالسه:

يشتمل على تحديدٍ لمعنى الحلقة والمجلس، وأماكن انعقاد حلقات ومجالس العلم (المساجد، والمنازل، والقصور، وحوانيت البيع والشراء، وحوانيت الورّاقين، والمكتبات). والموضوعات التي تناولتها، وأساليب وطرق تدريسها، والرحلة في طلب العلم، وبيانٍ لطريقة توجيه الطلاب لاختيار علومهم التخصصية. كما اشتمل على أعداد المتعلمين، وسن ابتداء طلبهم للعلم، ومواعيد التعليم في الحلقات والمجالس، ومكانة العلماء الإجتماعية، والإجازات العلمية.

٤- الفصل الرابع: تعليم المرأة:

ويتناول الموقف العام من تعليم الإناث، ومدى الاهتمام الذي وجدته المرأة من خلال أقوال الرسول ﷺ وأفعاله، وأقوال الصحابة والتابعين. فدخلت المرأة إلى مجال طلب العلم إلى جانب الرجل، وقد أظهرت براعة واضحة، ظهر ذلك من خلال أسماء النساء التي وردت في المصادر، الحرائر منهن والجواري. كما اشتمل هذا الفصل على المواد التعليمية للإناث والتي تعددت وانعكست آثارها على ثقافة المرأة الدينية والعلمية والأدبية. وقد تلقت تعليمها في أماكن عديدة شملت الكتاتيب، والمساجد، والمنازل، والقصور، فكانت فيها مشاركةً فاعلة، وغير قاصرة على الاستماع.

٥- الفصل الخامس: الوسائل المعينة على التعلم:

وقد تضمن معلومات عن أدوات الكتابة التي استعان بها المتعلمون على مختلف

مستوياتهم العلمية، كالقلم، والدواة، واللخاف، وكرب النخل، والألواح، والجلود، والقراطيس، والورق، والرّقاع، والصحف، والدفاتر، والكرّاسات، والطروس والمساطر. وقد كان لدخول صناعة ورق الكاغد إلى العراق أثره في ظهور حوانيت الورّاقين التي رفدت الحركة العلمية والتعليمية، بالكتب وأدوات الكتابة. واحتوى الفصل على معلومات عن الكتب والمكتبات؛ العامة والخاصة، وما يتعلق بها من نظم إدارية ومالية، وأثر هذه المكتبات في توفير الكتب لطالبيها مع التركيز على بيت الحكمة كمكتبة عامّة لاقت اهتماماً واضحاً من الرشيد وقد ظهرت في عهده، وبلغت ذروتها في عهد الخليفة المأمون الذي حباها جُلّ اهتمامه، وأنفق عليها بسخاء، في الوقت الذي حرص فيه العلماء والخاصة على اقتناء الكتب، رافدين الحركة العلمية والتعليمية بمكتبات خاصة.

عرض وتحليل المصادر

إن الخوض في موضوع التربية والتعليم في العصر العباسي الأول (١٣٢ ـ ٢٤٧هـ/ ٧٤٩ ـ ٨٦١م)، في فترة تزيد على القرن يقتضي الاطلاع على مصادر ومراجع مختلفة، وقد تعددت مصادر هذه الدراسة وتنوعت بين مؤلفات تاريخية (تاريخ عام، تراجم، طبقات)، وكتب حديث وفقه، ومؤلفات تتعلق بالنظم والإدارة، وكتب الجغرافيا، والدراسات اللغوية والأدبية، ومصادر أخرى تتعلق بالنساء، وأخرى تختص بالتربية والتعليم.

ومع أن كل صنف من هذه المؤلفات له اهتماماته، إلا أنها جميعها تناولت الموضوع من هذا الجانب أو ذاك. لذا فقد أفادت الدراسة من مختلف المصادر وإن اختلف مقدار الإفادة من مصدر لآخر. وفيما يلي عرض لأهم المصادر.

١- المؤلفات التاريخية:

لقد أوردت كتب التاريخ معلومات غطت جوانب هامّة من الدراسة، فقد تناول كتاب «عيون الأخبار» لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) مكانة المعلمين، والكتاتيب العامة من حيث هيكليتها ومواد التعليم فيها وأساليب الثواب والعقاب، ومكانة المؤدبين في الكتاتيب الخاصة، وأساليب وطرق التعليم في حلقات ومجالس العلم. كما تطرق إلى تعليم المرأة، وإلى الوسائل المعينة على التعليم. ولقد أفيد من مؤلفات ابن قتيبة الأخرى مثل كتاب «المعارف» في جوانب مهمة من الدراسة.

ويُعد كتاب «مروج الذهب ومعادن الجوهر» للمسعودي (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، كتاباً جامعاً للمعلومات التاريخية والجغرافية والأدبية وقد تضمن معلومات هامة أفادت الدراسة في الجانب السلوكي في تعليم الصبيان، وأجور المؤدبين، وصفاتهم وشروطهم، ومواد التعليم وأساليب تعليمها في الكتاتيب الخاصة، وحلقات العلم في قصور الخلفاء والأمراء والخاصة، ومواعيد انعقادها.

وفي كتاب «المنتظم في تاريخ الأمم والملوك» لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، معلومات واسعة أفادت الدراسة في معظم جوانبها، شملت مواد التعليم في الكتاتيب العامة

وتعليم الصبيان في المساجد، وصفات وشروط المؤدبين في الكتاتيب الخاصة، ووضعهم المعاشي، ومواد التعليم في الكتاتيب الخاصة وأساليب تدريسها، وسن التعليم لأبناء الخلفاء، كما اشتمل على معلومات عن حلقات ومجالس العلم في المساجد، والقصور، والمنازل، والبادية، وأعداد المتعلمين، وسن طلب العلم، ومواعيد انعقاد حلقات العلم، ومدة التعليم لطلاب العلم، وأساليب وطرق التعليم في حلقات ومجالس العلم، والرحلة في طلب العلم، ومكانة العلماء. كما أورد معلومات عن تعليم المرأة ، وحول الوسائل المعينة على التعليم، مثل أدوات الكتابة، والمكتبات.

وأورد كتاب «خلاصة الذهب المسبوك» للأربلي (ت٧١٧هـ/ ١٣١٧م)، معلومات أساسية حول مكانة المعلمين، ومواد التعليم في الكتاتيب العامة، وصفات وشروط المؤدبين، وأوضاعهم المعاشية، ومواد التعليم وأساليب تدريسها في الكتاتيب الخاصة، ومكانة المؤدبين الاجتماعية، كما تناول الحديث عن حلقات ومجالس العلم، وسن طلب العلم، وأساليب وطرق التعليم فيها. وأورد معلومات عن المواد المعينة في التعليم.

وقدّم كتاب «البداية والنهاية» لابن كثير (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، الكثير من المعلومات والتراجم عن الخلفاء والأمراء والعلماء والأدباء، والتي من خلالها حصلنا على معلومات وفيرة في مواضيع الكتاتيب العامة، ومكانة المعلمين، والكتاتيب الخاصة، ومواد التعليم فيها، وسن التعليم لأبناء الخلفاء والخاصة، ومكانة المؤدبين الاجتماعية، كما تناول الحديث عن حلقات ومجالس العلم، وأماكن انعقادها، وسن طلب العلم، وأساليب وطرق التعليم فيها، كما أورد معلومات حول مكانة العلماء الاجتماعية.

وأفيد من الكتب التالية وبدرجات متفاوتة في بعض جوانب الدراسة مثل: كتاب «بغداد» لابن طيفور (ت٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)، وكتاب «تاريخ الرسل والملوك» للطبري (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، «ونثر الدر» لابن سعد الآبي (ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، وكتاب «العبر في خبر من غبر» للذهبي (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، ومرآة الزمان لليافعي (ت٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م).

وفي كتب التراجم معلومات واسعة شملت جوانب عديدة من الدراسة من خلال الحديث عن تراجم العلماء والمحدثين والفقهاء والأعيان والمعلمين والمؤدّبين التي وفّرت مادة

أغنت الدراسة في موضوعاتها المختلفة، من هذه الكتب: كتاب «الفهرست» لابن النديم (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، الذي أفاد الدراسة إفادة كبيرة في معظم فصولها وذلك لتنوع الموضوعات التي عالجها الكتاب على الرغم من اقتضابها، وقد تناول ابن النديم في كتابه هذا فنون مختلفة معززة بنصوص تاريخية عن العلوم وتطورها والكتب التي ألفت فيها، مع ذكر لطبقات مؤلفيها وأنسابهم وبلدانهم، وقد أفاد الدراسة بمعلومات واسعة عن الوضع المالي للمعلمين وصفاتهم وشروطهم ومكانتهم الاجتماعية، وعن حلقات العلم ومجالسه في المساجد، والقصور، والمنازل، والمكتبات، والبادية، وأعداد طلاب العلم في الحلقات والمجالس، وسن طلب العلم، ومدة التعليم، وأساليب وطرق التعليم في الحلقات والمجالس، إضافة إلى مكانة العلماء الإجتماعية، وترد فيه إشارات هامة إلى أدوات الكتابة، والكتب، والمكتبات العامة منها والخاصة.

وقدّم الخطيب البغدادي (ت ٤٢٦هـ/ ١٠٣٤م) في كتابه «تاريخ بغداد» تراجم لرجالات بغداد ومن ورد إليها ونزل فيها وقد تضمنت هذه التراجم الشيء الكثير من المعلومات التي أفادت الدراسة وألقت الضوء على أجور المعلمين، والكتاتيب، ومواد التعليم للصبيان، وعقوبات الصبيان، ومواد التعليم في الكتاتيب الخاصة، وأساليب تعليمها، وأوقات التعليم فيها، كما تناول موضوعات التعليم في حلقات ومجالس العلم، وأماكن انعقادها، وأساليب وطرق التعليم فيها، كما تناول الوضع الاجتماعي والمالي للعلماء. وترد فيه أيضاً إشارات إلى تعليم المرأة، والوسائل المعينة على التعليم.

وأفاد كتاب «نزهة الألبا في طبقات الأطباء» للأنباري (ت٥٧٧هـ/ ١١٨١م)، الدراسة بمادة شملت مكانة المعلمين، وصفات المؤدبين، ومكانتهم الاجتماعية والمالية، وسن التعليم في الكتاتيب الخاصة، كما اشتملت على معلومات مهمة عن مواد التعليم في الكتاتيب العامة والخاصة، وأساليب وطرق تدريسها، بالاضافة إلى معلومات مهمة عن عمر طالب العلم في الحلقات والمجالس، وأماكن انعقاد هذه الحلقات والمجالس، وأساليب وطرق التعليم فيها. كما ورد فيه إشارات إلى تعليم الإناث، والوسائل المعينة على التعليم.

وأفاد كتاب «إنباه الرواة على أنباه النحاة» للقفطي (ت٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م)، الدراسة من خلال تقديم معلومات عن مختلف موضوعات الدراسة التي شملت العديد من الجوانب

المتعلقة بصفات وشروط المؤدبين، ومكانتهم الإجتماعية، ووضعهم المادي، والمواد التي تدرس في الكتاتيب الخاصة وأساليب تعليمها، وأوقات التعليم، وسن التعليم لأبناء الخلفاء والأمراء، كما اشتمل على معلومات واسعة عن حلقات ومجالس العلم المنعقدة في المساجد والقصور والمكتبات، والبادية، وأعداد طلاب العلم في الحلقات والمجالس، وسن طلب العلم، ومواعيد التعليم، ومدة التعليم، وأساليب وطرق التعليم فيها، بالاضافة إلى مكانة العلماء الاجتماعية، وجهود طلاب العلم في تحصيل العلم والسعي إليه. وأفاد الدراسة أيضاً من خلال الإشارات إلى المواد المعينة على التعليم والمكتبات العامة منها والخاصة. وقد أفادت الدراسة من كتاب آخر للقفطي هو «أخبار العلماء بأخبار الحكماء»، الذي تناول العديد من الترجمات التي أفادت الدراسة ببعض جوانبها.

وأفاد كتاب «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، الدراسة في معظم فصولها وموضوعاتها، إذ تناول تعليم الصبيان في الكتاتيب العامة، من حيث أماكن وجودها، ومواد التعليم فيها، والثواب والعقاب، كما تناول تأديب أبناء الخلفاء والأمراء والخاصة، والمؤدبين، وصفاتهم وشروطهم، ومكانتهم الاجتماعية والمالية، ومواد التعليم في الكتاتيب الخاصة وأساليب تعليمها وأوقات التعليم فيها. كما تناول حلقات ومجالس العلم، وأماكن انعقادها (المساجد، والقصور، والمنازل، والمكتبات، والبادية)، وسن طلب العلم، ومواعيد التعليم ومدته لطلاب العلم، كما وردت فيه إشارات إلى تعليم المرأة وإشارات أخرى أكثر غزارة إلى الوسائل المعينة على التعليم كأدوات الكتابة، والكتب، والمكتبات.

ويعتبر كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، من المصادر المهمة للدراسة حيث أفاد الدراسة في معظم فصولها وموضوعاتها فقد تناول الحديث عن الكتاتيب العامة، وأماكن وجودها، ومواد التعليم فيها، والكتاتيب الخاصة، وصفات وشروط المؤدبين، ومكانتهم الاجتماعية ووضعهم المالي، ومواد التعليم في الكتاتيب الخاصة وأساليب تدريسها، كما تناول الحديث عن حلقات ومجالس العلم، وأماكن انعقادها، وسن طلب العلم في الحلقات والمجالس ومدة التعليم، وأساليب وطرق التعليم في الحلقات والمجالس، والرحلة في طلب العلم، ومكانة العلماء الاجتماعية، كما وردت فيه إشارات إلى الوسائل المعينة على التعليم من أدوات الكتابة، ومكتبات.

وأفاد كتاب «سير أعلام النبلاء» للذهبي (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، الدراسة في معظم موضوعاتها، من خلال حديثه عن الأعلام وتتبعه لسير حياتهم، فقد وردت فيه إشارات إلى الكتاتيب العامة وأماكن وجودها، والثواب والعقاب فيها، وتعليم الصبيان في المساجد، كما وردت فيه إشارات إلى الكتاتيب الخاصة، وصفات المؤدبين، ومكانتهم الإجتماعية والمالية، ومواد التعليم في الكتاتيب الخاصة، وأساليب تدريسها، كما أفاد الدراسة في حلقات ومجالس العلم في المساجد، والقصور، والبادية، وأعداد طلاب العلم، وسن طلبهم للعلم في هذه الحلقات والمجالس، كما أشار إلى مواد التعليم وأساليب وطرق تدريسها، والرحلة في طلب العلم، ومكانة العلماء، وفيه إشارات إلى الوسائل المعينة على التعليم.

واشتمل كتاب «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» للسيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، على معلومات عن تعليم الصبيان في المساجد، والكتاتيب الخاصة وشروط المؤدبين ومكانتهم ومواد التعليم، وأساليب تدريسها، والجوانب السلوكية في التعليم في الكتاتيب الخاصة، وسن التعليم فيها. كما تناول حلقات ومجالس العلم، وأماكن انعقادها، وأعداد الطلاب فيها، وعمر طالب العلم، والمدة الزمنية التي يقضيها طلاب العلم في هذه الحلقات والمجالس، والمواد التعليمية فيها، وأساليب وطرق تعليمها.

وهناك كتب طبقات أخرى أفادت الدراسة ولو بشكل قليل مثل «الطبقات» لابن سعد (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، وكتاب «طبقات الشعراء» لابن المعتز (ت٢٩٦هـ/ ٩٠٨م)، و «طبقات النحويين واللغويين» للزبيدي (ت ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م)، و «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» لأبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م)، و «طبقات الفقهاء» للشيرازي (ت ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م)، و «صفوة الصفوة» لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، و «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة (ت٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م).

٢- مؤلّفات الفقه والحديث:

اشتملت كتب الفقه والحديث على معلومات مهمة أفادت الدراسة في جميع جوانبها من خلال أحاديث الرسول ﷺ، في العلم والتعليم وواجبات وأساليب المعلم في الدرس، ومعنى الحلقة والمجلس، وحلقات العلم في المساجد، والثواب والعقاب، ومكانة العلماء، والرحلة في طلب العلم، من هذه الكتب: «المسند» للإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، و

«صحيح البخاري» (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، و «صحيح مسلم» (ت٢٦١هـ/ ٨٧٤م)، و «سنن ابن ماجة» (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، و «سنن أبي داود» (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م) و «سنن الترمذي» (ت٢٩٧هـ/ ٩٠٩م).

وفي كتب الفقه معلومات مفيدة لمختلف جوانب الدراسة منها: كتاب «المحدث الفاصل بين الراوي والواعي» للرامهرمزي (ت٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)، الذي اشتمل على معلومات تتعلق بمواد التعليم، والتعليم في المسجد، وسن طلب العلم، وأساليب وطرق التعليم في حلقات ومجالس العلم، والإجازات العلمية.

واشتمل كتاب «تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين» للسمرقندي (ت٣٧٣هـ/ ٩٨٣م)، على معلومات عن أماكن وجود الكتاتيب، وسن التعليم للصبيان، ومعنى الحلقة والمجلس، والمسجد كمكان للتعليم، وأساليب وطرق التعليم في الحلقات والمجالس، والرحلة في طلب العلم.

وأعطى كتاب «الكفاية في علم الرواية» للخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، معلومات عن صفات وشروط المؤدب في الكتاتيب الخاصة، وتناول الحديث عن القصور كأماكن للعلم، والإجازات العلمية، والرحلة في طلب العلم.

وتناول كتاب «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبدالبر القرطبي (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، الحديث عن أماكن وجود الكتاتيب العامة، وأساليب وطرق التعليم في الحلقات والمجالس، والإجازات العلمية، والموقف من تعليم الإناث.

أما كتاب «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م) فقد اشتمل على معلومات عن مواد التعليم في الكتاتيب العامة، وأوقات التعليم فيها، والعقاب في الكتاتيب العامة، وواجبات وأساليب المعلم في التدريس، وطرق التعليم في حلقات ومجالس العلم.

وجاء كتاب «المدخل» لابن الحاج (ت ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م)، ليركز على الكتاتيب العامة وليتحدث عن صفات وشروط المعلم، والوضع المالي للمعلمين، وأماكن وجود الكتاتيب، وهيكليتها، ومواد التعليم فيها، وسن دخولها، وأشكال العقاب فيها، وواجبات وأساليب المعلم في التدريس والتعامل مع الصبيان، كما تحدث عن تعليم الصبيان في المساجد.

واشتمل كتاب «الآداب الشرعية والمنح المرعية» للمقدسي الحنبلي (ت ٧٦٣هـ/ ١٣٦١م)، على معلومات عن المسجد وتعليم الصبيان، والكتاتيب العامة، وأماكن وجودها، وسن التعليم للصبيان، ومواد التعليم في الكتاتيب العامة وأساليب تدريسها، كما اشتمل على معلومات مهمة في معنى الحلقة والمجلس، وأماكن انعقاد حلقات العلم ومجالسه في المساجد والقصور والمنازل، وأعداد الطلاب في حلقات ومجالس العلم، وأساليب وطرق التعليم في المجالس والحلقات، والرحلة في طلب العلم.

٣- الدراسات الأدبية واللغوية:

رفدت كتب الأدب الدراسة بالكثير من المعلومات القيمة التي شملت جميع جوانب الدراسة، وكان من أهمها: كتاب «البيان والتبيين» للجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، الذي احتوى على الكثير من المعلومات المتعلقة بالكتاتيب العامة، وأوضاع المعلمين المالية، ومكانتهم الاجتماعية، وعقاب الصبيان ووسائله وأدواته، وعن مكانة المؤدبين، وبعض وصايا الخلفاء والأمراء الخاصة لمؤدبي أبنائهم، وعن حلقات العلم في المساجد والبادية، وعن المواد التعليمية للاناث وأماكن تعليمها. وفي كتب الجاحظ الأخرى معلومات مفيدة للدراسة مثل كتاب «الحيوان» و «رسائل الجاحظ». وتأتي أهمية المعلومات التي يقدمها الجاحظ من معاصرته للأحداث، وقد عاش في صميم العصر موضوع الدراسة.

ويحتل كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)، مكاناً بارزاً بين الكتب الأدبية التي أفادت الدراسة، فقد قدّم مادة غزيرة انفرد بها عن غيره فأغنت الدراسة بمعلومات قيّمة شملت الكتاتيب وموادها التعليمية، ووسائل تأديب الصبيان، وتعليمهم في المساجد، وفيه معلومات عن المؤدبين، ومكانتهم الإجتماعية والمعاشية. وفيه إشارات مهمة حول حلقات ومجالس العلم وأماكن انعقادها، وأعداد الطلاب فيها ومواعيد التعليم وأساليبه وطرقه. وأفيد منه بصورة خاصة في تعليم المرأة وخاصة الموقف من تعليمها والمواد التعليمية وأماكن التعليم.

وفي كتاب «محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء» للراغب الأصبهاني (ت ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)، معلومات هامة أفادت الدراسة. فقد وردت فيه إشارات إلى مكانة المعلمين

ووضعهم المالي، ومكانة المؤدبين، وسن التعليم لأبناء الخاصة، وصفات وشروط المؤدب، والمواد التعليمية في الكتاتيب الخاصة وأساليب تدريسها، وفيه إشارات إلى حلقات ومجالس العلم وأماكن انعقادها،وأساليب وطرق التعليم فيها، والرحلة في طلب العلم، ومكانة العلماء الاجتماعية وأوضاعهم المالية. وترد فيه إشارات هامة إلى الوسائل المعينة على التعليم.

وأورد الشريشي (ت ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م)، في كتابه «شرح مقامات الحريري»، معلومات مهمة عن المعلمين وأوضاعهم المالية ومكانتهم الإجتماعية، وصفات وشروط المؤدبين، والجانب السلوكي في تعليم أبناء الخلفاء والخاصة، وأوقات التعليم، وسن التعليم في الكتاتيب الخاصة وأساليب تعليمها، كما تطرق إلى حلقات العلم ومجالسه، ووردت فيه بعض الإشارات إلى تعليم المرأة، وأماكن تلقيها العلم.

وأفيد من كتاب «صبح الأعشى في صناعة الإنشا» للقلقشندي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، في موضوع أدوات الكتابة بشكل خاص، ويعتبر القلقشندي من المصادر المهمة في هذا الجانب، فلا يستغنى عنه على الرغم من أنه من المصادر المتأخرة.

ومن المصادر الأدبية المفيدة للدراسة كتاب «المستطرف في كل فن مستظرف» للأبشيهي (ت ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)، الذي تناول مكانة المعلمين الاجتماعية وصفاتهم وشروطهم، والكتاتيب العامة، من حيث هيكليتها، وأماكن وجودها، ومواد التعليم فيها، وأساليب وأدوات العقاب، كما تناول حلقات العلم في المساجد والقصور والبادية، وتعليم المرأة وأماكن تلقيها العلم.

ومن المصادر الأدبية الأخرى التي أفادت الدراسة بشكل أو بآخر كتاب «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، وكتاب «العقد الفريد» لابن عبدربه (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) وكتاب «بهجة المجالس وأنس المجالس» لابن عبدالبر (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).

كما أفادت الدراسة من كتب اللغة في جميع فصولها من خلال التعريف بمعاني المفاهيم والمصطلحات الواردة في مواضيع الدراسة المختلفة منها: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، و «لسان العرب» لابن منظور (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)، و «تاج العروس من جواهر القاموس» لمحمد مرتضى الزبيدي (ت١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م).

٤- كتب الإدارة والنظم:

وفي المؤلفات المعنيـة بالنواحي الإدارية والتنظيمية مـعلومات وفيرة حـول المواد المعينة على التعليم من أدوات للكتابة وحوانيت للوراقين ومكتبات، إضافة إلى بعض الجوانب الأخرى في الدراسـة، من هذه الكتب: كتاب «الوزراء والكتّاب» للجهـشياري (ت٣٣١هـ/ ٩٤٢م)، فقد وردت فيه إشـارات إلى الكتاتيب العامة، وأماكن وجـودها ومواد الدراسة فيهـا، وانفرد بذكر أدوات الكتابة كالأقلام والقراطيس والكاغد.

وأفـاد كتاب «أدب الكتّاب» لـلصولي (ت ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م)، الدراسة في مـجال أدوات الكتابة بصورة خاصة، إضافة إلى بعض الإشارات المتعلقة في جوانب الدراسة الأخرى.

واشتمل كـتاب «صناعة الكُتـاب» للنحاس (ت ٣٣٨هـ/ ٩٤٩م)، على معلومـات حول أجور المؤدبين وصفاتهم وشروطهم، بالإضافة إلى مجـالس العلم في القصور، والمواد التعليمية للاناث، كما أعطى مـعلومات وفيرة حول أدوات الكتـابة. وجاء كتاب «الإقتـضاب في شرح أدب الـكتّاب» للبطليوسي (ت ٥٢١هـ/ ١١٢٧م)، ليفيد الدراسـة في موضوع الوسـائل المعينة على التعليم معطياً معلومات وفيرة عن أدوات الكتابة المختلفة.

وفي كـتب الحـسبة مـعلومـات عن تعليـم الصبيـان في المسـاجـد، والكتـاتيب وأمـاكن وجودها، وهيكليتها، ومواد التعليم فيها، وطرق وأساليب التدريس فيها، وواجبات المعلم في الدرس والتعـامل مع الصبـيان، والعـقاب ووسائله وأدواتـه. ومن هذه الكتب: كتـاب «نهاية الرتبة في طلب الحـسبة» للشـيزري (ت٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)، وكـتاب «معالـم القربة في أحكام الحسبـة» لابن الأخوة القرشي (ت٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م)، وكتاب «نهاية الرتبة فـي طلب الحسبة» لابن بسام (ت في القرن التاسع الهجري).

ومن الكتب الأخرى المتـعلقة في الإدارة والنظم والتي أفـادت الدراسة في بعض جوانبـها كتـاب «التاج في أخلاق الملوك» المنسوب للجاحظ (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، وكتاب «الفخري في الآداب السلطانيـة والدول الاسلامـية» لابن طبـاطبا (ت٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)، و «بدائع السلك في طبائع الملك» لابن الأزرق (ت٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م).

٥- الكتب الخاصة بالنساء:

احتوت الكتب الخاصة بالنساء على معلومات مفيدة عن تعليم المرأة خاصة في الموقف العام من تعليم المرأة، الحرائر منهنّ أو الجواري، والمواد التعليمية من قراءة، وكتابة، وعلوم دينية، وفصاحة وبلاغة، وشعر، وغناء، وموسيقى، وطب، ورياضيات، وأماكن تلقي المرأة لمثل هذه العلوم في الكتاتيب، والمساجد والبيوت، والقصور. ومن هذه الكتب: «الإماء الشواعر» و «الأغاني» لأبي فرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)، وكتاب «تاريخ دمشق» لابن عساكر (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، ففيه مجلد خاص عن تراجم النساء، و «أحكام النساء» لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، و «الحدائق الْغناء في أخبار النساء» لابن جميل المعافري (ت٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م)، وكتاب «المرقصات والمطربات» لأبي عمران (ت ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م)، وكتاب «أخبار النساء» لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)، وكتاب «المستظرف في أخبار الجواري» للسيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م).

٦- الكتب الخاصة بالمعلمين والمتعلمين:

كانت الإفادة كبيرة من الكتب الخاصة بالمعلمين والمتعلمين مثل كتاب «آداب المعلمين» لابن سحنون (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، الذي بيّن الكثير من الأمور التعليمية الخاصة بالكتاتيب، وأسلوب التعليم فيها، ومكانة المعلمين الاجتماعية، وصفاتهم، وشروطهم، ووضعهم المالي، وتعليم الصبيان في المساجد والكتاتيب، وأماكن وجود الكتاتيب، وهيكليتها، ومواد التعليم فيها، وأوقات تدريسها، وسن دخول الصبيان إلى الكتاتيب، وأساليب العقاب وأدواته. وأساليب المعلم في التدريس، وفيه معلومات عن تعليم الإناث في الكتاتيب العامة. وقد جمع ابن سحنون الكثير من النصوص القيّمة التي بيّنت الكثير من الأوضاع التي نجهلها عن تربية الطفل وتاديبه وتعليمه وتهذيبه.

وفي الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين للقابسي (ت٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)، كثير من المعلومات الخاصة بالمعلمين والكتاتيب العامة والتي تشابهت تماماً مع المعلومات التي أوردها ابن سحنون حيث اعتمد القابسي كثيراً على ابن سحنون وزاد عليه، ونقل كثيراً من المعلومات عن شيوخه وأساتذة عصره، والعصور التي سبقته، مما لا نجده في كتاب ابن سحنون.

وأفيدت الدراسة من كتاب «أيها الولد» للإمام الغزالي (ت٥٠٥هـ/ ١١١١م)، في بيان صفات وشروط المعلمين في الكتاتيب الخاصة، وأوضاعهم المالية، ومواد التعليم في الكتاتيب العامة، وأوقات تدريسها، والعقاب وأساليب إنزاله بالصبيان، وواجبات وأساليب المعلم في الدرس، كما تطرّق إلى المسجد ودوره في التعليم وأساليب وطرق التعليم في حلقات ومجالس العلم، والرحلة في طلب العلم.

ومن المصادر الأخرى التي أفادت الدراسة كتاب «تعليم المتعلم في طريق التعلم» للزرنوجي (ت٥٩١هـ/ ١١٩٤م)، وكتاب «تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم» لابن جماعة (ت٧٧٣هـ/ ١٣٧١م)، وكتاب «جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان» للمغراوي (ت٩٢٠هـ/ ١٥١٤م)، وكتاب «تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال» لابن حجر الهيثمي (ت٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م).

٧- كتب الجغرافية:

أفادت كتب الجغرافية الدراسة في مواضيعها المختلفة من خلال التعريف بالأماكن والمواقع ومن هذه الكتب «البلدان» لليعقوبي (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، و «التنبيه والإشراف» للمسعودي (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، و«معجم البلدان» لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).

وهناك عدد من المصادر الأخرى أفادت الدراسة أشير إليها في الهوامش.

كما وأفادت الدراسة من الكتب والدراسات والمقالات الحديثة التي لها علاقة بموضوع الدراسة، وقد وجهتني إلى المصادر الأساسية باعتبارها كتب متخصصة، تناولت التربية والتعليم في الإسلام بصورة عامة.[١]

---

(١) انظر : ثبت المراجع.

الفصل الاول

المعلمون وتعليم الصبيان

أولاً: المعلمون

١ - مدلول كلمة مُعَلّم:

اشتقت كلمة مُعَلّم من الفعل عَلِم[١]، ومن العِلم[٢]. والعِلمُ نقيض الجهل[٣]، وقد وردت كلمة عِلمْ في القرآن الكريم[٤]، والاحاديث النبوية[٥]، وفلان متعلم أي له من يعلمه.[٦]

وقد وردت كلمة مُعَلّم مقترنة بتعليم الصبيان في كثير من الروايات منذ عهد الرسول ﷺ، فقد جاء أحد الصبيان إلى أبيه يبكي قائلاً: «ضربني معلمي»[٧]. وفي قول عبدالله بن مسعود (ت٣٢هـ/ ٦٥٢م): «ولا بد للناس من معلم يعلم أولادهم».[٨] ويُذكر أنه كان في

---

(١) جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ١٥ج، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨، ج٢، ص٤١٧، سيشار له تالياً (ابن منظور، لسان).

(٢) ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب المعلمين، تحقيق ابراهيم جريس، جامعة تل ابيب، عكا ١٩٨٠م، ص٦٩، سيشار له تالياً (الجاحظ، المعلمين)؛ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ٤ج، ط١، دار الجيل، بيروت ١٩٩١م، ج٣، ص٣٤، سيشار له تالياً (الجاحظ، رسائل).

(٣) ابن منظور، لسان، ج١٢، ص٤١٧.

(٤) انظر: القرآن الكريم: سورة البقرة: آية ٣١، ٣٢، سورة يس: آية ٦٩، سورة الدخان: اية ١٠٣.

(٥) انظر: أ. ي، ونسنك، المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي، ٨ج، مكتبة بريل، ليدن ١٣٥٥ - ١٣٨٩هـ/ ١٩٣٦ - ١٩٦٩م، ج٤، ص٣٢١ - ٣٢٧، سيشار له تالياً (ونسنك، المعجم).

(٦) ابن منظور، لسان، ج١٢، ص٤١٧.

(٧) تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، امتاع الاسماع، صححه وشرحه محمود شاكر، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، د. م، ١٩٤١م، ص١٠١، سيشار له تالياً (المقريزي، امتاع).

(٨) ابو عبدالله محمد بن أبي سعيد بن سحنون، اداب المعلمين، تحقيق محمد العروسي المطوي، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس ١٩٧٢م، ص٨٢، سيشار له تالياً (ابن سحنون، آداب).

المدينة ثلاثة معلمين يعلمون الصبيان،[1] ويروى عن خلف الأحمر النحوي (ت١٩٤هـ/ ٨٠٩م)، أنه قال: «رأيت الكميت بن زيد في مسجد الكوفة يعلم الصبيان»[2]، وقال بعضهم: «مررت بمعلم وإذا صبيانه يلعبون ويقتتلون»[3]. وقال معروف بن الفيرزان الكرخي البغدادي العابد (ت ٢٠٠هـ/ ٨١٥م): «أنه وأخاه كانا في الكُتّاب «وكان المعلم يعلم الصبيان»[4]، وكان يعقوب بن إسحق السكيت النحوي اللغوي (ت٢٤٤هـ/ ٨٥٨م)، معلماً للصبيان في بغداد[5]، وقال شاعر:

---

(١) ابو القاسم علي بن الحسين بن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق، هذبه ورتبه عبدالقادر بدران، ٧ج، ط٣، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٧م، ج٦، ص٤١٥، سيشار له تالياً (ابن عساكر، تهذيب).

(٢) ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م، ص٥٤٧، سيشار له تالياً (ابن قتيبة، المعارف).

(٣) ابو سعد منصور بن الحسين بن سعد الآبي، نشر الدر، تحقيق محمد علي قرنه وآخرون، مراجعة علي محمد البجاوي وآخرون، ٧ج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨١ ـ ١٩٩٠م، ج٣، ص٣٢٦، سيشار له تالياً (ابن سعد الآبي، نشر الدر)؛ أبو الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، تحقيق محمد شريف سكر، ط١، دار احياء العلوم، بيروت ١٩٨٨م، ص١٨٤، سيشار له تالياً (ابن الجوزي، أخبار الحمقى).

(٤) ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، صفوة الصفوة، ضبطها وكتب هوامشها ابراهيم رمضان وسعيد اللحام، ٤ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٩م، ج٢، ص٢١١، سيشار له تالياً (ابن الجوزي، الصفوة)؛ أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الامم والملوك، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبداقادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، ١٨ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م، ج١٠، ص٨٨، سيشار له تالياً (ابن الجوزي، المنتظم)؛ أبو العباس أحمد بن محمد بن ابراهيم بن خلكان، وفيات الاعيان، تحقيق احسان عباس، ٨ج، دار صادر، بيروت ١٩٧٠م، ج٥، ص٢٣١، سيشار له تالياً (ابن خلكان، وفيات)؛ شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي، سير اعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارنؤوط وآخرون، ٢٥ج، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٢م، ج٩، ص٣٤٤، سيشار له تالياً (الذهبي، سير).

(٥) ابو عبدالله الحارث بن اسد المحاسبي، آداب النفوس، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا، دار الجيل، بيروت ١٩٨٤م، ص٧، (مقدمة المحقق)، سيشار له تالياً (المحاسبي، آداب)؛ جلال الدين عبدالرحمن ابن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٥٢م، ص٣٣٥، سيشار له تالياً (السيوطي، تاريخ).

معلم صبيان وصاحب دِرّة وليس له عقل بمقدار ذرة[١]

وقال الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م): «ورثيت لآباء الصبيان من إبطاء المعلمين عن تحذيقهم»[٢] أي إكسابهم المهارة والاتقان في العلم. ويتسع مفهوم الكلمة لدى الجاحظ إذ يقول: «ووجدنا لكل صنف من جميع ما بالناس إلى تعلمه حاجة، معلمين، كمعلمي الكُتّاب»[٣]. وقوله: «ووجدنا للأشياء كلها معلمين»[٤].

وهناك كلمة أخرى وصف بها معلم الصبيان وهي: «المكْتِبُ»، أي الذي يعلم الكتابة للصبيان في الكُتّابُ، وقد ذُكر أن الحجاج بن يوسف الثقفي (ت ٩٥هـ/ ٧١٣م)، كان مُكْتِباً بالطائف، اي معلماً، ومنه قيل: عُبَيْدٌ المكتِبُ، لانه كان معلماً[٥]. وكان المعلمون الذين يسمون بالمكتِّبين، يعلمون الكتابة عن طريق نسخ الأمثال والحِكم[٦].

---

(١) ابو العباس أحمد بن عبدالمؤمن الشريشي، شرح مقامات الحريري، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ٥ج، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ج٥، ص٢١٠، سيشار له تالياً (الشريشي، شرح).

(٢) الجاحظ، رسائل، ج٣، ص٣١.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص٣١.

(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٣.

(٥) ابن منظور، لسان، ج١، ص٦٩٩؛ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس، تحقيق عبدالعلم الطحاوي، مراجعة بهجة الأثري وعبدالستار أحمد فراج، ٢٠ج، دار الجيل، بيروت، ١٩٦٨م، ج٤، ص١٠٣، سيشار له تالياً (الزبيدي، تاج).

(٦) ابو القاسم علي بن الحسين بن عساكر، تأريخ مدينة دمشق (تراجم النساء)، تحقيق سكينة الشهابي، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨١م، ص٤٢٨، سيشار له تالياً (ابن عساكر، تاريخ، (تراجم النساء))؛ ملكه ابيض، التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة العربية خلال القرون الثلاثة الاولى، دار العلم للملايين، د.م، ١٩٨٠م، ص٢٦٠، سيشار له تالياً (ملكه ابيض، التربية).

ويبدو أن كلمة معلم كانت تأخذ دلالة أوسع فيمن كانت تعنيه من الناس لتشمل قُرّاء القرآن الكريم[١]، حتى أن النبيﷺ كان يقول: «إنما بُعثت معلماً»[٢]، وأرسل الخليفة عمر بن الخطاب (١٣ ـ ٢٣هـ / ٦٣٤ ـ ٦٤٣م)، عبادة بن الصامت الانصاري (ت٣٤هـ/ ٦٥٤م)، إلى الشام قاضياً ومعلماً، وعبدالله بن مسعود (ت ٣٢هـ/ ٦٥٢م)، إلى الكوفة معلماً، ليعلما الناس القرآن ومبادىء الإسلام[٣]، وهذا يدل على أن القائم على الكُتّاب القرآني يسمى في البداية معلماً أو مُقرياً لتميزه عن معلم الكتابة المُكتِب[٤]. فالمُكتِبُ: المعلِّمُ، والكُتّابُ: الصبيان[٥]. وفي سياق بعض الروايات والأخبار التاريخية تتجه كلمة معلم إلى تعليم الغناء

---

(١) عامر جاد الله أبو جبله، تاريخ التربية والتعليم في صدر الإسلام، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الاردنية، ١٩٨٧م، ص١٩، سيشار له تالياً (عامر جادالله، التربية).

(٢) ابو عبدالله محمد بن يزيد بن ماجة، سنن، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ٢ج، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت، ج١، ص٨٣، سيشار له تالياً (ابن ماجه، سنن)؛ نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندي، تنبيه الغافلين باحاديث سيد الانبياء والمرسلين، كتب هوامشه وصححه الشيخ أحمد سلام، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م، ص٣٣٤، سيشار له تالياً (السمرقندي، تنبيه)؛ عبدالحي الكتاني، التراتيب الادارية، ٢ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج٢، ص٢١٩، سيشار له تالياً (عبدالحي الكتاني، التراتيب).

(٣) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ١٠ج، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧م، ج٤، ص١٣٩، سيشار له تالياً (الطبري، تاريخ)؛ أبو عبدالله شمس الدين محمد الذهبي، تذكرة الحافظ، صُحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت إعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، ٥ج، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج١، ص١٤، سيشار له تالياً (الذهبي، تذكرة)؛ علي حسني الخربوطلي، الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت، ص٢٢٦، سيشار له تالياً (الخربوطلي، الحضارة).

(٤) ملكة ابيض، التربية، ص٢٦٢.

(٥) ابن منظور، لسان، ج١، ص٦٦٩؛ الزبيدي، تاج، ج٤، ص١٠٤.

وتعلم بعض الصنائع[١].

يتبين لنا من خلال ذلك أن الكِتّاب أو المكْتِب يسمون معلمين أو مكتبين أو مؤدبين، إلا أن الاسم الأخير أطلق في الغالب على الذي يعين كمدرس خصوصي ـ كما سيأتي في الفصل الثاني ـ ومثال ذلك قول عبدالملك بن صالح[٢] (ت ١٩٦هـ / ٨١١م)، لمؤدب ولده: «واعلم أني جعلتك مؤدباً بعد أن كنت مُعلماً، وجعلتك جليساً مقرباً بعد أن كنت مع الصبيان مباعداً»[٣].

---

(١) انظر: أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الاصفهاني، الأغاني، تحقيق واشراف لجنة من الادباء، ٢٥ج، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٣م، ج٣، ص٢٤٦، ج٥، ص١٤٣، ١٤٤، ١٥٦، ٢٤٦، ٢٦٦، ج٦، ص٢٢، ١٥١، ٢٤٧، ج١٠، ص١٧٤، ج١٨، ص٥٨٠، ج٢١، ص٢١٩، ج٢٣، ص٥٣، سيشار له تالياً (الاصفهاني، الأغاني)؛ أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الاصفهاني، الإماء الشواعر، تحقيق نوري حمودي القيسي ويونس أحمد السامرائي، ط١، مكتبة النهضة العربية، بغداد ١٩٨٤م، ص٤٥، سيشار له تالياً (الاصفهاني، الإماء)؛ أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الاصفهاني، القيان، تحقيق جليل العطية، رياض الريس للكتب والنشر، لندن ١٩٨٩م، ص٩٢، سيشار له تالياً (الاصفهاني، القيان)؛ أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب النديم، الفهرست، تحقيق ناهد عباس عثمان، ط١، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة ١٩٨٥م، ص١٠٢، سيشار له تالياً (ابن النديم، الفهرست)؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٥؛ أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، تحقيق محمد حسين شمس الدين ويوسف علي طويل، ١٤ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م، ج١، ص٤٩٤، سيشار له تالياً (القلقشندي، صبح)؛ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، الوسائل الى مسامرة الاوائل، تحقيق اسعد طلس، مكتبة الزوراء، بغداد ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م، ص١٤٧، سيشار له تالياً (السيوطي، الوسائل)؛ السيوطي، المستظرف من أخبار الجواري، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٦٣م، ص٤٩، سيشار له تالياً (السيوطي، المستظرف).

(٢) عبدالملك بن صالح بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب العباسي، أبو عبدالرحمن الامير، ولي المدينة والصُّوائِفُ للرشيد ثم ولي الشام والجزيرة للأمين. محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق احسان عباس، ٥ج، دار صادر، بيروت ١٩٧٣م، ج٢، ص٣٩٨، سيشار له تالياً (الكتبي، فوات).

(٣) ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، عيون الأخبار، شرحه وضبط وعلق عليه يوسف علي طويل، ٤ج، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م، ج٢، ص٧٦، سيشار له تالياً (ابن قتيبة، عيون)؛ أبو الحسين هلال بن المحسن الصابيء، رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م، ص٤٧، سيشار له تالياً (الصابيء، رسوم)؛ عبدالحميد ابن هبة الله بن محمد بن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق لجنة احياء الذخائر، ٥ج، دار مكتبة الحياة، بيروت د.ت، ج٥، ص٥٦، سيشار له تالياً (ابن أبي الحديد، شرح).

٢ - مكانة المعلمين الاجتماعية:

يبدو أن مكانة المعلمين في الإسلام كانت مرتفعة لما لهم من أهمية في تعليم صبيان المسلمين الكِتابة، والقراءة، خاصة قراءة القرآن الكريم، وبعض العلوم الأولية؛ لتعينهم في حياتهم، طيلة فترة صدر الإسلام، والعصر العباسي الاول[١].

الا أن نظرة المجتمع لم تخلُ من نقد للمعلمين وإستهانة بعملهم، قال مالك بن الريب الشاعر (ت ٦٠هـ/ ٦٧٩م)، يهجو الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان معلماً في الطائف:

فماذا عسى الحجاج يبلغ جهده ... اذا نحن جاوزنا حفير زياد

فلولا بنو مروان كان ابن يوسفَ ... كما كان عبداً من عبيد إياد

زمان هو العبد المقر بذلةٍ ... يراوح صبيان القرى ويُغادي[٢]

وفيه ايضاً يقول القائل مستكثراً عليه منصب الأمارة وقد كان يلقب بكليب:

أينسى كليب زمان الهزال ... وتعليمه سورة الكوثر[٣]

---

(١) ابن قتيبة، عيون، ج٢، ص١٨٤؛ باقر شريف القرشي، النظام التربوي في الإسلام، دار التعاون للمطبوعات، بيروت ١٩٨٣م، ص١٧٦، سيشار له تالياً (باقر القرشي، النظام).

(٢) ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء (طبقات الشعراء)، تحقيق نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م، ص٢٢٢، سيشار له تالياً (ابن قتيبة، الشعر)؛ أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل، تحقيق محمد أحمد الدالي، ٤ج، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٦م، ج٢، ص٦٣٠، سيشار له تالياً (المبرد، الكامل)؛ أبو العباس أحمد بن محمد الجرجاني، المنتخب، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٤م، ص١٥١، (طبع مع الثعالبي، الكناية)، سيشار له تالياً (الجرجاني، المنتخب)؛ عبدالسلام محمد هارون، «الجاحظ والمعلمون»، مجلة الكتاب، م٢، ج١٠، السنة الاولى، ١٩٤٦م، ص٥٤٦، سيشار له تالياً (عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»).

(٣) ابن قتيبة، المعارف، ص٥٤٨؛ ابن قتيبة، الشعر، ص٢٢٢؛ المبرد، الكامل، ج٢، ص٦٣٠؛ الجرجاني، المنتخب، ص١٥١؛ عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص٥٤٦.

وقال الشاعر:

كفى المرء أن يقال بانه معلم صبيان وإن كان فاضلا[١]

وقال آخر:

إن المعلم حيث كان معلماً ولو ابتنى فوق السماء سماء[٢]

وقد أشار الجاحظ (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، إلى هذه النظرة حين قال: «فما أعان الله تعالى به الصبيان أن قرّب الله طبائعهم، ومقادير عقولهم من مقادير عقول المعلمين»[٣].

ويبدو أن ثقافة بعض المعلمين المحدودة وعدم إتقانهم لقراءة القرآن الكريم من الأسباب التي فتحت الباب واسعاً لانتقادهم من قبل بعض العلماء[٤]. فقد قال الكسائي[٥] (ت ١٨٩هـ/ ٨٠٤م): «كان الذي دعاني أن أقرأت بالري اني مررت بمعلم صبيان يقرأ: «ذواتي أكلٍ خمط وأتل»[٦]، بالتاء فتجاوزته، فإذا معلم آخر فذكرت له ذلك، فقال: أخطأ، الصواب (وابل)، فدعاني أني أقرأت الصبيان»[٧]. وكان معلم كتاب يقرأ قوله تعالى: ﴿غُلبت

---

(١) ابو القاسم حسين بن محمد الراغب الأصبهاني، محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ٢ج، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦١م، ج١، ص٥٣، سيشار له تالياً (الراغب الاصبهاني، محاضرات):

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٥٣.

(٣) الجاحظ، رسائل، ج٣، ص٣٧.

(٤) حسين الكساسبة، «معلمو الكتاتيب في الدولة العربية الإسلامية حتى نهاية القرن الثالث الهجري مكانتهم الاجتماعية»، بحث مقبول للنشر في مجلة دراسات، الجامعة الاردنية، سيشار له تالياً (الكساسبة، «معلمو الكتاتيب»).

(٥) ابو الحسن، علي بن حمزة بن عبدالله الاسدي الكوفي، المعروف بالكسائي. أحد القراء السبعة، كان إماماً في النحو والفقه والقراءات. استوطن ببغداد وعلّم الرشيد ثم الامين. عبدالرحمن بن ابراهيم الاربلي، خلاصة الذهب المسبوك، صححه مكي السيد جاسم، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ص١٥٧، سيشار له تالياً (الاربلي، خلاصة).

(٦) والصواب في الآية: ﴿ذَوَاتَى أكلٍ خمطٍ وأثلٍ﴾، سورة سبأ: آية ١٦.

(٧) ابن الجوزي، أخبار الحمقى، ص١٨١.

الروم في أدنى الارض﴾[١]، ولكنه قرأها غُلبت الترك... فرده بعض السامعين إلى الصواب. فقال المعلم: «لا يهم، الترك والروم أعداؤنا»[٢]. وسمع معلم يُلقن صبياً: ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه[٣]، يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك، فيكيدوا لك كيداً[٤] وأكيد كيداً، فمهل الكافرين امهلهم رويداً﴾[٥] فقيل له: ويحك أتُدخل سورة في سورة، فقال: نعم عافاك الله»[٦]. وعن أبي العنبس[٧] (ت٢٧٥هـ/ ٨٨٨م): «كان في دربنا معلم طويل اللحية، فكنت أجلس اليه كثيراً وأتلهى به، فجئته يوماً وبين يديه صبي يقول له: ويلك! الدجلة من حفرها! قال: عيسى بن مريم، قال: فالجبل مَنْ خلقه؟ قال: موسى بن عمران، قال: فالبعر من دوره في است الجمل؟ قال: شيطان يقال له الحي، قال: أحسنت، فآدم من أبوه؟. قال: نوح، قال: بخٍ بخٍ، نجوت والله! فقلت: يا سبحان الله! أليس آدم أبا البشر! قال: نعم، قلت: فكيف يكون نوح أباه! قال: ويلك اتعرفني بآدم وأنا أبو عبدالله المعلم، يا صبيان كرفِسوه، فكرفسوني، حتى صيروني مقيداً، فحلفت ألا أقف على معلّم أبداً»[٨].

---

(١) سورة الروم: آية ٢.

(٢) أحمد شلبي، التربية الإسلامية، ط٦، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٧٨م، ص٢٢٠، سيشار له تالياً (أحمد شلبي، التربية).

(٣) سورة لقمان: آية ١٣.

(٤) سورة يوسف: آية ٥.

(٥) سورة الطارق: آية ١٦، ١٧.

(٦) ابن سعد الآبي، نثر الدر، ج٥، ص٣٣١؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص٥٣؛ ابراهيم بن محمد البيهقي، المحاسن والمساوىء، دار صادر، بيروت، د.ت، ص٥٨٠، سيشار له تالياً (البيهقي، المحاسن)؛ الشريشي، شرح، ج٥، ص٢١٠؛ أحمد شلبي، التربية، ص٢٢٠؛ عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص٥٦٨.

(٧) محمد بن اسحاق بن ابراهيم الصيمري بن أبي العنبس، اديب ظريف وشاعر هجاء، ولي قضاء الصَّمَيْرَة من بلاد خوزستان، فنسب اليها، وقد كان نديماً للمتوكل والمعتمد العباسيين. شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي، ٦ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م، ج٣، ص٤٣٩، سيشار له تالياً (ياقوت الحموي، معجم البلدان).

(٨) الشريشي، شرح، ج٥، ص٢١٢.

ويبدو أن ممارسات بعض المعلمين في كتاتيبهم، واقترانها بالحمق في التعامل مع الصبيان كانت أيضاً من أسباب انتقادهم، من ذلك ما رواه بعضهم حيث قال: «مررت ببعض المعلمين ويعرف بكسرى فرأيته يصلي بالصبيان صلاة العصر، فلم أزل واقفاً أفكر فيه، فلما أن ركع أدخل رأسه بين رجليه، لينظر ما يصنع الصبيان خلفه، فرأى صبياً يلعب، فقال له وهو راكع: يا ابن البقال، هوذا، أدري ما تصنع!»[1]. وقال شريك بن عبدالله القاضي الكوفي (ت ١٧٧هـ/ ٧٩٣م): «مررت يوماً بمعلم والصبيان يحذفون عينه بالقصب، وهو ساكت، فقلت: ويحك! أرى منك عجباً. فقال: اسكت، ودعهم. فما فرحي والله الا أن يصيب عيني شيء، فأريك كيف أنتف لحى آبائهم»[2]. وقال الأصمعي (ت ٢١٦هـ/ ٨٣١م): «مررت بمعلم بالبصرة يضرب صبياً، ثم أقام الصبيان صفاً، وجعل يدور عليهم، ويقول: اقرءوا، فلمّا بلغ الصبي المضروب، قال لآخر إلى جنبه: قل له: أن يقرأ فاني لا أكلمه!»[3]. وعن أبي عبدالرحمن محمد بن عبدالله العتبي الشاعر (ت ٢٢٨هـ/ ٨٤٢م): «انه كان ببغداد معلم يشتم الصبيان فأخذت بيد أحد المشايخ، فدخلنا عليه، فقلنا: يا شيخ ما يحل لك أن تشتم هؤلاء الصبيان، فقال: انا مبتلي بهم، ما اشتم الا من يستحق الشتم، فاحضروا حتى تسمعوا بعض ما أنا فيه، فحضرنا معه فقرأ عليه الصبي: عليها ملائكة غلاظ يعصون الله ما أمرهم، ولا يفعلون ما يؤمرون[4]، فقال: ....، فليس هؤلاء ملائكة ولا اعراب ولا اكراد.. قال: فضحكنا والله حتى بال احدنا في

---

(١) الشريشي، شرح، ج٥، ص٢٠٩؛ شهاب الدين محمد بن أحمد الابشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، طبعه جديدة منقحة باشراف المكتب العالمي للبحوث، ٢ج، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٨٩م، ج٢، ص٣٢١، سيشار له تالياً (الابشيهي، المستظرف)؛ عبدالعزيز الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، ط٤، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٦م، ص٨٨، سيشار له تالياً (الدوري، الجذور).

(٢) ابن سعد الآبي، نثر الدر، ج٥، ص٣٢٧.

(٣) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٢٦؛ الشريشي، شرح، ج٥، ص٢١٢.

(٤) الصواب في الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾، سورة التحريم: آية ٦.

سراويله. فقرأ عليه آخر: لا تنفقوا الا من عند رسول الله[١]، وتردد، فقال: من عند أبيك القرنان اولى، فانه اكثر مالاً يا ابن الفاعلة، أتلزم النبي بنفقة مال لا تجب عليه؟ أأعجبك كثرة ماله؟ فقال العتبي: فكنت أترك أشغالي، وأجلس عنده أتعجّب»[٢]. وقال بعضهم: «مررت بمعلم صبيان، يضربون وينتفون لحيته، فتقدمت لاخلصه فمنعني وقال: دعهم، بيني وبينهم شرط، إن سبقتهم إلى الكُتّاب ضربتهم وإن سبقوني ضربوني، واليوم غلبني النوم فتأخرت لكن وحياتك إلا بكرت من نصف الليل وتنظر فعلي بهم. فالتفت اليه صبي وقال: أنا ابات الليلة ها هنا حتى تجيء واصفعك»[٣]. وقال بعضهم: «مررت بمعلم وقد جاء صبي صغير، فصفعه. فقلت له: لِمَ تدع هذا الصبي يجترىء عليك؟ فقال: دعه فاني اشكوه غداً إلى ابيه»[٤]. وقال الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م): «الفت كتاباً في نوادر المعلمين وما هم عليه من التغفل ثم رجعت عن ذلك وعزمت على تقطيع ذلك الكتاب فدخلت يوماً مدينة فوجدت فيها معلماً في هيئة حسنة فسلمت عليه فردّ عليّ أحسن رد، ورحب بي فجلست عنده، وباحثته في القرآن فاذا هو ماهر فيه، ثم فاتحته في الفقه والنحو وعلم المنقول واشعار العرب، فاذا هو كامل الادب، فقلت: هذا والله مما يقوي عزمي على تقطيع الكتاب، قال: فكنت اختلف اليه وأزوره، فجئت يوماً لزيارته فاذا بالكُتّاب مغلق، ولم أجده فسألت عنه فقيل: له ميت فحزن عليه وجلس في بيته للعزاء، فذهبت إلى بيته وطرقت الباب فخرجت اليّ جارية وقالت ما تريد؟! قلت: سيدك، فدخلت وخرجت وقالت: باسم الله، فدخلت اليه واذا به جالس فقلت: عظم الله أجرك، لقد كان لكم في رسول أسوة حسنة كلّ نفس ذائقة الموت فعليك بالصبر، ثم قلت له هذا الذي توفي ولدك، قال: لا، قلت: فوالدك،

---

(١) الصواب في الآية: ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى يَنْفَضُّوا﴾، سورة المنافقون: آية ٧.

(٢) انظر: الشريشي، شرح، ج٥، ص٢١١.

(٣) ابن الجوزي، أخبار الحمقى، ص١٨٤ ـ ١٨٥.

(٤) ابن سعد الآبي، نثر الدر، ج٥، ص٣٣٠.

قال: لا، فقلت: فأخوك، قال: لا، قلت: فزوجتك، قال: لا، فقلت: وما هو منك، قال: حبيبتي، فقلت في نفسي، هذه أول المناحس، فقلت: سبحان الله! النساء كثر وستجد غيرها فقال: أتظن أني رأيتها؟ قلت وهذه منحسة ثانية، ثم قلت: وكيف عشقت من لم ترَ؟ فقال: أعلم اني كنت جالساً في هذا المكان، وأنا أنظر من الطاق إذ رأيت رجلاً عليه برد وهو يقول:

يا ام عمرو جزاك الله مكرمة ردّي عليّ فؤادي أينما كانا

لا تأخذين فؤادي تلعبين به فكيف يلعب بالانسان انسانا

فعلمت انها ماتت، فحزنت، وأغلقت المكتب، وجلست في الدار، فقلت: يا هذا اني كنت الفت كتاباً في نوادركم معشر المعلمين وكنت حين صاحبتك عزمت على تقطيعه، والآن وقد قويت عزمي على إبقائه وأول ما ابدأ بك إن شاء الله تعالى»[1].

وذكر الجاحظ ايضاً أن بعض المجان قال: «مررت ببعض الدور. فاذا أنا بمعلم خلف ستر قائم على اربعة ينبح نبح الكلاب، فنظرت اليه فاذا صبي خرج من خلف الستر، فقبض عليه المعلم، فقلت للمعلم عرفني خبرك، قال: نعم هذا صبي يبغض التأديب ويفر ويدخل إلى الداخل ولا يخرج، واذا طلبته بكى، وله كلب يلعب به فانبح له فيظن اني كلبه ويخرج اليّ فآخذه»[2]. ويروى عن الجاحظ انه قال: «مررت بمعلم صبيان وعنده عصا طويلة، وعصا قصيرة، وصولجان[3]، وكرة، وطبل، وبوق، فقلت: ما هذه؟ فقال: عندي صغار أوباش،

---

(١) الابشيهي، المستطرف، ج٢، ص٣٢١؛ تقي الدين أبو بكر بن علي بن حجة، ثمرات الاوراق، صححه محمد أبو الفضل، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧١م، ص٤٥٢ ـ ٤٥٣، سيشار له تالياً (ابن حجة، ثمرات)؛ عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص٥٦٧ ـ ٥٦٨.

(٢) ابن الجوزي، أخبار الحمقى، ص١٨١؛ الابشيهي، المستطرف، ج٢، ص٣٢١.

(٣) الصّولج والصّولجان والصّولجانة: العود المعوج، أو العصا يعطف طرفها يضرب بها الكرة على الدواب والجمع صَوالِجَة. وأصل الكلمة فارسي معرب. ابن منظور، لسان، ج٢، ص٣١٠.

فأقول لاحدهم: اقرأ لوحك. فيصفر لي فاضربه بالعصا القصيرة، فيتأخر فاضربه بالعصا الطويلة، فيفر من بين يدي فاضع الكرة في الصولجان فاضربه وأشجه، فيقوم اليّ الصغار كلهم بالالواح، فاجعل الطبل في عنقي، والبوق في فمي، واضرب الطبل وانفخ في البوق، فيسمع اهل الدرب ذلك فيسارعون اليّ ويخلصونني»[١].

ومما يحكى عن حماقة المعلمين قول الجاحظ: «عقل مائة معلم عقل امرأة، وعقل مائة امرأة عقل حائك، وعقل مائة حائك عقل خصي، وعقل مائة خصي عقل صبي»[٢].

ومن امثال العامة: «احمق من معلم كُتَّاب»[٣]. وقال بعضهم: «الحمق في الحاكة والمعلمين والغزالين»[٤].

كل ذلك أدى إلى أن تبدو النظرة العامة للمعلمين نظرة فيها شيء من الاستهانة بمكانتهم ودورهم. ويبدو أن عدم قبول شهادة معلمي الصبيان لدى بعض القضاة؛ كان احد الاسباب التي ساعدت على الحط من مكانتهم. فكان عبدالله بن شبرمة القاضي الكوفي (ت١٤٤هـ/ ٧٦١م)[٥]، ويحيى بن اكثم القاضي البصري (ت ٢٤٢هـ/ ٨٥٦م)[٦]، وسوّار

---

(١) الأبشيهي، المستطرف، ج٢، ص٣٢١؛ عبدالقادر عياش، العصا في حياتنا وتراثنا، مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٩٦٧م، ص٤٦، سيشار له تالياً (عياش، العصا)؛ عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص٥٦٨.

(٢) الشريشي، شرح، ج٥، ص٢١٠.

(٣) ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ٤ج، دار الجيل، بيروت ١٩٤٨م، ج١، ص٢٤٨، سيشار له تالياً (الجاحظ، البيان)؛ أحمد أمين، ضحى الإسلام، ٣ج، ط١٠، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٣٥م، ج٢، ص٥٠، سيشار له تالياً (احمد امين، ضحى)؛ آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبدالهادي أبو ريده، ٢ج، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧م، ج١، ص٣٤٤، سيشار له تالياً (متز، الحضارة)؛

GOLDZIHER, "Education",(muslim),Encyclopaedia of Religion and Ethics,vol. 5.p.201.
سيشار له تالياً (Goldziher," Education")

(٤) الجاحظ، البيان، ج١، ص٢٤٩.

(٥) ابن سعد الآبي، نثر الدر، ج٥، ص٣٢٦؛ ابن الجوزي، أخبار الحمقى، ص١٨١.

(٦) Goldziher," Education", vol. 5.p. 202.

ابن عبدالله القاضي البصري (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)[١]، لا يقبلون شهادة المعلم. وقد يكون تعليل ذلك، أن هؤلاء المعلمين يأخذون على تعليم القرآن اجراً، كما انهم يقبلون الهدية، وهذا يسقط المروءة والعدالة، «فقد جاء رجل ليشهد عند سّوار القاضي، فقال له: ما صناعتك؟ قال: أنا مؤدب. قال: فإنا لا نجيز شهادتك. قال: ولِمَ؟ قال: لأنك تأخذ على تعليم القرآن اجراً»[٢]. ويفسر الفقيه المغربي ابن سحنون (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، ذلك بقوله: «ومن هنا سقطت شهادة اكثر المعلمين لانهم غير مؤدين لما يجب عليهم الا من عصم الله».[٣] وفي قول لبعض الحكماء: «لا تستشيروا معلماً ولا راعي غنم ولا كثير القعود مع النساء»[٤]. وقول سهل بن هارون[٥] (ت٢١٥هـ/ ٨٣٠م): «لم أر قاضياً ولا عدلاً معلم كُتَّاب، لا في تافه حقير ولا في ثمين خطير»[٦]. وتحدث الجاحظ، فقال: «كان يقال: لا ينبغي لعاقل أن يشاور واحداً من خمسة: القطان، والغزّال، والمعلم، وراعي ضأن، ولا الرجل الكثير المحادثة للنساء»[٧]، وكان السّنديُّ بن شاهك القاضي يقول: «اللهم اني

---

(١) ابن قتيبة، عيون، ج١، ص١٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٣٧؛ البيهقي، المحاسن، ص٥٧٨؛ أحمد شلبي، التربية، ص٢٢٢.

(٣) ابن سحنون، اداب، ص٩٥؛ أحمد بن أبي جمعة المغراوي، جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان، تحقيق أحمد جلولي البدوي ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص٣٨، سيشار له تالياً (المغراوي، جامع)؛ الكساسبة، «معلمو الكتاتيب»، ص١١.

(٤) الجاحظ، البيان، ج١، ص٢٤٨؛ خليل طوطح، التربية عند العرب، المطبعة التجارية، القدس، د.ت، ص٣٨، سيشار له تالياً (طوطح، التربية).

(٥) ابو عمرو، سهل بن هارون بن راهبون الفارسي الاصل، اتصل بالمامون فولاه خزانة الحكمة، وكان اديباً كاتباً شاعراً حكيماً. شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي، معجم الادباء، تحقيق احسان عباس، ٧ج، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٣م، ج٣، ص١٤٠٩، سيشار له تالياً (ياقوت الحموي، معجم الادباء).

(٦) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص٥٥.

(٧) المبرد، الكامل، ج٢، ص٦٥٨؛ فيليب حتي وآخرون، تاريخ العرب، ط٨، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٠م، ص٤٨١، سيشار له تالياً (حتي، تاريخ العرب).

استخيرك في الحمّال ومعلم الصبيان»[١].

ومع أن الجاحظ كان له السبق في تسجيل الحكايات، والنوادر المتعلقة ببعض المعلمين التي تكشف عن ممارسات خاطئة خاصة بهم، الا انه في المقابل دافع عن مكانة معلمي الصبيان وانصفهم بقوله: «اما المعلمين الذين سخرهم لنا ووصل حاجتهم إلى ما في أيدينا، وهؤلاء هم الذين هجوتهم وشكوتهم وفحشت عليهم وألزمت الاكابر ذنب الأصاغر وحكمت على المجتهدين بتفريط المقصرين ورثيت لآباء الصبيان عن ابطاء المعلمين عن تحديثهم، ولم نرثِ للمعلمين عن ابطاء الصبيان عما يراد بهم من صرف العلوم لمن يحفظونه ويدرسونه، والمعلمون اشقى بالصبيان من رعاة الضأن ورواض المهارة. ولو نظرت اليهم علمت أن النعمة فيهم سابقة والشكر عليها لازم واجب»[٢]. وقد قسم الجاحظ المعلمين إلى نوعين: «منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم اولاد الخاصة، ومنهم ارتفعوا عن تعليم اولاد الخاصة إلى تعليم اولاد الملوك انفسهم المرشحين للخلافة. فكيف تستطيع أن تزعم انّ مثل علي بن حمزة الكسائي، ومحمد بن المستنير الذي يقال له قطرب[٣]، واشباه هؤلاء يقال لهم حمقى. ولا يجوز هذا القول على هؤلاء ولا على الطبقة التي دونهم. فان ذهبوا إلى معلمي كتاتيب القرى فان لكل قوم

---

(١) ابن قتيبة، عيون، ج١، ص١٣٩؛ ابن سعد الآبي، نثر الدر، ج٥، ص٣٢٦؛ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون، ١٥ج، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧ ـ ١٩٩٢م، ج١٠، ص١٧٣، سيشار له تالياً (ابن كثير، البداية)؛ متز، الحضارة، ج١، ص٣٤٥.

(٢) الجاحظ، البيان، ج١، ص٢٥١؛ الجاحظ، رسائل، ص٢٨؛ فهمي عبدالرزاق سعد، العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين، الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٣م، ص١٥٦، سيشار له تالياً (فهمي عبدالرزاق، العامة).

(٣) ابو علي، محمد بن المستنير البصري المعروف بقطرب، احد علماء اللغة والنحو. ويقال ان سيبويه لقبه قطربا لمباكرته له في الاسحار (ت ٢٠٦هـ/ ٨٢١م) . أبو البركات عبدالرحمن بن محمد الانباري، نزهة الالباء في طبقات الادباء، تحقيق ابراهيم السامرائي، ط٣، مكتبة المنار، الزرقاء ١٩٨٥م، ص٧٧، سيشار له تالياً (ابن الانباري، نزهة).

حاشية وسفلة، فما هم في ذلك الا كغيرهم»[1]. وهكذا نجد الجاحظ يدافع بحرارة عن المعلمين، خالصاً إلى تقدير دورهم في المجتمع، فنراه يكرس حق الطبقات الدنيا في التعليم قائلاً: «لو استقصيت عدد النحويين والعروضيين والفرائضين والحساب والخطاطين والقضاة والحكماء والولاة. . . لما وجدتهم الا من المعلمين»[2]. فالجاحظ لا يعم معلمي الكتاتيب بالحمق، بل هو ينصفهم أصدق الانصاف ويحتج لهم بانهم كسائر الاقوام، فيهم الغث والسمين، والصالح وغيره[3]. . ويبدو أن ما دفع بالجاحظ إلى التندر بالمعلمين، ذلك الاسلوب الذي امتاز به وكاد ينفرد به، وهو اسلوب السخرية بالناس جميعاً على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم. فالجاحظ لم يتهكم بتلك الطائفة من الناس فحسب، بل هو يسخر بالقصاص، ويسخر بالمفسرين والمحدثين، والكُتّاب والقضاة والحكام وبطائفة المتكلمين ايضاً، ولا يكاد يسلم من سخريته الا «المعتزلة»، فهؤلاء عنده كانوا اعقل الناس واحزم الناس، واهدى الناس إلى المعرفة والتبين واصابة الحكم[4]. ولا ننسى أن الجاحظ نفسه كان معتزلياً وبالتالي فانه لن يذم نفسه.

ولا بد من الاشارة إلى بعض آراء المستشرقين في هذا الموضوع حيث يذكر GOLDZIHER: «ان السبب في أن معلمي الكتاتيب نُظر اليهم شذراً أن معظمهم كانوا من الموالي، كما كان اغلب معلمي القراءة والكتابة في العهد الاول من الذميين، وكان العرب

---

(١) الجاحظ، البيان، ج١، ص٢٥١ ـ ٢٥٢؛ وانظر: الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص٥٥؛ أحمد شلبي، التربية، ص٢١٩؛ خالد محمد علي الحاج، اعلام التربية والمربين من القدماء والمحدثين، ط١، الناشر المؤلف، عمان ١٩٨٩م، ص٢٤٠، سيشار له تالياً (خالد الحاج، اعلام التربية)؛ أحمد فؤاد الاهواني، التربية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣م، ص١٩٧، سيشار له تالياً (الاهواني، التربية).

(٢) الجاحظ، رسائل، ج٣، ص٣١.

(٣) سعيد اسماعيل علي، معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٦م، ص١٩٦، سيشار له تالياً (سعيد اسماعيل، معاهد)؛ عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص٥٧٠؛ الكساسبة، «معلمو الكتاتيب»، ص١٦.

(٤) سعيد اسماعيل، معاهد، ص١٩٥؛ عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص٥٦٩؛ الكساسبة، «معلمو الكتاتيب»، ص١٤.

المسلمون يعتدون بدمهم العربي، وبدينهم الإسلامي، ويحتقرون من عدا ذلك، فليس بعيداً أن تكون فكرة احتقار معلمي الكتاتيب نشأت من ذلك العهد»[١]. ويقول آدم متز: «ولعل كثيراً مما لحق بالمعلمين من ضروب الاستهزاء يقع أثمه على الروايات اليونانية الهزلية، لان المعلم فيها كان من الشخصيات المضحكة»[٢].

اما الخليفة المامون (١٩٨ ـ ٢١٨هـ/ ٨١٣ ـ ٨٣٣م)، فيعلل لما أثر عن بعض المعلمين من بلاده وتخلف ـ وكان صغيراً ـ بالعبارة التالية «المعلم يجلو عقولنا بأدبه، ويصدأ عقله بجهلنا، ويوقرنا برزانته، ونستخفه بطيشنا، ويشحذ اذهاننا بفوائده، ويكل ذهنه بغينا، فلا يزال يعارض بعلمه جهلنا وبيقظته غفلتنا وبكماله نقصنا حتى نستغرق محمود خصاله ويستغرق مذموم خصالنا، فاذا برعنا في الاستفادة برع هو في البلادة، وإذ تحلينا باوفر الاداب تعطل من جميع الاسباب، فنحن الدهر ننتزع منه آدابه المكتسبة فنستفيدها دونه ونثبت فيه أخلاقنا الغريزية فينفرد بها دوننا، فهو طول عمره يكسبنا عقلاً ويكتسب منا جهلاً، فهو كذبالة السراج ودودة القز»[٣].

يظهر مما سبق أن الحملة على المعلمين لم تشمل كل قطاع المعلمين آنذاك بل شملت فئة قليلة منهم انحطت إلى منزلة مهينة تخبطت في سيرها خلال العملية التعليمية، في الوقت الذي بالغت فيه بعض الروايات والقصص وقد ركزت على نوادرهم وحكاياتهم دون بيان مكانتهم ودورهم بشكل موضوعي، ولا بد من الاشارة إلى أن المعلمين الذين يمتلكون الكفاءة كانوا محل احترام وتقدير عند الناس، محافظين على مكانتهم الاجتماعية.

---

(١) Goldziher," Education", vol. 5.202.

(٢) متز، الحضارة، ج١، ص٣٤٥.

(٣) ابن الجوزي، أخبار الحمقى، ص١٨٠؛ أحمد شلبي، التربية، ص٢٢٤.

٢ ـ صفات وشروط معلم الكُتّاب

وصفت لنا المصادر المتخصصة الصفات والشروط التي يجب أن تتوفر في معلم الكُتّاب، إذ أن الصبيان لم يكوّنوا في هذا السن استقلالهم، فهم ينظرون إلى معلمهم على انه نموذج صالح يقلدونه، فعليه أن يدرك ذلك. «فأعيُن التلاميذ اليه ناظرة وآذانهم اليه مصغية، فما استحسن فهو عندهم الحسن وما استقبح فهو عندهم القبيح»[١].

وقد كان الآباء يتحرون جهدهم في اختيار من يتولى تعليم صبيانهم[٢]، فلا يختارون الا من كان حافظاً للقرآن، عالماً بامور الدين، عارفاً بالقراءة، والكِتابة، والنحو، وحسن الخط، وذا معرفة بالحساب[٣]. وعليه أن يحافظ على مظهره الخارجي فيكون نظيفاً، طيب الرائحة[٤]، وقد امتحن الجاحظ معلم الكُتَّاب، اذ قال: «عبرت على معلم كتاب فوجدته في هيئة حسنة وقماش مليح فقام واجلسني معه ففاتحته في القرآن، فاذا هو ماهر فيه، ثم فاتحته في الفقه، والنحو، وعلم المنقول، واشعار العرب، فاذا به كامل من جميع

---

(١) ابو حامد محمد بن محمد الغزالي، الادب في الدين، تحقيق عبدالله أحمد أبو زينه، ط٤، دار الشروق، بيروت ١٩٨٣م، ص٤٨، سيشار له تالياً (الغزالي، الادب).

(٢) ابن سحنون، آداب، ص٤٧؛ أبو عبدالله محمد بن محمد بن الحاج، المدخل، ٤ج، ط١، المطبعة المصرية بالازهر، القاهرة ١٩٢٩م، ج٢، ص٣٢٣، سيشار له تالياً (ابن الحاج، المدخل).

(٣) محمد بن محمد بن أحمد بن الاخوة القرشي، معالم القربة في احكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى المطيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦م، ص٢٦١، سيشار له تالياً (ابن الاخوة، معالم)؛ محمد منير مرسي، تاريخ التربية في الشرق والغرب، عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٠م، ص١٧٤، سيشار له تالياً (محمد منير، تاريخ التربية)؛ محمد أحمد جاد صبح، التربية الإسلامية، ٢ج، دار الجيل، بيروت ١٩٩٣م، ج١، ص٣٨٠، سيشار له تالياً (جاد صبح، التربية).

(٤) ابو حامد محمد بن محمد الغزالي، أيها الولد، تحقيق علي محيي الدين علي القرة، ط٢، دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٩٨٥م، ص٧٢، سيشار له تالياً (الغزالي، ايها الولد)؛ باقر القرشي، النظام، ص١٧٩؛ محمد اسعد طلس، التربية والتعليم في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٥٦م، ص٧١، سيشار له تالياً (اسعد طلس، التربية).

ما يراد به»[١].

والى جانب ذلك كانت هناك صفات دينية، وخلقية لا بد من توفرها في معلم الكُتّاب منها أن يكون قوي اليقين بالله عز وجل[٢]، ورعاً، قائماً بفروض وشعائر الدين كالصلاة، والزكاة والامر بالمعروف، والنهي عن المنكر[٣]، وان يستعمل تقوى الله في مطعمه ومشربه وملبسه ومسكنه[٤].

ولان قيمة المعلم في أخلاقه وسلوكه ـ لانه قدوة لتلاميذه اولاً، ولمن يحيطون به ثانياً ـ لهذا ينبغي أن يتأدب بأدب القرآن[٥]، فيتحلى بحسن الأخلاق التي حث عليها الإسلام[٦]. ويبذل الوسع ما استطاع في تطهير نفسه من الرذائل التي تقلل من قيمة المعلم[٧]، كاظماً لغيظه، وقوراً متئداً رفيقاً بطلابه[٨]، طليق الوجه حليماً صابراً نزيهاً ملازماً للخشوع والسكينة،

---

(١) الابشيهي، المستطرف، ج٢، ص٣٢١؛ ابن حجة، ثمرات، ص٤٥٢ ـ ٤٥٣؛ عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص٥٦٧ ـ ٥٦٨.

(٢) تاج الدين عبد الوهاب السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار وآخرون، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٤٨م، ص١٣٠، سيشار له تالياً (السبكي، معيد النعم)؛ اسعد طلس، التربية، ص٧١.

(٣) اسعد طلس، التربية، ص٧١؛ محمد منير، تاريخ التربية، ص١٧٥.

(٤) ابو بكر محمد الحسن الاجري، أخلاق اهل القرآن، تحقيق فاروق حماده، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٤م، ص٧٧، سيشار له تالياً (الاجري، أخلاق اهل القرآن).

(٥) المصدر نفسه، ص٧٧.

(٦) ابن سحنون، آداب، ص٤٧؛ أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، سنن الدارمي، تحقيق عبدالله هاشم اليماني، ٢ج، دار المحاسن، القاهرة ١٩٦٦م، ج١، ص٥٥، ١٢٢، سيشار له تالياً (الدارمي، سنن)؛ عبدالرؤوف يوسف عبدالقادر، أخلاق العالم والمعلم عند أبي بكر الاجرى، دار الجيل، ط١، بيروت ١٩٩١م، ص١٧١، سيشار له تالياً (عبدالرؤوف يوسف، أخلاق العالم).

(٧) الغزالي، ايها الولد، ص٧١؛ اسماء فهمي، مبادىء التربية الإسلامية، مطبعة لجنة التاليف والنشر والترجمة، القاهرة ١٩٤٧م، ص١٣٨، سيشار له تالياً (اسماء فهمي، مبادىء التربية).

(٨) الاجري، أخلاق اهل القرآن، ص٧٨؛ اسماء فهمي، مبادىء التربية، ص١٣٧.

متجنباً الضحك الكثير فانه يميت القلب ويقلل الهيبة[١].

وينبغي على المعلم أن يكون متزوجاً[٢]، ولا يفسح لعازب أن يفتح مكتباً للتعليم الا أن يكون شيخاً كبيراً[٣].

وقد لخص ابن الحاج الفاسي المغربي (ت ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م)، هذه الصفات والشروط بقوله: «وينبغي لآباء الصبيان أن يتخيروا لأولادهم افضل ما يمكنهم.. فيختارون لهم اولاً اهل الدين، والتقوى، فإن كان مع ذلك عنده علم من العربية فهو احسن، فان زاد على ذلك بالفقه فهو اولى، فإن زاد عليه بكبر السن فهو اجل، فإن زاد عليه بورع وزهد فهو اوجب.. اذ انه كلما زادت الخصال المحمودة في المؤدب زاد الصبي به تجملاً»[٤].

وعلى المعلم أن يصون نظره عن الأمرد الحسن ما امكن، «وإن جاز له بان كان لمحض التعليم من غير شهوة، ولا خوف فتنة، لانه ربما اداه إلى ريبة أو فتنة فيتعين فطم النفس عنه ما امكن»[٥].

وعلى المعلم ألاّ يكلف الصبيان فوق اجرته شيئاً من هدية وغير ذلك وألاّ يسالهم أو يهددهم في ذلك[٦]، وينبغي له أن لا يقبل من أحدٍ من الصبيان شيئاً مما يأتي اليه من الاطعمة التي يعملها بعض الناس في مواسم اهل الكتاب، فان قبوله لذلك من باب التعظيم

---

(١) الاجري، أخلاق اهل القرآن، ص٧٨؛ الغزالي، ايها الولد، ص٧٢؛ ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٣٢٠؛ عبدالرؤوف، أخلاق العالم، ص١٧٢.

(٢) ابن الاخوة، معالم، ص٢٦١؛ ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٣١٩؛

.Goldziher," Education", vol. 5.203

(٣) ابن الاخوة القرشي، معالم، ص٢٦١؛ ابن الحاج، المدخل: ج٢، ص٣٢٣.

(٤) ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٣٢٣.

(٥) ابو العباس أحمد بن محمد بن حجر الهيثمي، تحرير المقال في آداب واحكام وفوائد يحتاج اليها مؤدبو الاطفال، تحقيق مجدي السيد ابراهيم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٧٨م، ص٥٧، سيشار له تالياً (ابن حجر الهيثمي، تحرير المقال).

(٦) ابن سحنون، آداب، ص٩٦.

لمواسمهم وفي التعظيم لمواسمهم تعظيماً لهم وتعظيم ما هم فيه، وقد يكون ذلك سبباً إلى انهم يعتقدون أن دينهم هو الحق وان غيره هو الباطل[1]. وفي هذا اشارة إلى تعليم ابناء المسلمين في كتاتيب اهل الكِتاب، فقد كره الامام مالك بن انس (ت ١٧٩هـ/ ٧٩٥م)، أن يتعلم الصبيان المسلمين في كتاتيب «اهل الكتاب»، فقال: «لا ارى أن يترك احد من اليهود أو النصارى يعلم المسلمين القرآن»[2]، وقد علل الفقيه المغربي علي بن محمد القابسي (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)، ذلك استناداً إلى الآية الكريمة «انه لقرآن كريم، في كتاب مكنون، لا يمسه الا المطهرون»[3] فلا يجوز أن يعلم اطفال المسلمين معلم غير مسلم لانه قد يعلمهم عقيدته، كما لا يجوز أن يعلم اطفال المسلمين معلم غير مسلم لانه قد يعلمهم عقيدته، كما لا يجوز أن يعلم اطفال غير المسلمين خاصة القرآن الكريم، لانهم ممنوعون من لمسه، ومن فعل ذلك عوقب ومنع من التعليم وطرحت شهادته[4]. وقد حذر ابن الحاج (ت٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م) من تعليم النصارى لابناء المسلمين؛ لما في ذلك من تعظيم للنصارى، وقد تسبق للصبي الدسائس، وربما امرهم المعلم بحمل الخمر اليه، أو إلى بيته، كما أن الصبي لا يقدر على الصلاة، فقد يمنعهم من الانصراف في وقتها[5]، ولما ولي المتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ/ ٨٤٦ ـ ٨٦١م)، أمر الخلافة أمر اليهود والنصارى بألاّ يعلموا أولادهم في مكاتب المسلمين[6].

---

(١) ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٣٢٢.

(٢) ابو الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي، الرسالة المفصلة لاحوال المتعلمين، ملحقة بكتاب التربية في الإسلام للاهواني، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠م، ص٣٠٤، سيشار له تالياً (القابسي، الرسالة).

(٣) سورة الواقعة: آية ٧٧ ـ ٧٩.

(٤) القابسي، الرسالة، ص٣٠٤.

(٥) ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٣٢٦ ـ ٣٢٩.

(٦) صارم الدين، ابراهيم بن محمد بن أيدمر بن دقماق، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، ٢ج،ط١، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٥م، ج١، ص١٤٣، سيشار له تالياً (ابن دقماق، الجوهر)؛ سعيد الديوه جي، التربية والتعليم في الإسلام، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، بغداد ١٩٨٢م، ص١٠٩، سيشار له تالياً (الديوه جي، التربية)؛ جان موريس فييه، احوال النصارى في خلافة بني العباس، ترجمة حسني زينه، ط١، دار المشرق، بيروت ١٩٩٠م، ص١٤٥، سيشار له تالياً (فييه، احوال).

٤ ـ الوضع المالي للمعلمين (الاجور):

يبدو أن الوضع المالي للمعلمين كان شحيحاً في الغالب، ولعل المستوى الاجتماعي المتدهور الذي اشيع عن معلمي الكتاتيب كان ذا اثر فعال فيما يتصل بحالتهم المالية، ثم أن هؤلاء يعلمون القرآن ومبادىء الدين ومن اجل هذا فقد كان متوقعاً منهم أن يتبعوا سنة الاولين في عدم الحصول على أجر، أو على الاقل أن يكونوا زهاداً يرضون بالقليل وليست لهم اطماع مالية. وكانت نتيجة هذه الافكار أن انحدر الوضع المالي للمعلمين وظل اغلبهم يعانون كثيراً من الحرمان[١].

وهناك اشارات تدل على اجور معلمي الصبيان دون تحديد، فذكر أن سعد بن أبي وقاص (ت ٥٥هـ/ ٦٧٤م)، كان يعطي الاجر على تعليم بنيه[٢]، وكان عطاء بن أبي رباح (ت ١١٧هـ/ ٧٣٥م) وصفوان بن سليم (ت ١٣٢هـ/ ٧٤٩م)، يعلمان القرآن بالاجر[٣]. وذكر الجاحظ أن احد المعلمين كان يُدخل آية في آية اثناء تعليمه القرآن لصبي، لان والد الصبي كان يُدخل اجرة شهر في شهر، قال المعلم: «فلا انا آخذ شيئاً ولا الصبي يتعلم شيئاً!»[٤]. وكان أبو البيداء، أسعد بن عصمة ـ وهو اعرابي نزل البصرة ـ يعلم الصبيان باجرة[٥]، وفيما حُدد من اجور للمعلمين، ما رواه الجاحظ: «يكون الرجل نحوياً، عروضياً، وقسّاماً فرضياً، وحسن الكتاب، جيد الحساب، حافظاً للقرآن، راوية للشعر، وهو يرضى أن يعلمّ أولادنا بستين درهماً»[٦].

---

(١) أحمد شلبي، التربية، ص٢٣٨؛ فهمي عبدالرزاق، العامة، ص١٥٧.

(٢) الاجري، أخلاق اهل القرآن، ص٩٧؛ المغرواي، جامع، ص٢٨.

(٣) المغراوي، جامع، ص٢٨.

(٤) ابن الجوزي، أخبار الحمقى، ص١٨٣؛ الشريشي، شرح، ج٥، ص٢١٠.

(٥) الجاحظ، البيان، ج١، ص٢٥٢؛ ابن النديم، الفهرست، ص٩٣؛ متز، الحضارة، ج١، ص٣٤٦.

(٦) الجاحظ، البيان، ج١، ص٤٠٣؛ شوقي ضيف، العصر العباسي الاول، ط٨، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢م، ص١٠٠، سيشار له تالياً (شوقي ضيف، العصر العباسي).

ويبدو أن الاجر أو بعضه كان يدفع عيناً، اذ يروى عن الحجاج بن يوسف الثقفي (ت٩٥هـ/ ٧١٣م) أن ارغفة الخبز وغيره كانت تأتيه من اهل الصبيان، حيث كان معلماً في الطائف[١]. وكانت رغفان المعلم، مثلاً يضرب في الاختلاف وشدة التفاوت لان رغفان المعلم تختلف بحسب اختلاف آباء الصبيان في الغنى والفقر، والجود والبخل[٢]، وقد انشد الجاحظ للفضل بن عبدالصمد الرقاشي البصري الشاعر (ت ٢١٩هـ / ٨٣٤م) في معلم:

مختلف الخبز خفيف الرغيف   منتشر الزاد لئيم الوصيف[٣]

وانشد أبو الشَمَقْمَق، مروان بن محمد الشاعر (ت٢٠٠هـ/ ٨١٥م):

خبـز المعلـم والبقـال متفـق   واللون مختلف والطعم والصور[٤]

وفي ذلك يقول الجاحظ: «خبز المعلم يأتي مختلفاً الوانه لانه من بيوت صبيان مختلفي الاحوال»[٥]، وقال ايضاً: «مِنْ اعجب ما رأيت معلماً بالكوفة وهو شيخ جالس ناحية من الصبيان يبكي، فقلت له: يا عم، مم تبكي؟! قال: سرق الصبيان خبزي»[٦]، ووصف بعضهم معلماً فقال: «هو أفره الناس وصيفاً، واكثرهم رغيفاً»[٧].

---

(١) ابن قتيبة، المعارف، ص٥٤٨؛ المبرد، الكامل، ج٢، ص٦٣٠؛ الجرجاني، المنتخب، ص١٥١.

(٢) عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص٥٦٩؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص١٩٥؛ شوقي ضيف، العصر العباسي، ص٩٩؛ متز، الحضارة، ج١، ص٣٤٥.

(٣) متز، الحضارة، ج١، ص٣٤٦؛ أحمد عقل الساري السالم، تمويل مدارس بغداد في العصر العباسي ١٣٢ - ٦٥٦هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاردنية ١٩٩٣م، ص٣٠، سيشار له تالياً (أحمد عقل، تمويل).

(٤) متز، الحضارة، ج١، ص٣٤٦؛ محمد سعد الشويعر، أبو الشمقمق شاعر الفقر والسخرية، ط٢، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض ١٩٨٣م، ص١٣٠، سيشار له تالياً (الشويعر، أبو الشمقمق).

(٥) المبرد، الكامل، ج٢، ص٦٣١.

(٦) ابن سعد الآبي، نثر الدر، ج٥، ص٣٢٩؛ ابن الجوزي، أخبار الحمقى، ص١٨٤.

(٧) ابن سعد الآبي، نثر الدر، ج٥، ص٣٢٦.

وهكذا يتبين أن حالة معلمي الصبيان المعاشية كانت بائسة بسبب بساطة اجرتهم مقابل تعليمهم للصبيان، ومما يدل على تدهور الحالة المالية لهذه الطائفة أن يعقوب بن السكيت النحوي اللغوي (ت ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م)، كان يعلم مع ابيه صبيان العامة بمدينة بغداد، ففشل في أن يحصل من ذلك على رزق مناسب، فاقلع عن تعليم الصبيان، وجعل يتعلم النحو رجاء أن يكون مؤدباً أو عالماً، فيضمن له هذا اجراً سخياً[١].

وفي الوقت الذي قبل فيه عامة المعلمين الاجر على التعليم[٢]، فان بعضهم رفض ذلك معتبراً عمله خالصاً لوجه الله تعالى مثل: الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ/ ٧٢٣م)[٣]، وابو عبدالرحمن السلمي القارىء (ت١٤٨ـ/ ٧٦٥م)[٤]، وابراهيم بن اسحاق الحربي (ت٢٨٥هـ/ ٨٩٨)[٥].

وكان بعض المعلمين يتحرج من اخذ الهدية التي يقدمها اولياء الصبيان اليهم، فقد أثر عن أبي عبدالرحمن السلمي انه كان يُعلم الصبيان في مسجد من مساجد الكوفة، ثم ذهب إلى بيته فوجد هدية من والد احد الصبيان فردها، ومعها كتاب جاء فيه «نحن لا نُعلم القرآن بأجر»[٦].

---

(١) ابو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٤ج، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ج١٤، ص٢٧٣، سيشار له تالياً (الخطيب البغدادي، تاريخ).

(٢) ابو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني، المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي، ١١ج، ط١، المجلس العلمي، بيروت، ١٩٧٢م، ج٨، ص١١٥، سيشار له تالياً (الصنعاني، المصنف).

(٣) ابو عبدالله محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، ٩ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م، ج٦، ص٣٠٣، سيشار له تالياً (ابن سعد، الطبقات)؛ ابن قتيبة، المعارف، ص٥٤٧؛ الذهبي، سير، ج٤، ص٥٩٩؛ أحمد امين، ضحى، ج٢، ص٥١؛

Goldziher," Education", vol. 199.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص٢١٢؛ باقر القرشي، النظام، ص١٦٧؛

Goldziher," Education", vol.5, P. 203.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج١، ص٤٤.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص٢١٢؛ باقر القرشي، النظام، ص١٦٧؛

Goldziher," Education", vol. 203.

وقد يأخذ أجر المعلم مقابل تعليمه للصبي شكل الصلة، فقد أسلم الامام أبو حنيفة (ت١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، ابنه حماداً إلى المعلم فعلمه فاتحة الكِتاب، فوصله بخمسمائة درهم[١]. وقد منح بعض الخلفاء ارزاقاً كما فعل هارون الرشيد (ت ١٧٠ ـ ١٩٣هـ/ ٧٨٦ ـ ٨٠٨م)، عند قدومه إلى الكوفة، اذ امر لكل مقرىء الفي درهم عطفاً على حالتهم المعاشية، وان اخذها بعضهم فان البعض الآخر رفضها طلباً للثواب في تعليمه[٢].

وهكذا نجد أن الاجور التي كان يدفعها الصبيان إلى معلمي الكتاتيب لم تكن ثابتة، بل كانت متروكة لحالة الطفل نفسه وطاقة اهله المالية، وقد قُسمت الاجور إلى قسمين: قسم يتعلق بالزمن، وقسم يتعلق بتحصيل الطفل نفسه. اما القسم الاول فكان يقوم به جميع الاطفال تقريباً وهو عبارة عن قليل من المال يدفع اسبوعياً أو شهرياً[٣]، أو رغيف من الخبز يدفع كل اسبوع، ثم مبلغ قليل من المال يدفع في مناسبات الاعياد والمواسم، وفي بعض الاحوال كان يدفع مقداراً من القمح والذرة بدل دفع النقود الاسبوعية أو الشهرية[٤]. اما القسم الثاني فكان يدفعه الصبي، الذي يصل في حفظه إلى تمام سورة من سور القرآن الكريم[٥]، ويدخل به ما يدفعه الصبي عندما يختم القرآن الكريم (الحذقة)[٦]، وفي هذه الحالة

---

(١) علي بن محمد أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق ابراهيم الكيلاني، ٤ج، مكتبة اطلس، مطبعة الانشاء، د.م، ١٩٦٤م، ج٣، ص٨٥٢، سيشار له تالياً (ابو حيان التوحيدي، البصائر)؛ الموفق بن أحمد المكي، مناقب أبي حنيفة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨١م، ص٢٣٥ ـ ٢٣٦ (ويليه الكردري، مناقب)، سيشار له تالياً (الموفق المكي، مناقب).

(٢) مجهول، الامامة والسياسة، ٢ج، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٦٩م، ج٢، ص١٨٨، سيشار له تالياً (مجهول، الامامة).

(٣) ابن سحنون، آداب، ص١٣٠؛ المغراوي، جامع، ص٩؛ أحمد شلبي، التربية، ص٢٤١؛ محمد منير، تاريخ التربية، ص١٧٥.

(٤) أحمد شلبي، التربية، ص٢٤١؛ أحمد عقل، تمويل، ص٢٩.

(٥) ابن سحنون، آداب، ص١٠٧؛ المغراوي، جامع، ص٩؛ أحمد شلبي، التربية، ص٢٤١؛ أحمد فؤاد الاهواني، التربية، ص٦٣؛ أحمد عقل، تمويل، ص٢٩.

(٦) الحذق والحذاقة: المهارة في كل عمل، حِذق الشيء يحذقه، والغلام يحذق القرآن حذقاً وحِذاقاً، ويقال لليوم الذي يختم فيه الصبي القرآن: هذا يوم حِذاقة. ابن منظور، لسان، ج١٠، ص٤٠.

يظهر الجود والسخاء ويكرم معلم الكُتّاب أجمل تكريم، وقد يشمل العطاء شيئاً من الأكسية والمال وغيرهما على حسب حالة اهل الصبي[١]. فقد روي بان يحيى بن سعيد البصري (ت ١٤٤هـ/ ٧٦١م)، قال: «لما حذقت قلت يا عماه إن المعلم يريد شيئاً، قال: ما كانوا يأخذون شيئاً، ثم قال: اعطه خمسة دراهم، قال: فلم أزل به حتى قال: اعطه عشرة دراهم»[٢].

نلاحظ مما سبق أن قضية أخذ الأجر على تعليم الصبيان كانت متفاوتة بين معلم وآخر فهناك من قبلها وهناك من رفضها طلباً للثواب والمغفرة. وقد كانت قضية اخذ الاجر على تعليم القرآن بشكل خاص سبباً في ظهور بعض الآراء الاجتهادية التي انقسم فيها العلماء والفقهاء إلى فريقين. فالاول يرى أن اخذ الأجر على تعليم القرآن غير جائز فقد رفض أبو عبدالرحمن السلمي القارىء (ت ١٤٨هـ/ ٧٦٥م)، الأجر قائلاً: «نحن لا نعلم القرآن بأجر»[٣]، ورفض سوّار بن عبدالله قاضي البصرة (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)، شهادة معلم قائلاً له: «لانك تأخذ على التعليم اجراً»[٤]. وذهب أبو بكر محمد بن الحسن الآجري (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) إلى عدم جواز اخذ الاجرة على تعليم القرآن، وعلى التعليم بصفة عامة، اذ بين بصريح القول: «ان من أخلاق العلماء العاملين، انهم لا يأخذون على العلم ثمناً»[٥]. وعلل أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) مثل هذه الآراء بقوله: «ومن آدابهم أن يقصدوا وجه الله بتعليم من علموا ويطلبوا ثوابه بارشاد من ارشدوا من غير

---

(١) ابن سحنون، آداب، ص١٠٨؛ المغراوي، جامع، ص١٨؛ أحمد شلبي، التربية، ص٢٤١؛ احمد عقل، تمويل، ص٢٩.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص١٣٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص٢١٢؛ باقر القرشي، النظام، ص١٦٧؛

Goldziher," Education", vol.5, P. 203.

(٤) ابن قتيبة، عيون، ج١، ص٣٧؛ البيهقي، المحاسن، ص٥٧٨.

(٥) محمد بن الحسين الاجري، أخلاق العلماء، تحقيق فاروق حماده، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٤م، ص٧٠ ـ ٧١، سيشار له تالياً (الاجري، أخلاق العلماء).

أن يعتاضوا عليه عوضاً، ولا يلتمسوا عليه رزقاً، فقد قال الله تعالى: ﴿ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً﴾[(١)] »[(٢)]. وقد وضح ذلك عند حديث الآجرى عن أخلاق حملة القرآن بقوله: «الأخبار في هذا المعنى كثيرة ومرادي النصيحة لاهل القرآن لئلا يبطل سعيهم إذ هم طلبوا به شرف الدنيا وحرموا شرف الاخرة اذ يتلونه لاهل الدنيا طمعاً في دنياهم، اعاذ الله حملة القرآن من ذلك»[(٣)].

اما الفريق الثاني فيرى جواز اخذ الاجرة على تعليم القرآن، فعن سفيان الثوري (ت ١٦١هـ/ ٧٧٧م)، في سنده عن عبدالله بن مسعود، قال: «ثلاث لا بد للناس منهم: لا بد للناس من امير يحكم بينهم ولولا ذلك لاكل بعضهم بعضاً، ولا بد للناس من شراء المصاحف وبيعها، ولولا ذلك لبطل كتاب الله، ولا بد للناس من معلم يعلم اولادهم ويأخذ لذلك اجراً، ولولا ذلك لكان الناس أميين»[(٤)]. وأجاز الامام مالك بن انس (ت ١٧٩هـ/ ٧٩٥م)، اخذ الاجرة على تعليم القرآن[(٥)]، ودليل مالك قوله ﷺ: «خير ما اخذتم عليه اجراً كتاب الله»[(٦)] وما روي عن سعد بن أبي وقاص، انه كان يعطي الاجرة لمعلم بنيه، وما روي عن صفوان بن سليم، وعطاء بن أبي رباح من انهما يعلمان القرآن بالاجرة[(٧)]. كما

---

(١) سورة المائدة: آية ٤١.

(٢) ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، ادب الدنيا والدين، شرح وتعليق محمد كريم راجح، دار اقرأ، بيروت ١٩٨٣م، ص٦٨، سيشار له تالياً (الماوردي، ادب).

(٣) الاجري، أخلاق اهل القرآن، ص١٣٢.

(٤) ابن سحنون، اداب، ص٨٢؛ القابسي، الرسالة، ص٢٩٣.

(٥) ابن سحنون، اداب، ص٨٣؛ القابسي، الرسالة، ص٢٩٨؛ ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٣١١؛ المغراوي، جامع، ص٩.

(٦) ابن ماجة، سنن، ج٢، ص٧٣٠؛ تقي الدين أحمد عبدالحليم بن تيمية، احاديث القصاص، تحقيق أحمد عبدالله باجور، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٣م، ص١٢٩، سيشار له تالياً (ابن تيمية، احاديث).

(٧) ابن سحنون، اداب، ص٨٣؛ القابسي، الرسالة، ص٢٩٣؛ المغراوي، جامع، ص٢٨.

اكد الامام مالك على أن حق الختمة (الحذقة) واجب اشترطها المعلم أو لم يشترطها[١]. وذكر ابن سحنون (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م): «انه لا بأس أن يستأجر الرجل المعلم على أن يعلم اولاده القرآن باجرة معلومة إلى اجل معلوم»[٢] ويدعم رأيه بأمثلة تاريخية منها: عن عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريح (ت ١٥٠هـ/ ٧٦٧م) قال: «قلت لعطاء آآخذ اجراً على تعليم الكتاب، اعلمت احداً كرهه؟ قال: لا»[٣]، وقد اكد ابن سحنون على انه «لا يحل للمعلم أن يكلف الصبيان فوق اجرته شيئاً من هدية وغير ذلك ولا يسألهم في ذلك»[٤] ووافقه الفقيه القابسي (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)، الذي اعتبر الاجر ضرورياً[٥]، ووجه الضرورة في ذلك «انه لو اعتمد الناس على التطوع، لضاع كثير من الصبيان، ولما تعلم القرآن كثير من الناس، فتكون هي الضرورة القائدة إلى السقوط في فقد القرآن من الصدور، والداعية إلى تثبيت اطفال المسلمين على الجهالة»[٦]. وربط بعض الشعراء اخذ الاجرة بمدى النصح من قبل المعلم حيث قال:

إن المعلم والطبيب كلاهما ... لا ينصحان اذا هما لم يُكرما

فاصبر لدائك أن جفوت طبيباً ... واصبر لجهلك أن جفوت معلماً[٧]

وذكر ابن حجر الهيثمي (ت ٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م) أن « الحق الذي شهدت به القواعد الاصولية والحديثية، جواز اخذ الاجرة على تعليم القرآن... وان ذلك من الحلال الذي لا شية فيه، ولا كراهة، وإن وقع الخلاف فيه»[٨].

---

(١) ابن سحنون، اداب، ص٨٣؛ المغراوي، جامع، ص٣٠.

(٢) ابن سحنون، اداب، ص٨٢؛ الغزالي، ايها الولد، ص٧٩؛ عبدالرؤوف، أخلاق العالم، ص١٣٦؛ عبدالرحمن عثمان حجازي، المذهب التربوي عند ابن سحنون، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٦م، ص١٢٦، سيشار له تالياً (عبدالرحمن حجازي، المذهب التربوي).

(٣) ابن سحنون، اداب، ص٨٣؛ عبدالرحمن حجازي، المذهب التربوي، ص٩٧.

(٤) ابن سحنون، اداب، ص٩٦.

(٥) القابسي، الرسالة، ص٢٩٢، ٢٩٣.

(٦) المصدر نفسه، ص٢٩٣.

(٧) الماوردي، ادب، ص٧٧؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص٥٣؛ الشريشي، شرح، ج٥، ص٢٥٧.

(٨) ابن حجر الهيثمي، تحرير المقال، ص٤٩.

ثانياً : تعليم الصبيان:

١ ـ اماكن التعليم:

أ ـ المسجد:

المسجد بكسر الجيم، البيت الذي يسجد فيه، وكل موضع يتعبد فيه فهو مسجد[١]، وقد قال الله عز وجل: ﴿ومن اظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها وسعى في خرابها﴾[٢]. وقوله ﷺ: «جعلت لي الارض مسجداً طهوراً»[٣]، ويقال: مسجد الجامع، اي الذي يُجمع فيه الناس لوقت معلوم، كالجمعة، والاعياد[٤].

وقد كان المسجد أول معهد اسلامي للتعليم، ولم يكن للعبادة وحدها، بل كانت تؤدَّى فيه اعمال مختلفة، فهو مكان تقام فيه الصلوات والخُطب، وأصبح أيضاً

---

(١) أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٠ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٥م، ج٢، ص٧٦، سيشار له تالياً (القرطبي، الجامع)؛ ابن منظور، لسان، ج٣، ص٢٠٤؛ أبو العباس أحمد بن علي المقريزي، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، دار صادر، بيروت، د.ت، ج٢، ص٤٠٨، سيشار له تالياً (المقريزي، الخطط)؛ رناد الخطيب، «المؤسسات التعليمية في العصر العباسي»، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام في العصر العباسي ١٣٢هـ ـ ٤٥١هـ/ ٧٥٠ ـ ١٠٥٩م، الجامعة الاردنية، جامعة اليرموك، جامعة دمشق، ١٩٩٠م، ص١، سيشار له تالياً (رناد الخطيب، «المؤسسات»).

(٢) سورة البقرة: آية ١٤.

(٣) أبو عبدالله أحمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، شرح الكرماني، ٢٥ج، ط٢، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٨١م، ج٤، ص٩٧، سيشار له تالياً (البخاري، صحيح)؛ أبي شجاع شيرويه بن شهردار ابن شيرويه الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، ٥ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م، ج٢، ص١١١، سيشار له تالياً (الديلمي، الفردوس).

(٤) ابراهيم محمد الجمل، نشأة المساجد ورسالتها، ٢ج، مطابع الشعب، القاهرة د.ت، ج١، ص٣، سيشار له تالياً (ابراهيم الجمل، نشأة)؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص٢٠٢؛ رناد الخطيب، «المؤسسات»، ص١.

معهداً لتلقي العلوم الدينية والنقلية والعقلية والجدلية، بل كان محكمة للتقاضي في بعض الاحيان[١].

وكان مسجد الرسول ﷺ اول مكان اتخذه المسلمون لنشر العلم وتعليم القراءة والكتابة، والرسول فيه معلمٌ ومرشد[٢]. وكان الخلفاء في العصر الراشدي والاموي يحثون قادتهم وامراءهم على بناء المساجد في الامصار[٣]. واستمر بناؤها كذلك في العصر العباسي

---

(١) حسين مؤنس، المساجد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت ١٩٨١م، ص٣٥ ـ ٣٦، سيشار له تالياً (حسين مؤنس، المساجد)؛ خير الدين وانلي، المسجد في الإسلام، د.د، د.م، ١٩٨٠م، ص١٦٦، سيشار له تالياً (وانلي، المسجد)؛ خالد خليل حمودي، «نشأة المدارس في العصر الإسلامي»، مجلة افاق عربية، السنة الرابعة، العدد ١، ١٩٧٨م، ص١١٢ ـ ١١٥، سيشار له تالياً (حمودي، «نشأة المدارس»).

(٢) وانلي، المسجد، ص١٦٦؛ حمودي، «نشأة المدارس»، ص١١٢؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص٢١٥؛ محمد عطية الابراشي، تاريخ علماء المسلمين وآثارهم في التربية، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٧٥، سيشار له تالياً (الابراشي، تاريخ علماء)؛

George makdisi, the Rise of Colloges, University Prees, Edenburgh, 1981.p.21

سيشار له تالياً (George makdisi, the rise of Colloges).

(٣) انظر: أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣م، ص٢٧٤، ٣٤٢، ٣٨٨، سيشار له تالياً (البلاذري، فتوح)؛ أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي، كتاب البلدان، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، د.ت، ص٥، سيشار له تالياً (اليعقوبي، البلدان)؛ محمد مهدي الموسومي، تحفة الساجد في احكام المساجد، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٥٦م، ص٤٦١، سيشار له تالياً (الموسومي، تحفة)؛ حسين مؤنس، المساجد، ص٤٣، ٦١، ٦٦؛ كاظم الجنابي، مسجد أبي دلف، وزارة الثقافة والاعلام مديرية الاثار العامة، بغداد ١٩٧٠م، ص٢٢، ٢٣، سيشار له تالياً (كاظم الجنابي، أبو دلف).

بتشجيع ودعم من الخلفاء والامراء أنفسهم[1].

ولم يكن بناء المساجد موكلاً بالدولة فحسب، بل أن كثيراً من المسلمين من ذوي اليسار كانوا يبنون المساجد من اموالهم الخاصة، طلباً للثواب، فقد اتخذ الكسائي (ت ١٨٩هـ/ ٨٠٤م) مجلسه في مسجده الخاص[2]. واتخذ أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء النحوي (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، مجلسه العلمي في مسجده الخاص الذي بناه بجوار منزله في بغداد[3].

---

(١) انظر: البلاذري، فتوح، ص٢١، ٢٩٥؛ أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، مناقب بغداد، صححه محمد بهجت الاثري، مطبعة دار السلام، بغداد ١٩٢٣م، ص٢٠، ٢١، سيشار له تالياً (ابن الجوزي، مناقب بغداد)؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٦٩، ٢٢٦؛ أبو الحسن محمد بن عبدالكريم بن الاثير، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبدالله القاضي، ١٠ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م، ج٥، ص١٧٧، سيشار له تالياً (ابن الاثير، الكامل)؛ أبو الفرج غريغوريوس بن اهرون الملطي بن العبري، تاريخ مختصر الدول، دار المسيرة، بيروت، د.ت، ص١٢٢، سيشار له تالياً (ابن العبري، مختصر)؛ ظهير الدين علي بن محمد الكازروني، مختصر التاريخ، تحقيق مصطفى جواد، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، بغداد ١٩٧٠م، ص١١٩، ١٣٩، سيشار له تالياً (الكازروني، مختصر)؛ عبدالله بن اسعد اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، تحقيق عبدالله الجبوري، ٤ج، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٤م، ج١، ص٣٣١، سيشار له تالياً، (اليافعي، مرآة)؛ محمود شكري الالوسي، تاريخ مساجد بغداد وآثارها، تهذيب محمد بهجت الاثري، مطبعة دار السلام، بغداد ١٩٧٠م، ص٣٩، سيشار له تالياً (الالوسي، مساجد)؛ حسين مؤنس، المساجد، ص٢٠١؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص٢٨٢؛ طاهر مظفر العميد، العمارة العباسية في سامراء، منشورات وزارة الاعلام، بغداد ١٩٧٦م، ص١٧٥، سيشار له تالياً (مظفر العميد، العمارة)؛ كاظم الجنابي، أبو دلف، ص١٥؛ محمد توفيق بلبع، «المسجد والحياة في المدينة الإسلامية»، مجلة عالم الفكر، م١١، ع١، ١٩٨٠م، ص٢٠٩، سيشار له تالياً (بلبع، «المسجد»)؛ EI^2, "masdjid".

(٢) جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ٢ج، ط٢، دار الفكر، القاهرة ١٩٧٩م، ج١، ص٥٩٠، سيشار له تالياً (السيوطي، بغية)؛ بشار عواد معروف، «التربية والتعليم»، حضارة العراق، ١٣ج، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٥م، ج٨، ص٤٢، سيشار له تالياً (بشار معروف، «التربية والتعليم»).

(٣) بلبع، «المسجد»، ص١٨٤.

يبدو أن صبيان المسلمين كانوا يأمون المساجد منذ زمن الرسول ﷺ فيصلون الجماعة إلى جانب الرجال والنساء، وذلك عملاً بما جاء عنه ﷺ: «مروا اولادكم بالصلاة اذا بلغوا سبعاً»[١]. لذا كان الصحابة يعلقون قنو التمر - اي غصنه - في المسجد ليأكل منه الصبيان وغيرهم تشجيعاً لهم على اتيان المساجد لتعلم الإسلام[٢]. اما الصبيان الذين تقل اعمارهم عن سبع سنين فلا يسمح لهم بدخول المساجد، يؤيد ذلك قول الإمام مالك بن انس (ت ١٧٩هـ/ ٧٩٥م)، عندما سئل عن الرجل الذي يأتي بولده إلى المسجد للعلم: «ان كان قد بلغ موضع الادب وعرف ذلك، ولا يعبث في المسجد، فلا ارى بأساً، وان كان صغيراً لا يقر فيه ويعبث فلا احب ذلك. وفي رواية اخرى انه قال: «لا ارى ذلك يجوز لانهم لا يتحفظون من النجاسة»[٣]. وقد أمر الرسول ﷺ بتنزيه المساجد من الصبيان والمجانين، لانهم يُسوّدون حيطانها، ويُنجّسون ارضها، ويمشون على البول، وسائر النجاسات[٤]، وانهم صغارٌ لا

---

(١) أحمد بن حنبل، المسند، ج٢، ص١٨٠؛ سليمان الاشعث أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، دراسة وفهرسة كمال يوسف الحوت، ٢ج، ط١، دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع، د.م، ١٩٨٨م، ج١، ص١٨٧، سيشار له تالياً (أبو داود، سنن).

(٢) وانلي، المسجد، ص١١٧؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص٢٢١.

(٣) ابن سحنون، اداب، ص١١٤؛ القابسي، الرسالة، ص٣٢٣؛ أبو عبدالله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية والمنح المرعية، ٣ج، مؤسسة قرطبة، مدينة الاندلس ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م، ج٣، ص٣٨١، سيشار له تالياً (المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية)؛ المغراوي، جامع، ص٥٢؛ عبدالغني عبود، في التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، د.م ١٩٧٧م، ص١١١، سيشار له تالياً (عبدالغني عبود، في التربية).

(٤) السمرقندي، تنبيه، ص٢٤٢؛ عبدالرحمن بن نصر الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٦م، ص١٠٣، سيشار له تالياً (الشيزري، نهاية الرتبة)؛ ابن الاخوة، معالم، ص٢٦٠؛ محمد بن عبدالله الزركشي، إعلام الساجد باحكام المساجد، تحقيق أبو الوفاء مصطفى المراغي، د.د، القاهرة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ص٣٢٧، سيشار له تالياً (الزركشي، اعلام المساجد)؛ محمد بن أحمد بن بسام، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٨م، ص١٦١، سيشار له تالياً (ابن بسام، نهاية الرتبة)؛ عبدالله منسي السعد العمري، تاريخ العلم عند العرب، ط١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٠م، ص١٩، سيشار له تالياً (عبدالله العمري، تاريخ العلم)؛ Goldziher," Education", vol.5, P. 204.

يميزون بين الصالح والطالح[١]، فقال: «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم..»[٢].

وترد اشارات قليلة عن تعليم الصبيان في المسجد، من ذلك أن الكميت بن زيد الشاعر (ت١٢٦هـ/ ٧٤٣م)، كان يعلم الصبيان في مسجد الكوفة[٣]. وورد على لسان الجاحظ: «ان المعلمين في القرنين الثاني والثالث كانوا على طوائف شتى، اولاهما: طبقة صغار المعلمين الذين كانوا يتولون تعليم الصبيان القراءة والكتابة؛ يتخذون لذلك مكاتب خاصة أو يجعلون من المساجد مدارس لهم[٤]. ومما يدل على وجود حلقات لتعليم الصبيان في المساجد أن كتب الحسبة نهت عن تجميع الصبيان في المسجد للدراسة، لما في ذلك من اذى للمصلين وأثر على نظافة المسجد[٥]. وقال الامام أبو حنيفة (ت ١٥٠هـ/ ٧٦٧م) : «لما اردت طلب العلم جعلت اتخير العلوم، وأسأل عن عواقبها، فقيل لي: تعلّم القرآن، فقلت: اذا تعلمت القرآن وحفظته فما سيكون آخر امري؟ قالوا: تجلس في المسجد ويقرأ عليك الناس: الصبيان والاحداث..»[٦].

ويبدو أن الصبيان كانوا يحضرون بعض المجالس التي تعقد في المساجد مثل مجالس القصاص، كما حصل مع أبي عبدالرحمن السلمي القارىء (ت ١٤٨هـ/ ٧٦٥م)، فكان ينهاهم عن حضور مجالس بعض القصاص ويرشدهم إلى حضور البعض الآخر[٧]. وكان

---

(١) المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٣، ص٣٨١.

(٢) ابن ماجة، سنن، ج١، ص٢٤٧؛ الديلمي، الفردوس، ج٢، ص١٠٨؛ الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٠٣؛ ابن الأخوة، معالم، ص٢٦٠؛ ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٣١٤، ٣٢٣؛ الزركشي، اعلام الساجد، ص٣٢٧؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص١٦١؛ رفاعة الطهطاوي، مناهج الالباب المصرية في مباهج الاداب العصرية، دار الطباعة، القاهرة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م، ص٤٦، سيشار له تالياً (الطهطاوي، مناهج).

(٣) ابن قتيبة، المعارف، ص٥٤٧؛ الاصفهاني، الاغاني، ج١٦، ص٣٢٨.

(٤) عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص٥٦٤.

(٥) الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٠٣؛ ابن الاخوة، معالم، ص٢٦٠؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص١٦١.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص١٢٩.

(٧) ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص٢١٣.

الرجل يبعث بولده إلى كُتّاب الحي - وهو في خلال ذلك - يتردد مع اترابه على القاص فيسمع منه احداث الفتوح، وأنباء المعارك[١]. وذكر أبو يوسف القاضي (ت ١٨٢هـ/ ٧٩٨م): «انه كان صغيراً في حجر امه بعد أن توفي والده، فاسلمته إلى قصّار ليخدمه، فكان يدع القصّار، ويمر إلى حلقة أبي حنيفة، فيجلس ويستمع»[٢]. ونشأ أبو نواس الشاعر (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م) في البصرة وتردد على الكُتّاب صغيراً، وكان يتردد على حلقات الدرس في المساجد مساءً[٣]، ودخل صبي مجلس سفيان بن عيينه المحدث (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م)، وكان اهل المجلس، قد تهاونوا بهذا الصبي لصغر سنه، فانكر سفيان عليهم ذلك[٤].

يتضح مما سبق، أن حلقات الدرس في المساجد، والجامعة منها كذلك، لم تكن قاصرة على الكبار فقط، أو اصحاب الدراسات العليا - كما اصطلح عليه في العصر الحالي - ولكن وجدت بها كذلك حلقات اخرى لتعليم الصبيان، وان هؤلاء الصبيان مطالبون بالصلاة في المسجد بعد وصولهم سبع سنين، الا أن حضور الصبيان للمساجد كان مشروطاً بتوفر سن مناسبة، وحسن الاستماع، والهدوء، والحفاظ على نظافة المسجد، وتبدو مساهمة المساجد في تعليم صبيان المسلمين، على الرغم من وجود الكتاتيب.

---

(١) حسن السندوبي، ادب الجاحظ، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٣١، ص٢٦، سيشار له تالياً (السندوبي، ادب الجاحظ).

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٧٢.

(٣) عبدالله بن المعتز بن المتوكل، طبقات الشعراء، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، ط٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٦م، ص١٩٤، سيشار له تالياً (ابن المعتز، طبقات)؛ مصطفى الشكعة، الشعر والشعراء في العصر العباسي، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٦م، ص٢٧٣، سيشار له تالياً (الشكعة، الشعر).

(٤) ابن عساكر، تهذيب، ج٦، ص٩٣ - ٩٤؛ الذهبي، سير، ج٨، ص٤٥٩.

ب ـ الكتاتيب:

الكُتَّاب والمكْتَبُ موضع تعليم الصبيان، والجمع الكتاتيب، والمكاتب[١]. وترد كلمة كُتَّاب ومَكْتَبْ في بعض الروايات، فقد روى الاصفهاني عن اسحاق الموصلي المغني (ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م) أن اباه ابراهيم الموصلي (ت ١٨٨هـ/ ٨٠٣م)، أسلمه إلى الكُتَّاب فكان لا يتعلم شيئاً[٢]. وقال ابن خلكان في ترجمة أبي مسلم الخراساني[٣] (ت ١٣٧هـ/ ٧٥٤م)، «انه نشأ عند عيسى بن معقل، فلما ترعرع اختلف هو ووالده إلى المَكْتَب»[٤].

وقد عُرفت الكتاتيب في الإسلام منذ عهد الرسول ﷺ[٥]. كما عُرفت في العصرين الراشدي والاموي[٦]، حيث زاد عددها واتسع نطاقها باتساع الفتوحات الإسلامية، ودخول

---

(١) ابن منظور، لسان، ج١، ص٦٩٩؛ الزبيدي، تاج، ج٤، ص١٠٤؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١٠ج، ط١، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٣م، ج٨، ص٢٩١، سيشار له تالياً (جواد علي، المفصل).

(٢) الاصفهاني، الاغاني، ج٥، ص١٤٤.

(٣) ابو مسلم عبدالرحمن بن مسلم، وقيل عثمان، الخراساني القائم بالدعوة العباسية، وقيل هو ابراهيم بن عثمان بن يسار بن شذوس بن جودرن من ولد بزر جمهر بن البختكان الفارسي. ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص١٤٥.

(٤) ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص١٤٦.

(٥) انظر: البخاري، صحيح، ج٢٤، ص٣٥؛ أحمد شلبي، التربية، ص٤٩؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص١٥٩؛ Goldziher," Education", vol.5, p. 199.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٢٧١، ج٤، ص١٣٦، ج٦، ص٣٠٣؛ أبي جعفر محمد بن حبيب بن امية ابن عمرو المحبر، كتاب المحبر، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، اعتنى بتصحيح هذا الكتاب إيلزه ليختن شتيتر، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٤٢م، ص٤٧٥، سيشار له تالياً (ابن حبيب، المحبر)؛ الجاحظ، البيان، ج١، ص٢٥٢؛ ابن قتيبة، المعارف، ص٥٤٨؛ أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، ادب الكتاب، باعتناء محمد بهجة الاثري، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٢٢م، ص٣٠، سيشار له تالياً (الصولي، ادب الكتاب)؛ الجرجاني، المنتخب، ص١٥١؛ ابن عساكر، تهذيب، ج٦، ص٤٣٥؛ جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز، ضبطه وشرحه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٤م، ص٨٣، سيشار له تالياً (ابن الجوزي، سيرة)؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص١٤٥٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٠٧؛ ابن منظور، لسان، ج١، ص٦٩٩؛ الزبيدي، تاج، ج٤، ص١٠٣، ج٧، ص٤٠٢.

الكثير من الشعوب والامم في الإسلام، في الوقت الذي زاد فيه الاهتمام بالتعليم في العصر الاموي حينما تطورت وازدهرت العلوم الدينية والعلمية والادبية فزاد لذلك الاهتمام بالكتاتيب وبالمعلمين، حيث عُرف منهم طبقتان هما طبقة المؤدبين لأولاد الخلفاء والامراء والخاصة، والطبقة الثانية معلمو كتاتيب العامة الذين كانوا يهتمون بتعليم ابناء الطبقة المتوسطة وعامة الناس[١].

اما في العصر العباسي الاول، فقد تطورت العلوم وازدهرت، واصبحت بغداد حاضرة الدولة العربية منبراً للعلوم والمعارف، كما هي مدن العراق الاخرى حيث كانت مقصداً للطلاب من بقية اطراف الدولة العربية الإسلامية والبلدان المجاورة، فقد كان العلماء والفقهاء والمعلمون يأتون إليها للتدريس والتعليم، بسبب التشجيع الذي تبناه الخلفاء والأمراء والناس عامة. وقد زاد عدد الكتاتيب وزاد الاهتمام بها من قبل الخلفاء والامراء، فقد انشأ يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد (ت ١٩٠هـ/ ٨٠٥م)، ـ وبأمر من الرشيد ـ كتاتيب خاصة للايتام[٢].

وترد إشارات إلى الكتاتيب في العصر العباسي الاول، فقد ذكر الخليفة المنصور انه كان في المكتب،وكان لقبه مقلاصاً[٣]. وكان لعلقمة بن أبي علقمة مكتب يعلم فيه العربية، والنحو والعروض. وقد مات في خلافة المنصور[٤]. ويذكر أن أشعب بن جبير الطامع (ت ١٥٤هـ/ ٧٧٠م)، كان يجلس عند معلم في مكتبه[٥]. ونشأ أبو نواس (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م)، في

---

(١) الجاحظ، البيان، ج١، ص٢٥٠؛ اسعد طلس، التربية، ص٦٩؛ أحمد عقل، تمويل، ص٢٦؛ عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص٥٦٤.

(٢) ابي عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري، كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط١، مطبعة البابي الحلبي واولاده، القاهرة، ١٩٣٨م، ص١٧٧، سيشار له تالياً (الجهشياري، الوزراء)؛ أحمد عقل، تمويل، ص٢٩.

(٣) انظر: محمد بن علي طباطبا، الفخري في الاداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د.ت، ص١٦٢، سيشار له تالياً (ابن طباطبا، الفخري).

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ص٥٤٩؛ أحمد امين، ضحى، ج٢، ص٥٠.

(٥) ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٤٧٣.

البصرة وتردد على الكُتَّاب صغيراً[١]. وكان النضر بن شُميل[٢] (ت ٢٠٣هـ/ ٨١٦م)، يقول: «كنا ثلاثة في كُتَّاب واحد، انا وابو زيد الانصاري، وابو محمد اليزيدي»[٣]. وقال الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م): «كنت انا في الكُتَّاب اسمع المعلم»[٤]، ويذكر أن سعيد بن وهب الكاتب (ت ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م)، رثى ابنه الذي توفي وله عشر سنين بابيات من الشعر منها:

واذا ما رأيت كتّابه لم ار فيه ريحانة الكُتّاب[٥]

وكان سهل بن هارون (ت ٢١٥هـ/ ٨٣٠م)، يختلف إلى الكُتَّاب[٦]. وتردد الخليفة المعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ/ ٨٣٣ ـ ٨٤١م)، في صغره إلى الكُتَّاب، ولكنه ما لبث أن تركه بأمر من الرشيد وقد اقسم عليه ألاّ يذهب اليه[٧]. وتعلم أبو عبيد القاسم بن سلام

---

(١) ابن المعتز، طبقات، ص١٩٤؛ الشكعة، الشعر، ص٢٧٣.

(٢) ابو الحسن النضر بن شُميل بن خَرَشَة المازني، ولد بمدينة مرو في خراسان، ونشأ بالبصرة، كان نحوياً لغوياً شاعراً اضافة الى معرفته بايام العرب ورواية الحديث. ابن خلكان، وفيات، ج٥، ص٤٢٤.

(٣) ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة د.ت، ص٦٢، سيشار له تالياً (الزبيدي، طبقات)؛ ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٣٧٩.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٦، ص٢٣٩٥.

(٥) الاصفهاني، الاغاني، ج٢٠، ص٣٠٥.

(٦) ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، ٧ج، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٦٩، ج٣، ص٦٦، سيشار له تالياً (الجاحظ، الحيوان).

(٧) الجاحظ، البيان، ج١، ص٢٥٢؛ ابن سعد الآبي، نثر الدر، ج٣، ص١٢١؛ الجرجاني، المنتخب، ص١٥١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص٢٧؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٣٠٨؛ أحمد بن يوسف القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق فهمي سعد وأحمد حطيط، ٣ج، عالم الكتب، بيروت ١٩٩٢م، ج٢، ص١٠٠، سيشار له تالياً (القرماني، أخبار). وانظر: أحمد بن محمد بن عبدربه، العقد الفريد، تحقيق مفيد محمد قميحة، ٩ج، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج٢، ص٢٧٥، سيشار له تالياً (ابن عبدربه، العقد)؛ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي، رسائل ابن حزم الاندلسي، تحقيق احسان عباس، ٤ج، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٧م، ج٢، ص١٥٠، سيشار له تالياً (ابن حزم، رسائل)؛ محمد بن علي بن العمراني، الانباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السيد أحمد السامرائي، المعهد الهولندي للاثار المصرية والبحوث العربية، القاهرة ١٩٧٣م، ص١٠٧، سيشار له تالياً (ابن العمراني، الانباء)؛ الكتبي، فوات، ج٤، ص٤٩؛ ابن دقماق، الجوهر، ج١، ص١٣٩.

اللغوي الفقيه (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)، في الكُتَّاب مع ابن مولاه[١]. وقال علي بن الجهم الشاعر (ت٢٤٩هـ/ ٨٦٣م): «حبسني أبي في الكُتَّاب»[٢]. وقال الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م): «دخلت يوماً قرية فوجدت فيها معلم كُتَّاب»[٣]. وذكر الامام البخاري (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، كيفية بدء أمره في طلب الحديث قائلاً: «ألهمت طلب الحديث وانا في الكُتَّاب..»[٤]. وكان أحمد بن أبي طاهر طيفور (ت٢٨٠هـ/ ٨٩٣م) «مؤدب كُتَّاب عامياً»[٥].

يظهر مما سبق أن الكُتَّاب والمكتب، لفظان للدلالة على مؤسسة واحدة خاصة بالتعليم الاولي، ومما يؤكد ـ كون الكُتَّاب أو المكتب مؤسسة للتعليم الاولي فضلاً عما سبق ـ هو أن مواد منهج الكُتَّاب والمكتب ـ كما سنرى[٦] ـ تتكون من تعلم القرآن والخط ومبادىء الحساب، وغير ذلك من المواد التي تدرس عادة في مرحلة التعليم الاولي.

وهكذا نجد اننا لو رجعنا إلى الاستعمال الاصطلاحي لكلمتي الكُتَّاب والمكتب، لوجدنا أن كلتا الكلمتين مستعملتان بمثابة موضع للتعليم الاولي، ويطلِق GOLDZIHER العبارة الانجليزية ELEMENTARY SCHOOL على الكُتَّاب والمكتب ويعدهما مؤسسة واحدة، اعدت للتعليم الاولي[٧].

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٢، ص٤٠٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص٩٦.

(٢) ابن المعتز، طبقات، ص٣١٩؛ الاصفهاني، الاغاني، ج١٠، ص٢٢٨؛ أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر القرطبي، بهجة المجالس وانس المجالس، تحقيق محمد مرسي الخولي، ٣ج، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٢م، ج٢، ص٧٧١. سيشار له تالياً (ابن عبدالبر، بهجة).

(٣) الابشيهي، المستطرف، ج٢، ص٣٢١؛ عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص٥٦٧.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٢، ص٦.

(٥) ابن النديم، الفهرست، ص٢٧٨؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج١، ص٢٨٣.

(٦) انظر: الفصل نفسه (مواد التعليم في الكُتَّاب).

(٧) Goldziher," Education", vol.5, P. 198.

ـ اماكن وجودها:

تعددت اماكن الكتاتيب في الدولة الإسلامية، فبعضها وجد في المساجد[١]، رغم تردد الكثير من العلماء والفقهاء عن تعليم الصبيان في المساجد، لانها مواضع للعبادة ويجب توفر النظافة والهدوء فيها، ذلك أن الصبيان ليسوا في سن يسمح لهم الحفاظ على قدسية المساجد والالتزام بذلك، لانهم قد يسوّدون حيطانها ولا يتحرون في نظافة المادة التي يستخدمونها في الكتابة[٢]. ووُجد البعض الآخر من الكتاتيب ملاصقة بالمساجد، وغالباً ما كان معلموها من أئمة المساجد نفسها والذين بدورهم يقيمون على مقربة من المساجد أو في المساجد ذاتها[٣]. روي عن الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، انه قال: «كنت يتيماً في حجر أمي فدفعتني في الكُتّاب، فلما ختمت القرآن دخلت المسجد»[٤]، فربما كان المكتب بجانب المسجد.

وبجانب الكتاتيب التي اتخذت في المسجد أو التصقت به، نجد كتاتيب اخرى قامت مستقلة تمام الاستقلال، مثال ذلك كُتّاب الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ/ ٧٢٣م)[٥]،

---

(١) انظر: الفصل نفسه: المسجد.

(٢) ابن سحنون، اداب، ص١١٤؛ السمرقندي، تنبيه، ص٢٤٢؛ القابسي، الرسالة، ص٣٢٣؛ الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٠٣؛ ابن الاخوة، معالم، ص٢٦٠؛ ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٣١٤، ٣٢٣؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٣، ص٣٨١؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص١٦١؛ المغراوي، جامع، ص٥٢.

(٣) المغراوي، جامع، ص٤٤؛ أحمد شلبي، التربية، ص٥٤؛ أحمد عقل، تمويل، ص٢٥.

(٤) ابو نعيم أحمد بن عبدالله الاصبهاني، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، ١٠ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨م، ج٩، ص٧٣، سيشار له تالياً (أبو نعيم الاصبهاني، حلية)؛ أبو عمر يوسف بن عبدالبر القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، ادارة الطباعة المنيرية، ٢ج، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨م، ج١، ص٩٨، سيشار له تالياً (ابن عبدالبر، جامع)؛ ابن الجوزي، الصفوة، ج٢، ص١٦٦؛ أحمد امين، ضحى، ج٢، ص٥١.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص٣٠٣؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص١٤٥٢؛ الذهبي، سير، ج٤، ص٥٩٩.

وكُتّاب علقمة بن أبي علقمة[١]. والكتاتيب التي أنشأها يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد (ت ١٩٠هـ/ ٨٠٥م)، للايتام[٢]. ووصف أبو نواس (ت١٩٨هـ/ ٨١٣م)، غلاماً في مكتب حفص ناله الجلد[٣]، وكان لابي جعفر محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) مكتب يعلم فيه ابناء العباس بن محمد العباسي (ت ١٨٦هـ/ ٨٠٢م)[٤]. وقال الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م): «دخلت يوماً قرية فوجدت فيها مُعلم كُتّاب فجئت يوماً لزيارته، فاذا الكُتّاب مغلق»[٥].

وقد تكون الكتاتيب في مواضع ظاهرة ينبغي أن يعلمها الناس، وتكون مشهورة ومعروفة لديهم، كأطراف الاسواق أو بجانب شوارع المدن[٦]. فقد كان أبو محمد اليزيدي[٧] (ت٢٠٢هـ/ ٨١٧م)، يُدرس الصبيان بحذاء دار أبي عمرو بن العلاء[٨]. وكان يعقوب بن السكيت النحوي اللغوي (ت٢٤٢هـ/ ٨٥٦م)، يؤدب مع ابيه ببغداد صبيان العامة[٩].

(١) ابن قتيبة، المعارف، ص٥٤٩؛ أحمد امين، ضحى، ج٢، ص٥٠.

(٢) الجهشياري، الوزراء، ص١٧٧؛ أحمد عقل، تمويل، ص٢٩.

(٣) عياش، العصا، ص٤٦.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٦، ص٢٤٨٠.

(٥) ابن الجوزي، أخبار الحمقى، ص١٨٣؛ الابشيهي، المستطرف، ج٢، ص٣٢١؛ عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص٥٦٧.

(٦) الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٠٧؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص١٦١.

(٧) ابو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي، المعروف باليزيدي، المقرىء النحوي اللغوي، سكن بغداد وحدّث بها، وكان يؤدب أولاد يزيد بن منصور الحميري خال المهدي، (ت ١٦٥هـ/ ٧٨١م) ولذلك قيل له اليزيدي. ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص١٨٤.

(٨) ابن قتيبة، المعارف، ص٥٤٤؛ الزبيدي، طبقات، ص٦١؛ ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص١٨٤.

(٩) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٦، ص٢٨٤٠.

هيكلية الكُتّاب:

رغم عناية المسلمين بإيجاد الكتاتيب وإنماء عددها، والإقبال على تحسين طرق تعليمها الا انهم لم يعيروا تنميقها وتكليف بنائها أية اهمية[١]. فكان الكُتّاب على مدى العصور الإسلامية، بناية بسيطة في الغالب[٢]، على هيئة البيت المربع أو المستطيل[٣]، لم تزخرف جدرانه أو قاعته بأدنى تنميق من زخرف البناء[٤]. ولم يكن تأثيثه باكثر عناية من ذلك، فانه كان مفروشاً بالحصر[٥]، المصنوعة من السمار، أو نبات الحلفا[٦]، حيث يجلس عليها الصبيان متربعين حول المعلم[٧]، الذي يختص بسرير أو كرسي مرتفع، وربما عوض الكرسي بمصطبة مبنية، ليس عليها من الرياش سوى بساط بسيط[٨]. ولا تتجاوز ادوات الدراسة في الكُتّاب، المصحف الشريف[٩]، وعدد من الالواح يكتب عليها

---

(١) ابن سحنون، اداب، ص٥٥ (مقدمة المحقق)؛ اسعد اطلس، التربية، ص٧٨.

(٢) ابن سحنون، اداب، ص٥٥ (مقدمة المحقق)؛ الاهواني، التربية، ص٦٤؛ أحمد عقل، تمويل، ص٣٠؛ بشار معروف، «التربية والتعليم»، ص٢٦.

(٣) ابن سحنون، اداب، ص٥٥ (مقدمة المحقق).

(٤) المصدر نفسه، ص٥٥ (مقدمة المحقق).

(٥) المغراوي، جامع، ص٣٨؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص١٦٥؛ أحمد عقل، تمويل، ص٢٩؛ زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، راجعه مارون عيسى الخوري، ط٧، دار الافاق الجديدة، بيروت ١٩٨٢م، ص٣٩٣، سيشار له تالياً (هونكه، شمس).

(٦) محمد منير، تاريخ التربية، ص١٧٣؛ رناد الخطيب، «المؤسسات»، ص١٠.

(٧) ابن سحنون، اداب، ص٥٥ (مقدمة المحقق)؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص٦٥؛ أحمد عقل، تمويل، ص٢٩.

(٨) ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص١٥٢.

(٩) سعيد اسماعيل، معاهد، ص١٦٦؛ أحمد عقل، تمويل، ص٢٩؛ محمد منير، تاريخ التربية، ص١٧٤؛ حطاب عطية علي، التعليم في مصر في العصر الفاطمي الاول، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧م، ص٧١، سيشار له تالياً (حطاب عطية، التعليم).

الصبيان[١]، مصنوعة من الخشب المصقول أو الصفيح[٢]، وكذلك الدوى، والاقلام[٣] المصنوعة من القصب[٤].

وقد اشتملت الكتاتيب في نظامها التعليمي على عريف يساعد المعلم في تعليمه للصبيان[٥]، والعريف هو الصبي البارز في الكُتَّاب يقوم بتعليم الصبيان اذا كان في ذلك منفعة في تكوينه[٦]، فقد رضي المعلم من الشافعي أن يخلفه في الكُتَّاب اذا قام[٧]. وسئل الامام مالك بن انس (ت ١٧٩هـ/ ٧٩٥م)، عن المعلم يجعل للصبيان عريفاً، فقال: «ان كان مثله في نفاذه»[٨]. وقال ابن سحنون (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م): «وأحبُّ للمعلم... أن لا يجعل لهم عريفاً منهم، الا أن يكون الصبي الذي قد ختم وعرف القرآن، وهو مستغن عن التعليم، فلا بأس أن يعينه»[٩]. ولا شك أن في هذا افادة للصبي في حياته من جهة الاعتماد على النفس، وتكوين شخصيته.

ومن الامور الواجب توفرها فيمن يتم اختياره عريفاً، أن يكون متفوقاً وبمستوى

---

(١) انظر: ابن سحنون، اداب، ص٨٦؛ ابن المعتز، طبقات، ص٣١٩؛ ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٣١٦؛ الابشيهي، المستطرف، ج٢، ص٣٢١.

(٢) محمد منير، تاريخ التربية، ص١٧٤؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص١٨٨؛ هونكه، شمس، ص٣٩٣.

(٣) ابن قتيبة، عيون، ج٤، ص١٠١؛ المغراوي، جامع، ص٣٨.

(٤) انظر: الصولي، ادب الكتاب، ص٦٨ ـ ٧٠.

(٥) ابن سحنون، اداب، ص١٢٣؛ الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٠٣؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص١٦١؛ حسن ابراهيم عبدالعال، فن التعليم عند بدر الدين بن جماعة، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ١٩٨٥م، ص٧٧، سيشار له تالياً (حسن عبدالعال، فن التربية).

(٦) ابن سحنون، اداب، ص٩٨؛ الاهواني، التربية، ص١٩٢.

(٧) ابن الجوزي، الصفوة، ج٢، ص١٦٦.

(٨) ابن سحنون، اداب، ص٩٨؛ الاهواني، التربية، ص١٩٢.

(٩) ابن سحنون، اداب، ص٩٨؛ القابسي، الرسالة، ص٣٢٠.

المعلم[١]، وممن ختم القرآن، واستغنى عن التعليم[٢]، وان يكون اميناً ثقة له دين[٣]، وعلى المعلم أن يمنعه من ضرب الصبيان، والحيف عليهم[٤].

وللعريف واجبات تتعلق باصغائه للدرس حتى يتسنى له تفهيم الصبيان[٥]، فهو يساعد الصبيان على فهم دروسهم بعد المعلم[٦]، ويرتب الطلاب على اقدارهم، ويوقظ منهم الغافل، ويأمرهم بحسن الاستماع والانتباه، ويراقب الذي يمحون به الواحهم بكونه طاهراً، وان لا يُلقى في اماكن قذرة ولا يدعهم يمحونها بأرجلهم[٧]، وان يراعي طعامهم وقت جوعهم[٨]، ويشرف عليهم في الذهاب والمجيء[٩].

مواد التعليم:

يبدو أن القرآن الكريم كان المحور الاساس الذي تدور حوله الدراسة في الكُتَّاب، وقد

---

(١) ابن سحنون، اداب، ص٩٨؛ الاهواني، التربية، ص١٩٢؛ ماجد عرسان الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ط٢، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة ١٩٨٥م، ص١١٩، سيشار له تالياً (ماجد عرسان، النظرية التربوية)؛ حسن عبدالعال، فن التعليم، ص٧٧.

(٢) ابن سحنون، اداب، ص٩٨؛ القابسي، الرسالة، ص٣٢٠؛ الاهواني، التربية، ص١٩٢؛ حسن عبدالعال، فن التعليم، ص٧٧.

(٣) ابن بسام، نهاية الرتبة، ص١٦١؛ حسن عبدالعال، فن التعليم، ص٧٧.

(٤) ابن سحنون، اداب، ص٩٨؛ القابسي، الرسالة، ص٣٢٠؛ ابن الاخوة، معالم، ص٢٦١؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص١٦٢؛ ماجد عرسان، النظرية التربوية، ص١١٩.

(٥) السبكي، معيد النعم، ص١٠٨.

(٦) القابسي، الرسالة، ص٣٢٠؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص١٦٢.

(٧) اسعد طلس، التربية، ص٧٣.

(٨) ابن الاخوة، معالم، ص٢٦١؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص١٦٢.

(٩) ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٣١٥.

اشـار ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، إلى ذلك بقـوله: «اعلم أن تـعليم الولدان للقـرآن شعـار الدين آخذ به اهل الملة ودرجوا عليه فـي جميع امصـارهم لِما يسبق فيـه إلى القول من رسوخ الايمان وعـقائده من آيات القـرآن وبعض متون الاحـاديث، وصار القرآن اصـل التعليم الذي ينبني عليه مـا يحصل بَعْدُ من الملكات. وسبب ذلك أن التـعليم في الصغر اشـد رسوخاً وهو اصل لما بعـده لان السابق الاول للقلوب، كـالاساس للملكات، وعلى حـسب الاساس واساليبه يكون حال من ينبني عليه»[1]. فكان اهتمام معلمـي الكُتّاب بالقرآن خاصة وذلك بان يعلمهـم سورَ القـرآن قراءة وحـفظاً. فـيذكـر أن اشـعب الطامع (ت ١٥٤هـ/ ٧٧٠م)، كـان يجلس عند معلم في مكتبه، وكان هذا المعلـم يُقرىء الصبيان القرآن[2]. وعن الامام الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، قـال: «رأيت سفـيان بن عـيينـة قائمـاً على باب كُتّاب، فقلت: مـاذا تعمل؟ قـال احب أن اسمع كلام ربـي من فيّ هذا الغلام»[3]. وقال الشافـعي في حديثه عن دراسته في الكُتّاب: «فلما ختمت القرآن. . . رضي مني المعلم أن اخلفه»[4]. وكان الخليل بن عـمرو المعلم يلقب خُليـلان[5]، يؤدب الصـبيـان ويلقنهم القـرآن[6]. وقـال سهل بن عـبـدالله التستُري (ت ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م): «فمضيت إلى الكُتّاب فتعلمت القرآن وحفظته»[7].

---

(١) عبدالرحمن بن محمد خلدون، المقدمـة، وهي الجزء الاول من تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشان الاكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس، خليل شحاده، ٨ج، ط٢، دار الفكر، بيروت ١٩٨٨م، ص٧٤٠، سيشار له تالياً (ابن خلدون، المقدمة).

(٢) ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٤٧٣.

(٣) أبو نصر عبـدالوهاب بن علي السبكي، طبقات الشـافعية الكبرى، تحقيق عبدالفـتاح محمد الحلو ومـحمود محمـد الطناحي، ١٠ج، ط٧، دار إحيـاء الكتب العربيـة، القاهرة ١٩٦٤م، ج٢، ص٨٣، سيشـار له تالياً (السبكي، طبقات).

(٤) ابن الجوزي، الصفوة، ج١، ص١٦٦؛ عبدالله العمري، تاريخ العلم، ص١٩.

(٥) لم اعثر له على سنة وفاة.

(٦) الاصفهاني، الاغاني، ج٢١، ص٢١٩.

(٧) ابو حامد محـمد بن محمد الغـزالي، إحياء علوم الدين، ٥ج، دار الكتب العلمـية، بيروت، د.ت، ج٣، ص٨٠، سيشار له تالياً (الغزالي، إحياء).

وبالاضافة إلى تعليم القرآن، كانت القراءة والكتابة من المهمات الرئيسة للكُتّاب[١]، فقد كانت الكتاتيب التي وجدت زمن الرسول ﷺ في المدينة تعلم الكِتابة[٢]. ويذكر أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لقي اعرابياً فقال له: «هل تحسن أن تقرأ القرآن؟ قال: نعم، قال: فاقرأ أمّ القرآن. فقال: والله ما أحسن البنات، فكيف الام! قال: فضربه ثم أسلمه إلى الكُتّاب، فمكث فيه ثم هرب، وانشأ يقول:

اتيت مهاجرين فعلموني ثلاثة اسطر متتابعات

كتاب الله في رقّ صحيح وآياتِ القرآن مُفصلات

فخطوا لي آبا جاد وقالوا تعلم سعفصاً وقُرَيّشات

وما انا والكِتابة والتهجي وما حظ البنين من البنات[٣]

وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الاشعري (ت٤٤هـ/ ٦٦٤م)، والي البصرة آنذاك: «وليعلم أبو الاسود[٤] أهل البصرة الإعراب»[٥] وعن ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، أن خالد بن الوليد قد جلب اسرى من نواحي حلب في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ومن بينهم كان أبو القاسم الدمشقي فيقول: «فلما قدمنا المدينة على

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ج٦، ص٣٩٠؛ المغراوي، جامع، ص٤٨؛ أحمد شلبي، التربية، ص٤٥؛ ماجد عرسان، النظرية التربوية، ص٧٣؛ اسعد طلس، التربية، ص٧٠؛

.George Makdisi, the Rise of Colloges, p. 19

(٢) البخاري، صحيح، ج٢٤، ص٣٥؛ البلاذري، فتوح، ص٤٥٩.

(٣) الزبيدي، تاج، ج٧، ص٤٠٢؛ الديوه جي، التربية، ص١٧.

(٤) ابو الاسود الدؤلي، ظالم بن عمرو بن سفيان النحوي (ت ٦٩هـ/ ٦٨٨م) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص١٤٦٥.

(٥) ابي عبيد الله محمد بن عميران المرزباني، نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والادباء والشعراء والعلماء، حققه رودلف زلهايم، دار نشر فرانتس شتايثر، فيسبادون، ١٩٦٤م، ص٨، سيشار له تالياً (المرزباني، نور القبس).

أبي بكر جعلني في المكتب، فكان المعلم يقول لي: اكتب الميم، فاذا لم احسنها قال: دورها واجعلها مثل عين البقرة»[١]. وكان لعلقمة بن أبي علقمة مكتب يعلم فيه النحو[٢]. وقال ابن سحنون (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م): «وعلى المعلم أن يعلمهم كيفية رسم الحروف وضبطها بالشكل، اي التحريك في النحو كالنصب والرفع والبناء... مما يساعد على حفظ القرآن»[٣]. والنحو من العلوم المهمة التي تدرس في الكُتّاب، وذلك للابتعاد بهم عن اللحن في قراءة القرآن، ذلك أن اللحن مذموم عند العرب[٤]، على أن الكتب التي يدرسها الصبيان في هذا العلم تمتاز بالسهولة، فقد أكد ذلك قول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) فقال: «وأما النحو فلا تشغل قلبه منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام، في كتابٍ إن كتبه، وشعرٍ إن أنشده وشيءٍ إن وصفه»[٥].

أما الخط فقد يكون من الفنون التي يُعلمها الكُتّاب، أو قد تكون لها مكاتب خاصة، كان الطلاب يقصدونها بعد خروجهم من الكتاتيب، وقد اشار إبن جبير (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)، إلى ذلك بقوله: «وقد يكون في اكثر البلاد المُلقِّن على حده، والمُكتِّب على حده، فينفصل من التلقين إلى التكتيب. لهم في ذلك سيرة حسنة، ولذلك يأتي لهم حسن الخط لان المعلم له لا يشغل بغيره»[٦] ومثل هذا ما سجله ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، اذ يقول: «ومعلم الخط غير معلم القرآن يعلمهم بكتب الاشعار وسواها، ولا يكتبون القرآن في الالواح تنزيهاً له، فينصرف الصبي من التعليم إلى التكتيب لان معلم الخط

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٠٧.

(٢) الجاحظ، رسائل، ج٣، ص٣٢؛ ابن قتيبة، المعارف، ص٥٤٩.

(٣) ابن سحنون، اداب، ص١٠٢؛ المغراوي، جامع، ص٤٨.

(٤) الاهواني، التربية، ص٦٤؛ خالد الحاج، اعلام التربية، ص٢٣٩.

(٥) الجاحظ، رسائل، ج٣، ص٣٨.

(٦) ابو الحسن محمد بن أحمد بن جبير، رسالة اعتبار الناسك في ذكر الاثار الكريمة والمناسك المعروف بـ رحلة ابن جبير، اشراف لجنة تحقيق التراث، ط٢، دار مكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٦م، ص٢٢٠، سيشار له تالياً (ابن جبير، رحلة).

لا يعلم غيره»[١]. أكّد ذلك ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، بقوله: «بان اهل الشرق عنايتهم بدراسة القرآن، وصحف العلم، وقوانينه، في زمن الشّبيبة، ولا يخلطون بتعلم الخط، بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انفراده، كما تُتعلّم سائر الصنائع ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان. واذا كتبوا لهم الالواح فبخط قاصر عن الاجادة»[٢].

ومن العلوم التي يؤكّد عليها في تعليم الصبيان الأمثال، والحكايات، وأيام العرب وتواريخها[٣]. والأشعار الحسنة، التي تشيع في نفوس الصبيان الصلاح والعفة[٤]. فقد كتب عمر بن الخطاب إلى اهل الامصار موصياً: «ورَوِّهم ما سار من المثل، وما حَسُنَ من الشعر»[٥]. وعلى المعلم أن يتجنب تلك الاشعار التي فيها ذكر العشق وأهله، فان ذلك يغرس في نفوس الصبيان بذور الفساد[٦].

وينتقل المعلم إلى تعليمهم السنة والحديث، ثم يعرفه عقائد اهل السنن[٧]، ثم يعرفه اصول الحساب[٨].

---

(١) ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م، ص١١٢، سيشار له تالياً (ابن بطوطة، رحلة).

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ص٧٤١.

(٣) الغزالي، إحياء، ج٣، ص٧٨؛ الاهواني، التربية ص٦٤؛ محمد منير، تاريخ التربية، ص١٧٧.

(٤) الجاحظ، رسائل، ج٣، ص٣٢؛ ابن سحنون، اداب، ص١٠٣؛ الغزالي، ايها الولد، ص٥٠٥؛ الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٠٥؛ ابن الأخوة، معالم، ص٢٦٢؛ المغراوي، جامع، ص١٠، ٤٧.

(٥) ابن عبدالبر، بهجة، ج٢، ص٧٦٨.

(٦) الغزالي، إحياء، ج٣، ص٧٨؛ المغراوي، جامع، ص١٠، ٣٩؛ عبدالله العمري، تاريخ العلم، ص١٩؛ حتي، تاريخ العرب، ص٤٨٠؛ Goldziher," Education", vol.5, P. 205.

(٧) الغزالي، إحياء، ج٣، ص٧٨؛ الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٠٣؛ المغراوي، جامع، ص١٠، ٤٨.

(٨) الجاحظ، الحيوان، ج٦، ص٣٩٠؛ الجاحظ، رسائل، ج٣، ص٣٢؛ الغزالي، ايها الولد، ص٧٧؛ الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٠٣؛ ابن الاخوة، معالم، ص٢٦٠؛ المغراوي، جامع، ص٤٨.

ومن الامور التي يتعلمها الصبيان في الكتاتيب السباحة والرمي والفروسية[١]، وقد امر الرسول ﷺ الآباء أن يعلموا اولادهم السباحة والرمي[٢].

وكتب عمر بن الخطاب إلى اهل الشام: «علموا اولادكم السباحة والرمي والفروسية»[٣]. وكتب إلى اهل البصرة: «... وعلموا اولادكم العوم.. وأنزوا على الخيل نزواً»[٤]. وقد اشار الجاحظ إلى ذلك فقال: «وبعد ذلك يعلمهم الفروسية واللعب بالرماح والسيوف، والمشاولة والمنازلة والمطاردة»[٥].

ويبدو أن هذه المواد من كتابة، وسباحة، ورمي، كانت من اهم ضرورات الحياة منذ الجاهلية، فقد كان من يحسن الكِتابة، والعوم، والفروسية، يسمى الكامل[٦].

ويشير الجاحظ إلى مواد اخرى، فيذكر أن معلمي الصبيان كانوا يعلمون: الحساب وما بالسماء من نجوم الاهتداء والأنواء، والسعود، وأسماء الأيام والشهور»[٧].

ولم يقتصر اهتمام الكتاتيب على الجانب العلمي فقط، بل شمل ايضاً الجانب السلوكي، فقد كان المعلمون في الكتاتيب يهتمون بتعليم طلابهم الصلاة[٨]، مستندين في ذلك على قول

---

(١) الجاحظ، رسائل، ج٣، ص٣٢؛ ابن قتيبة، عيون، ج٢، ص١٨٤؛ البلاذري، فتوح، ص٤٥٩.

(٢) ابو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ٦ج، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر اباد الدكن، ١٩١١ ـ ١٩١٤م، ج٢، ص٩٩، سيشار له تالياً (ابن حجر العسقلاني، لسان).

(٣) ابن قتيبة، عيون، ج٢، ص١٨٤؛ ابن عبدالبر، بهجة، ج٢، ص٧٦٨.

(٤) المرزباني، نور القبس، ص٨.

(٥) الجاحظ، رسائل، ج٣، ص٣٢. والمشاولة: تشاول القوم تشاولاً إذا تناول بعضهم بعضاً عند القتال بالرماح. ابن منظور، لسان، ج١١، ص٣٧٧.

(٦) ابن قتيبة، عيون، ج٢، ص١٨٤؛ البلاذري، فتوح، ص٤٥٩.

(٧) الجاحظ، رسائل، ج٣، ص٣٥. والأنواء والسعود أسماء لمجموعات من النجوم. انظر: ابن منظور، لسان، ج١، ص١٧٥ ـ ١٧٨، ج٣، ص٢١٣.

(٨) الجاحظ، رسائل، ج٣، ص٣٥؛ ابن سحنون، اداب، ص١٠٩؛ الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٠٣؛ ابن الاخوة، معالم، ص٢٦١؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص١٦١؛ المغراوي، جامع، ص١٠.

الرسول ﷺ: «مروا اولادكم بالصلاة وهم ابناء سبع»[١]. وقد كان هناك معلمٌ للصبيان، وقد شوهد وهو يصلي بهم صلاة العصر[٢]. وينبغي للمعلم، أن يعلمهم الوضوء والصلاة على الجنائز والدعاء ويرغبهم بالله وعظمته ليكبروا على ذلك[٣].

ومن الصفات الخلقية التي ينبغي للمعلم أن يحض الصبيان عليها، الطاعة والنظام[٤]، وبر الوالدين والانقياد لامرهما بالسمع والطاعة[٥]، وان يضربه على اساءة الادب، والفحش من الكلام[٦]. وقد اكد رسول الله ﷺ على ضرورة تعليم الصبيان الخلق والاداب الحسنة، اذ قال: «اكرموا اولادكم واحسنوا ادبهم»[٧]، وقال: «لان يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع»[٨]. وقد كتب محمد بن حبيب الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)، كتاباً لمعلم بنيه، قال فيه: «بسم الله، أما بعد: فليكن أول ما تؤدب نفسك، فان عيني متعلقة بهم واعينهم متعلقة بك، فالحسن عندهم ما استحسنته، والقبيح عندهم ما استقبحته»[٩].

---

(١) أحمد بن حنبل، المسند، ج٢، ص١٨٠؛ أبو داود، سنن، ج١، ص١٨٧؛ محمد نمر الخطيب، «الإسلام والعلم»، مجلة التمدن الإسلامي، م١٩، ج١٧، ١٨، جمعية التمدن الإسلامي، دمشق، ١٩٥٢م، ص٣٩٠، سيشار له تالياً (نمر الخطيب، «الإسلام»).

(٢) انظر: الشريشي، شرح، ج٢، ص٢٠٩؛ الابشيهي، المستطرف، ج٢، ص٣٢١.

(٣) ابن سحنون، اداب، ص١١١؛ ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٣١٥؛ المغراوي، جامع، ص٤٧.

(٤) الغزالي، ايها الولد، ص٧٧.

(٥) الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٠٣؛ ابن الاخوة، معالم، ص٢٦١؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص١٦١.

(٦) الغزالي، إحياء، ص٧٢؛ الشيزري، نهاية الرتبة، ص٥٨٩؛ ابن الاخوة، معالم، ص٢٦١؛ المغراوي، جامع، ص٤٠.

(٧) أحمد بن حنبل، المسند، ج٥، ص٥٦؛ ابن ماجة، سنن، ج٢، ص١١.

(٨) ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج٤، ص٢٩٧، سيشار له تالياً (الترمذي، سنن). والصاع: يعادل ٣،٢٤٥ كغم قمح. فالتر هنتس، المكاييل والاوزان الإسلامية، ترجمة كامل العسلي، الجامعة الاردنية، عمان ١٩٧٠م، سيشار له تالياً (فالتر هنتس، المكاييل).

(٩) المغراوي، جامع، ص٣٩.

يظهر مما سبق أن مواد التعليم في الكُتَّاب اشتملت على القرآن الكريم والقراءة، والكِتابة، يضاف إلى ذلك في كثير من الحالات النحو والأمثال والقصص والشعر، والخط، ومبادىء الدين والحساب والسباحة والرمي وركوب الخيل. ورأى احدهم ابن اعرابية فاعجبه منظره فسألها عنه، فقالت: «اذا اتم خمس سنوات اسلمته إلى مؤدب يحفظ القرآن، فتلاه، فعلمه الشعر فرواه، ورغب في مفاخرة قومه، وطلب مآثر أيامه واجداده، فلما بلغ الحمل حملته على اعناق الخيل، فتمرس وتفرس»[١].

وهكذا يظهر أن المواد التعليمية في الكتاتيب كانت تشتمل على العناية بالصبي عقلياً وجسديا ونفسياً مع التأكيد الواضح على الجانب الأخلاقي.

اوقات التعليم:

يبدو أن الدراسة في الكُتَّاب تبدأ في صباح يوم السبت، وتنتهي في عصر يوم الخميس[٢]، وبذلك يكون نصف يوم الخميس ويوم الجمعة بطوله من أيام العطلة[٣]، قال ابن سحنون: «وتلك سنة المعلمين منذ كانوا»[٤].

أما وقت تعليم الصبيان في الكُتَّاب، فيبدأ من بعد صلاة الصبح إلى الضحى العالي، ثم يذهب الصبيان إلى بيوتهم، ليأخذوا قسطاً من الراحة، ويتناولوا غذاءهم، ثم يعودوا إلى الكُتَّاب ليتعلموا فيه إلى صلاة العصر، ثم ينصرفون إلى بيوتهم[٥]. وقد ورد أن عمر بن

---

(١) اسماء فهمي، مبادىء التربية، ص٤٧؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص١٧٥.

(٢) ابن سحنون، اداب، ص١٠٤.

(٣) المصدر نفسه، ص١٠٤؛ الغزالي، ايها الولد، ص٨١؛ ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٣٢١؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص١٦٣؛ المغراوي، جامع، ص١٠؛ الأهواني، التربية، ص١٧٩.

(٤) ابن سحنون، اداب، ص١٠٤.

(٥) ابن سحنون، اداب، ص١٠٦؛ القابسي، الرسالة، ص٣١٤؛ المغراوي، جامع، ص١٠؛ اسعد طلس، التربية، ص٧٤.

الخطاب أمر عابد بـن عبدالله الخزاعي أن يلازم تعليم الصبيان بعد صلاة الصبح إلى الضحى الأعلى، ثم من الظهر إلى العصر ويسرحهم في بقية النهار[١].

اما دوام الصبيان في يوم الخميس فيختلف عن الأيام الأخرى، اذ يأتي الصبيان صباحاً، ويستمر تعليمهم إلى نصف النهار، ثم يتـركون الكُتّاب إلى بعد صلاة الظهر، ولهم الخيار في البقاء إلى صلاة العـصر، ثم ينصرفون إلى يوم السبت حيث يأتون إلى مـعلمهم مبكرين. وقد خصص يوم الخميس وعشية يوم الاربعاء للمراجعة[٢].

ويبدو أن توزيع العلوم على اليوم الدراسـي في الكُتَّاب يجري على النحو الآتي: يدرس الصبيـان القرآن من أول النهار في وقت مبكر حـتى الضحى، ثم يتعلمون الكِتـابة من الضحى إلى الظهـر، ثم ينصرف الصبيـان إلى بيوتهم لتناول الـغداء[٣]، وقـد اوصى القـابسي المعلمين بعدم حرمان الصبي الانصراف إلى بيته لتناول الطعام مع التنبيه عليه بسرعة العودة[٤]، ثم يعود الصبيان إلى الكُتَّاب بعد صـلاة الظهر، ليتـعلموا بقـية العلوم كالنحـو، والشعر، والحـساب، وايام العرب وغيرها من المواد[٥]، إلى صلاة العصر، حيث ينصرفون إلى بيوتهم[٦].

وهناك اوقـات اخـرى للراحـة في المواسم والاعيـاد، فـقـد تكون يومـاً واحداً فـي عيـد الفـطـر، أو ثلاثة[٧]. وثـلاثة أيـام في عـيـد الاضــحى وقد تصـل إلى خمـسـة[٨]. وكذلك

---

(١) المغراوي، جامع، ص٥١.

(٢) ابن سحنون، اداب، ص١٠٤؛ القابسي، الرسالة، ص٣١١.

(٣) الاهواني، التربية، ص١٧٩؛ محمـد منير، تاريخ التـربية، ص١٧٣؛ مـاجد عرسـان، النظرية، ص١١٧؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص١٧٦؛ الديوه جي، التربية، ص٢٢.

(٤) القابسي، الرسالة، ص٣١١.

(٥) الاهواني، التربية، ص١٧٩؛ محمد منير، تاريخ التربية، ص١٧٣؛ رناد الخطيب، «المؤسسات»، ص١٠.

(٦) ابن سحنون، اداب، ص١٠٦؛ القابسي، الرسالة، ص٣١٤؛ المغراوي، جامع، ص١٠.

(٧) ابن سحنون، اداب، ص٩٧؛ ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٣٢١.

(٨) ابن سحنون، اداب، ص٩٧؛ الغزالي، ايها الولد، ص٨٠؛ ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٣٢١.

الراحة يوماً أو بعض يوم بمناسبة ختم احد الصبيان للقرآن[١]، حيث يصبح بعده من حملة كتاب الله، وقد سُئِلَ ابن سحنون «ترى للمعلم في اذنه للصبيان اليوم ونحوه؟ قال: ما زال ذلك من عمل الناس، مثل اليوم وبعضه، ولا يجوز له أن يأذن لهم اكثر من ذلك الا باذن آبائهم»[٢].

وفي الوقت الذي اكد فيه فقهاء المسلمين على راحة الصبي، كان التأكيد ايضاً على ضرورة لعب الصبي في الكُتَّاب، وبعد انصرافه منه[٣]، وعلى أن « يُعوّد المشي والحركة والرياضة لئلا يغلب عليه الكسل»[٤]. قال مسكويه (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، عند كلامه عن لعب الطفل: «وينبغي أن يؤذن له في بعض الاوقات أن يلعب لعباً جميلاً، ليستريح اليه من تعب الأدب، ولا يكون في لعبه ألم ولا تعب شديد»[٥]. وهذه الالعاب الجميلة تزيل عن الطفل الآم التعب وتنشطه للدرس والعمل[٦]. وقد حثّ الامام الغزالي (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م) على أن يلعب الصبي بعد الانصراف من الكُتَّاب، لكي يجدد نشاطه ويستريح، ويُحذّر من منع الصبيان عن اللعب، فان هذا يؤثر عليهم، ويحملهم على بغض الدرس. قال: «فان منع الصبي من اللعب، وارهاقه إلى التعليم دائماً، يميت قلبه، ويبطل ذكاءه، وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً»[٧].

---

(١) ابن سحنون، اداب، ص٩٥؛ المغراوي، جامع، ص٥٣.

(٢) ابن سحنون، اداب، ص٩٥.

(٣) الاهواني، التربية، ص١٩٣؛ أحمد شلبي، التربية، ص٢٨٨؛ الديوه جي، التربية، ص٥٢.

(٤) ابو علي أحمد بن محمد بن مسكوية، تهذيب الأخلاق في التربية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٠٧م، ص٥٤، سيشار له تالياً (مسكويه، تهذيب).

(٥) المصدر نفسه، ص٥٣؛ الغزالي، إحياء، ج٣، ص٧٩.

(٦) الديوه جي، التربية، ص٥٢.

(٧) الغزالي، إحياء، ج٣، ص٧٩.

وكان المربون المسلمون يدركون أن من طبيعة الطفل أن يكون نشيطاً كثير الحركة، وكانوا يغذون فيه هذه الطبيعة لعلمهم أن في نشاط الجسم يقظة العقل، وصفاء الذهن، وبالتالي كانوا يرون انه من غير الطبيعي أن يكون الطفل هادئاً ساكناً ويرجعون سكونه إلى مرض اصابه أو بأس نزل به[١]. وقد سأل أبو القاسم عبدالله بن محمد المغربي معيقب بن الازهر القيرواني: «ما حال صبيانكم في الكُتّاب؟ فاجاب معيقب: ولع كثير باللعب. فقال أبو القاسم: إن لم يكونوا كذلك فعلّق عليهم التمائم»[٢].

سن التعليم:

الظاهر انه لم يكن هناك نصٌ قاطعٌ يقطع بتعيين سن ابتداء التعليم في الكُتّاب[٣]، ولكن يبدو أن مرحلة ما بين الخامسة والسابعة هي السن التي كان يرسل فيها الصبي للكُتّاب، تبعاً لاختلاف نضج الصبيان، وتقدمهم في الفهم والتمييز[٤]. وقد سُئل الإمام مالك عن تعليم الصبيان في المسجد، فقال: «لا أرى ذلك يجوز، لانهم لا يتحفظون من النجاسة»[٥]. فالطفل الذي لا يتحفظ من النجاسة، ولا يستطيع الاستقرار، هو طفل دون السابعة في الغالب[٦]. وقد ورد عن أبي نواس (ت١٩٨هـ/ ٨١٣م)، أن امه نقلته إلى البصرة، وهو ابن ست سنين، فاسلمته إلى الكُتّاب[٧]. وذكر ول ديوارنت: «ان تعليم

---

(١) أحمد شلبي، التربية، ص٣٠٧.

(٢) ابن سحنون، اداب، ص٥٤ (مقدمة المحقق).

(٣) اسعد طلس، التربية، ص٨٦.

(٤) الاهواني، التربية، ص٥٩؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص١٦٧.

George Makdisi, The Rise of Colloges, P. 19.

(٥) ابن سحنون، اداب، ص١١٤؛ السمرقندي، تنبيه، ص٢٤٢؛ القابسي، الرسالة، ص٣٢٣؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٣، ص٣٨١؛ المغراوي، جامع، ص٥٢.

(٦) الاهواني، التربية، ص٥٩.

(٧) ابن المعتز، طبقات، ص١٩٤؛ الشكعة، الشعر، ص٢٧٣.

الأطفال يبدأ منذ اقتدارهم على الكلام، فكانوا من هذه اللحظة يُعلمون النطق بالشهادتين، فاذا بلغ الاطفال السادسة من العمر، الحق بمدرسة أولية»[1]. ومن جملة ما ذكره ابن الحاج (ت ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م): «إنَّ السلف الماضيين... إنما كانوا يقرئون اولادهم في سبع سنين، لانه زمن يؤمر الولي أن يكلف الصبي بالصلاة والآداب الشرعية فيه»[2]. ويقول القابسي (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م): «وينبغي للمعلم أن يأمرهم بالصلاة اذا كانوا بني سبع سنين، ويضربهم اذا كانوا بني عشر»[3]. ونص الحديث كما اخرجه أبو داود وأحمد بن حنبل: «مروا اولادكم بالصلاة وهم ابناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين»[4].

وقد ذهب GOLDZIHER إلى أن الطفل كان يُرسل إلى الكُتَّاب في سن السابعة، اذ يكون في ذلك الوقت مسؤولاً عن امور دينه والقيام بها[5].

نستنتج مما سبق انه لم تكن هناك سن محددة يلتحق عندها الصبي في الكُتَّاب، انما كان الامر متروكاً لتقدير آباء الصبيان، وحسب نضج الصبيان وتقدمهم في الفهم والتمييز.

ويبدو أن السنة السادسة أو السابعة هي السن المناسبة التي يمكن للصبي فيها أن يستوعب ما يلقى عليه، ويكون فيها مسؤولاً عن امور دينه والقيام بها استناداً إلى ما جاء في نص الحديث الذي سبق ذكره.

---

(١) ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ٤٠ ج، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٨م، ج١٣، ص١٦٧، سيشار له تالياً (ول ديورانت، قصة الحضارة).

(٢) ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٣١٥.

(٣) القابسي، الرسالة، ص٣٠٠.

(٤) أحمد بن حنبل، المسند، ج٢، ص١٨٠؛ أبو داود، سنن، ج١، ص١٨٧.

(٥) Goldziher," Education", vol.5, P. 207.

مدة التعليم في الكُتَّاب:

يبدو انه لم تكن هناك مدة محددة للفترة التي يقضيها الصبي في الكُتَّاب، وإنما يتوقف ذلك على مدى استعداد الصبي وقابليته للتعلم[١]. وقد روي عن كثير من النجباء انهم ختموا القرآن في سن العاشرة. فقد تخرج الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، من الكُتَّاب، وطلب العلم وعمره عشر سنوات[٢]. وانهى الامام البخاري (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م، تعليمه في الكُتَّاب وعمره عشر سنوات، وقد حفظ الحديث وهو ابن ست عشرة سنة[٣]. وحفظ الحسن بن سهل[٤] (ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م)، القرآن الكريم وهو ابن ست سنين أو سبع[٥].

ويحتمل أن تكون هذه المدة في الكتاتيب منسوبة للصبيان الموصوفين بالقدرة على التفكير والذكاء والتقدم في التعلم، وربما زادت هذه المدة بالنسبة لغيرهم من الصبيان الاقل قدرة على التعلم.

وقد اشارت بعض المصادر إلى أن الصبي اذا بلغ سن البلوغ (سن الحلم)، ترك الكُتَّاب. فقد جاء أنّ على المعلم أن يحذر من الصبيان اذا بلغوا الاحتلام. يقول القابسي (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م): «وانه لينبغي للمعلم أن يحترس الصبيان بعضهم من بعض اذا كان فيهم

---

(١) اسعد طلس، التربية، ص٨٧؛ الديوه جي، التربية، ص٣٦.

(٢) ابو الجوزي، الصفوة، ج٢، ص١٦٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٣٥؛ الاربلي، خلاصة، ص٢٠٨؛ عماد الدين اسماعيل أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ٤ج، ط١، المطبعة الحسينية، القاهرة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م، ج٢، ص٢٦، سيشار له تالياً (ابو الفداء، المختصر).

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ، ص٦.

(٤) ابو محمد، الحسن بن سهل بن عبدالله السرخسي، تولى وزارة المامون بعد اخيه الفضل بن سهل ذي الرياستين، ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص١٢٠.

(٥) الديوه جي، التربية، ص٣٦.

من يخشى فساده، يناهز الاحتلام، أو يكون له جرأة»[١] وهذه السن تتراوح عند الذكور بين الثانية عشرة والرابعة عشرة[٢]. وهي خمس عشرة سنة عند مالك بن انس والشافعي وابو يوسف[٣].

ويظهر مما سبق أن اغلبية الصبيان لم يكونوا يمكثون في الكُتّاب حتى سن الاحتلام؛ والسبب في ذلك، أن أهم ما كان يعلم هو حفظ القرآن، فاذا بدأ الصبي تعلمه في سن السادسة مثلاً، فانه يحتاج إلى اربع سنوات أو خمس ليتم حفظ القرآن وهو المعروف بالختمة[٤].

ولا ينبغي أن نأخذ النابغين مقياساً في الحكم على العامة واوساط الناس، فاذا قدرنا أن النابغ النابه يحفظ القرآن في العاشرة، فان المتوسط العادي يحفظه في الثانية عشرة. اما المتأخرون فانهم يحتاجون إلى زمن اطول، وهذا هو السر في تخلف بعض الصبيان في الكتاتيب حتى سن الاحتلام. ولم يكن حفظ القرآن جميعه واجباً على كل الصبيان، بل جرى العرف أن من احب استظهار القرآن كله بقي مع المعلم، ومن احب أن يترك الكُتّاب قبل استكمال جميع القرآن، فله الحرية[٥].

وقد يكون في السن التي يبتدىء عندها طلب العلم لدى بعض العلماء لدليل على المدة التي يقضيها الصبي في الكُتّاب، اذا اعتمدنا على سن السادسة أو السابعة كسن معتدلة

---

(١) القابسي، الرسالة، ص٣١١.

(٢) المصدر نفسه، ص٣١١.

(٣) ابو محمد الحسن بن عبدالرحمن الرامهرمزي، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق محمد عجاج الخطيب، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٧١م، ص١٨٥، سيشار له تالياً (الرامهرمزي، المحدث).

(٤) الاهواني، التربية، ص٦٠؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص١٦٨.

(٥) القابسي، الرسالة، ص٣٣١.

لدخول الكُتّاب. فقد نظر أبو عمرو بن العلاء التيمي[١] (ت ١٥٤هـ/ ٧٧٠م)، في العلم قبل أن يختن[٢]. وقال سفيان بن عيينه المحدث (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م): «سمعت عن الزهري، وانا ابن خمسَ عشرة سنة»[٣]. ويبدو انه ابتدأ في طلب العلم قبل هذا السن، فقد قال لاحد جلسائه: «لو رأيتني ولي عشر سنين، طولي خمسة اشبار، ووجهي كالدينار، وانا كشعلة نار، ثيابي صغار، وأكمامي قصار، وذيلي بمقدار، ونعلي كاذان الفار، اختلف إلى علماء الامصار.. اجلس بينهم كالمسمار»[٤]. وطلب الامام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، العلم وهو ابن اربع عشرة سنة[٥]. وولد أبو العباس ثعلب سنة ٢٠٠هـ/ ٨١٥م، وكان يقول: «طلبت العربية واللغة في سنة ست عشرة ومائتين»[٦].

وكان الصبي يتم دراسته في الكُتّاب عادة بختم القرآن، وهو ما يسمى بالحذقة (بالختمة)، اي أن الصبي يختم القرآن كله، وكانت تعتبر مناسبة سعيدة، قد تشهد احتفالاً متواضعاً[٧]. فيحمل الصبي على دابة[٨]، مزينة باجمل زينة[٩]، ويسار به في

---

(١) ابو عمرو بن العلاء التيمي المازني البصري، احد القراء السبعة، وكان عالماً بكلام العرب ولغاتها. الزبيدي، طبقات، ص٣٥.

(٢) اليافعي، مرآة، ج١، ص٣٤٤.

(٣) الرامهرمزي، المحدث، ص١٨٥؛ الذهبي، تذكرة، ج١، ص٢٦٢؛ الذهبي، سير، ج٨، ص٤٥٦.

(٤) الذهبي، سير، ج٨، ص٤٥٩.

(٥) المصدر نفسه، ج١١ ،ص١٨٥؛ محمد أبو زهرة، ابن حنبل، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٤٧، ص٢١، سيشار له تالياً (ابو زهرة ،ابن حنبل) .

(٦) ابو الحسن علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ٤ ج، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٩٨٦م، ج١،ص١٧٤، سيشار له تالياً (القفطي، إنباه)؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٢، ص٥٤٢.

(٧) الديوه جي، التربية ،ص٤١؛ محمد منير، تاريخ التربية، ص١٧٤؛ رناد الخطيب، «المؤسسات»، ص١١.

(٨) الأصفهاني، الأغاني، ج١٩، ص٢٨٨؛ Goldziher," Education", vol.5, P. 199.

(٩) محي هلال السرحان، «تاريخ التعليم العربي في العصر العباسي»، المعلم الجديد، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٢م، م٢٥، ج٢، ص١٥١، سيشار له تالياً (محي السرحان، «تاريخ التعليم»).

الطرقات[١]، وقد ارتدى ازهى ملابسه[٢]، والصبية حوله يرددون الايات القرآنية وبعض الاقوال المأثورة[٣]، وهم بين فترة واخرى ينثرون عليه اللوز[٤]. وقد تعطل الدراسة في الكُتّاب يوماً أو يومين، احتفاء بهذه المناسبة[٥].

ويذكر أن علي بن جبلة «لما نشأ أسلم إلى الكُتّاب فحذق بعض ما يحذقه الصبيان، فحمل على دابة، ونثر عليه اللوز»[٦].

وبهذا يكون الصبي مهيئاً للدخول في المساجد ومجالسة العلماء، والتحدث اليهم، والاخذ من علومهم، باعتباره قد تخطى المرحلة الاولية للتعليم[٧].

---

(١) سعيد إسماعيل، معاهد، ص١٧١؛ حتي، تاريخ، ص٤٨٠؛ محي السرحان، «تاريخ التعليم»، م٢٥، ج٢، ص١٥١؛ Goldziher," Education", vol.5, P. 199.

(٢) أحمد شلبي، التربية، ص٢٧٤؛ الديوه جي، التربية، ص٤١.

(٣) الديوه جي، التربية، ص٤١؛ محي السرحان، «تاريخ التعليم»، م٢٥، ج٢، ص١٥١.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج١٩، ص٢٨٨.

(٥) أحمد شلبي، التربية، ص٢٧٤؛ سعيد إسماعيل، معاهد، ص١٧١؛ محي السرحان، «تاريخ التعليم»، م٢٥، ج٢، ص١٥١.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ج١٩، ص٢٨٨. وعلي بن جبلة شاعر من أهل بغداد، توفي في خلافة المأمون، المصدر نفسه، ج١٩، ص٢٨٨.

(٧) أحمد شلبي، التربية، ص٥٦؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص١٧١؛ حتي، تاريخ، ص٤٨٠؛ محي السرحان، «تاريخ التعليم»، م٢٥، ج٢، ص١٥١؛ Goldziher," Education", vol.5, P. 203.

التأديب (العقاب والثواب):

كان اهتمام المسلمين بأمر عقوبة الصبيان واضحاً، فقد رأى بعضهم انه لا بد من العقوبة على أن تبدأ بالانذار، فالتوبيخ، فالتشهير، فالضرب الخفيف[١].

وقال آخرون باباحة الضرب، والعقوبة الجسدية اذا تجاوز حدود المعقول، ولم ينفع فيه الانذار والتوبيخ، والتشهير والزجر.[٢]

وقد كان التأكيد على أن لا يؤخذ الطفل بالعنف، اولاً، انما بالتلطف[٣]، وقد يكون المديح والتشجيع أجدى من التأنيب[٤]. ولكن اذا اصبح من الضروري الالتجاء إلى الضرب، فينبغي الا يتردد المعلم في ذلك[٥]، على أن يكون الضرب غير مبرح[٦]. «فرب صبي يكفيه عبوسة وجهه عليه، وآخر لا يرتدع الا بالكلام الغليظ والتهديد، وآخر لا ينزجر الا بالضرب والإهانة كل على قدر حاله»[٧]. ويستدل المربون على جواز ذلك بالحديث النبوي القائل: «واضربوهم عليها وهم ابناء عشر سنين».[٨]

وقد نهى النبيﷺ عن الفحش اللفظي في التأديب، اذ قال: «ولا تقل قبح وجهك ووجه من اشبه وجهك، فان الله تعالى خلق آدم على صورته»[٩]. وذكر ابن الحاج (ت ٧٣٧هـ/

---

(١) الأهواني، التربية، ص١٤٦؛ اسعد أطلس، التربية، ص٧٢؛ عبدالله عبدالدايم، التربية عبر التاريخ، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١م، ص١٩٣، سيشار له تالياً (عبدالله عبدالدايم، التربية).

(٢) الأهواني، التربية، ص١٥٠؛ عبدالله عبدالدايم، التربية، ص١٩٣.

(٣) الآجري، أخلاق أهل القرآن، ص٧٩، ١٢٠؛ الأهواني، التربية، ص١٤٣.

(٤) عبدالله عبدالدايم، التربية، ص١٩٤.

(٥) الأهواني، التربية، ص١٥٣؛ عياش، العصا، ص٤٤.

(٦) ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٣١٧.

(٧) المصدر نفسه، ص٣١٦.

(٨) أحمد بن حنبل، المسند، ج٢، ص١٨٠؛ أبو داوود، سنن، ج١، ص١٨٧؛ نمر الخطيب، «الإسلام»، ص٣٩٠.

(٩) أحمد بن حنبل، المسند، ج٢، ص٢٥١.

١٣٣٦م): «ويتعين عليه أن لا يشتم من استحق الادب من الصبيان، وكثيراً ما يفعل بعض المؤدبين هذا وهو حرام... فيقيم الادب على الصبي من غير أن يتناول عرضه ولا شتم ابويه، بل يؤدبه كما يؤدبه والداه، وهما يرحمانه ويشفقان عليه»[1]. وفي اقوال رسول الله ﷺ ما ينهى عن الشدة القاسية في التعامل مع صبيان المسلمين حيث قال: «من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا»[2]، وقوله: «ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه»[3]، وقوله: «ان الله رفيق يحب الرفق في الامر كله»[4]. ورأى ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم، ولا سيما في حالة الاطفال صغار السن فقال: «ان الشدة على المتعلمين مضرة بهم، ولا سيما في حالة الاطفال صغار السن فقال: «من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين... سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعا إلى الكسل، وحمل على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الايدي بالقهر عليه... فينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده الا يستبدوا عليهم في التأديب»[5].

يظهر من ذلك انه لا بد من التدرج في ممارسة العقوبة بحق الصبي، فهي تمر بثلاث مراحل:

الاولى: اللوم والعظة والزجر، وهذا ما اوضحه القاضي شريح[6] (ت ٧٨هـ/ ٦٩٧م)،

---

(١) ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٣٢٥.

(٢) ابو داوود، سنن، ج٢، ص٧٠٣.

(٣) مسلم، صحيح، ج١٦، ص١٤٦؛ أبو داوود، سنن، ج٢، ص٦٧٠.

(٤) ابن ماجه، سنن، ج٢، ص١٢١٦.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، ص٥٣.

(٦) أبو أمية، شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي الكوفي التابعي. وليَ القضاء لعمر بن الخطاب على الكوفة وبقي على قضائها حتى عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ / ٦٨٤ - ٧٠٥م). أبو زكريا يحى بن شرف الدين بن يحيى النووي، تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، ٣ ج، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج٢، ق١، ص٢٧٥، سيشار له تالياً (النووي، تهذيب).

لمعلم ولده حيث قال:

فاذا أتاك فعضه بملامة　　　أو عظة موعظة الرفيق الاكيس[١]

الثانية: الضرب غير المبرح، فاذا لم تفلح العقوبة السابقة يلجأ المعلم إلى عقوبة الضرب غير المبرح[٢]. فقد شاهد الشاعر أبو نواس (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م)، عقوبة تنزل باحد الصبيان بمكتب حفص[٣]. وقال الاصمعي(ت ٢١٦هـ/ ٨٣١م): «مررت بمعلم بالبصرة يضرب صبياً»[٤].

وعلى المعلم أن لا يزيد في ضرب الصبي على ثلاث درر، اوضح هذا القاضي شريح قائلاً لمعلم ولده:

واذا هممت بضربه فبدِرَّة　　　واذا ضربت بها ثلاثاً فاحبس[٥]

ورأى ابن سحنون (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، : «ان ادب الصبي ثلاث درر، وعلى المعلم أن يتقيد بذلك، فاذا زاد المعلم عنها كان آثماً»[٦]. واكد القابسي (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)، على: «ان المعلم يمكنه ضرب الصبيان على كل شيء اخطأوا فيه ثلاث درر»[٧]. وان اضطر المعلم إلى زيادة الضرب، فله ما بين الثلاثة إلى العشرة[٨]، شرط أن يكون قد ناهز الاحتلام[٩]، وقد ذكر القابسي: «وربما كان من صبيان المعلم من يناهز الاحتلام، ويكون

---

(١) ابن قتيبة،عيون، ج٢،ص١٨٣؛ البيهقي، المحاسن، ص٥٧٩؛ ابن عساكر، تهذيب، ج٦، ص ٣١٤-٣١٥.

(٢) عبدالله عبدالدايم، التربية، ص١٩٤.

(٣) أحمد أمين، ضحى، ج٢، ص٥١؛ أحمد شلبي، التربية، ص٢٧١؛ عياش، العصا، ص٤٦.

(٤) ابن سعد الأبي، نثر الدر، ج٥، ص٣٢٦؛ الشريشي، شرح، ج٥، ص٢١٢.

(٥) ابن قتيبة،عيون، ج٢، ص١٨٣؛ البيهقي، المحاسن، ص٥٧٩؛ ابن عساكر، تهذيب، ج٦، ص٣١٤-٣١٥.

(٦) ابن سحنون، آداب، ص٨٩.

(٧) القابسي، الرسالة، ص٣٠٩.

(٨) ابن سحنون، آداب،ص ٨٩؛ ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٣١٧؛ المغراوي، جامع، ص٤١؛ ابن حجر الهيثمي، تحرير المقال، ص٧٦؛ بلبع، «المسجد»، ص٢١٤؛ Goldziher," Education", vol.5, P. 204.

(٩) الأهواني، التربية، ص١٥٢؛ أحمد شلبي، التربية، ص٢٧٢؛ أسعد أطلس، التربية، ص٨٨.

سيء الرعيـة، غليظ الخلق، لا يريعه وقـوع عشر ضـربات عليه، ويرعى للزيادة علـيه مكاناً، وفيه محتمل مأمون فلا بأس، من الزيادة إلى العشر ضربات»[١]. ولا بد من اخذ موافقة ولي الامر في ذلك: «وينبغي للمعلم أن يستشير اباه أو وصية إن كان يتيماً، ويعلمه بجرمه اذا كان يستأهل مـن الادب فوق الثلاث»[٢]. وفي هذا اشـارة إلى التعـاون بين البـيت والكُتَّاب، وبين الوالد والمعلم، لان كليهما يقومان بتأديب الصبي.

وقـد تجاوز بعض المعلمين الحـد الطبـيعي في مـعاقـبة الـصبيان، فـقد ضـرب المعلم ابن القـاضي شريـح عـشراً ثم أتبعها عشراً[٣]. ويذكر معروف بن الفيرزان الكرخي (ت ٢٠٠هـ/ ٨١٥م) أن اخـاه عـيسى، قـال: «كنت انا واخي معـروف في الكُتَّاب، وكنا نصـارى، وكان المعـلم يعـلم الصـبيان (أب، وابن)، فـيصيح اخي مـعروف: احد احـد. فيضـربه المعلم على ذلك ضرباً شديداً، حـتى ضربه يوماً ضرباً عظيماً فـهرب على وجهه»[٤]. وذكر الجـاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) انه: «كان في المدينة رجل معلم صبيان، يفرط في ضربهم»[٥].

ومن الامور الواجب مراعاتها لايقاع عقوبة الضرب:

- الا يوقع المعلـم الضـرب الا على ذنب[٦]، فقد يكون السـبب تافهاً ولا يحتمل الضـرب فقد روي أن مـعلمـاً ضـرب صـبيـاً قـائلاً لـه: «والله لاضـربنك حتى تقـول لـي: من حـفـر البحر؟!»[٧]. وسـأل الجاحظ مـعلماً: «لم تضـرب غلمـانك من غيـر جرم؟ قـال: جرمـهم

---

(١) القابسي، الرسالة، ص٣١٠.

(٢) ابن سحنون، آداب ، ص٨٩؛ القابسي، الرسالة، ص٣١٠.

(٣) ابن قتيبة، عيون، ج٢، ص١٨٣؛ البيهقي، المحاسن، ص٥٧٩؛ ابن عساكر، تهذيب، ج٦، ص٣١٤-٣١٥.

(٤) ابن الجوزي، الصفوة، ج٢، ص٢١١؛ ابنّ الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٨٨؛ الذهبي، سير، ج٩، ص٣٤٤.

(٥) الشريشي، شرح، ج٥، ص٢١٠.

(٦) ابن حجر الهيثمي، تحرير المقال، ص٧١؛ الأهواني، التربية ص١٥٢.

(٧) الشريشي، شرح ، ج٥، ص٢١١.

اعظم الأجرام، يدعون لي أن احج، وإن حججت تفرقوا في المكاتب»[١].

- أن يقوم المعلم بضرب الصبيان بنفسه، ولا يترك هذا الأمر لأحد من الصبيان «الذين تجري بينهم الحمية والمنازعة»[٢].

- أن صفة الضرب ما يؤلم ولا يتعدى الالم إلى التأثير المضر[٣]، وان يكون الضرب بقصد التأديب[٤]، اي «ضرب ايلام دون تأثير في العضو»[٥].

- أن مكان الضرب في الافخاذ واسافل الرجلين[٦]، «لان هذه المواضع لا يخشى منها مرض ولا غائلة»[٧] وهو «آمن واحمل للالم في سلامة»[٨]. وليتجنب الضرب في المواضع المخولة كالبطن[٩] والمذاكير[١٠] ورأس الصبي أو وجهه[١١] «وضرر الضرب فيها بينٌ، قد يوهن الدماغ، أو تطرف العين، أو يؤثر اثراً قبيحاً»[١٢]. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن الرسول ﷺ قال: «اذا ضرب احدكم فليتق الوجه»[١٣].

---

(١) ابن الجوزي، أخبار الحمقى، ص١٨٢؛ ابن سعد الآبي، نثر الدر، ج٥،ص٣٣١.

(٢) القابسي، الرسالة، ص٣١٠.

(٣) المصدر نفسه، ص٣١٠؛ الأهواني، التربية، ص١٥٢.

(٤) عياش، العصا،ص٤٤.

(٥) المغراوي، جامع، ص٤١.

(٦) المصدر نفسه، ص٤٥.

(٧) ابن الأخوة، معالم، ص٢٦١؛ ابن بسام،نهاية الرتبة، ص١٦٢.

(٨) القابسي، الرسالة، ص٣١١.

(٩) عياش، العصا، ص٤٤.

(١٠) المغراوي، جامع ص٤٠.

(١١) ابن سحنون آداب ص١٠١؛ الغزالي، أيها الولد، ص٧٧؛ القابسي،الرسالة، ص٣١٠؛ ابن حجر الهيثمي، تحرير المقال، ص٧٣؛ المغراوي، جامع، ص٤٣.

(١٢) القابسي، الرسالة، ص٣١٠ - ٣١١.

(١٣) أحمد بن حنبل، المسند،ج٢،ص٢٥؛أبو داوود، سنن، ج٢، ص٥٧٤؛ مسلم، صحيح، ج١٦، ص١٦٥.

- اجتناب الضرب في ساعة الغضب[١]. يروي القابسي (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) قصة عمر بن عبدالعزيز «حين امر بضرب انسان، ثم قال: اتركوه. فقيل له في ذلك، فقال: وجدت في نفسي عليه غضب، فكرهت أن اضربه وأنا غضبان»[٢]. فيتعين على المعلم اذا ادركه شيء من الغضب أن لا يؤدب الصبي، بل يتركه حتى يسكن غيظه، ويذهب عنه ما يجده من الحنق عليه[٣].

- أن يكون الضرب بالدِّرَّة، على أن تكون معتدلة الرطوبة، لينة، عريضة السير، مأمونه[٤]، حتى لا تترك أثراً في الجسم[٥].

اما كيفية الضرب فقد حددها ابن حجر الهيثمي (ت ٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م)، اذ قال: «ان يكون مفرقاً لا مجموعاً في محل واحد... وان يكون بين الضربتين زمن يخف فيه ألم الاول، وان يرفع الضارب ذراعه ليثقل السوط لا عضده، حتى يُرى بياض ابطه، فلا يرفعه لئلا يعظم المه، ولا يضعه عليه وضعاً لا يتألم به»[٦].

اما العقوبة الثالثة فهي الحبس، ويتم اللجوء اليها في حالات قليلة، وقد كانت آخر مراحل التأديب، وبما يتناسب مع تعاظم ذنب الصبي[٧]. قال حماد بن اسحاق الموصلي عن ابيه: «أسلم أبي إلى الكُتَّاب فكان لا يتعلم شيئاً ولا يزال يضرب ويحبس، ولا ينجح

---

(١) ابن سحنون، آداب، ص٨٩؛ ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٣٢٥.

(٢) القابسي، الرسالة، ص٣١٠؛ ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٣٢٥.

(٣) ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٣٢٥.

(٤) ابن الأخوة، معالم، ص٢٦١، ابن بسام، نهاية الرتبة، ص١٦٢؛ المغراوي، جامع، ص٤٥؛ ابن حجر الهيثمي، تحرير المقال، ص٧٣.

(٥) بلبع، «المسجد»، ص٢١٤.

(٦) ابن حجر الهيثمي، تحرير المقال، ص٧٣.

(٧) عامر جاد الله، التربية، ص٥٣.

فيه»[١]. وقال علي بن الجهم الشاعر (ت ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م): «حبسني أبي في الكُتَّاب»[٢].

اما الامور التي تدعو إلى التاديب في الكُتَّاب، فقد كانت: ترك الصلاة[٣]، والفرار من الكُتَّاب[٤]، والكذب[٥]، والتغيب عن الكُتَّاب[٦]، والخطأ في قراءة القرآن[٧]، ونسيان اللوح[٨]، والاشعار السخيفة[٩] وإساءة الادب والفحش في الكلام[١٠]، وايذائه لغيره[١١]، قال القابسي (ت٤٠٣هـ/ ١٠١٢م): «انه يتوجب على معلم الصبيان أن يأخذ عليهم الا يؤذي بعضهم بعضاً، فان شكا بعضهم اذى بعض، فعليه أن يؤدبهم بالضرب»[١٢]، وعليه أن يعاقبهم على الالعاب الخارجة عن قانون الشريعة[١٣]، وعقوق الوالدين، ومخالطة اقران السوء[١٤].

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص١٤٤؛ أحمد شلبي، التربية، ص٢٧١، فهمي عبدالرازق، العامة، ص١٥٧.

(٢) ابن المعتز، طبقات، ص٣١٩؛ الأصفهاني، الأغاني، ج١٠، ص٢٢٨؛ ابن عبدالبر، بهجة، ج٢، ص٧٧١.

(٣) ابن سحنون، آداب، ص١٠٩؛ الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٠٣؛ ابن الأخوة، معالم، ص٢٦١؛ ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٣١٥؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص١٦١؛ المغراوي، جامع، ص٤٥.

(٤) الجاحظ، رسائل، ج٣، ص٣٥؛ القابسي، الرسالة، ص٣١٠؛ المغراوي، جامع، ص٤٥.

(٥) المغراوي، جامع ص٤٠.

(٦) ابن سحنون، آداب، ص٨٩؛ القابسي، الرسالة، ص٣١٠؛ المغراوي، جامع، ص٤٥.

(٧) ابن سحنون، آداب، ص٨٩.

(٨) المغراوي، جامع، ص٤٥.

(٩) الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٠٣؛ ابن الأخوة، معالم، ص٢٦٢..

(١٠) الغزالي، إحياء، ج٢، ص٧١؛ الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٠٣؛ ابن الأخوة، معالم، ص٢٦٨؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص١٦١؛ المغراوي، جامع، ص٤٥؛ ابن حجر الهيثمي، تحرير المقال، ص٧٠؛ القاسم ابن محمد بن علي، آداب العلماء والمتعلمين، ط١، دار اليمنية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٥م، ص٤٢، سيشار له تالياً (القاسم، آداب).

(١١) القابسي، الرسالة، ص٣١٠ - ٣١٢؛ ابن حجر الهيثمي، تحرير المقال، ص٧٠؛ الأهواني، التربية، ص١٥١.

(١٢) القابسي، الرسالة، ص٣١٠ - ٣١٢.

(١٣) ابن سحنون، آداب، ص٨٩؛ الغزالي، إحياء، ج٣، ص٧١؛ الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٠٤؛ ابن الأخوة، معالم، ص٧٢٩، ابن بسام، نهاية الرتبة، ص١٦١؛ أسعد أطلس، التربية، ص٨٩.

(١٤) المغراوي، جامع ، ص٤٥.

اما الادوات المستخدمة في تأديب الصبيان فكانت:

ـ الدّرّة: بكسر الدال المشددة، السوط الذي يضرب به، جمعها دِرر، عربية معربة، دِرّة السلطان التي يُضرب بها[١]. وقد اشتهرت عصا الخليفة عمر بن الخطاب باسم الدِّرَّة[٢]. وهي عود أو غصن رطب[٣]. ويذكر أن هذه الأداة كانت تستعمل لدى معلمي الصبيان منذ زمن النبي ﷺ ذلك ما روته ميمونة بنت كردم في أنها رأت النبي ﷺ وهو على ناقة له ومعه دِرَّة كدِرَّة الكُتّاب[٤]. وقال الشاعر:

معلم صبيان وصاحب درة   وليس له عقل بمقدار ذرة[٥]

واتهم ابراهيم بن سعدان النحوي (ت ١٨٤هـ/ ٨٠٠م)، بانه حامل دِرَّة ومعلم صبيان[٦].

ويلاحظ أن الدِّرَّة ترتبط دوماً بالتأديب على الاخطاء البسيطة كما يتبين من قول ابن مِجْلز[٧] (ت١٠٩هـ/ ٧٢٧م)، حين دخل على قتيبة بن مسلم الباهلي بخراسان وهو يضرب بالصبي، فقال له: «أيها الأمير إن الله قد جعل لكل شيء قدراً، ووقّت فيه وقتاً، فالعصا للانتقام والبهائم العظام، والسّوط للحدود والتعزير، والدِّرَّة للادب، والسيف لقتال العدّو والقَوَد»[٨].

وبذلك فإنّ الدِّرَّة أدنى مراتب ادوات الضرب أو العقاب، لتتناسب مع سن هؤلاء

---

(١) ابن منظور، لسان، ج٤، ص٢٨٢؛ عياش، العصا، ص١٠.

(٢) عياش، العصا، ص١٠.

(٣) المغراوي، جامع، ص٤٥؛ عياش، العصا، ص١٠.

(٤) أحمد بن حنبل، المسند، ج٥، ص١١٧؛ أبو داود، سنن، ج١، ص٦٣٩.

(٥) الشريشي، شرح، ج٥، ص٢١٠.

(٦) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١، ص١٥١ - ١٥٢.

(٧) لاحق بن حُميد بن سعيد السدوسي البصري، كان ثقةً له أحاديث كثيرة، قدم خراسان وولي بيت المال فيها. ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٢٦١.

(٨) الجاحظ، البيان، ج٣، ص٤٥.

الصبيـان وتكوينهم الجسمي[١]. وقـد جاء البـعض يصف الدِّرَّة أو يحدد مـواصفـاتها مـثل ابن الحـاج (ت ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م)، اذ قـال: «لا بد أن تكون الآلة التي يضـرب بهـا، دون الآلة الشـرعية التـي تقام بهـا الحدود»[٢]. لذلك حُرّم استعـمـال العـصا واللوح وغـيـرها مما يؤذي الصبي، فاذا ضرب المعلم الصـبي باللوح أو بعصا فقتله فعليـه القصاص لانه لم يؤذن له بضربه بعصا ولا بلوح[٣].

ـ العصـا: العود. يتوكأ علـيه أو يُضرب به من الخشب وغـيره[٤]. والظاهر أن استـخدام العصـا كان نادراً، ومما يذكر في هذا المجال أن الجـاحظ مر بمعلم وعنده عصـا طويلة واخرى قصيرة، وقد استخدم العصا الطويلة، كما استخدم القصيرة[٥].

وقد أكد البـعض عدم استعـمال العصا، فـذكَر أن على المعلم أن لا يضرب صبيـاً بعصا غليظة تكسـر العظم، ولا رقيقـة تؤلم الجسم[٦]. وانكر ابـن الحـاج (ت ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م)، على معلمي الصبـيان في زمنه استخدام عـصا اللوز اليابس والجريد المشـرح، والاسواط النوبية في ضرب الصبيان وتاديبهم[٧].

والجدير بالـذكر أن بعض المعلمين اسـتخدم يده فـي ضرب الصبـيان، فـقد «صفـع معلم صبي صفعة محكمة. فقال له: أيهما اصلب؟ هذه ام التي صفعتك بالامس؟!»[٨].

---

(١) عامر جادالله، التربية، ص٥٤.

(٢) ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٣١٧؛ Goldziher," Education", vol.5, P. 204.

(٣) ابن سحنون، آداب، ص١٣٦؛ بليع، «المسجد»، ص٢١٤.

(٤) ابن منظور، لسان، ج١٥، ص٦٣؛ عياش، العصا، ص١٤، ٢٥.

(٥) الأبشيهي، المستطرف، ج٢، ص٣٢١.

(٦) الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٠٤؛ ابن الأخوة، معالم، ص٢٦١؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص١٦٢.

(٧) ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٣٢٧؛ عامر جادالله، التربية، ص٥٥؛ Goldziher," Education", vol.5, P. 204.

(٨) ابن سعد الآبي، نثر الدر، ص٣٢٩.

وفي الوقت الذي تعددت فيه وسائل العقاب واساليبه، كان التأكيد على المدح والتشجيع والثناء في التعامل مع الصبيان لما في ذلك من اثر طيب في نفسية الصبي ودفعه للاقبال على التعليم، وقد ميز الغزالي (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م)، بين طرق تأديب الصبيان تبعاً لاختلاف امزجتهم: «فهذا طفل يتميز بالحياء والحساسية، فيستعان على تأديبه بحيائه، وذاك اميل إلى الخلق الجميل والعقل المحمود، فيلزم أن يكرم ويجازى عليه ويمدح بين الناس»[١].

والطريقة العملية المناسبة في سياسة الصبيان التي يصحبها الرفق، والبعيدة عن الشدة، هي التي يصحبها الثناء على أفعالهم المحمودة[٢]، «من رآه مصيباً في الجواب ولم يخف عليه شدة الاعجاب، شكره واثنى عليه بين اصحابه، ليبقيه واياهم على الاجتهاد في طلب الازدياد»[٣]. وفي وصية ابن سحنون (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، لمؤدب ولده قال: «لا تؤدبه الا بالمدح ولطيف الكلام»[٤]. وقال ابن مسكوية (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م): «ويمدح الصبي بكل ما يظهر منه من خلق جميل وفعل حسن ويكرم عليه»[٥].

يتبين لنا مما سبق التأكيد على معاملة الصبيان معاملة حسنة، تمتاز بروح العطف والشفقة، والرأفة، على أن ذلك لم يمنع من انزال العقاب للصبي أن دعت الضرورة لذلك، على أن يكون الهدف منها الارشاد والاصلاح لا التشفي والانتقام، مع ملائمة العقوبة للذنب المرتكب، ومناسبة لسن ونوعية المرتكب، مع بيان الكيفية والطريقة المستخدمة في انزال العقوبة، وتحديد المواصفات اللازمة للاداة المستخدمة في ذلك. على أن لا يغيب الثناء والمدح والتشجيع للصبي على أفعاله المحمودة لما في ذلك من أثر أبلغ في تربية الطفل وتأديبه.

---

(١) الغزالي، إحياء، ج٣، ص٧٨.

(٢) الأهواني، التربية، ص١٤٨؛ الديوه جي، التربية، ص٤٩.

(٣) القاسم، آداب، ص٥٣ (مقدمة المحقق).

(٤) المصدر نفسه، ص٥١ (مقدمة المحقق)؛ الأهواني، التربية، ص١٤٨.

(٥) ابن مسكويه، تهذيب، ص٥٣.

٢ - واجبات واساليب المعلم في الدرس:

يبدو أن الطريقة المعتمدة في تعليم الكُتَّاب، كانت تعتمد على التلقين والحفظ والاملاء[١]، وطريقة ذلك أن يقرأ المعلم امام الصبيان بطريقة سليمة ثم يعيدها عليه كل صبي على انفراد إن كان هناك متسع من الوقت، أو كان عدد الصبيان يسمح بذلك[٢]. قال الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م): «كنت انا في الكُتَّاب اسمع المعلم يلقن الصبي الآية فاحفظها»[٣]. واذا كان الوقت ضيقاً فان المعلم يقرأ الآية ثم يعيدونها عليه جميعاً دفعة واحدة[٤].

وكان الصبيان يتعلمون الآيات القرآنية على الالواح، ويقوم بعدها الصبي بمسح اللوح بوضعه في اناء به ماء طاهر ثم يجففه[٥]، وعلى المعلم أن يمنع الصبيان من مسح الالواح ببصاقهم، وفي هذا يقول ابن الحاج (ت ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م): «ويتعين عليه [اي المعلم] أن يمنع الصبيان مما اعتاده بعضهم من انهم يمسحون الالواح أو بعضها ببصاقهم وذلك لا يجوز لان البصاق مستقذر وفيه امتهان، والموضع موضع ترفع وتعظيم وتبجيل فيجل عن ذلك وينزه»[٦]. وقد سُئل أنس بن مالك (رضي الله عنه) فقيل له: «كيف كان المؤدبون على عهد الائمة أبي بكر وعمر، وعثمان، وعلي (رضي الله عنهم)؟ قال انس: كان المؤدب له اجانة[٧]، وكل صبي يأتي كل يوم نوبته ماء طاهراً، فيصبونه فيها، فيمسحون به الواحهم...

---

(١) ابن بطوطة، رحلة، ص١١٢؛ عبدالله عبدالدايم، تاريخ التربية، ص١٨٥؛ ملكه ابيض، التربية، ص٢٦٢.

(٢) اسعد طلس، التربية، ص٧٨؛ هونكة، شمس، ص٣٩٣.

(٣) ابن سحنون، آداب، ص١٠٦؛ أبو نعيم الأصفهاني، حلية، ج٩، ص٧٧؛ الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٠٣؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٦، ص٢٣٩٥.

(٤) سعيد إسماعيل، معاهد، ص١٨٣.

(٥) أسعد طلس، التربية، ص٧٨؛ اسماء فهمي، مبادىء التربية، ص٩٨؛ سعيد إسماعيل، معاهد، ص١٨٤.

(٦) ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٣١٨.

(٧) جمعها إجاجين، إناء تغسل فيه الثياب أو يعجن فيه العجين. النووي، تهذيب، ج٣، ص٤.

ثم يحفرون في الارض، فيصبون ذلك الماء فينشف»[1]. وكان الصبيان يتعلمون كتابة الآيات القرآنية على الالواح، ليس فقط بقصد حفظها، وانما ايضاً لغرض تعليم الصبي القراءة والكِتابة[2]، وقد كره بعض المسلمين ذلك اعتزازاً بالقرآن[3]. فيذكر ابن جبير (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م) ـ عند الكلام عن التعليم في دمشق ـ أن سور القرآن لم تستعمل في تعليم الصبيان الكِتابة، حتى لا تكون عرضة للمحو، وإنما تستعمل أبيات من الشعر لهذا الغرض»[4].

وعلى المعلم في تعليمه لكتاب الله أن يعلمهم باسلوب يحببه اليهم[5]، وان يجعل للصبيان أوقاتاً معينة يعرضون فيها عليه ما حفظوه من القرآن وما تعلموه من علوم[6]، وكان المعلمون يجعلون ذلك عشية يوم الاربعاء وصبيحة يوم الخميس[7]. ولا بأس أن يجعل الصبيان «يملي بعضهم على بعض لان ذلك منفعة لهم، شريطة أن يتفقد املائهم»[8]. وقد عرف اسلوب الاملاء منذ اوائل القرن الثاني للهجرة[9]، فقد ذكر الامام الشافعي: أن معلم الكُتّاب الذي درس فيه القرآن كان يملي على الصبيان وهم يكتبون[10]. وعلى المعلم أن يراعي المقدرة

---

(١) ابن سحنون، آداب، ص٨٧؛ الأهواني، التربية، ص١٤٦؛ أحمد شلبي، التربية، ص٢٥٩؛ المكي اقلانية، النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاث الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، ١٩٩٢م، ص٤٣، سيشار له تالياً (أقلانية، النظم).

(٢) أسماء فهمي، مبادىء التربية، ص٩٨؛ ملكة أبيض، التربية، ص٢٦٠؛ سعيد إسماعيل، معاهد، ص١٨٤.

(٣) سعيد إسماعيل، معاهد، ص١٨٤.

(٤) ابن جبير، رحلة، ص٢٢٠.

(٥) المغراوي، جامع، ص١٠.

(٦) الغزالي، أيها الولد، ص٨١؛ ابن الأخوة، معالم، ص٢٦١؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص١٦١.

(٧) الغزالي، أيها الولد، ص٨١؛ اسعد طلس، التربية، ص٧٣ - ٧٤.

(٨) ابن سحنون، آداب ص١٠٦.

(٩) ماجد عرسان، النظرية التربوية، ص٩٤.

(١٠) ابو نعيم الأصبهاني، حلية، ج٩، ص٧٧؛ ياقوت الحموي، معجم الأدبا، ج٦، ص٢٣٩٥.

العقلية للصبي فلا يُلقي اليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يحبط عقله[١]، اقتداءً برسول الله ﷺ حيث قال: «نحن معاشر الانبياء امرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم»[٢]. فعلى المعلم أن يتفهم مستوى صبيانه ويخاطبهم على قدر فهمهم وادراكهم وبما يتناسب واعمارهم، فيكتفي للحاذق بالاشارة، ويوضح لغيره بالعبارة[٣]. ويبذل جهده ما استطاع في تقريب المادة إلى اذهان الصبيان الذين لا يتقبل ذهنهم ولا يحفظون بسرعة إلا بالتكرار، وإعادة الشرح لهم[٤].

وعلى المعلم أن يأخذهم بلفظ سهل وعبارة حلوة، اكد الجاحظ ذلك بقوله: «أن يأخذهم باللفظ السهل القريب المآخذ إلى المعنى الغامض، فاختر من المعاني ما لم يكن مستوراً باللفظ المتعقد»[٥].

وفي تدريس الشعر ينصح المعلم بان يبدأ بانتقاء الاشعار السهلة ليسهل على الصبي حفظها، وينبغي أن تكون ذات مدلول خُلقي، كأن تكون مدحاً للعلم وذماً للغباوة والجهل، وكأن تحض على تكريم الأبوين وتمجيد الصفات والاعمال الحميدة[٦].

---

(١) الغزالي، إحياء، ج٢، ص٧١؛ إبراهيم بن عبدالرحيم بن محمد بن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، تحقيق عبدالأمير شمس الدين، ط٢، دار إقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت ١٩٨٦م، سيشار له تالياً (ابن جماعة، تذكرة)؛ المغراوي، جامع، ص١٠.

(٢) ابو داود، سنن، ج٢، ص٦٧٧؛ الديلمي، الفردوس، ج١، ص٤٨٣.

(٣) اسعد طلس، التربية، ص٧٣؛ عبدالله عبدالدايم، تاريخ التربية، ص١٧٢.

(٤) ابن جماعة، تذكرة، ص١٠٠؛ عبدالباسط بن موسى بن محمد العلموي، المعيد في أدب المفيد والمستفيد، المكتبة العربية، دمشق ١٩٣٠م، ص٤٩، سيشار له تالياً (العلموي، المعيد)؛ محمود مهدي استامبولي، «المنهج الإسلامي الجديد للتربية والتعليم»، مجلة التمدن الإسلامي، م٢٢، ج١٠، دمشق، ١٩٧٥م، ص٢١٢، سيشار له تالياً (محمود استامبولي، «المنهج الإسلامي»).

(٥) الجاحظ، رسائل، ج٣، ص٤٠.

(٦) الديوه جي، التربية، ص٣١؛ عبدالله العمري، تاريخ العلم، ص١٤٧؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص١٨٨.

وينبغي على المعلم أن يثني على البارع من الصبيان، ويشجع المتوسط، ويكافىء المجد، ويمدحه امام الصبيان[١]، قال ابن مسكوية (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م): «ويمدح الصبي بكل ما يظهر منه من خلق جميل، وفعل حسن»[٢].

ولا يحق للمعلم أن ينشغل عن الصبيان في شيء اثناء الوقت المخصص لهم للتعليم والدرس، حتى لو كان يرغب في تأليف كتاب في الفقه مثلاً[٣].

وعلى المعلم أن يراعي الهيئة السلمية اثناء جلسته للتدريس امام الصبيان[٤]، وان يكون باسط الوجه، فلا يكون عبوساً غضوباً، فان ذلك سيؤثر على سلوك الصبيان بصورة سلبية، وقد يكسبهم كراهية التعليم والعلم[٥].

---

(١) الغزالي، إحياء، ج٣، ص٧٨؛ العلموي، المعيد، ص٥١.

(٢) ابن مسكويه، تهذيب، ص٤٩.

(٣) ابن سحنون، آداب، ص٩٨؛ الغزالي، أيها الولد، ص٧٧؛ المغراوي، جامع، ص٤٧.

(٤) الأجري، أخلاق أهل القرآن، ص١١١؛ عبدالرؤوف يوسف، أخلاق العالم، ص١٧٦.

(٥) الأجري، أخلاق أهل القرآن، ص٧٩؛ المغراوي، جامع، ص٣٥؛ العلموي، المعيد، ص٢٧؛ عبدالرؤوف يوسف، أخلاق العالم، ص٩٨.

الفصل الثاني

مؤدبو أبناء الخلفاء والأمراء والخاصة

١ ـ معنى كلمة مؤدب:

اشتقت كلمة مُؤدِّب ـ بكسر الدال المشددة ـ من الفعل أدّب، والأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس، وسمي أدباً، لانه يؤدِّب إلى الامور الحميدة، وينهاهم عن الامور القبيحة[١]. وفي وصية عبدالملك بن صالح (ت ١٩٦هـ/ ٨١١م)، لمؤدب ولده قال: «اني جعلتك مؤدباً بعد أن كنت معلماً»[٢]. وقد اشتق اسم المؤدِّب من الأدب. . . والأدب إمّا خُلق وإمّا رواية، وقد أطلقوا له اسم المؤدب على العموم»[٣].

وقد ظهرت وظيفة المؤدبين أول ما ظهرت في العصر الأموي، واستمرت قائمة في العصر العباسي[٤]. فقد كان الخلفاء العباسيون شديدي الاهتمام بتعليم أبنائهم العلم، والأخلاق، والسلوك الحسن وتهذيبهم، لكي يكونوا قادرين ومؤهلين لتحمل أعباء الخلافة عندما سينهضون بها من بعدهم[٥]. وقد ذكر الجاحظ في كتابه البيان والتبين: «بوجود معلمين لأولاد الخلفاء المرشحين للخلافة»[٦].

٢ ـ صفات وشروط المؤدبين:

يبدو أن الخلفاء والامراء والخاصة كانوا يتحرون جهدهم في اختيار من يتولى تعليم أبنائهم، فلا يختارون لهذه المهمة الا من توفرت فيه بعض الشروط والصفات الخاصة التي تتفق والمهمة التي اوكل بها هذا المؤدب من إعداد الطفل إعداداً يتناسب والاعباء التي سينهض بها في المستقبل، فلا يختارون لهذه المهمة الا من كان على درجة عالية من الثقافة والعلم. فمنذ بداية الدولة الاموية نجد أن معاوية بن أبي سفيان (٤١ ـ ٦٠هـ/ ٦٦١ ـ ٦٧٩م)، اختار

---

(١) ابن منظور، لسان، ج١، ص٢٠٦.

(٢) ابن قتيبة، عيون، ج١، ص٧٦؛ ابن أبي الحديد، شرح، ج٥، ص٥٦.

(٣) الجاحظ، رسائل، ص٣٤.

(٤) أحمد عقل، تمويل، ص٢٨.

(٥) عبدالله العمري، تاريخ العلم، ص٢١.

(٦) الجاحظ، البيان، ج١، ص٢٥٠. وانظر: الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص٥٥.

دغفل بن حنظلة النّسابة (ت ٦٥هـ/ ٦٨٤م)، مؤدباً لأبنائه، وذلك لان دغفلاً كان عالماً بانساب العرب، والنجوم والعربية[١]. ولمكانة عون بن عبدالله بن عتبة (ت١١٥هـ/ ٧٣٣م)، بين رواة الحديث اختاره سليمان بن عبدالملك (ت ٩٦ ـ ٩٩هـ/ ٧١٤ ـ ٧١٧م) مؤدباً لابنه ايوب[٢]. وتميز مؤدّبو أولاد الخليفة عمر بن عبدالعزيز (ت ٩٩هـ ـ ١٠١/ ٧١٧ ـ ٧١٩م)، بعلمهم بالقرآن، والحديث والفقه، ومنهم ميمون بن مهران (ت ١١٧هـ/ ٧٣٥م) وصالح بن كيسان (ت ١٤٤هـ/ ٧٦١م)[٣]. وكان شرقي بن القطامي، وافر الأدب عالماً بالنسب، اقدمه أبو جعفر المنصور ليعلم ولده المهدي الأدب»[٤]. وسأل محمد بن قحطبة الكوفي (ت ١٦٠هـ/ ٧٧٦م)، عن مؤدب ليؤدب أبناءه محدداً المؤهلات العلمية للمؤدب: « أحتاج إلى مؤدب يؤدب أولادي، حافظٍ لكتاب الله، عالم بسنة رسول الله ﷺ ، وبالآثار، والفقه، والنحو، والشعر وايام الناس»[٥]. ولما كان الكسائي (ت ١٨٩هـ/ ٨٠٤م)، عالماً بالقرآن، والنحو،

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ص٤٧٨؛ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، ٤ج، ط١، دار الجيل، بيروت١٩٩٢م، ج٢، ص٤٢٦، سيشار له تاليا(ابن عبد البر، الاستيعاب) ؛ ابن عساكر، تهذيب، ج٥،ص٢٤٦؛ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، ٤ج، دار المعرفة، بيروت د.ت، ج٢، ص٢٧، سيشار له تاليا(الذهبي، ميزان).

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص٤٧٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٧٨؛ ابن الجوزي، سيرة، ص١٣؛ أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، ١٦ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت١٩٩٢م، ج١، ص٤٤٨، سيشار له تاليا(ابن تغري بردي، النجوم) ؛ ماجدة فيصل زكريا، عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم، ط١، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة١٩٨٧م، ص٢٨، سيشار له تالياً (ماجدة فيصل، عمر بن عبد العزيز) .

(٤) ابن الانباري، نزهة، ص٣٨؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٣، ص١٤١٧؛الذهبي، ميزان، ج٢، ص٢٦٨؛ أحمد فريدرفاعي، عصر المامون، ٣ج، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٧م،ج١، ص١٧٤، سيشار له تالياً (رفاعي، عصر).

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٨، ص٣٤٩.

والعربيـة، اختاره الرشيـد ليكون مؤدباً لولده[١]. وكان عـبيدة بـن حميـد الحذاء (ت ١٩٠هـ/ ٨٠٦م)، من اعلام النحو والعربية وقراءة القرآن، وقـد علّم الأمين القرآن حتى بلغ معه سورة الحديد[٢]. أمـا خلف الأحمر النحوي (ت ١٩٤هـ/ ٨٠٩م) ، فقد أدب الأمين، وكان يحفظ اربعين الف بيت شاهد في النحو، سوى ما كان يحفظه من القصائد وابيات الغريب[٣]. وادب أبو مـحمد اليزيدي (ت ٢٠٢هـ/ ٨١٧م)، أولاد خال المهدي، يزيد بن منصور (ت ١٦٥هـ/ ٧٨١م)، ثم اتصل بهـارون الرشـيد فـجـعل ولده المأمون في حـجـره ليـؤدبه. وكان اليـزيدي نحوياً لغـوياً شاعراً فصيحاً[٤]. وكـان أبو عـمـرو اسـحق بن مـرار الشـيـبـاني (ت ٢١٠هـ/ ٨٢٥م)، عالماً باللغة حـافظاً لها، جامعاً لاشعـار العرب، وقيل انه لم يكن شيبـانياً وانما كان مؤدباً لأولاد اناس من شيبان[٥]. ولمكانة أبي عـبيد القـاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)، وثقافته، أصرّ ثابت بـن نصر ابن مالك الخزاعي والي طرسوس (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م)، على أن ينتقل مـعه إلى طرسوس[٦]، ويستـمر في تأديب ولده[٧]. وكـان يعقـوب بن السكيت (ت

---

(١) ابن النديم، الفـهرست، ص١٣١؛ الخطيب البـغدادي، تاريخ، ج١٤، ص١٤٧؛ ابن الانباري، نزهة، ص٦١؛ ابن الجوزي، اخبار الحمقى، ص١٥٣؛ ياقوت الحـموي، معجم الأدباء، ج٤، ص١٧٣٨؛ اليافعي، مرآة، ج١، ص٤٢٨؛ ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٢٩٥.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص٤٧٨؛ الذهبي، تذكرة، ج١، ص٣١١.

(٣) ابن الانباري، نزهة، ص٨٠؛ القفطي، إنباه، ج٢، ص٣١٤؛ الذهبي، سير، ج٩، ص٩٢.

(٤) ابو جعـفر أحمد بن مـحمد بن اسمـاعيل النحاس، صناعة الكتـاب، تحقيق بدر أحمـد ضيف، ط١، دار العلوم العربيـة، بيروت ١٩٩٠م، ص٤٤، سيشـار له تالياً (النحـاس، صناعة)؛ المرزباني، نور الـقبس، ص٨٠؛ ابن الانباري، نزهة، ص٣٥؛ ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص١٨٤؛ الذهبي، سير، ج٩، ص٥٦٢؛ اليافعي، مرآة، ج١، ص٤٦٧.

(٥) المرزباني، نور القـبس، ص٢٧٧؛ ابن الانبـاري، نزهة، ص٧٨؛ القـفطي، إنبـاه، ج١، ص٢٥٦؛ ياقـوت الحموي، معجم الأدباء، ج٢، ص٦٢٥.

(٦) مدينة بثغور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٢.

(٧) ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٢٥٣؛ ابن قتيبة، المعارف، ص٥٤٩؛ ابن النديم، الفهرست، ص١٤٠ ـ ١٤١؛ النحاس، صناعة، ص٤٥؛ الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٢، ص٤١٣، ٤١٥؛ القفطي، إنباه، ج٣، ص١٩.

٢٤٦هـ/ ٨٦٠م)، علماً في النحو والعربية، لذلك اختاره المتوكل لتعليم ولده[١]. وكان أبو عبدالله محمد بن حسان الضبي (ت٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)، نحوياً فاضلاً واديباً شاعراً، وقد ادب أولاد المأمون[٢]. واختار محمد بن عبدالله بن طاهر[٣] (ت ٢٥٣هـ/ ٨٦٧م)، أبا العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ/ ٩٠٣م)، النحوي اللغوي لتاديب ابنه طاهر[٤].

ولأنّ المؤدب قدوة لطالبه، كان التأكيد على أهمية تقوى الله وحسن السلوك في اختيار المؤدب. فقد بعث الامام الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، بوصية إلى مؤدّب أولاد الرشيد، يوصيه فيها بأن يحسن سلوكه لأنه قدوتهم.[٥]

وقد يُطرد المؤدب من قصر الخليفة اذا قصَّر أو ظهر في سلوكه ما يشين فقد أبعد الرشيد قطرب النحوي (ت ٢٠٦هـ/ ٨٢١م)، عن تأديب ابنه الأمين، بعد أن رماه حماد عجرد[٦] (ت ١٦١هـ/ ٧٧٧م)، بتهمة لا تتناسب وموقعه كمؤدب[٧].

---

(١) ابن الانباري، نزهة، ص١٣٩؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٦، ص٢٨٤١؛ أبو عبدالله محمد بن احمد ابن عثمان الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ٤ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م، ج١، ص٣٤٩، سيشار له تالياً (الذهبي، العبر)؛ السيوطي، بغية، ج٢، ص٣٤٩.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٦، ص٢٤٨٥؛ السيوطي، بغية، ج١، ص٧٥.

(٣) ابو العباس، محمد بن عبدالله بن طاهر بن الحسين الخزاعي، كان نائب بغداد في عهد المتوكل، وكان جواداً عالماً، جيد الشعر. الذهبي، العبر، ج١، ص٣٦٣.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٢، ص٥٣٦؛ الديوه جي، التربية، ص٣٨.

(٥) ابن الجوزي، الصفوة، ج٢، ص١٦٩؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٤٠؛ منير الدين أحمد، تاريخ التعليم عند المسلمين حتى القرن الخامس الهجري، ترجمة سامي الصقار، دار المريخ، الرياض ١٩٨١م، ص٥٣، سيشار له تالياً (منير الدين أحمد، تاريخ التعليم).

(٦) ابو عمرو، حماد بن عمر بن يوسف المعروف بعجرد، نشأ في الكوفة ثم واسط، وكان شاعراً خليعاً ماجناً. عاصر الدولتين الاموية والعباسية. الاربلي، خلاصة، ص١٠٣.

(٧) ابو نواس الحسن بن هانيء، ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد عبدالمجيد الغزالي، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٥٣م، ص٤١٦، سيشار له تالياً (أبو نواس، ديوان)؛ البيهقي، المحاسن، ص٥٧٧؛ الشريشي، شرح، ج٥، ص٢١٦؛ القفطي، إنباه، ج٣، ص٢٢٠؛ ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٢١٢؛ السيوطي، بغية، ج١، ص٢٤٣.

ويبدو أن للمظهر والهيئة أثراً في عزوف بعض الخلفاء أو الأمراء عن اختيار بعض المؤدبين لأبنائهم. فقد امتنع المتوكل عن استخدام الجاحظ (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)، لتأديب أبنائه لما رآه واستبشع ملامح وجهه، قال الجاحظ: «ذُكرت لأمير المؤمنين المتوكل لتأديب بعض ولده، فلما رآني استبشع منظري فامر لي بعشرة الاف درهم وصرفني، وخرجت من عنده»[١].

ولما أصاب الكسائي (ت ١٨٩هـ/ ٨٠٤م)، الوضح[٢]، كره الرشيد ملازمته أولاده، فامر أن يختار لهم من ينوب عنه ممن يرضاه[٣].

وقد تسبق شهره بعض المعلمين في الكتاتيب العامة أو العلماء في مجالس العلم وحلقاته إلى أسماع المسؤولين، قبل أن يقع عليهم الاختيار لتاديب أبنائهم. فقد رغب المتوكل في أن يعهد إلى الجاحظ تاديب أولاده بعد أن ذاع صيته واشتهر بعلمه وفضله[٤]. ولما اشتهر اسم الكسائي اتخذه الخليفة المهدي مؤدباً لولده الرشيد[٥].

وقد كان بعض الخلفاء والامراء والخاصة يختارون مؤدبي أولادهم بانفسهم بعد اخضاعهم لنوع من الاختبار، أو يظهر منهم بعض علامات النبوغ. فقد كان عند المهدي (ت

---

(١) ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرحه وقدّم له مفيد محمد قمحية، ٤ج، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م، ج٤، ص١١٥، سيشار له تالياً (المسعودي، مروج)؛ ابو الطيب محمد بن أحمد بن اسحاق بن يحيى الوشاء، الظرف والظرفاء، تحقيق فهمي سعد، ط١، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٥م، ص١٤٥، سيشار له تالياً (الوشاء، الظرف)؛ ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٤٧١.

(٢) البياض في الجسم (البرص)، ابن منظور، لسان، ج٢، ص٦٣٤.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٤، ص١٦٧١؛ القفطي، إنباه، ج٢، ص٣١٦؛ الذهبي، سير، ج٩، ص٩٣؛ السيوطي، بغية، ج٢، ص١٥٨.

(٤) المسعودي، مروج، ج٤، ص١١٥؛ رفاعي، عصر، ج١، ص١٠٦؛ ضيف الله يحيى الزهراني، النفقات وإدارتها في الدولة العباسية، ط١، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة ١٩٨٦م، ص١٧٩، سيشار له تالياً (الزهراني، النفقات)؛ كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبدالحليم النجار، ٦ج، ط٥، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٩م، ج٢، ص١٠٦، سيشار له تالياً (بروكلمان، تاريخ الأدب).

(٥) بلبع، «المسجد»، ص٢٢٦.

١٥٨ ـ ١٦٩هـ/ ٧٧٤ ـ ٧٨٥م) مؤدّب يؤدب الرشيد، فدعاه المهدي يوماً وهو يستاك، فقال له: «كيف تأمر من السواك؟ فقال: استك يا أمير المؤمنين، فقال المهدي: انا لله وانا اليه راجعون، ثم قال: التمسوا من هو افهم من هذا؟ قالوا: رجل يقال له علي بن حمزة الكسائي، من اهل الكوفة، قدم من البادية قريباً فلما قدم على الرشيد قال له: يا علي، قال: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: كيف تأمر من السواك؟ قال: سُك يا أمير المؤمنين. قال أحسنت وأصبت، واتخذه مؤدباً للرشيد»[1]. وطلب الكسائي (ت ١٨٩هـ/ ٨٠٤م)، من الاخفش الاوسط[2] (ت ٢١٥هـ/ ٨٣٠م)، أن يؤدب أولاده بعد أن سأل الكسائي عن مائة مسألة فخطأه فيها كلها. فقال له: «انت سعيد بن مسعدة؟ فقال: نعم، فسألة أن يؤدب أولاده فاجابه»[3]. وطلب الحسن بن سهل الوزير (ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م)، رجلاً من أهل الأدب، يؤدب ولده، فجاءوه بمعاوية ابن القاسم الأعمى، فقال له: «ما اسمك؟ قال: أكنى أبا القاسم، ولضرورة تكنيت، فقيل له: اسمه معاوية، فاستظرفه وأمره بلزوم داره»[4].

وأوكل بعض الخلفاء والامراء والخاصة أمر اختيار المؤدبين لأحد من العلماء الاجلاء، فقد أوكل الخليفة الرشيد للكسائي أمر اختيار مؤدباً لأبنائه، وقد اختار الكسائي خلف الأحمر النحوي (ت ١٩٤هـ/ ٨٠٩م)، فكان الأحمر يتردد إلى الكسائي كل عشية، ويأخذ عنه ما يحتاج إليه أولاد الرشيد، فيغدو عليهم فيعلمهم[5]. ولما أراد المتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ/ ٨٤٦ ـ

---

(١) ابن الانباري، نزهة، ص٦١؛ ابن الجوزي، اخبار الحمقى، ص١٥٣؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٤، ص١٧٤٠؛ القفطي، إنباه، ج٢، ص٢٥٩؛ الاربلي، خلاصة، ص١٥٩.

(٢) ابي الحسن، الاخفش الاوسط، وهو سعيد بن مسعدة المجاشعي، مولى بني مجاشع بن دارم، كان عالماً بالكلام والجدل، المرزباني، نور القبس، ص٩٧.

(٣) الشريشي، شرح، ج٣، ص٢٠٨؛ القفطي، إنباه، ج٢، ص٣٧؛ السيوطي، بغية، ج١، ص٥٩٠.

(٤) ابن سعد الابي، نثر الدر، ج٢، ص١٩٦.

(٥) يافوت الحموي، معجم الأدباء، ج٤، ص١٦٧١؛ القفطي، إنباه، ج١، ص٣١٦؛ الذهبي، سير، ج٩، ص٩٣؛ السيوطي، بغية، ج٢، ص١٥٨.

٨٦١م)، أن يتخذ مؤدبين للمنتصر والمعتز - ابنيه - جعل ذلك إلى ايتاخ[1] (ت ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م) فامر إيتاخ كاتبه أن يتولى ذلك فبعث إلى مجموعة من العلماء فاحضرهم مجلسه، وقد اختار منهم محمد بن عبدالله بن قادم النحوي (ت ٢٥١هـ/ ٨٦٥م)، وأحمد بن عبيد ابن ناصح النحوي، والمعروف بابي عصيده (ت ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م)، بعد أن عرض عليهم شيئاً من الشعر معناً وإعراباً[2].

وربما استعان بعض الخلفاء ببعض الثقات من رجال دولتهم للاشراف على تربية أبنائهم. فقد وضع المهدي ابنه الرشيد في حِجر يحيى بن خالد البرمكي الوزير (ت ١٩٠هـ/ ٨٠٥م)، ليربيه ويثقفه ويعرفه الامور[3].

ولم يكتف بعض الخلفاء ايضاً بالاعتماد على المؤدبين في تعليم أبنائهم، وانما اخذوا يرسلون بهم إلى بعض العلماء لتعليمهم، فقد بعث الرشيد بالأمين إلى الاصمعي (ت ٢١٦هـ/ ٨٣١م)، ليعلمه العلم والأدب[4]. وعندما حج الرشيد سنة ١٧٤هـ/ ٧٩٠م ومعه ابناؤه - الأمين والمأمون - فدخل الكوفة، وطلب من أبي يوسف القاضي (ت ١٨٢هـ/ ٧٩٨م)، أن يخبر المحدثين ليحدثونه، فلم يتخلف عنه من شيوخ الكوفة الا عيسى بن يونس (ت ١٨٨هـ/ ٨٠٣م)، وعبدالله بن ادريس (ت ١٩٢هـ/ ٨٠٧م)، فارسل هارون الرشيد

---

(١) إيتاخ التركي، قائد الجيش في عهد المتوكل، خافه المتوكل وقبض عليه واماته عطشاً سنة ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م. ابو الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ٨ج، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت، ج٢، ص٨٠، سيشار له تالياً (ابن العماد الحنبلي، شذرات).

(٢) ابو القاسم عبدالرحمن بن اسحاق الزجاجي، مجالس العلماء، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، وزارة الارشاد والانباء، الكويت ١٩٦٢م، ص٦٢، سيشار له تالياً (الزجاجي، مجالس)؛ ابن النديم، الفهرست، ص١٤٤؛ ابن الانباري، نزهة، ص١٥٩؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١، ص٣٦١ - ٣٦٢؛ القفطي، إنباه، ج١، ص١٢٠؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج٢، ص٨٠؛ محمود قمبر، دراسات تراثية في التربية الاسلامية، دار الثقافة، الدوحة ١٩٨٥م، ص٢٣٦، سيشار له تالياً (محمود قمبر، دراسات).

(٣) الذهبي، سير، ج٩، ص٨٩؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج١، ص٣٢٧.

(٤) برهان الدين الزرنوجي، تعليم المتعلم في طريق التعلم، تحقيق صلاح محمد الخيمي ونذير حمدان، ط١، دار ابن كثير، دمشق، بيروت ١٩٨٥م، ص٥١، سيشار له تالياً (الزرنوجي، تعليم).

الأمين والمامون اليهما ليحدثوهما[١]. وبعث الرشيد بالأمين والمامون إلى مالك بن أنس ليتعلما منه بعد أن رفض المجيء اليهما قائلاً: «ان العلم يؤتى ولا يأتي»[٢].

٣ ـ مكانة المؤدبين:

يبدو أن المؤدبين تمتعوا بمكانة مرموقة في المجتمع الاسلامي، واهتم الخلفاء والامراء والخاصة بمؤدبي أولادهم اهتماماً بالغاً، يظهر من خلال النصوص الكثيرة التي تشهد بمكانتهم، وتفيد بان تأديب أولاد الخاصة، كان عملاً عظيماً، يكسب من يقوم به الجلال والهيبة. فقد افرد ابن حبيب (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) في كتابه «المحبر» فصلاً خاصاً عن مؤدبي أبناء الخلفاء والامراء والخاصة سماه «اشراف المعلمين وفقهائهم»[٣]. وقال الجاحظ في حقهم: «والمعلمون عندي على ضربين، منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة إلى تعليم أولاد الملوك انفسهم المرشحين للخلافة»[٤].

ويرتفع قدر المؤدب ارتفاعاً كبيراً حتى يُنظر اليه على أنه أحد أفراد الأسرة، فيأخذ اسمها، فأبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي (ت ٢٠٢هـ/ ٨١٧م)، قيل له

---

(١) النووي، تهذيب، ج٢، ص٤٨؛ الذهبي، تذكرة، ج١، ص٢٨١؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص٤٩؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٢١٧؛ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك، ط١، المطبعة الخيرية، القاهرة ١٩٠٧م، ص٢٥، سيشار له تالياً (السيوطي، تزيين).

(٢) ابو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، تحقيق أحمد عمر هاشم، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٦م، ص٣٠٦، سيشار له تالياً (الخطيب البغدادي، الكفاية)؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص٣٤؛ محي الدين ابن العربي، محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار، ٢ج، دار صادر، بيروت د. ت، ج١، ص٤٤٣، سيشار له تالياً (ابن عربي، محاضرة).

(٣) انظر: ابن حبيب، المحبر، ص٤٧٥ ـ ٤٧٨.

(٤) الجاحظ، البيان، ج١، ص٢٥٠؛ وانظر: الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص٥٥.

اليزيدي؛ لأنه صحب يزيد بن منصور الحميري، يؤدب ولده فنسب اليه[١]. وعرف أبو عمرو محمد بن اسحاق بن مرار (ت ٢١٠هـ/ ٨٢٥م). بالشيباني، لانه أدَّب أولاداً منهم، فنسب اليهم[٢]. وقد عبّر الكسائي مؤدب الأمين عن هذا المعنى، في بيت من الشعر، كان مطلع مقطوعة ارسلها إلى الرشيد قال فيه:

قل للخليفة ما تقول لمن　　　أمسى اليك بحرمة يدلي[٣]

ويبدو أن الخلفاء والعظماء اهتموا بمؤدبي أولادهم، اهتماماً عظيماً وارتفعوا بمستواهم الاجتماعي إلى دزجة تناسب مكانهم من الامراء وولاة العهود، فقد كان علي بن المبارك الأحمر النحوي (ت ١٩٤هـ/ ٨٠٩م) حينما اختير لتأديب الأمين يعيش في حجرة واحدة، في حي متواضع، من احياء بغداد، فسرعان ما نقله الرشيد إلى مستوى اجتماعي رفيع، يصفه محمد بن الجهم السِّمَّري الكاتب (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م)، بقوله: «كنا اذا اتينا الأحمر تلقانا الخدم، فندخل قصراً من قصور الملوك... ويخرج علينا [الأحمر] وعليه ثياب الملوك، تنضح منها رائحة المسك والبخور»[٤]. وقال أبو العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ/ ٩٠٣م): «اقعدني محمد بن عبدالله بن طاهر مع ابنه طاهر، وافرد لي داراً في داره، واقام لنا وظيفة، فكنت اقعد معه إلى اربع ساعات من النهار، ثم انصرف اذا اراد الغداء، فنمي ذلك إلى ابيه، فكسا البهو والاروقة والمجالس...، واضعف ما كان يعد من الالوان...، فلما حضر وقت الانصراف، انصرفت، فنمى ذلك اليه، فقال للخادم الموكل

---

(١) النحاس، صناعة، ص٤٤؛ المرزباني، نور القبس، ص٨٠؛ ابن الانباري، نزهة، ص٣٥، ٧٨؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٢، ص٦٢٥، ج٦، ص٢٨٢٧؛ ابن الاثير، الكامل، ج٥، ص٤٤٧؛ ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص١٨٤؛ الاربلي، خلاصة، ص٢٠٦؛ أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٢٣؛ الذهبي، سير، ج٩، ص٥٦٢؛ اليافعي، مرآة، ج١، ص٤٦٧؛ السيوطي، بغية، ج١، ص٢٦٥، ج٢، ص٣٣٩ ـ ٣٤٠.

(٢) المرزباني، نور القبس، ص٢٧٧؛ ابن الانباري، نزهة، ص٧٨؛ القفطي، إنباه، ج١، ص٢٥٦؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٢، ص٦٢٥؛ السيوطي، بغية، ج١، ص٤٣٩.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١١، ص٤١٢؛ ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٢٩٥.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٤، ص١٦٧٢؛ أحمد شلبي، التربية، ص٢٤٢.

بنا: قد نمي الي انصراف أحمد بن يحيى وقت الطعام فظننت انه استقل ما يحضر، ولم يستطب الموضع، فامرنا بتضعيفه، ثم نمي إليّ أنه انصرف، فقال له: ابيتك ابرد من بيتنا، أو طعامك اطيب من طعامنا؟. . . فلما عرفني الخادم ذلك، اقمت فكنت على هذه الحال ثلاثة عشرة سنة»[١].

وترتفع مكانة المؤدبين بقدر ما كانوا يتمتعون به من علم وثقافة، فيكون المؤدب موضع اهتمام الخليفة أو الأمير، فيختصه جليساً ومؤانساً، فيذكر أن عمر بن عبد العزيز تأدب على عبيد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي (ت٩٨هـ/ ٧١٦م)، احد فقهاء المدينة السبعة، فكان عمر يختلف اليه بالمدينة يسمع منه العلم[٢]. وكان ابراهيم بن سعدان النحوي (ت ١٨٤هـ/ ٨٠٠م)، يؤدب ولد علي بن هشام قائد المأمون (ت ٢١٧هـ/ ٨٣٢م)، وكان يغني بالعود، قال: «وجه اليّ يوماً علي بن هشام يدعوني، فدخلت،فاذا بين يديه امرأة مكشوفة الرأس تلاعبه بالنرد، فرجعت عجلاً، فصاح بي: ادخل، فدخلت، فاذا بين ايديهما نبيذ يشربان منه، فقال لي: خذ عودك وغن لنا، ففعلت، ثم غنيت في وسط غنائي:

من الخفرات[٣] لم تفضح اباها ولم ترفع لاخوتها شنارا[٤]

فوثبت من بين يديه وغطت رأسها، وقالت: اني أشهد الله اني تائبة اليه، ولا افضح أبي ولا ارفع لاخوتي شناراً»[٥]. وفي هذه الرواية ما يشير إلى أن ابراهيم بن سعدان، كان يحضر اخص مجالس علي بن هشام. ومكّن علم الكسائي الواسع وأدبه الجم، أن يتبوأ مكانة عالية عند الخليفة الرشيد، فاختاره ليكون مؤدباً لولده، وقد اخرجه

---

(١) القفطي، إنباه، ج١، ص١٨٢؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٢، ص٥٤٥.

(٢) الذهبي، العبر، ج١، ص٨٧؛ السيوطي، تاريخ، ص٢٢٩.

(٣) الخفرُ: شدة الحياء. ابن منظور، لسان، ج٤، ص٢٥٣.

(٤) الشنار: العيب والعار. المصدر نفسه، ج٤، ص٤٣٠.

(٥) الاصفهاني، الاغاني، ج٢٠، ص٣٥٩ ـ ٣٦٠.

من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء والمؤانسين، قائلاً: «يا علي بن حمزة، قد احللناك المحل الذي لم تكن تبلغه همتك»[١]. وقال الأمير عبدالملك بن صالح (ت ١٩٦هـ/ ٨١١م)، لمؤدب ولده، بعد أن اختصه بمجالسته ومحادثته: «وجعلتك جليساً مقرباً»[٢]. وكتب العتابي[٣] (٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)، إلى المأمون وقد منعه الحاجب عن مجلسه معاتباً ـ وكان مؤدبه ـ:

إن حق التأديب حق الابوه عند اهل الحجا وأهل المروة

وأحق الانام أن يحفظوها ويعوها لاهل بيت النبوة

فدعا به المأمون وأحسن صلته، وآلى علي الحاجب أن لا يعاود حجبه وزجره عن مجلسه[٤].

أما الخليفة الواثق بالله (٢٢٧ ـ ٢٣٢هـ/ ٨٤١ ـ ٨٤٦م)، فقد كان يكرم مؤدبه هارون ابن زياد ويقربه من مجلسه، لما قام بتعليمه منذ الصغر، فقال: «هذا اول من فتق لساني بذكر الله، وأدناني من رحمة الله»[٥].

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص١٣١؛ ابن أبي الحديد، شرح، ج٥، ص٥٦؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٤، ص١٧٣٨؛ بلبع، «المسجد»، ص٢٢٦.

(٢) ابن قتيبة، عيون، ج١، ص٧٦؛ ابن الحسن هلال بن المحسن الصابىء، رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد ١٩٦٤م، ص٤٧، سيشار له تالياً (الصابيء، رسوم)؛ ابن أبي الحديد، شرح، ج٥، ص٥٦.

(٣) ابو عمرو، كلثوم بن عمروا العتابي، اصله من الشام من ارض قنسرين، وكان شاعراً خطيباً بليغاً. الكتبي، فوات، ج٣، ص٢١٩.

(٤) جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحفة المجالس ونزهة المجالس، عني بتصحيه محمد بدر الدين النعساني الحلبي، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٠٨م، ص١٦٤، سيشار له تالياً (السيوطي، تحفة).

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٤، ص١٧٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص١٢٠؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٣٢٣؛ السيوطي، تاريخ، ص٣٤٤.

ويُظهر الخلفاء العباسيون احترام مؤدبيهم، واحسانهم اليهم، وخاصة عندما يدخلون إلى مجالسهم، فيذكر بان هارون الرشيد صب الماء على يد المحدث أبي معاوية الضرير (ت ١٩٥هـ/ ٨١٠م)، عندما اكل معه، فقال له: «يا ابا معاوية اتدري من يصب الماء على يديك؟ قال: لا، قال: أنا، قال: انت يا أمير المؤمنين؟! قال: نعم. إجلالاً للعلم»[١]. وبعث الرشيد بابنه الأمين إلى الاصمعي (ت ٢١٦هـ/ ٨٣١م)، ليعلمه، فرآه الرشيد يوماً يتوضأ، وابن الخليفة يصب الماء على رجله، فعاتب الاصمعي في ذلك بقوله: «إنما بعثته اليك لتعلمه وتؤدبه، فلماذا لم تأمره بان يصب الماء باحدى يديه ويغسل بالاخرى رجلك؟»[٢].

وللمؤدب عند الرشيد حُرمة خاصة ومكانة رفيعة، اذ «اشرف الرشيد على الكسائي وهو لا يراه، فقام الكسائي ليلبس نعله لحاجة يريدها، فابتدرها الأمين والمأمون، وكان مؤدبهما، فوضعاها بين يديه. فقبل رؤسهما وأيديهما، ثم اقسم عليهما الا يعاودا، فلما جلس الرشيد مجلسه، قال: اي الناس اكرم خدماً، قالوا: أمير المؤمنين اعزه الله. قال: بل الكسائي، يخدمه الأمين والمأمون»[٣]. ولما اشتدت علة الكسائي جعل الرشيد يدخل عليه ويعوده دائماً. كما كان الرشيد يأمر أبناءه أن يصبوا الماء على يدي المؤدب. إذ امر الرشيد يوماً ابنه الأمين أن يوضيء مؤدبه ابا مريم[٤]. ويبدو تكريم المأمون لمؤدب ولده يحيى بن زياد الفراء النحوي (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، وذلك من خلال قوله: «من اعز الناس؟ قال: ما أعرف اعز من أمير المؤمنين، قال: بلى من اذا نهض، تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين، حتى رضي كل

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٤، ص٨؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٢٢٣ - ٢٢٤؛ حافظ الدين محمد الكردري، مناقب أبي حنيفة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨١م، ص١٠٩، (طبع مع الموفق المكي، مناقب أبي حنيفة)، سيشار له تالياً (الكردري، مناقب)؛ السيوطي، تاريخ، ص٢٨٥.

(٢) الزرنوجي، تعليم، ص٥١.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص١٣١؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص٥٢؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٤، ص١٧٤٨؛ الديوه جي، التربية، ص٤٢.

(٤) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص٥٣.

واحد أن يقدم فرداً»[١].

ويبدو أن بعض المؤدبين حصلوا على بعض المراكز المرموقة كالقضاء مثلاً، فقد ولى المامون محمد بن حسان الضبي (ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)، مظالم الجزيرة وقنسرين والعواصم والثغور، سنة خمس عشرة ومائتين، ثم زاده بعد ذلك مظالم الموصل وأرمينية. قال: وولى المعتصم محمد بن حسان، مظالم الرقة في سنة اربع وعشرين ومائتين، إلى أن توفي المعتصم، فأقره الواثق عليها»[٢]. ولمكانة أبي عبيد القاسم بن سلام اللغوي الفقيه (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)، وثقافته، اصر والي طرسوس، ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي على أن ينتقل معه إلى طرسوس، ويستمر في تأديب ولده، وولاه القضاء لمدة ثمانية عشر سنة بطرسوس[٣].

ويبدو أن وظيفة المؤدب رفيعة المستوى ومغرية، تضع من يشغلها في مكانة عالية، وتخلع عليه حلة من الجلال والتكريم[٤]. لذلك نجد أن بعضهم حاول الايقاع ببعض المؤدبين، حسداً لهم على مكانتهم ومقامهم، فهذا قطرب النحوي (ت ٢٠٦هـ/ ٨٢١م)، جعله الرشيد مؤدباً لابنه الأمين، «وكان حماد عجرد يتعشق الأمين ويطمع فيه أن يتخذه عليه مؤدباً، فلم يتهيأ له ذلك لتهتكه، وقبيح ذكره في الناس، وقد كان رام ذلك، فلم يُجب اليه، فلما سمع أن قطرباً قد استوى امره وأجيب إلى ذلك لستره وعفافه، اخذ حماداً المقيم والمُقعِد حسداً على ما ناله قطرب من ذلك، وبلغه من المنزلة الرفيعة، والدرجة السنية، فاخذ رقعة وكتب

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٤، ص١٥٠؛ ابن الانباري، نزهة، ص٨٢، ٨٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٧٩؛ القفطي، إنباه، ج٤، ص١٧ ـ ١٨؛ ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص١٧٩؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٢٧٢ ـ ٢٧٣؛ بهاء الدين محمد بن حسين ابن عبدالعمد العاملي، الكشكول، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٣م، ص٦٩١، سيشار له تالياً (العاملي، الكشكول).

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٦، ص٢٤٨٥؛ السيوطي، بغية، ج١، ص٧٥.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٢٥٣؛ ابن قتيبة، المعارف، ص٥٤٩؛ ابن النديم، الفهرست، ص١٤٠ ـ ١٤١؛ النحاس، صناعة، ص٤٥؛ الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٢، ص٤١٣ ـ ٤١٥؛ القفطي، إنباه، ج٣، ص١٩.

(٤) خالد الحاج، اعلام التربية، ص٥٧.

فيها ابياتاً ودفعها إلى بعض الخدم الذين يقومون على رأس الرشيد، وجعل له على ذلك جُعلاً[١]، وسأله أن يودع الرقعة دواة أمير المؤمنين ففعل، فما كان باسرع من أن دعا الرشيد بالدواة، فاذا فيها رقعة فيها هذه الابيات:

قل للامام جزاك الله مغفرة   لا يجمع الدهر بين السخل والذيب

السخل غُر وهم الذئب غفلته   والذئب يعلم ما بالسخل من طيب

فاخرجوه عن تأديب الأمين واتخذ عليه حماداً، وجعل عليه ثمانين من الرقباء»[٢].

ورغم المكانة المرموقة التي حظي بها المؤدبون، الا أن بعض العلماء والأدباء، ذم التأديب، واعتبره نقصاً لذوي الفضل. فنجد عبدالله بن المقفع (ت ١٤٢هـ/ ٧٥٩م)، يأنف من أن يكون مؤدباً، اذ كان اسماعيل بن علي العباسي - عم المنصور - قد كلفه بان يجلس مع ابنه في كل اسبوع يوماً، فقال له ابن المقفع: «اتريد أن أثبت في ديوان النّوكي؟»[٣]. واحتاج محمد بن قحطبة الكوفي (ت ١٦٠هـ/ ٧٧٦م)، مودباً لأولاده فاشاروا عليه بابن عمه داود الطائي[٤] (ت ١٦٢هـ/ ٧٧٨م)، الذي أبى ذلك، رافضاً ما أرسل اليه من مغريات نقدية[٥]. ورفض الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ/ ٧٨٦م)، أن يكون مؤدباً لأبناء سليمان بن حبيب والي بلاد فارس، قائلاً لرسول سليمان:

---

(١) الجعل: الاجر على الشيء فعلاً او قولاً، يقال جعل لك جعلاً وجعلاً. ابن منظور، لسان، ج١١، ص١١١.

(٢) ابو نواس، ديوان، ص٤١٦؛ البيهقي، المحاسن، ص٥٧٦ - ٥٧٧؛ ابن منصور عبدالملك بن محمد الثعالبي، الكناية والتعريض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٤م، ص٣٤ (طبع مع الجرجاني، المنتخب)، سيشار له تالياً (الثعالبي، الكناية)؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص٥٥؛ الشريشي، شرح، ج٥، ص٢١٦؛ ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٢١٢؛ رفاعي، عصر، ج١، ص١٩٦؛ بروكلمان، تاريخ الأدب، ج٢، ص١٣٩.

(٣) الجاحظ، البيان، ج١، ص٢٥٢؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص٥٣.

والنوك: الحمق، والأنوك الاحمق، وجمعه نوكي. ابن منظور، لسان، ج١٠، ص٥٠٠ - ٥٠١.

(٤) أبو سليمان، داود بن نصير الطائي الكوفي، الامام الفقيه، القدوة الزاهد. الذهبي، سير، ج٧، ص٤٢٢.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٨، ص٣٤٩.

ابلـغ سليـمان اني عـنه فـي سعةٍ   وفـي غنـىً غـير انـي لسـت ذا مال

والفقر في النفس لا في المال تعرفه   ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال[1]

يظهـر مما سبق؛ المكـانة المتمـيزة التي تمـتع بها المؤدبون، وهي مكـانة ترجع إلى المسـتوى العالي من الثـقافة التي أهّلتهم ليكونوا مـؤدبين لأبناء الخاصة، في الوقت الذي كان فـيه ارتفاع اجورهم سبباً في ارتفاع مكانتهم عند الخاصة والعامة من الناس.

٤ ـ اجور المؤدبين:

يبـدو أن الوضع المالـي للمـؤدبين، كـان على درجـة عـاليـة من الرخـاء والـغنى، ولعل المسـتوى المالي والرخاء الذي عاشـه الخلفاء والامراء والخاصـة، انعكس انعكاساً مبـاشراً على المؤدبين، فـقد عنوا برفع المسـتوى المالي والمعـاشي لمؤدبي أولادهم[2]. فكان تعـيين شخص مـا مؤدباً، يعتبر فاتحة خيـر عليه وعلى اهله[3]، فقـد كان المؤدب يتقاضى راتبـاً كبيراً، سـوى ما يوهب له من الهدايا والخلع والهـبات[4]، مما يضمن لـلمؤدب غناً سريعـاً شامـلاً، وتضمن له كذلك تسويـة لاية مشكلات مالية يعـانيها[5]. في الوقت الذي لم يتـردد فـيه بعـضـهم عن دفع مبالغ كبـيرة، لجذب احد المؤدبين، ممن اشتهروا بالعلم والثـقافة، فقد احتاج محـمد بن قحطبة الكوفي (ت ١٦٠هـ/ ٧٧٦م)، إلى مـؤدب لأولاده، فاشـاروا عليـه بابن عمـه، داود الطائي (ت ١٦٢هـ/ ٧٧٨م)، فارسل اليـه يعرض عليه ذلك، ويـسني له الارزاق، فأبى داود ذلك،

---

(١) ابي سعيد، الحسن بن عبـدالله السيرافي، اخبار النحويين البصريين ومراتبهم، تحـقيق محمد ابراهيم البنا، ط١، دار الاعتصـام، القاهرة ١٩٨٥م، ص٥٥، سيـشـار له تالياً (السيـرافي، اخبـار)؛ ابن الانباري، نزهة، ص٤٦ ـ ٤٧؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٣، ص١٢٦٧؛ ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٢٤٥ ـ ٢٤٦.

(٢) أحمد شلبي، التربية، ص٢٤١؛ احمد عقل، تمويل، ص٢٨.

(٣) أحمد شلبي، التربية، ص٢٤١؛ عبدالله العمري، تاريخ العلم، ص٢٦؛ عبدالله عبدالدايم، التربية، ص١٦٩.

(٤) الديوه جي، التربية، ص٣٧.

(٥) أحمد شلبي، التربية، ص٢٤١.

فأرسل لـه في المرة الاولى بعشـرة الاف دينار فردها داود الطائي، ثم بعث الـيه بعشـرين الف دينار فلم يقبلها[١].

ويتوقف مبلغ ما يحصل عليه المؤدب على سخاء مستخدميهم، ولكنهم كانوا يحصلون ـ في العادة ـ على اجور سـخية ومكافآت كبيـرة. فقد اعطى عبدالله بن مـالك، صاحب شرطة المهـدي، أربعة آلاف دينار لمـؤدب ولده، نظير صـدر بيت من الشـعر أجـازه[٢]. وأمر المهـدي بعشـرة آلاف درهم للكسائي ـ مـؤدب ولده الرشيـد ـ لاجابته على سـؤال وجهـه اليه[٣]. ولما اصبح الكسـائي مؤدباً لأبناء الرشيد، ولم يـكن له زوجة ولا جارية، كتب إلى الرشـيد يشكو ذلك، فـامـر له الرشـيـد بعشـرة آلاف درهم، وجـارية حـسناء، وخـادم، وبرذون بسـرجـه ولجامه[٤]. وعندما اخـتار الكسائي، علي بن المبارك الأحـمر، مؤدباً لأبناء الرشيـد من بعده، «أدخل إلى قـصر الرشـيد ليُعلّم الأمين، وفُرش لـه المجلس بفراش حـسن، وكان الخلفـاء إذا أدخلوا مـؤدباً إلى أولادهم، فـجلس في أول يوم، أمـروا له بـعد قـيـامـه بحـمل كل مـا في المجلس إلى منزله مع ما يوصل به ويوهب له، فلما أراد الأحـمر الإنصراف إلى منزله دعي له بحمالين فحمل معه ذلك كله.... فقـال الأحمر: «والله ما يسع بيتي هذا، وما لنا الا غرفة ضيقـة، ليس فيهـا من يحفظه غيري، فـامر الرشيد بشـراء دار له وجارية، وحُمل على دابة، ووهب له غلام، وأقيم له جارٍ ولمن عنده....، قال مـحمد بن الجهم السِّمَّري: كنا إذا أتينا الأحمر تلقانا الخدم فندخل قصراً من قصور الملوك، فيه فرش الشتاء في وقته، وفرش الصيف

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٨، ص٣٤٩.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص١٨٥.

(٣) ابن الانباري، نزهة، ص٦١؛ ابن الجـوزي، اخبار الحـمقى، ص١٥٣؛ القـفطي، إنباه، ج٢، ص٢٥٩؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٤، ص١٧٤٠؛ الاربلي، خلاصة، ص١٥٩.

(٤) ابو عبيد الله محمـد بن عمران بن موسى المرزباني، معجم الشعراء، تحقيق عبـدالستار احمد فراج، د.د، د.م، ١٩٨٠م، ص١٣٨، سيشار له تالياً (المرزباني، معجم)؛ القفطي، إنباه، ج٢، ص٢٦٦؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٤، ص١٧٤٧؛ ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٢٩٥؛ اليافعي، مرآة، ج١، ص٤٢٨.

والبرذون: دابة دون الفرس غليظة الاعـضاء ضخمة تتـخذ للحمل وجمعهـا، براذين (بغل). ابن منظور، لسان، ج١٣، ص٥١.

في وقته. . . . ، ويخرج علينا، وعليه ثياب الملوك، ينفح منها رائحة المسك والبخور»[١]. وقال علي بن المبارك الأحمر: «قعدت مع الأمين ساعة من النهار، فوصل اليّ فيها ثلاثمائة الف درهم. فانصرفت وقد استغنيت»[٢]. وأمر الرشيد لعبيدة بن حميد الحذاء النحوي (ت ١٩٠هـ/ ٨٠٥م)، بسبعين الف درهم، مقابل تعليمه لابنه حتى بلغ معه سورة «الحديد» من القرآن الكريم[٣]. وشارك الأصمعي (ت ٢١٦هـ/ ٨٣١م)، في تاديب الأمين، وجعل له الرشيد جارياً مقداره عشرة الاف درهم[٤]. واختار المأمون يحيى بن زياد الفراء النحوي (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، لتأديب ولده العباس وتعليمه، وقد أطلق له يوماً صلة قدرت بعشرة الاف درهم[٥]. واحسن المأمون صلة العتابي الشاعر (ت ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)، وقد كان مؤدبه[٦]. وفي احدى المناسبات منح الخليفة المتوكل، ابن السكيت النحوي (ت ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م)، مؤدب ولده المعتز مبلغ خمسين الف دينار، بالاضافة إلى مرتبه المنتظم[٧]. ورغب المتوكل أن يعهد إلى الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، تاديب أولاده بعد أن ذاع صيته واشتهر بعلمه وفضله، غير انه صرف النظر عن ذلك، بعد أن رآه واستبشع ملامح وجهه، ومع ذلك اكرم وفادته، ومنحه صلة قدرت بعشرة الاف درهم قبل أن يصرفه[٨]. وامر المتوكل لابي عصيدة

---

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء ج٤، ص١٦٧١ ـ ١٦٧٢. وانظر: القفطي، إنباه، ج٢، ص٣١٧؛ السيوطي، بغية، ج٢، ص١٥٩.

(٢) الزبيدي، طبقات، ص١٣٤؛ القفطي، إنباه، ج٢، ص٣١٤.

(٣) ابن حبيب، المحبر، ص٤٧٨؛ احمد عقل، تمويل، ص٢٨.

(٤) أبو علي المحسن بن علي التنوخي، الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، ٥ج، دار صادر، بيروت ١٩٧٨م، ج٣، ص١٦٣، سيشار له تالياً (التنوخي، الفرج).

(٥) ابن الانباري، نزهة، ص٨٢ ـ ٨٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٧٩؛ القفطي، إنباه، ج٤، ص١٨؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٢٧٢ ـ ٢٧٣.

(٦) السيوطي، تحفة، ص١٦٤.

(٧) القفطي، إنباه، ج٤، ص٦٣ ـ ٦٤؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٦، ص٢٨٤١؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج٢، ص١٠٦.

(٨) المسعودي، مروج، ج٤، ص١١٥؛ ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٤٧١؛ رفاعي، عصر، ج١، ص٤٢٨.

(ت ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م)، مؤدب المعتز، بمبلغ عشرة الاف دينار بعد أن اثنى عليه لتأديبه إياه[١]. وأجرى عبدالله بن طاهر بن الحسين والي خراسان (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، لابي عبيد القاسم بن سلام اللغوي الفقيه، (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)، مؤدب ولده، مبلغ عشرة الاف درهم في كل شهر[٢]. وامر محمد بن عبدالله بن طاهر (ت٢٥٣هـ/ ٨٦٧م)، ليعقوب بن السكيت (ت ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م)، بخمسمائة درهم، ثم جعلها الفاً مقابل تعليمه ولده[٣]. وكان يعقوب بن السكيت، قد خرج قبل ذلك إلى سامراء في ايام المتوكل، فضمه المتوكل لتعليم ولده، وأسنى له الرزق[٤]. واستخدم الأمير محمد بن عبدالله بن طاهر، الزبير بن بكار القرشي (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، مؤدباً لولده، وامر له بعشرة الاف درهم، وعشرة تخوت[٥] ثياب، وعشرة أبغل يحمل عليها رحله إلى سامراء[٦]. وعندما حفظ المعتز القرآن، اهدى المتوكل لمحمد بن يزيد المبرد النحوي (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)، مؤدب المعتز والذي اشرف على تعليمه النحو، وتحفيظه القرآن، جواهر قيمتها خمسة عشر الف دينار[٧]. ويذكر أن محمد بن عبدالله ابن طاهر، اختار ابا العباس ثعلب النحوي (ت ٢٩١هـ/ ٩٠٣م)، لتأديب ابنه طاهر، فافرد له داراً في قصره وأقام له في كل يوم من انواع الخبز المختلفة، وسبعة ارطال من اللحم، وعلوفة رأس، وأجرى له في الشهر الف درهم[٨].

---

(١) السيوطي، بغية، ج١، ص٣٣٣.

(٢) ابو عبيد القاسم بن سلام، الاموال، تحقيق محمد خليل هراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨١، ص٧ (مقدمة المحقق)، سيشار له تالياً (ابن سلام، الاموال)؛ النحاس، صناعة، ص٤٥؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٥، ص٢١٩٩.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٤، ص٢٧٣؛ ابن الانباري، نزهة، ص١٣٩؛ ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص٣٩٨.

(٤) ابن الانباري، نزهة، ص١٣٩؛ القفطي، إنباه، ج٤، ص٥٨؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٦، ص٢٨٤١.

(٥) التخت: وعاء تصان فيه الثياب، وأصل الكلمة فارسي. ابن منظور، لسان، ج٢، ص١٨.

(٦) ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٣١١؛ محمود قمبر، دراسات، ص٢٤٢.

(٧) ابو الحسن أحمد بن القاضي الرشيد بن الزبير، الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، مراجعة صلاح الدين المنجد، دار المطبوعات والنشر، الكويت ١٩٥٩م، ص١٢٠، سيشار له تالياً (ابن الزبير، الذخائر).

(٨) القفطي، إنباه، ج١، ص١٨٢؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٢، ص٢٤٥.

يبدوا انه ـ وعلى الرغم من ورود هذه النصوص ـ لا نستطيع الوقوف بدقة على مقدار الرزق أو الراتب الذي يُصرف لمؤدبي أولاد الخلفاء والامراء والخاصة، غير انهم كانوا يغدقون على اولئك المؤدبين الصلات السخية والرواتب العالية. فانعكس ذلك على وضعهم المادي والاجتماعي فقد اهتم الخلفاء والامراء والخاصة بمؤدبي أولادهم اهتماماً بالغاً، وارتفعوا بمستواهم الاجتماعي والمادي، بما يتناسب ومكانتهم من الأمراء وولاه العهود، فقد تقاضى المؤدبون رواتب عالية، اضافة إلى ما كان يمنح لهم من عطايا وهبات، وما يُخصص لهم من اجنحة في القصور، وما يُهيء لهم من وسائل الراحة وشؤون العيش الاخرى.

ويبدو أن التفاوت في الرواتب والمنح والعطايا للمؤدبين، كان مرهوناً بمكانة المؤدب العلمية والثقافية، ومتوقفاً على سخاء مستخدميهم، ولكنها كانت سخية في الغالب.

٥- مواد التعليم واساليب تدريسها:

يبدو أن مواد التعليم في الكتاتيب الخاصة تلتقي- في الغالب -مع مواد الكتاتيب العامة، مع بعض الاضافات إستجابة لتوجيعهات الخليفة، أو ولي الأمر، وتمشياً مع الرغبة في إعداد هذا الصبي إعداداً خاصاً، يناسب الأهداف والمسؤوليات التي ستواجهه في المستقبل[١].

ويبدو انه لم يكن هناك منهاج موحد ومتكامل، سار عليه الخلفاء وولاة الأمور من الأمراء والخاصة، بل كان لكل ولي أمر منهاج خاص بأبنائه، يختلف بحسب الوجهة التي تنتظره[٢]، مع المحافظة على الأمور الجوهرية التي يدرسها الصبيان في الكتاتيب العامة[٣].

وفي وصايا الخلفاء والأمراء والخاصة ما يشير إلى مواد التعليم والتوجيهات التي وضعها الآباء لمؤدبي أولادهم ليسترشدوا بها في تأديبهم وتعليمهم. فقد أوصى أبو جعفر المنصور(١٣٦- ١٥٩هـ/ ٧٥٣-٧٧٥م)، شرقي بن القُطامي الكلبي مؤدب ولده المهدي «أن يأخذه بحفظ أيام العرب، . . . . ورواية الأخبار، وقراءة الأشعار»[٤]. وسأل محمد بن قحطبة الكوفي (ت ١٦٠هـ/ ٧٧٦م)، عن مؤدب ليؤدب أولاده، محدداً المؤهلات العلمية للمؤدب بقوله: «أحتاج إلى مؤدب يؤدب أولادي، حافظاً لكتاب الله، عالماً بسنة رسول الله ﷺ، وبالاثار، والفقه، والنحو، والشعر، وأيام الناس».[٥]

وكان لعلي بن حمزة الكسائي النحوي (ت ١٨٩هـ/ ٨٠٤م)، نصيب في تعليم الأمين

---

(١) أحمد شلبي، التربية، ص٦٠، عبدالله العمري، تاريخ العلم، ص٢١؛ محي السرحان، «تاريخ التعليم»، م٣٥، ج٣، ص١٥٢.

(٢) خالد الحاج، اعلام التربية، ص٥٤.

(٣) محي السرحان، «تاريخ التعليم»، ص١٥٢.

(٤) المسعودي، مروج، ج٣، ص٣٩٠؛ ابن الانباري، نزهة، ص٣٨؛ الذهبي، ميزان، ج٢، ص٢٦٨.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٨، ص٣٢٩.

الأدب[1]. كما علمه عبيدة بن حميد الحذاء (ت ١٩٠هـ/ ٨٠٦م)، القرآن حتى بلغ معه سورة الحديد[2]. وعندما تقدم الكسائي بالسن واصابه الوضح،اختار علي بن المبارك الأحمر النحوي (ت ١٩٤هـ/ ٨٠٩م)، ليحل مكانه في تاديب أبناء الرشيد، «فكان الأحمر يلقي عليهم في كل يوم مسالتين في النحو واثنتين في معاني الشعر، وأحرفٍ من اللغة»[3]. ويذكر بأن الخليفة الرشيد قد وضع منهجاً خاصاً للأحمر النحوي، مؤدب ولده الأمين اذ قال له: «إقرئه القرآن، وعرّفه الآثار، ورِوه الأشعار، وعلمه السنن. . . .، ولا تمرنّ بك ساعة إلا وانت مغتنم فائدة تفيده إياها، وكلمة نافعة يعيها ويحفظها، من غير أن تخرق به[4] فتميت ذهنه، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويالفه»[5]. وكان الكسائي يؤدب الأمين وأبو محمد اليزيدي (ت ٢٠٢هـ/ ٨١٧م)، يؤدب المامون، وقد أمر الرشيد أن يأخذ على الأمين بقراءة حمزة بن حبيب الكوفي (ت ١٥٦هـ/ ٧٧٢م)، وعلى المامون بقراءة ابن عمرو البصري (ت ١٥٩هـ/ ٧٧٥م)[6]. وعلّم اليزيدي الأمين والمامون وهما صبيان بكلام يقصد به تعلم الفصاحة[7]. وكان يدخل إلى المامون في الفجر فيصلي به ويدرس عليه المامون ثلاثين آية[8]. اما الحسن بن زياد الؤلؤي الكوفي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، فقد اتخذه الرشيد مؤدباً للمامون، بعد أبي محمد

---

(١) ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٢٩٥.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص٤٧٨.

(٣) المرزباني، نور القبس، ص٣٠١؛ القفطي، إنباه، ج٢، ص٣١٦ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٤، ص١٦٧١؛ الذهبي، سير، ج٩، ٩٣؛ السيوطي، بغية، ج٢، ص١٥٨.

(٤) تخرق به: تتجاوز الحد إلى درجة تبعث الخوف في نفسه. ابن منظور، لسان، ج١٠، ص٧٣.

(٥) أبو محمد احمد بن محمد بن علي بن أعثم، الفتوح، ٤ ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م، ج٤، ص٤١٨، سيشار له تالياً (ابن اعثم، الفتوح)؛ البيهقي، المحاسن، ص٥٧٥؛ المسعودي، مروج، ج٣، ص٤٣٠ ـ ٤٣١؛ الشريشي، شرح، ج٥، ص٢١٥.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١١٣؛ القفطي، إنباه، ج٤، ص٣٣؛ ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص١٨٤؛ اليافعي، مرآة، ج١، ص٧٦٨.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١١٣؛ الاربلي، خلاصة، ص٢٠٦.

(٨) المرزباني، نور القبس، ص٨٠.

اليزيدي، فكان يُعلم المأمون «شيئاً من الفقه»[١]. ومن وصايا الامام الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، لمؤدب أولاد الرشيد قال: «علمهم كتاب الله، ولا تكرهم عليه فيملوه، ولا تتركهم فيهجروه، ثم زدهم من الشعر اعفه، ومن الحديث اشرفه، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يتقنوه، فإن ازدحام الكلام في السمع مصد للفهم»[٢]، وفي هذا النص ما يشير إلى الطريقة التي يتم فيها التعليم، وتسلسل المادة حسب اهميتها، ومناسبتها للحالة. وكان الرشيد معجباً بشعر أبي العتاهية (ت ٢١١هـ/ ٨٢٦م)، «فخرج يوماً وفي يده رقعتان على نسخة واحدة، فبعث باحداهما إلى مؤدب ولده وقال: ليروهم ما فيها»[٣]. كما انه ـ اي الرشيد ـ بعث بابنه إلى الاصمعي (ت ٢١٦هـ/ ٨٣١م)، ليعلمه الأدب، ويحدثنا الاصمعي عما درسه الأمين عليه فيقول: «فأقمت معه حتى قرأ القرآن، وتفقه في الدين، وروى الشعر، واللغة، وروى ايام الناس وأخبارهم»[٤]. وقد حفظ الأمين يوماً خطبة القاها في يوم الجمعة.[٥]

ويبدو أن الرشيد كان يحرص على حضور أبنائه لبعض مجالس النقاش والأدب بقصد التعليم، فقد قال المفضل بن محمد الضبي الكوفي اللغوي (ت ١٦٧هـ/ ٧٨٣م)، : «جاءني رسول الرشيد يوم خميس بكراً، وهو يطارح محمداً [الأمين] والمامون معاني القرآن، فسلمت، فرد وقال: اجلس. فجلست، فقال لي: كم اسم في «فسيكفيكهم الله»[٦]؟ قلت: ثلاثة اسماء يا أمير المؤمنين، اولها: اسم الله تبارك وتعالى لا اله الا هو، والثاني اسم النبي ﷺ، والثالث اسم الكفرة، فالياء والكاف المتصلتان بالسين لله عز وجل، والياء والكاف

---

(١) البيهقي، المحاسن، ص٥٧٨؛ رفاعي، عصر، ج١، ص٢١٢؛ محمد مصطفى هداره، المامون الخليفة العالم، الدار المصرية للتاليف والترجمة، الاسكندرية، ١٩٦٦م، ص٢٩، سيشار له تالياً (هدارة، المامون).

(٢) ابن الجوزي، الصفوة، ج٢، ص١٦٩ ـ ١٧٠؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٤٠.

(٣) الاصفهاني، الاغاني، ج٤، ص٩٩.

(٤) التنوخي، الفرج، ج٣، ص١٦٣؛ الزرنوجي، تعليم، ص٥٦؛ عبدالعزيز الدوري، العصر العباسي الاول، ط٢، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٤٤، سيشار له تالياً (الدوري، العصر).

(٥) التنوخي، الفرج، ج٣، ص١٦٤.

(٦) سورة البقرة: آية ١٣٧.

المتصلتان بالهاء للنبيّ ﷺ، والهاء والميم للكفرة، فقال: كذا اخبرنا الشيخ. وأشار بيده إلى الكسائي. والتفت إلى محمد [الأمين] فقال له: افهمت، فقال: قد فهمت يا أمير المؤمنين. قال فاردد ذلك عليّ، فرده، فقال: احسنت»[١]. اما المأمون فقد اوكل إلى يحيى بن زياد الفراء النحوي (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، تعليم ابنيه النحو[٢]. وقال يوماً لبعض ولده وقد سمع منه كلاماً اسرع فيه اللحن إلى لسانه: «ما على احدكم أن يتعلم العربية فيقيم بها أوده ويزين مشهده، ويتملك مجلس سلطانه بظاهر بيانه، ويقل حجج خصمه بمسكتات حكمته، أو يسير احدكم أن يكون لسانه كلسان عبده وامته فلا يزال الدهر أسير كلمته»[٣]. وكان تعليم الخط من المواد التي درسها المأمون، فقد كان لسعيد الجوهري (ت١٩٣هـ/ ٨٠٨م)، غلام قد لزم المأمون في فترة تعليمه، «فكان اذا احتاج المأمون إلى محو لوحه بادر اليه واخذ اللوح من يده فمحاه»[٤].

ويبدو أن بعض الخلفاء قام بتعليم القرآن والخط لبعض أولاد القصر (الامراء)، فكان المأمون يقول للمعتصم: «يا ابا اسحاق لا تؤدب هارون [الواثق] فاني ارضى ادبه، وكان قد تبنى به حتى كان يعلمه الأدب، والخط بنفسه، ويقرؤه القرآن بنفسه» وقد كان الواثق (ت ٢٢٧ ـ ٢٣٢هـ/ ٨٤١ ـ ٨٤٦م)، شاعراً اديباً، حافظاً لاشعار العرب، عارفاً بالغناء، وكان يطلق عليه «المأمون الصغير»[٥].

ويبدو اهتمام الخلفاء بالرياضة الجسمية والعقلية واضحاً. فقد تعلم هارون الرشيد في

---

(١) النحاس، صناعة، ص٣٧؛ الزجاجي، مجالس، ص٣٥ ـ ٣٦؛ المرزباني، نور القبس، ص٢٧٢؛ جلال الدين السيوطي، الاشباه والنظائر في النحو، تحقيق عبدالعال سالم مكرم، ٩ج، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥م، ج٥، ص١٠٦، سيشار له تالياً (السيوطي، الاشباه).

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٤، ص١٥٠؛ ابن الانباري، نزهة، ص٨٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٧٩؛ القفطي، إنباه، ج٤، ص١٨؛ ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص١٧٩.

(٣) البيهقي، المحاسن، ص٤٢٣؛ ابن عبدالبر، بهجة، ج١، ٦٥؛ هدارة، المأمون، ص٩٦.

(٤) البيهقي، المحاسن، ص٥٧٨؛ رفاعي، عصر، ج١، ص٣٣٤.

(٥) ابن العمراني، الانباء، ص١١١.

صغره على ركوب الخيل والرمي بالسهام، والطعن بالرمح، والضرب بالسيف، وهو اول خليفة لعب بالصوالج والكرة، والشطرنج من بني العباس[١]. كما كان الرشيد والمامون يحضران لسباقات الخيل، فقد روى الاصمعي انه: «اجرى الرشيد الخيل يوماً وشارك في السباق خيل المامون، وقد سبق خيل الرشيد والمامون الخيول الاخرى فسر بذلك الخليفة الرشيد»[٢]. وكان المامون يحب لعب الشطرنج ويقول فيه: «هذا يشحذ الذهن»[٣].

وكان المؤدب يختبر الطالب قبل أن يعلمه، ليتعرف على قدرته على الفهم والحفظ من خلال المعلومات المتاحة له، فيقوم باعطائه العلوم التي تناسب ذهنه ودرجة فهمه، متدرجاً في ذلك. فيذكر أن سيار بن هانيء النظام (ت ١٦٠هـ/ ٧٧٦م)، جاء بابنه ابراهيم إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي ليعلمه، فامتحنه الخليل قبل أن يعلمه ليرى مدى ذكائه وفهمه وفي يده قدح زجاج. قال: «يا بني صف لي هذه الزجاجة، قال: أبمدح أم بذم؟ قال: بمدح، قال: تريك القذا، ولا تقبل الاذى، ولا تستر ما وراءه، قال: فذمها، قال: يسرع اليها الكسر، ولا تقبل الجبر....، فقال الخليل: يا بني، نحن إلى التعليم منك احوج»[٤].

وقد يستأنس المؤدب برأي تلميذه ويتحسس رغبته في المواد التي يحب تعلمها، قال يعقوب بن السكيت النحوي اللغوي (ت ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م)، «احضرت لأتخذ على المعتز

---

(١) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح اليعقوبي، مشاكلة الناس لزمانهم، تحقيق وليم ملورد، ط٢، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٨٠م، ص٢٥، سيشار له تالياً (اليعقوبي، مشاكلة)؛ المسعودي، مروج، ج٤، ص٣٥٦؛ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، صححه ووضع حواشيه محمد مصطفى زياده وسعيد عبد الفتاح عاشور، ٤ج، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٢م، ج١، ص١٦، سيشار له تالياً (المقريزي، السلوك)؛ السيوطي، تاريخ، ص٢٩٥؛ السيوطي، الوسائل، ص١٤٧ ـ ١٤٨؛ عبدالجبار الجومرد، هارون الرشيد (دراسة تاريخية اجتماعية سياسية)، ٢ج، المكتبة العمومية، بيروت ١٩٥٦م، ج١، ص٧٨، سيشار له تالياً (الجومرد، هارون).

(٢) المسعودي، مروج، ج٣، ص٤٤٤؛ الجومرد، هارون، ج١، ص٢٧٧.

(٣) السيوطي، تاريخ، ص٣٢٤.

(٤) العلموي، المعيد، ص٥٢.

بالله. . . فقلت له: باي شيء نبدأ، فقال: بالخروج. فقلت: نعم. فعدا من بين يدي، وعثر على المرمر، فقال:

يموت الفتى من عثرة بلسانه   وليس يموت المرء من عثرة الرِّجل

فقلت للمتوكل: جئتم بي لتأديبه وهو آدب مني»[١].

واتخذ بعض الخلفاء العلماء ليمتحنوا أبناءهم ليعرفوا ما اكتسبوه من العلوم ومدى حفظهم لها، فقد روي عن الكسائي أن الرشيد طلب اليه أن يختبر الأميرين ـ الأمين والمأمون ـ قال: «. . . .ثم امرني أن استقرئهما بابواب من النحو، فما سالتهما عن شيء الا واحسنا الجواب، والخروج منه، فقال لي: كيف تراهما، فقلت:

ارى قمري افق وفرعي بشامةٍ   يزينهما عِرق كريم ومُحتد

يسدّان آفاق السماء بهمة   يؤيدها حزم ورأي وسؤدد

سليلي امير المؤمنين وحائزي   مواريث ما ابقى النبي محمد»[٢]

وقال الرشيد لابي معاوية الضرير الكوفي المحدث (ت ١٩٥هـ/ ٨١٠م)، وهشيم بن بشير الواسطي المحدث (ت ١٨٣هـ/ ٧٩٩م) «اني اسمع من ابني هذا [يعني المأمون] كلاماً لست ادري امن تلقين القيم عليه هو، ام من قريحته؟ فادخلا اليه، فناظراه واسمعا منه، واخبراني بما تقعان عليه. فدخلا عليه وهو في اثواب صباه، فقالا له: أن أمير المؤمنين امرنا بالدخول عليك ومناظرتك، فأي العلوم احب اليك؟ قال: امتعها لي. قالا: وما امتعها لك؟ قال: اثبتها عن ثقة، واقربها من افهام مستمعيها. فقال له هشيم: جئناك لنعلمك فتعلمنا، ثم اخبرا الرشيد، فقال: إنّ هذا شيء أوّله لحقيق أن يُرجى آخره، ثم أعتق عنه مائة عبد وأمة،

---

(١) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص٥٦؛ القفطي، إنباه، ج٤، ص٦٢ ـ ٦٣؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج٢، ص١٠٦.

(٢) ابن اعثم، الفتوح، ج ٤، ص٤١٦؛ البيهقي، المحاسن، ص٤١٤؛ المرزباني، نور القبس، ص٢٨٤؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٤، ص١٧٤٠.

والزمهما خدمته»[١].

وركب الأمين والمامون بعد فراغهما من سماعهما على من اجتمع من مشايخ الكوفة، إلى عبدالله بن ادريس الكوفي (ت ١٩٢هـ/ ٨٠٧م)، فاسمعهما مائة حديث، فقال المامون: «يا عم أن اردت اعدتها من حفظي، فاذن له، فأعادها من حفظه كما سمعها»[٢].

يظهر مما سبق أن المواد التي تدرس في الكتاتيب الخاصة لم تكن موحدة لجميع أبناء الخلفاء والامراء والخاصة، وانما كانت تختلف باختلاف ولاة الامور بما يراه كل منهم مناسباً لتعليم ابنه، وحسب الوجهة التي تنتظره في المستقبل، وقد كانت مشاركة اولياء الامور في وضع المنهاج واضحة، وكذلك ارشاد المؤدب إلى الطرق التي يراها مناسبة في تعليمه وتاديبه، وتأكيده على اتباعها في الوقت الذي كان فيه اختبار الأبناء لمعرفة ما اكتسبوه من علوم ومعارف، ومدى حفظهم لها، ومن خلال الوصايا الموجهة من قبل اولياء الامور من الخلفاء والامراء والخاصة للمؤدبين، يمكن استخلاص المواد التي دُرِّسَت في الكتاتيب الخاصة وهي: القرآن، والسنن، والآثار، والفقه، وأيام العرب، والنحو، والشعر، والخط، وانساب العرب، والخطب، والمغازي، فضلاً عن تعليمهم انواع الرياضة، الجسمية والعقلية، كتعليم الرماية، وركوب الخيل، واللعب بالشطرنج،.

ويمكن استخلاص طرق واساليب التعليم التي اكدت ضرورة التسلسل في عرض المادة حسب اهميتها، وعدم اخراج الطالب من علم إلى آخر حتى يتقنه، والتعرف على قدرة الطالب قبل تعليمه، واستخدام الاختبارات للتأكد من استيعاب المتعلم للمادة المعطاة له، كما اكدت على التعزيز المادي والمعنوي للطالب وضرورة استغلال الوقت بالشكل المناسب.

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٥٠.

(٢) النووي، تهذيب، ج٢، ق١، ص٤٨؛ الذهبي، تذكرة، ج١، ص٢٨١؛ المقدسي الحنبلي، الآداب الشرعية، ج٢، ص٤٩؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٢١٧؛ هدارة، المامون، ص٢٩.

٦ـ الجانب السلوكي:

يبدو أن التعليم في الكتاتيب الخاصة، لم يقتصر على الجانب العلمي والثقافي، بل شمل ايضاً الجانب السلوكي، فقد نصح الخلفاء والامراء والخاصة، مؤدبي أبنائهم، أن يهتموا بالجانب السلوكي في تأديب أولادهم، يبدو ذلك من خلال الوصايا التي بعثوا بها إلى مؤدبي أولادهم. فقد ضم أبو جعفر المنصور (١٣٦ ـ ١٥٩هـ/ ٧٥٣ ـ ٧٧٥م)، شرقي بن القطامي، إلى ابنه المهدي واوصاه أن يعلمه مكارم الأخلاق[١]. وتوفي ابراهيم بن يحيى بن خالد البرمكي وسِنُّه تسع عشرة سنة، فاحضر يحيى بن خالد مؤدب ابراهيم وبعضاً من كتاب ابراهيم واصحابه، فقال لهم: «ما حال ابراهيم؟ قالوا: قد بلغ من الأدب كذا، قال: ما عن هذا سالت، انما سالت: هل اتخذتم له في اعناق الرجال مِنناً، وحبّبتموه الى الناس؟ قالوا: لا، قال: فبئس العشراء انتم! وهو إلى هذا احوج مما فعلتم»[٢]. وقال الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي الوزير (ت ١٩٢هـ/ ٨٠٧م)، لهشيم بن بشير الواسطي المحدث: «ليكن اكثر ما تأخذ به ولي العهد، تعظيم الدماء، فاني احب أن يُشرب الله قلبه الهيبة لها والعفاف عن سفكها»[٣]. وارسل الرشيد إلى الأحمر النحوي (ت ١٩٤هـ/ ٨٠٩م)، فلما دخل عليه، قال: «يا أحمر أن أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين. وبصره بمواقع الكلام، ومره بالرزانة في مجلسه والاقتصاد في نظره وسمعه»[٤]. وعندما احضر الرشيد الاصمعي (ت ٢١٦هـ/ ٨٣١م)، لتعليم الأمين، قال

---

(١) المسعودي، مروج، ج٣، ص٣٩٠؛ ابن الانباري، نزهة، ص٣٨؛ الذهبي، ميزان، ج٢، ص٢٦٨؛ احمد أمين، ضحى، ج٢، ص٥٤.

(٢) الجهشياري، الوزراء، ص١٨٠.

(٣) ابن اعثم، الفتوح، ج٤، ص٤٢٠؛ البيهقي، المحاسن، ص٥٧٥.

(٤) ابن اعثم، الفتوح، ج٤، ص٤١٨؛ البيهقي، المحاسن، ص٥٧٥؛ المسعودي، مروج، ج٣، ص٣٤٠ ـ ٣٤١؛ الشريشي؛ شرح، ج٥، ص٢١٥؛ رفاعي، عصر، ج١، ص١٧٤؛ أبو زيد شلبي، تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي، ط٣، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٦٤م، ص٣٣٨، سيشار له تالياً (أبو زيد شلبي، تاريخ).

له: «إعلم، أن ولد الرجل مهجة قلبه، وثمرة فؤاده، وهو ذا أسلم اليك ابني محمداً بامانة الله، فلا تُعلمه ما يفسد عليه دينه، فلعلّه أن يكون للمسلمين إماماً»[1]. ومما يظهر اهتمام الرشيد بمكارم الأخلاق، وضرورة اتصاف أبنائه بها ما طلبه من أبي يوسف القاضي (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م)، أن يصف أخلاق أبي حنيفة، فقال أبو يوسف: «انه كان شديد الذب عن محارم الله.. شديد الورع... دائم الفكر، على علم واسع، لم يكن مهذاراً ولا ثرثاراً.... صائناً لنفسه ودينه، بذولاً للعلم.... لا يميل إلى طمع، بعيد الغيبة، ولا يذكر أحداً إلا بخير، فقال له الرشيد: هذه أخلاق الصالحين، وقد طلب من كاتبه أن يكتب هذه الصفات ويرسلها إلى أولاده لينظروا فيها ويحفظوها»[2]. و «تنازع أبناء المأمون على نعلي الفرّاء أيهما يقدمه، ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فرداً،... وقد قال الفرّاء للمأمون: «يا أمير المؤمنين، لقد أردت منعهما عن ذلك، ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها وأكسر نفوسهما عن شريفة حرصا عليها... فقال له المأمون: لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لوماً وعتباً، وألزمتك ذنباً، وما وضع ما فعلاه من شرفهما، بل رفع من قدرهما وبين عن جوهرهما.... فليس يكبر الرجل وإن كان كبيراً عن ثلاث: عن تواضعه لسلطانه، ولوالده، ولمعلمه العلم»[3]. وأدب أبو عصيدة، احمد ابن عبيد بن ناصح النحوي (ت ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م)، ولد المتوكل المعتز، فلما أراد المتوكل أن يوليه العهد عمل أبو عصيدة على التقليل من منزلته، وتأخير غدائه وأمر الخادم بضربه بغير ذنب، ولما سأله المتوكل: لم فعلت هذا بالمعتز؟ قال: بلغني ما عزم عليه أمير المؤمنين، فحططت منزلته ليعرف هذا المقدار فلا يعجل بزوال نعمة أحد، وأخّرت غداءه ليعرف الجوع إذا شكي إليه، وضربته بغير ذنب ليعرف مقدار الظلم، فلا يعجل على أحد. فقال: أحسنت،

---

(١) التنوخي، الفرج، ج٣، ص١٦٣؛ الدوري، العصر، ص١٤٥.

(٢) الموفق المكي، مناقب، ص١٨١ ـ ١٨٢؛ حسين بن محمد وادران، تاريخ العباسيين، تحقيق المنجي الكعبي، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت ١٩٩٣م، ص٩٩ ـ ١٠٠، سيشار له تالياً (ابن وادران، تاريخ).

(٣) ابن الانباري، نزهة، ص٨٢ ـ ٨٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٧٩؛ القفطي، إنباه، ج٤، ص١٨؛ ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص١٧٩؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

وأمر له بعشرة الاف درهم»[١].

يظهر مما سبق أن مهمة المؤدبين في تعليمهم لأبناء الخاصة، لم تقتصر على الجانب العلمي فقط، بل تعدى بهم إلى تعليمهم التقيد بأوامر الدين الحنيف، والالتزام بمكارم الأخلاق التي حث عليها الاسلام، وكذلك غرس الاداب والعادات الحسنة في نفوسهم المتعلقة بنظافة عقولهم وقلوبهم، ظهر ذلك على شكل وصية أو كتاب بعث بها اولياء الامور إلى مؤدبي أبنائهم، وقد ركزوا على الجانب السلوكي تركيزهم على الجانب العلمي، لأهمية ذلك في حياتهم، وبما ينتظرهم في مستقبلهم.

٧ ـ اوقات التعليم:

ما يميز التعليم في الكتاتيب الخاصة هو أن المؤدب كثيراً ما يُخصص له جناحاً خاصاً في القصر الذي يعيش فيه ليكون اشرافه على ابن الخليفة أو ابن الأمير احكم واشمل[٢]. فقد افرد محمد بن عبدالله بن طاهر (ت ٢٥٣هـ/ ٨٦٧م)، لأحمد ين يحيى أبي العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ/ ٩٠٣م)، داراً في بيته أو منزله[٣]. ومع ذلك ترد إشارات قليلة إلى اوقات الدرس، واوقات الفراغ بالنسبة لتأديب أبناء الخلفاء والامراء والخاصة. فيبدو أن فترة الصباح وفترة آخر النهار، كانت اوقاتاً مناسبة للتعليم. فقد ذكر ذلك الكسائي (ت ١٨٩هـ/ ٨٠٤م)، في تأديبه للأمين والمأمون[٤]. وكان أبو محمد اليزيدي (ت ٢٠٢هـ/ ٨١٧م)، يدخل إلى المامون مع الفجر فيعلمه القرآن[٥]. وقد تمتد الفترة لتشمل ساعات النهار، فقد كان أبو العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ/ ٩٠٣م)، يجلس لتدريس طاهر بن محمد بن عبدالله «أربع ساعات في النهار»[٦].

---

(١) السيوطي، بغية، ج١، ص٣٣٣.

(٢) احمد شلبي، التربية، ص٥٩.

(٣) القفطي، إنباه، ج١، ص١٨٢؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٢، ص٥٤٥؛ احمد شلبي، التربية، ص٥٩؛ متز، الحضارة، ج١، ص٣٤٦ ـ ٣٤٧.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٤، ص١٧٤٠.

(٥) المرزباني، نور القبس، ص٨٠.

(٦) القفطي، إنباه، ج١، ص١٨٢؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٢، ص٥٤٥.

ومما يشير إلى أوقات الراحة واللهو واللعب، ما قاله خلف الأحمر النحوي (ت ١٩٤هـ/ ٣٠٩م)، في تأديبه للأمين : «فكنت كثيراً ما أشدد عليه في التأديب، وأمنعه الساعات التي يتفرغ للهو واللعب»[١].

ويبدو انه لم يكن هناك تهاون في التزام الأمير بوقت الدرس. فقد ضرب أبو محمد اليزيدي (ت٢٠٢هـ/ ٨١٧م)، المأمون بالدِّرَّة لتأخره عن حضور الدرس في وقته[٢].

٨- سن التعليم:

يبدو أن الخلفاء والأمراء والخاصة، حرصوا على تربية أبنائهم تربية سليمة وصحيحة ومستكملة لمبادىء الثقافة. فعندما يُفطم الطفل من الرضاع، ويشتد عظمه، ويستوي لسانه ويتوعى سمعه وفهمه، كانوا يختارون له مربياً يقوم على تربيته وتنشأته، تنشأةً سليمةً تتناسب والمهمات الملقاة على عاتقه في مستقبله[٣]. فيتهيأ بعدها لمرحلة التعليم التي تشمل العلوم والمعارف العقلية والجسمية والنفسية. وربما استعان بعض الخلفاء ببعض الثقات من رجال دولتهم للاشراف على تربية أبنائهم. فقد عهد المهدي إلى يحيى بن خالد البرمكي (ت ١٩٠هـ/ ٨٠٥م)، ابنه الرشيد، ليتعهده ويثقفه ويُعلّمه الأدب، ويُعرفه الامور[٤]. كما جعل الرشيد محمد الأمين في حجر الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي، وزير الرشيد، (ت

---

(١) ابن اعثم، الفتوح، ج٤، ص٤١٨؛ البيهقي، المحاسن، ص٥٧٥.

(٢) البيهقي، المحاسن، ص٥٧٧ ـ ٥٧٨؛ الزبيدي، طبقات، ص٦٣؛ الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٠، ص١٨٤ ـ ١٨٥؛ أبو الفرج، عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، الاذكياء، تحقيق اسامه عبدالكريم الرفاعي، ط٢، دار الحضارة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٦م، ص٢٤٣، سيشار له تالياً (ابن الجوزي، الاذكياء)؛ الشريشي، شرح، ج٥، ص٣٥؛ القفطي، إنباه، ج٤، ص٣٥؛ السيوطي، تاريخ، ص٣١٤.

(٣) محي السرحان، «تاريخ التعليم»، ص١٥١.

(٤) الذهبي، سير، ج٩، ص٨٩؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٢١٢؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج١، ص٣٢٧؛ طلب صبار محل، رسوم دار الخلافة في العصر العباسي الاول ١٣٢ ـ ٢٤٧هـ، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة صلاح الدين، تكريت ١٩٨٩م، ص٧٢، سيشار له تالياً (طلب صبار، رسوم).

١٩٢هـ/ ٨٠٧م)[١]، والمأمون في حجر سعيد الجوهري (ت ١٩٣هـ/ ٨٠٨م)[٢]، وجعل الأمين ولده موسى في حجر علي بن عيسى من ماهان (ت ١٨٧هـ/ ٨٠٢م)[٣].

ولا تتوافر نصوص تبين السن التي كان ينبغي أن يبلغها ابن الخليفة حتى يكلف احد المؤدبين ليقوم بتأديبه سوى اشارتين:

الأولى: «لما تولى أبو جعفر المنصور على الجزيرة ضم أبا سعيد[٤] إلى المهدي، والمهدي يومئذ ابن عشر سنين أو نحوها، فقدم معه إلى بغداد»[٥].

والثانية: عن أشجع[٦] قال: «دخلت على محمد الأمين حين أجلس مجلس الأدب للتعليم، وهو ابن أربع سنين»[٧]. ويبدو أن نشأة الأمين المترفة، بحكم محيطه الذي تربى فيه، جعل والده يعني بتثقيفه في سن مبكرة، وذلك قبل أن يبلغ الخامسة[٨].

ومع حرص الخلفاء على تعليم أبنائهم تعليماً مناسباً يليق بمكانتهم، إلا أننا نجد أن الخليفة المعتصم كان أمياً. وكان سبب ذلك «أنه كان يتردد معه إلى الكُتّاب غلام، فمات الغلام، فقال له أبوه الرشيد: ما فعل غلامكم؟ قال: مات فاستراح من الكُتّاب، فقال

---

(١) ابن اعثم، الفتوح، ج٨، ص٤٢٠؛ البيهقي، المحاسن، ص٥٧٥؛ طلب صبار، رسوم، ص٧٢.

(٢) البيهقي، المحاسن، ص٥٧٧؛ ابن الجوزي، الاذكياء، ص٢٤٣؛ الشريشي، شرح، ج٥، ص٣٤؛ القفطي، إنباه، ج٤، ص٣٥؛ السيوطي، تاريخ، ص٣١٤.

(٣) ابن اعثم، الفتوح، ج٨، ص٤٢٠؛ طلب صبار، رسوم، ص٧٢.

(٤) ابو سعيد محمد بن مسلم بن أبي الوضاح، المؤدب ببغداد، روى عن الكثير، وكان مؤدباً لموسى الهادي، توفي ببغداد عام ١٦٩هـ/ ٧٨٥م. الذهبي، العبر، ج١، ص١٩٨.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٢٣٦.

(٦) ابو الوليد، اشجع بن عمرو السلمي الشاعر، نشأ باليمامة، ثم مات ابوه فقدمت به امه إلى البصرة. الاصفهاني، الاغاني، ج١٨، ص١٤٣.

(٧) المصدر نفسه، ج١٨، ص١٥٦.

(٨) الدوري، العصر، ص١٤٥.

الرشيد: وقد بلغ منك كراهة الكُتّاب إلى أن تجعل الموت راحة منه؟ والله يا بني لا تذهب بعد اليوم إلى الكُتّاب»[١].

٩- التأديب (العقاب والثواب):

يبدو أن الخلفاء والامراء والخاصة لم يمانعوا في معاقبة المؤدبين لأبنائهم على أن يبدأ ذلك بالنصح واللين. فقد ورد في وصية الرشيد لخلف الأحمر النحوي (ت ١٩٤هـ/ ٨٠٩م)، مؤدب ولده «وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباها فعليك بالشدة والغلظة»[٢]. وفي هذا نجد ضرورة التدرج في العقاب.

ويبدو أن هذه التربية كانت تجري وفق منهاج صارم ودقيق ودونما تساهل. يقول الأحمر: « وكنت كثيراً ما أشدد على الأمين في التأديب، وأمنعه الساعات يتفرغ فيها للهو واللعب، فشكا ذلك إلى خالصة[٣]، فأتتني برسالة من أم جعفر[٤] تُعزم عليّ بالكف عنه، وأن أجعل له وقتاً اجمه فيه لتوديع بدنه، فقلت: الأمير قد عظُم قدره وبعد صوته، وموقعه من أمير المؤمنين ومكانه من ولاية العهد لا يحتملون التقصير، ولا يقبل منه الخطل، ولا يرضى منه بالزلل في المنطق والجهل بالشرائع، والعمى عن الامور التي فيها قوام السلطان واحكام السياسة، قالت: صدقت، غير انها والدة لا تملك نفسها»[٥].

---

(١) الجاحظ، البيان، ج١، ص٢٥٢؛ ابن سعد الآبي، نثر الدر، ج٣، ص١٢١؛ الجرجاني، المنتخب، ص١٥١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص٢٧؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص ٣٠٨؛ القرماني، أخبار، ج٢، ص١٠٠؛ وانظر: ابن عبدربه، العقد، ج٢، ص٢٧٥؛ ابن حزم الاندلسي، رسائل، ج٢، ص١٥٠؛ ابن العمراني، الانباء، ص١٠٧؛ الكتبي، فوات، ج٤، ص٤٩؛ ابن دقماق، الجوهر، ج١، ص١٣٩.

(٢) البيهقي، المحاسن، ص٥٧٥؛ المسعودي، مروج، ج٣، ص٤٣١؛ الشريشي، شرح، ج٥، ص٢١٥؛ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن علي بن الازرق، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، ٢ج، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٧م، ج٢، ص٣٧٠، سيشار له تالياً (ابن الازرق، بدائع).

(٣) قد تكون كبيرة وصيفات أو أمينات القصر الزبيدي.

(٤) زبيدة بنت أبي جعفر المنصور وزوجة هارون الرشيد وأم ولده الأمين، توفيت سنة ٢١٦هـ/ ٨٣١م. الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٤، ص٤٣٣.

(٥) ابن اعثم، الفتوح، ج٤، ص٤١٨؛ البيهقي، المحاسن، ص٥٧٥.

وضرب أبو مريم ـ مؤدب الأمين والمأمون ـ الأمين بعود، فخدش ذراعه، ثم جلس الأمين مع الرشيد إلى الطعام، فتعمد أن حصر عن ذراعه، فرآه الرشيد، فسأله فقال: ضربني أبو مريم، فبعث اليه ودعاه. قال: فخفت، فلما حضرت قال: يا غلام وضئه، فسكنت وجلست آكل، فقال: ما بال محمد يشكوك؟ فقلت: قد غلبني خبثاً وعرامة! قال: اقتله فلأن يموت خير من أن يموق»[1].

واستخدم المؤدبون الدِّرَّة في عقاب أبناء الخلفاء والخاصة، فيذكر أن ابا محمد اليزيدي (ت ٢٠٢هـ/ ٨١٧م)، مؤدب المأمون أتى يوماً المكان الذي يقابله فيه، ثم وجه اليه بعض غلمانه ليبلغه بقدومه ليحضر فتأخر في الحضور، فوجه اليه ثانياً فتأخر ايضاً، فلما جاء امر بحمله وضربه سبع دِرر، قال: «فانه ليدلك عينه من اثر البكاء»[2]. وقال أبو محمد اليزيدي: «صليت يوماً قاعداً فاخطأ المأمون، فقمت لأضربه، فقال: أيها الشيخ، أتطيع الله قاعداً وتعصيه قائماً؟!»[3]. وعلّم محمد بن عبدالله بن قادم النحوي (ت ٢٥١هـ/ ٨٦٥م)، المعتز قبل الخلافة «وكان يعسف عليه في تأديبه»[4]. وضرب أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي (ت ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م)، المعتز ـ وقد كان مؤدبه ـ من غير ذنب وأخّر عنه غداءه، وقد شجّعه المتوكل بعد أن عرف العلة التي دفعت إلى ضربه.[5]

واذا سمح الخلفاء للمؤدبين بانزال العقاب بأبنائهم إن احتاجوا للعقاب، فانهم بالمقابل حرصوا على اثابة أبنائهم مستخدمين صنوف التقدير، كالمدح والتشجيع، أو المكافأة مادياً على

---

(١) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص٥٣، والموق: الحمق في غباوة، ابن منظور، لسان، ج١٠، ص٣٥٠.

(٢) الزبيدي، طبقات، ص٦٣؛ الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٠، ص١٨٤ ـ ١٨٥؛ ابن الجوزي، الاذكياء، ص٢٤٣؛ السيوطي، تاريخ، ص٣١٤؛ وانظر: البيهقي، المحاسن، ص٥٧٧ ـ ٥٧٨؛ الشريشي، شرح، ج٥، ص٣٥؛ القفطي، إنباه، ج٤، ص٣٥.

(٣) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١ ص٥٦.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص١٣٤.

(٥) السيوطي، بغية، ج١، ص٣٣٣.

كل ما يبرز منهم من نبوغ في مجالس الدرس أو ما يظهرونه من سلوك حسن. فمن مظاهر تكريم الرشيد لابنه الأمين أن نثر الدنانير والدراهم على الخاصة والعامة ممن حضر حفلاً اقامه الرشيد لقاء خطبة القاها الأمين في يوم الجمعة بعد أن حفّظه إياها الأصمعي[١].

وأعتق الرشيد مائة عبد وأمة وألزمهم خدمة المأمون لتفوقه في مناظرة أبي معاوية الضرير وهشيم بن بشير الواسطي له بأمر من الرشيد[٢]. وامر المأمون بعشرين الف دينار لابنيه عندما اختلفا على تقديم نعلي الفرّاء - مؤدبهما - ثم اتفقا على أن يقدم كل منهما فرداً[٣]. وفي هذا دليل على اهتمام الخلفاء بالجانب السلوكي إلى جانب اهتمامهم بالجانب العلمي والثقافي. وعندما حفظ المعتز، ابن الخليفة المتوكل القرآن الكريم، أقام المتوكل حفلاً كبيراً، وزع فيه آلاف الدراهم والدنانير على من حضر هذا الحفل من القادة والمؤدبين والعلماء والاعيان[٤].

---

(١) التنوخي، الفرج، ج٣، ص١٦٤؛ الابراشي، تاريخ علماء، ص٥٧.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٥٠.

(٣) ابن الانباري، نزهة، ص٨٢ - ٨٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٧٩؛ القفطي، إنباه، ج٤، ص١٨؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٢٧٢ - ٢٧٣.

(٤) القفطي، إنباه، ج٤، ص٦٣ - ٦٤؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٦، ص٢٨٤١؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج٢، ص١٠٦.

الفصل الثالث

حلقات التعليم ومجالسه

أولاً: معنى الحلقة والمجلس:

الحلقة في اللغة، «كل شيء استدار كحلقة الحديد، والفضة، والذهب، وذلك هو في الناس، والجمع حِلاق وحِلَقٌ وحَلَق. وتحلّق القوم: جلسوا حلقة حلقة».[١] وفي الحديث: «لا حمى إلا في ثلاث: البئر، وطول الفرس، وحلقة القوم إذا جلسوا».[٢] وفي قوله ﷺ: «الجالس وسط الحلقة ملعون لأنه إذا جلس في وسطها استدبر بعضهم بظهره فيؤذيهم بذلك فيسبونه ويلعنونه».[٣] وكان رسول الله ﷺ إذا جلس، جلس إليه أصحابه حلقاً حلقاً.[٤] واستعمل الفرزدق (ت ١١٠هـ/ ٧٢٨م)، حلقة في حلقةِ القوم قائلاً:

يا أيها الجالس وسط الحلقة أفي زنا قُطِعْتَ أم في سَرِقَة[٥]

وقال ابن الأعرابي[٦] (ت٢٣١هـ/ ٨٤٥م): «هم كالحلقة المُفرغة لا يُدرى أيها طرفها»، ويضرب مثلاً للقوم إذا كانوا مجتمعين مؤتلفين كلمتهم وأيديهم واحدة.[٧] وقال الأصمعي (ت٢١٦هـ/ ٨٣١م): «حلقة من الناس ومن حديد».[٨] ويرى الماوردي (ت٤٥٠هـ/

---

(١) ابن منظور، لسان، ج١٠، ص٦١.

(٢) يعقوب بن ابراهيم أبو يوسف القاضي، كتاب الخراج، ط٥، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٩٧٦م، ص١١٠، سيشار له تالياً (أبو يوسف القاضي، الخراج)؛ أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م، ص٢٣٨، سيشار له تالياً (الماوردي، الاحكام)؛ ابن منظور، لسان، ج١٠،ص٦٢؛ المقدسي الحنبلي،الآداب الشرعية، ج٣، ص٤٠١.

(٣) أبو داود، سنن ، ج٢، ص٦٧٤؛ الترمذي، سنن، ج٥، ص٨٤.

(٤) نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ١٠ج، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٦م، ج١، ص١٣٧، سيشار له تالياً (الهيثمي، مجمع)؛ عبدالحي الكتاني، التراتيب، ج٢، ص٢١٧.

(٥) ابن منظور، لسان، ج١٠، ص٦٢؛ رناد الخطيب، «المؤسسات»، ص١٤.

(٦) محمد بن زياد، أبو عبدالله بن الاعرابي، من موالي بن هاشم، نحوياً عالماً باللغة والشعر، راوية للاشعار حسن الحفظ لها. السيوطي، بغية، ج١، ص١٠٦.

(٧) ابن منظور، لسان، ج١٠، ص٦٢.

(٨) المصدر نفسه، ج١٠، ص٦١.

١٠٥٨م): «أن حلقة القوم هي استدارتهم في الجلوس للتشاور والحديث».[١]

وهناك روايات تشير إلى استدارة الحلقة. فقد قال يعقوب الأنصاري: «كانت حلقة رسول الله ﷺ لتشتبك حتى تصير كالإسوار».[٢] وإن كانت هذه الرواية تشير إلى اكتمال دائرة الحلقة، فإنّ ذلك لا يعني أن كل الحلقات كانت كاملة الاستدارة، فقد كان بعضها على شكل أنصاف دوائر، فقد كان العالم يتخذ موضعه إلى جوار إحدى سواري المسجد ثم يتحلق من أمامه ومن جوانبه الطلاب على شكل أنصاف دوائر.[٣]

أما المجلس، فهو موضع الجلوس،[٤] قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسّحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم﴾.[٥] والمجلس: جماعة جلوس.[٦] «دخل رسول الله ﷺ المسجد فرأى مجلسين، أحدهما يذكرون الله، والآخر يتعلمون الفقه...».[٧] وأنشد أبو العباس ثعلب (ت٢٩١هـ/ ٩٠٣م):

لهم مجلسٌ صهب السبال أذلةٌ   سواسيةٌ أحرارها وعبيدها.[٨]

---

(١) الماوردي، الاحكام، ص٢٣٨. George Makdisi, the Rise of Colloges, P.17

(٢) ابن عساكر، تهذيب، ج٧، ص٢٤٤.

(٣) بلبع، «المسجد»، ص٢٢٧.

(٤) ابن منظور، لسان، ج٦، ص٣٩.

(٥) سورة المجادلة: آية ٥٨.

(٦) ابن منظور، لسان، ج٦، ص٤٠.

(٧) ابن ماجة، سنن، ج١، ص٨٣؛ السمرقندي، تنبيه، ص٣٣٤؛ عبدالحي الكتاني، التراتيب، ج٢، ص٢١٩؛ عبدالعزيز محمد اللميلم، رسالة المسجد في الاسلام، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩١م، ص١٣٠، سيشار له تالياً (اللميلم، رسالة).

(٨) ابن منظور، لسان، ج٦، ص٤٠.

ويطلق المجلس على مكان جلوس العالم وحلقته في المسجد،[١] فقد سأل أبو عبيدة[٢] (ت٢٠٩هـ/ ٨٢٤م)، عن مجلس الأصمعي في أي يوم هو؟، فركب حماره في ذلك اليوم ومرّ بحلقة الأصمعي، فنزل عن حماره، وسلّم عليه وجلس عنده وحادثه»[٣].

وتنوعت المجالس لتشمل الحديث، والفقه، واللغة، والنحو، والشعر، والمناظرة، والفنون، والقصص.[٤]

وتتعدد حلقات العلم في المسجد الواحد، فقد كان الأسود بن سريع (ت٤٢هـ/ ٦٦٢م)، يقص في مسجد البصرة، وقد اجتمع عليه أهل المسجد، وخلفه من أهل الفقه جلوس في ناحية أخرى، يتحدثون الفقه ويتذاكرون»[٥]. وكان حماد بن سلمة البصري النحوي (ت١٦٩هـ/ ٧٨٥م)، يمر بالحسن البصري (ت١١٠هـ/ ٧٢٨م)، في الجامع فيدعه، ويذهب إلى أصحاب العربية يتعلم منهم[٦]. وجلس محمد بن مناذر النحوي (ت١٨١هـ/ ٧٩٧م)، في المسجد، وجلس إليه قوم يأخذون عنه النحو، فجلس عُتبة النحوي قريباً من حلقته، فتقوض الناس إليه وتركوا أبن مناذر[٧]. وتحدث أبو عمرو، صالح بن إسحق الجرمي

(١) عامر جادالله، التربية، ص٩١.

(٢) أبو عبيده، معمر بن المثنى التيمي بالولاء لتيم قريش، البصري النحوي اللغوي، العالم بالانساب والايام، السيوطي، بغية، ج٢، ص٢٩٤.

(٣) القفطي، إنباه، ج٣، ص٢٧٨؛ ابن خلكان، وفيات، ج٥، ص٢٣٧.

(٤) أورد الزجاجي في كتابه (مجالس العلماء)، ١٥٦ مجلساً في مختلف مواضيع التعليم شملت فترة صدر الاسلام والعصر العباسي الاول.

(٥) السمرقندي، تنبيه، ص٣٣٣.

(٦) الزبيدي، طبقات، ص٥١؛ السيوطي، بغية، ج١، ص٥٤٨.

(٧) الاصفهاني، الاغاني، ج١٨، ص١١٦؛ نور الدين علي بن الوزير أبي عمران، المرقصات المطربات، دار حمدو محيو، القاهرة ١٩٧٣م، ص١٦٩، سيشار له تالياً (ابي عمران، المرقصات).

البصري النحوي (ت٢٢٥هـ/ ٨٣٩م)، قائلاً: «رأيت يونس النحوي[١] وهو بحلقة من حِلاق المسجد»[٢]. وكان أبو عبيدة النحوي اللغوي (ت٢٠٩هـ/ ٨٢٤م)، يجلس في مسجد البصرة إلى سارية، وأبو محمد اليزيدي (ت٢٠٢هـ/ ٨١٧م)، وخلف الأحمر (ت١٩٤هـ/ ٨٠٩م)، يجلسون إلى أخرى[٣]. وعندما قدم الإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، بغداد سنة ١٩٥هـ/ ٨١٠م، كان في مسجدها الجامع ما يقارب الخمسين حلقة[٤]. وألِفَ رجل حلقة الأصمعي (ت٢١٦هـ/ ٨٣١م)، ثم تركها وألِفَ حلقة أبي زيد الأنصاري البصري النحوي (ت٢١٥هـ/ ٨٣٠م)[٥].

وتتعدد العلوم في الحلقة الواحدة، أو المجلس الواحد، فقد كان الناس يجتمعون إلى الحسن البصري (ت ١١٠هـ/ ٧٢٨م)، يأخذون عنه الحديث، والفقه، وعلوم القرآن، وعلوم اللغة والأدب[٦]. وقال عطاء بن أبي رباح (ت١١٧هـ/ ٧٣٥م): «ما رأيت مجلساً أكرم من مجلس ابن عباس... أصحاب القرآن عنده، وأصحاب الفقه عنده، وأصحاب الشعر عنده، يُصدّرهم كلهم في واد واسع»[٧]. وقال الكرابيسي[٨] (ت٢٤٨هـ/ ٨٦٢م): «ما رأيت مجلساً قط أنبل من مجلس الشافعي، كان يحضره أهل الحديث،وأهل الفقه، وأهل

---

(١) أبو عبدالرحمن، يونس بن حبيب النحوي (ت ١٨٣هـ/ ٧٩٩م). وكان من اهل واسط. الزبيدي، طبقات، ص٥١.

(٢) السيرافي، اخبار، ص٨٥.

(٣) أحمد امين، ضحى، ج٢، ص٥٣.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٢، ص٦٨ - ٦٩.

(٥) السيرافي، اخبار، ص٧٨؛ ابن الانباري، نزهة، ص٩٧.

(٦) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٣، ص٧٩١؛ الديوه جي، التربية، ص٦١.

(٧) الديوه جي، التربية، ص٦١.

(٨) أبو علي، الحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي، كان اماماً جليلاً جامعاً بين الفقه والحديث. السكبي، طبقات، ج٢، ص١١٧.

الشعر، وكـان يأتيه كبار أهل اللغـة، والشعر»[١]. وكان أبو حـاتم السجسـتاني (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، يُدرِّس الناس في المسجـد الجامع بالبـصرة القراءات، والتـفسيـر، والعروض[٢]. أما مجلس محمـد بن عامر الأصبـهاني (ت٢٦٧هـ/ ٨٨٠م)، فـقد كانت تجري فـيه فنون العلم، والحديث، والفقه، والنحو، والغريب، والشعر[٣].

---

(١) النووي، تهذيب، ج١ق٢/ص٦٤.

(٢) المرزباني، نور القبس، ص٢٢٥.

(٣) السيوطي، بغية، ج١، ص١٢٤.

ثانياً : أماكن انعقاد حلقات ومجالس العلم وموضوعاتها:

أ- المسجد:

ارتبط تاريخ التعليم بالمسجد، في الدولة الإسلامية ارتباطاً وثيقاً، وذلك أن وظيفته - كما ورد[1] - لم تقتصر على الجانب الديني وحده؛ وإنما امتدت لتشمل مهمة التربية ورسالة التعليم. وقد كان الرسول ﷺ يحث المسلمين على التعلم، والتعليم في المسجد، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «من جاء مسجدنا هذا يتعلم خيراً أو يُعلمه، فهو كالمجاهد في سبيل الله»[2]. وقوله ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[3]. وعن واقد بن الحارث بن عون (رضي الله عنه) قال: «بينما هو جالس في المسجد، والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى الرسول ﷺ، فأما أحدهما، فرأى فُرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر، فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً. فلما فرغ رسول الله ﷺ، قال: ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فاوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه»[4]. لذلك كان المسجد ومنذ أن نشأ مكاناً لانعقاد حلقات ومجالس العلم، وعلى مر

---

(١) انظر الفصل الاول (المسجد).

(٢) ابن ماجة، سنن، ج١، ص٨٢ ـ ٨٣؛ وانظر: محمد بن عبدالله بن محمد الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ٤ج، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٠م، ج١، ص٩١، سيشار له تالياً (الحاكم النيسابوري، المستدرك)؛ الزركشي، اعلام الساجد، ص٣٢٨؛ الهيثمي، مجمع، ج١، ص١٢٨.

(٣) أبو داود، سنن، ج١، ص٤٦٠؛ وانظر: عبدالحي الكتاني، التراتيب، ج٢، ص٢٢١.

(٤) البخاري، صحيح، ج٢، ص٢٥ ـ ٢٦؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم بشرح الامام النووي، ١٨ج، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، د.ت، ج١٤، ص١٥٨ سيشار له تالياً (البخاري، صحيح)؛ وانظر: السمرقندي، تنبيه، ص٣٤٣؛ الغزالي، ايها الولد، ص٥٩.

السنين، وفي مختلف البلاد الإسلامية دون انقطاع[١]، وقد ازداد عددها واتسع نطاقها وتنوعت موضوعاتها. فكان المسجد معهداً لتعليم القرآن وتعلمه، وفهم آياته وأحكامه. فقد دخل الكسائي (ت١٨٩هـ/ ٨٠٤م)، الكوفة، فجاء إلى أحد مساجدها فكان حمزة بن حبيب الزيات (ت١٥٦هـ/ ٧٧٢م)، يُقرىء فيه[٢]. وجلس يونس بن حبيب النحوي (ت١٨٣هـ/ ٧٩٩م)، في حلقة من حلقات المسجد، فسأله أبو عمرو الجرمي النحوي (ت٢٢٥هـ/ ٨٣٩م)، عن آية من القرآن الكريم[٣]. وكان أبو محمد اليزيدي (ت٢٠٢هـ/ ٨١٧م)، يجلس في أيام الرشيد مع الكسائي، في مجلس واحد يقرئان الناس[٤]. وكان الإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، يجلس في حلقته إذا صلى الصبح فيجيئه أهل القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا[٥]. ودرّس الفرّاء (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، تفسير القرآن في مسجد الكوفة[٦]. أما أبو الحسن، رويم بن يزيد المقرىء (ت٢١١هـ/ ٨٢٦م)، فقد كان يقرىء الناس في مسجده الخاص به[٧]. وكان لسهل بن محمد السجستاني (ت٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)، حلقة لتدريس القرآن، وكان أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد البصري النحوي (ت٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)، يحضر

---

(١) أحمد شلبي، التربية، ص١٠٢؛ عبدالله عبدالدايم، التربية، ص١٥٢.

(٢) ابن الانباري، نزهة، ص٦٠؛ القفطي، إنباه، ج٢، ص٢٥٨؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص١٧٤٩؛ أبو الخير محمد بن محمد الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، باعتناء ج برجستراسر ٢ج، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٣٢م، ج١، ص٥٣٩، سيشار له تالياً (ابن الجزري، غاية).

(٣) السيرافي، اخبار، ص٨٥.

(٤) ابن الانباري، نزهة، ص٧٠؛ القفطي، إنباه، ج٤، ص٣٣؛ ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص١٨٤؛ الذهبي، سير، ج٩، ص٥٦٣.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٦، ص٢٤٠٥؛ George Makdisi, the rise of colloges.p.81.

(٦) القفطي، إنباه، ج٤، ص١٣؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٢٧٢؛ كارل بركلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، ط١١، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٨م، ص١٩٣، سيشار له تالياً (بروكلمان، تاريخ الشعوب).

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٢٤٥.

حلقته، ويلازم القراءة عليه.[1]

وكان المسجد أيضاً معهداً لدراسة الأحاديث النبوية، والتفقه فيها، فقد كان للإمام أبي حنيفة (ت١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، حلقة لتعليم الحديث في مسجد بغداد[2]. وكان مسعر بن الكِدام ابن ظهير الكوفي (ت ١٥٢هـ/ ٧٦٩م)، يجلس في المسجد الجامع، فيجتمع إليه من يريد فيحدثهم، وقيل أنه «لم يسمع حديثاً قط إلا في المسجد الجامع».[3] وجاء رجل إلى سفيان الثوري (ت١٦١هـ/ ٧٧٧م)، وهو في مجلسه بعد العصر، وحوله أصحاب الحديث»[4]. وكان الإمام مالك بن أنس (ت١٧٩هـ/ ٧٩٥م)، يأتي إلى المسجد فيجتمع إليه أصحابه[5]. «وكان الغرباء يسألونه الحديث»[6]. وعندما قدم سيبويه النحوي (ت١٨٠هـ/ ٧٩٦م)، البصرة، لزم حلقة حماد بن سلمة، فاستملى عليه الحديث[7]. وكان يحيى بن سعيد القطان (ت١٩٨هـ/ ٨١٣م)، يجلس على موضع مرتفع ويمر به أصحاب الحديث واحداً واحداً يحدث كل إنسان بحديث[8]. وجالس محمد بن مناذر النحوي (ت١٨١هـ/ ٧٩٧م)، سفيان ابن عيينة المحدث (ت١٩٨هـ/ ٨١٣م)، وكان يسأله عن غريب الحديث ومعانيه.[9] ولما دخل الإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، بغداد «ما زال يقعد في حلقة حلقة، ويقول لهم

---

(١) السيوطي، بغية، ج١، ص٦٠٦.

(٢) ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص٣٨٠؛ بروكلمان، تاريخ الشعوب، ص١٨٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص٣٤٥.

(٤) الرامهرمزي، المحدث، ص١٨٤.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٤٦٨؛ ابن النديم، الفهرست، ص٤٢٣.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٤٦٨؛ ابن قتيبة، المعارف، ص٤٩٨؛ ابن النديم، الفهرست، ص٤٢٣؛ ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص١٨٩؛ الذهبي، سير، ج٨، ص٦٤ ـ ٦٥؛ اليافعي، مرآة، ج١، ص٣٨٩.

(٧) ابن الانباري، نزهة، ص٤٢؛ الشريشي، شرح، ج٣، ص٢٠٦.

(٨) الذهبي، سير، ج٩، ص١٨٧.

(٩) ابن قتيبة، الشعر، ص٥٩١.

قـال الله وقال الرسـول»[١]، وكان يجلس في حلقته «فيـأتي أهل الحديث فيسألـونه تفسيره ومعانيه»[٢]. وبلغ عدد طلاب الحـديث في جامع الرصافـة أكثر من مائة ألف شـخص، وكان المحـدث عـاصم بن علي (ت٢٢١هـ/ ٨٣٦م)[٣]. وجلس أبو بكـر بن أبي شـيبـة المحـدث الكوفي (ت٢٣٥هـ/ ٨٣٩م)، في مسجد الرصافة، وقد اجـتمع عليه ما يقارب الثلاثين ألفاً، كما جلس أخوه عـثمان بن أبي شيبـة المحدث الكوفي (ت٢٣٩هـ/ ٨٤٣م)، في مـدينة بغداد ليحدث وقد وضع له منبراً واجتمع عليـه ما يقارب الثلاثين ألفاً من الناس يطلبون الحديث[٤]. وجلس الإمام أحـمـد بن حنبل (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، في المسـجـد مسـتنداً إلى المنارة، وقـد جاءه أصحاب الحديث، فجعل يعلمهم الحديث.[٥]

وكما كان المسجد مكاناً لتعليم القرآن والحديث، كان أيضاً مكاناً لعقد حلقات ومجالس الفقه والفتوى. فقد أخذ أبو عثمـان ربيعة بن أبي عبدالرحمن الفقيه (ت١٣٣هـ/ ٧٥٠م)، - ويقال له ربيـعة الرأي - العلم عن الإمـام مالك بن أنس، وكـانت له حلقة للفـتوى.[٦] وكان للإمام أبي حنيفة (ت١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، حلقة في الفقه في جامع المنصور ببغداد كان يحضرها

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٢، ص٦٨ ـ ٦٩؛ بروكلمان، تاريخ الادب، ج٣، ص٢٩٣.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٦، ص٢٤٠٥. George Makdisi, the rise of Colloges, p.81.

(٣) الخـطيب البـغـدادي، تاريخ، ج١٢، ص٢٤٧ ـ ٢٤٨؛ أبو سـعد عـبدالكريم بـن محـمد السـمعـاني، أدب الامـلاء والاستمـلاء، تحقيق مـاكس فايسـفايلر، ط١، دار الكتب العلميـة، بيروت، ١٩٨١، ص١٧، ٩٦، سيشـار له تاليـاً (السمـعـاني، أدب)؛ ابن الجـوزي، المنتظم، ج١١، ص٦٨ ـ ٦٩؛ الذهـبي، سيـر، ج٩، ص٢٦٣.

(٤) الخطيـب البـغـدادي، تاريخ، ج١٠، ص٦٧؛ ابن الجـوزي، المنتظم، ج١١، ص٢٠٧؛ السـيـوطي، تاريخ، ص٣٤٦؛ محـمـد منير سـعد الدين، العلمـاء عند المسلمين، ط١، دار المناهل للطباعـة والنشر والـتوزيع، بيروت ١٩٩٢، ص١٢٤، سيشار له تالياً (محمد سعد الدين، العلماء).

(٥) أبو نعيم الاصبهاني، حلية، ج٩، ص١٦٤.

(٦) الذهبي، العبر، ج١، ص١٤١؛ اليافعي، مرآة، ج١، ص٣٠٧.

أبو يوسف[1]. وقال عبدالله بن المبارك المحدث (ت١٨١هـ/ ٧٩٧م): «كنت أحضر مجلس أبي حنيفة بالغداة والعشي فابتدءوا في مسئلة من الحيض فخاضوا فيها ثلاثة أيام»[2]. وحضر أبو عبدالله محمد بن الحسين الشيباني (ت١٨٧هـ/ ٨٠٢م)، مجلس أبي حنيفة سنتين ثم تفقه على أبي يوسف.[3] وقال عبدالرحمن بن محمد بن المغيرة: «رأيت أبا حنيفة شيخاً يفتي الناس بمسجد الكوفة[4]. وعندما قدم الإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، بغداد كان في مسجدها الجامع ما يقارب الخمسين حلقة في الفقه[5]، فاتخذ له حلقة سادت على باقي الحلقات[6]. وقد تفقه يونس بن عبدالأعلى أبو موسى الصدفي (ت٢٦٤هـ/ ٨٧٧م)، على الشافعي «وتصدر للإقراء والفقه».[7]

وعقدت في المساجد حلقات ومجالس للقصاص والمذكرين. والقَصُّ: فعل القاصّ إذا قَصَّ. ويقال: في رأسه قِصة، يعني الجملة من الكلام، ويقال: قَصَصْتُ الشيء إذا تتبعت أثره شيئاً بعد شيء[8]. ومنه قوله تعالى: ﴿وقالت لأختِهِ قُصِيه..﴾[9]»، أي اتبعي أثره. والقصة: الخبر وهو القَصَصُ، وقصّ عليَّ خبره، يقصُّه قَصّاً وقَصَصاً. والقصص: الخبر

---

(١) ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص٣٨٠؛ بروكلمان، تاريخ الشعوب، ص١٨٠.

(٢) الموفق المكلي، مناقب، ص٣٠٩ ـ ٣١٠.

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٧٠م، ص١٣٥، سيشار له تالياً (الشيرازي، طبقات).

(٤) الذهبي، سير، ج٦، ص٣٩٩.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٢، ص٦٨ ـ ٦٩.

(٦) George Makdisi, the rise of Colloges, p.81.

(٧) الذهبي، العبر، ج١، ص٣٧٩.

(٨) ابن منظور، لسان، ج٧، ص٧٣ ـ ٧٤.

(٩) سورة القصص: اية ١١.

المقصوص[١]. والقص في الاستعمال: يعني مخاطبة الناس ووعظهم بالاعتماد على القِصَّة[٢]، والقاص هو الذي يتبع القصة الماضية بالحكاية عنها بالشرح لها[٣]، والمقصد من القص - في الأصل - مقصد ديني طيب إذْ في إيراد القصّة موعظة وعبرة[٤]. وفي القرآن الكريم آيات تدل على هذا المعنى. قال تعالى: ﴿نحن نقُصُّ عليك أحسن القصص..﴾[٥]. وقال تعالى: ﴿لقد كان في قَصَصِهم عِبرةٌ لأولي الألباب...﴾[٦] وقال تعالى: ﴿فاقصص القَصَصَ لعلّهم يتفكرون﴾[٧]. فالقاصّ يذكر الناس ما نسوا من أمر الآخرة ويوعظهم ويقدّم لهم الإرشادات والنصائح من سيرة الرسول ﷺ، وأيام العرب، ويعرفهم بنعم الله -عزّ وجلّ - عليهم، ويحثهم على شكره، ويحذرهم من مخالفته، ويخوفهم بما يرق له القلب[٨]. وإذا خرج هدف القاصّ عن الوعظ والتذكير، فإن القصص يصبح مذموماً[٩]. لذلك قال عبدالله بن مسعود: «إذا سمعتم السائل يحدث بأحاديث الجاهلية يوم الجمعة فاضربوه بالحصى»[١٠]. وقال أحمد ابن حنبل: «ما أحوج الناس إلى قاصٍّ صدوق»[١١]، وقال: «يعجبني القصاص اليوم، لأنهم

---

(١) ابن منظور، لسان، ج٧، ص٧٤.

(٢) أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، كتاب القصاص والمذكرين، تحقيق محمد بن لطفي الصباغ، ط١، المكتب الاسلامي، بيروت ١٩٨٣م، ص٣١٨، سيشار له تالياً (ابن الجوزي، القصاص).

(٣) المصدر نفسه، ص١٥٧.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٩ (مقدمة المحقق).

(٥) سورة يوسف: اية ٣.

(٦) سورة يوسف: اية، ١١١.

(٧) سورة الاعراف: آية ١٧٦.

(٨) ابن الجوزي، القصاص، ص١٧٢.

(٩) المصدر نفسه، ص١٥٩.

(١٠) المصدر نفسه، ص٨٤؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص٨٥.

(١١) ابن الجوزي، القصاص، ص١٧٢؛ أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، تلبيس ابليس، تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٥م، ص١٥٠، سيشار له تالياً (ابن الجوزي، تلبيس)؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص٨٢.

يذكرون عذاب القبر ويخوفون الناس»[١].

وقد يتجاوز بعض القصاص حدود الوعظ والتذكير، فتدخل البدع إلى مجالسهم «فمن القصاص من يخلط في مجلسه الرجال والنساء، وترى النساء يكثرن الصياح وجداً على زعمهن فلا ينكر ذلك عليهن جمعاً للقلوب عليه»[٢]. وقد قال الحسن البصري في ذلك: «إن رفع الأصوات بالدعاء لبدعة، وإنّ مدّ الأيدي بالدعاء لبدعة وإنّ اجتماع الرجال والنساء لبدعة»[٣]. ويبدو أن لهذا النوع من القصاص أثر في جعل الإمام مالك بن أنس يقول - وقد سُئِل عن الجلوس إلى القصاص -: «ما أرى أن نجلس إليهم وإن القصص لبدعة»[٤]. وقيل لسفيان الثوري: «نستقبل القاصّ بوجوهنا؟ فقال: «ولّوا البدع ظهوركم»[٥]. وقد كان الحسن البصري (ت١١٠هـ/ ٧٢٨م)، من القصاص المشهورين، وكانت مواضيع قصصه تدور حول «الآخرة والتفكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها، ويذكر بآلاء الله ونعمائه، وتقصير العبد في شكره، ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرفها ونكث عهدها وخطر الآخرة وأهوالها»[٦]. وكان يجلس مجالس القصاص بكل إجلال، وقد قيل له في ذلك، فقال: «إجلالاً لذكر الله عزّ وجلّ»[٧]. وشوهد الإمام جعفر الصادق (ت١٤٨هـ/ ٧٦٥م)، في مسجد الكوفة بين حلقة

---

(١) ابن الجوزي، القصاص، ص١٧٢؛ ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص١٤٦؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص٨٢.

(٢) ابن الجوزي، تلبيس، ص١٥٣.

(٣) ابن الجوزي، القصاص، ص٣٠١.

(٤) جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحذير الخواص من اكاذيب القصاص، تحقيق محمد الصباغ، المكتب الاسلامي، بيروت ١٩٧٢م، ص٢١١، سيشار له تالياً (السيوطي، تحذير).

(٥) ابن الجوزي، القصاص، ص٩٠ (مقدمة المحقق)؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص٨٣.

(٦) ابن الجوزي، القصاص، ص١٧٢.

(٧) المصدر نفسه، ص٨٥ (مقدمة المحقق).

من الشيعة يعظهم[١]. وجلس سفيان الثوري (ت١٦١هـ/ ٧٧٧م)، في مجلس صالح بن بشر المريّ العابد الزاهد (ت١٧٦هـ/ ٧٩٢م)، وقال: «ليس هذا بقاص، هذا نذير قوم!»[٢]. وقال عفان بن مسلم: «كنا نأتي صالح المريّ نحضره وهو يقص، وكان إذا أخذ في قصصه كأنه رجل مذعور يفزعك أمره من حزنه وكثرة بكائه كأنه ثكلى، وكان شديد الخوف من الله كثير البكاء»[٣]. وكان صالح بن عبدالقدوس[٤] يجلس للوعظ في مسجد البصرة.[٥] ومر بشار بن برد الشاعر (ت١٦٨هـ/ ٧٨٤م)، بقاص يقص في المسجد، فسمعه يقول في قصصه: «ومن صام رجباً وشعبان ورمضان بنى الله له قصراً في الجنّة، صحنه ألف فرسخ في مثلها، فالتفت بشار إلى قائده، فقال له: بئس الدار هذه! الدار في كانون الثاني»[٦]. وقال الحسين بن علي الكرابيسي الفقيه المتكلم (ت٢٤٨هـ/ ٨٦٢م): «كان ها هنا ببغداد قاصّ، يقال له أبو مرحوم الحجاج. كان يكون في مسجد ويجتمع الناس إليه»[٧]. وقدم يحيى بن معاذ (ت٢٥٨هـ/ ٨٧١م)، إلى بغداد، فاجتمع إليه النّساك ونصبوا له منصة، وأقعدوه عليها وقعدوا بين يديه.[٨]

---

(١) عبدالله فياض، تاريخ التربية عند الامامية واسلافهم من الشيعة، مطبعة اسعد، بغداد ١٩٧٢م، ص٦٥، سيشار له تالياً (عبدالله فياض، تاريخ التربية).

(٢) ابن الجوزي، القصاص، ص٢٦٩؛ ابن الجوزي، الصفوة، ج٣، ص٢٣٧؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٧٦.

(٣) ابن الجوزي، الصفوة، ج٣، ص٢٣٧.

(٤) صالح بن عبدالقدوس البصري، حكيماً اديباً شاعراً مجيداً، اتهم بالزندقة فقتله المهدي بيده. انظر: ابن عساكر، تهذيب، ج٦، ص٣٧٥.

(٥) المصدر نفسه، ج٦، ص٣٧٥؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص١٤٤٥.

(٦) أبو القاسم عبدالرحمن بن القاسم، الزجاجي، الامالي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ص١٣٤، سيشار له تالياً (الزجاجي، الأمالي).

(٧) ابن الجوزي، القصاص، ص٣٢١.

(٨) المصدر نفسه، ص٢٧١.

وينبغي للقاص أو المتصدي للتعليم والإرشاد في المسجد، أن يكون حكماً فلا يطيل القصص كي لا يملّ النّاس وينفروا من العلم[١]. قال أحمد بن حنبل: «لا أحب للقاص أن يمل الناس فلا يطيل الموعظة إذا وعظ»[٢]. وسئل عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي إمام أهل الشام (ت١٥٧هـ/ ٧٧٣م)، عن القوم يجتمعون فيأمرون رجلاً، يقص عليهم، فقال: «إذا كان ذلك يوماً بعد الأيام فليس به بأس»[٣].

وكانت الدراسات اللغوية والأدبية تجد طريقها إلى المسجد. فكان حماد بن سلمة النحوي (ت١٦٩هـ/ ٧٨٥م)، يمر بالحسن البصري في الجامع فيدعه، ويذهب إلى أصحاب العربية يتعلم منهم[٤] وقد كان لحماد بن سلمة، حلقة نحو، تعلم فيها يونس بن حبيب النحوي (ت١٨٣هـ/ ٧٩٩م)[٥]، وقد سُئل يونس: «أيهما أسن أنت أو حماد؟ قال: هو أسن مني ومنه تعلمت العربية»[٦]. وقال أبو زيد الأنصاري النحوي (ت٢١٥هـ/ ٨٣٠م): «كنا نجلس مع سيبويه النحوي في المسجد، وكان شاباً جميلاً نظيفاً قد تعلق من كل علم بسبب وضرب في كل أدب بسهم مع حداثة سنه وبراعته في النحو»[٧]. وكان ليونس ابن حبيب النحوي حلقة نحوٍ في مسجد البصرة،[٨] وقد قال الأصمعي (ت٢١٦هـ/ ٨٣١م): «أول من نعى أبا

---

(١) الجاحظ، البيان، ج١، ص٣٦٩؛ ابن الجوزي، القصاص، ص٣٦٩.

(٢) ابن الجوزي، القصاص، ص٣٦٩.

(٣) المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص٨٤.

(٤) الزبيدي، طبقات، ص٥١؛ السيوطي، بغية، ج١، ص٥٤٨.

(٥) الزبيدي، طبقات، ص٥١؛ ابن الانباري، نزهة، ص٤٢؛ القفطي، إنباه، ج١، ص٣٦٥.

(٦) ابن الانباري، نزهة، ص٤٢.

(٧) الزبيدي، طبقات، ص٦٧؛ الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٢، ص١٩٧؛ ابن الانباري، نزهة، ص٥٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٥٤؛ القفطي، إنباه، ج٢، ص٣٥٢؛ الذهبي، سير، ج٨، ص٣٥٢.

(٨) الاصفهاني، الاغاني، ج٣، ص٦٧؛ ابن الانباري، نزهة، ص٤٧؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٦، ص٢٨٥١؛ القفطي، إنباه، ج٤، ص٧٦.

جعفر المنصور، خلف الأحمر، وذلك أنا كنا في حلقة يونس، فمر بنا فسلم علينا»[١]. وكان يحضر حلقته الأدباء وفصحاء العرب وأهل البادية[٢]، كما جلس إليه الكسائي[٣]. واشتهر الكسائي (ت١٨٩هـ/ ٨٠٤م)، بالنحو، فكانت له حلقة، كان يحضرها الفرّاء وخلف الأحمر وإبراهيم بن سعدان[٤]. وقال الأخفش الأوسط (٢١٥هـ/ ٨٣٠م): «وردتُ بغداد فرأيت مسجد الكسائي، فصليت خلفه الغداة، فلما انفتل من صلاته... سلمت عليه وسألته عن مائة مسألة»[٥]. وكان الشافعي (ت٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، يجلس في حلقته، فيأتيه طلاب العلم ومنهم طلاب العربية والنحو.[٦] وكان الفرّاء النحوي (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، يجلس للناس في مسجده، إلى جانب منزله ويملي عليهم النحو.[٧] وكان لأبي زيد الأنصاري (ت٢١٥هـ/ ٨٣٠م)، حلقة في البصرة[٨] تعلم فيها كل من سيبويه (ت١٨٠هـ/ ٧٩٦م)[٩]، وخلف الأحمر النحوي (ت١٩٤هـ/ ٨٠٩م)[١٠]، ومؤرج بن عمرو السدوسي النحوي (ت١٩٥هـ/ ٨١٠م)[١١]. وكان مؤرج السدوسي، يقول: «قدمت من البادية ولا معرفة لي

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص١١٥.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص٩٠؛ ابن الانباري، نزهة، ص٤٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٩١؛ ابن خلكان، وفيات، ج٧، ص٢٤٤؛ الذهبي، سير، ج٨، ص١٩٢؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٢١١.

(٣) الزجاجي، مجالس، ص٢١، ٢٤٤.

(٤) القفطي، إنباه، ج٢، ص٣٥٦.

(٥) السيوطي، بغية، ج١، ص٥٩١؛ أحمد امين، ضحى، ج٢، ص٥٣.

(٦) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٦، ص٢٤٠٥؛ George Makdisi the rise of colloges, p. 81.

(٧) القفطي، إنباه، ج٢، ص٥٦.

(٨) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٥٠.

(٩) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٢، ص١٩٦؛ القفطي، إنباه، ج٢، ص٣٥١.

(١٠) ابن الانباري، نزهة، ص٩٧.

(١١) القفطي، إنباه، ج٣، ص٣٢٨؛ ابن خلكان، وفيات، ج٥، ص٣٠٤.

بالقياس في العربية، وإنما كانت معرفتي قريحتي، وأول ما تعلمت القياس في حلقة أبي زيد الأنصاري[(١)]. وقال الأصمعي: «رأيت خلف [الأحمر] في حلقة أبي زيد»[(٢)]. ويروى أن إعرابياً وقف على حلقة أبي زيد الأنصاري، فقال أبو زيد: «سل يا إعرابي»[(٣)]. واتخذ الأصمعي (ت٢١٦هـ/ ٨٣١م)، حلقة واجتمعت إليه جماعة تطلب النحو.[(٤)] وكان يحضر حلقة ابن الأعرابي (ت٢٣١هـ/ ٨٤٥م)، زهاء مائة شخص»[(٥)]. وكان لأبي حاتم السجستاني المقرىء (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، حلقة للنحو. وقال أبو العباس المبرّد النحوي (ت٢٨٥هـ/ ٨٩٨م): «أتيت السجستاني وأنا حدث، فرأيت منه بعض ما ينبغي أن تهجر حلقته له فتركته مدة ثم صرت إليه»[(٦)]. وقال أبو العباس ثعلب (ت٢٩١هـ/ ٩٠٣م): «ما فقدت إبراهيم الحربي في مجلس لغة ونحو من خمسين سنة»[(٧)]. ويذكر محمد بن أحمد بن كيسان النحوي (ت٢٩٩هـ/ ٩١١م)، أن القاضي إسماعيل[(٨)] كان مفتناً بما يأتي به من مقايسة في العربية وكان له معه مجلس... في جامع المنصور»[(٩)].

---

(١) القفطي، إنباه، ج٣، ص٣٢٨؛ ابن خلكان، وفيات، ج٥، ص٣٠٤؛ السيوطي، بغية، ج٢، ص٣٠٥.

(٢) ابن الانباري، نزهة، ص٩٧.

(٣) المصدر نفسه، ص١٠٤.

(٤) السيرافي، اخبار، ص٥٢، ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص١٦٢٢.

(٥) القفطي، إنباه، ج٣، ص١٣٠؛ السيوطي، بغية، ج١، ص١٠٥؛ شوقي ضيف، العصر العباسي، ص١٠١.

(٦) ابن الانباري، نزهة، ص١٤٦؛ القفطي، إنباه، ج٢، ص٥٩.

(٧) الذهبي، تذكرة، ج٢، ص٥٨٥.

(٨) أبو اسحاق، اسماعيل بن اسحاق بن اسماعيل الازدي الفقيه القاضي البصري، توفي سنة ٢٨٢هـ/ ١٨٩٥م. شمس الدين أبي المعالي محمد بن عبدالرحمن بن الغزي، ديوان الاسلام، تحقيق سيد كسروي حسن، ٤ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م، ج١، ص٣٩، سيشار له تالياً (ابن الغزي، ديوان).

(٩) القفطي، إنباه، ج٣، ص٥٩.

وهناك مجالس لإنشاد الشعر وتذاكره ونقده، فقد كان الكميت بن زيد (ت١٢٦هـ/ ٧٤٣م)، وحماد الراوية (ت١٥٥هـ/ ٧٧١م)، يلتقيان في مسجد الكوفة يتذاكران أشعار العرب وأيامها[١]. وكان الشعراء يجتمعون في كل يوم جمعة في القبة المعروفة بهم بجامع بغداد، ينشدون الشعر، ويعرض كل منهم على أصحابه ما يكون قد نظمه بعد مفارقتهم في الجمعة التي قبلها[٢]. وروي أنّ إعرابي دخل مسجد البصرة فطاف على حلقات العلم في المسجد حتى صار إلى حلقة الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ/ ٧٨٦م)، فسمعهم يتذاكرون الأشعار، فجلس وهو يستطيب كلامهم، ثم أخذوا في العروض، فلما سمع الفاعل والمفعول ظن أنهم يأتمرون به، فخرج مسرعاً وهو يقول:

قد كان أخذهم في الشعر يعجبني ... حتى تعاطوا كلام الزنج والروم

لما سمعت كلاماً لست أعرفه ... كأنه زجل الغربان والبوم[٣]

واجتمع محمد بن عبدالله الملقب بأبي الشيص (ت١٩٦هـ/ ٨١١م)، وابن عمه، دعبل ابن علي الخزاعي (ت٢٤٦هـ/ ٨٦٠م)، وبعض الشعراء في جامع بغداد «والناس مجتمعون، يسمعون إنشاد بعضهم بعضاً... فلما فرغوا من إنشادهم التفت شاب في أخريات الناس جالساً في زي الأعراب، وقال: سمعت إنشادكم... فاسمعوا إنشادي»[٤]. وكان أبو نُواس (ت١٩٨هـ/ ٨١٣م)، ينشد الشعر في المسجد الجامع بالبصرة[٥]. كما

---

(١) الاصفهاني، الاغاني، ج١٦، ص٣٢٩.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص١٣١؛ جمال الدين ابن نباته، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٨٦م، ص٣٢٥، سيشار له تالياً (ابن نباته، سرح)؛ منير الدين أحمد، تاريخ التعليم، ص٦٠، ٧٠.

(٣) ابن المعتز، طبقات، ص٢٥؛ المرزباني، نور القبس، ص٥٨؛ اللميلم، رسالة، ص١٨٧.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص١٣١؛ ابن نباته، سرح، ص٣٢٥.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٣، ص١٤٠٧.

كان مسلم بن الوليد (ت٢٠٨هـ/ ٨٢٣م)، يجلس في مسجد البصرة ليملي من شعره[١]، وفي إحدى الجلسات كان يملى إحدى قصائده، فأقبل أبو نُواس، وجلس طالباً من أبي مسلم، أن يبتدىء القصيدة من أولها[٢]. وكان أبو العتاهية (ت٢١١هـ/ ٨٢٦م)، يجلس وحوله الناس في المسجد ببغداد[٣]. وكثيراً ما كان الشعراء يجلسون بالليل في مسجد الرصافة ينشدون ويتحدثون[٤].

وهناك مجالس للمناظرة كانت تعقد في المساجد. فقد تناظر الكميت بن زيد الشاعر (ت١٢٦هـ/ ٧٤٣م)، وأبو القاسم حماد الراوية (ت١٥٥هـ/ ٧٧١م)، في مسجد الكوفة[٥]. وروي أنه لما دخل الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ/ ٧٨٦م)، البصرة لمناظرة أبي عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ/ ٧٧٠م)، جلس إليه ولم يتكلم بشيء، فسئل عن ذلك، فقال: «هو رئيس منذ خمسين سنة فخفت أن ينقطع فيفتضح في البلد»[٦]. وناظر الأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ/ ٨٣٠م)، سيبويه (ت١٨٠هـ/ ٧٩٦م)، بعد أن برع في النحو، وقال له: «انما ناظرتك لاستفيد منك»[٧]. وجرت بين الكسائي (ت١٨٩هـ/ ٨٠٤م)، ويونس ابن حبيب (ت١٨٢هـ/ ٧٩٨م)، مناظرات في النحو، أقر له فيها يونس بالفضل، وأجلسه في موضعه[٨]. وناظر الفرّاء النحوي (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، الكسائي، وقال: «فناظرته مناظرة

---

(١) أبو عبدالله محمد بن عمران بن موسى المرزباني، الموشح، تحقيق علي محمد البيجاوي، دار النهضة مصر، القاهرة ١٩٦٥، ص٤٤٥، سيشار له تالياً (المرزباني، الموشح)؛ أحمد امين، ضحى، ج٢، ص٥٣.

(٢) المرزباني، الموشح، ص٤٤٥.

(٣) الاصفهاني، الاغاني، ج٤، ص٤٧ ـ ٤٨؛ أحمد امين، ضحى، ج٢، ص٥٣.

(٤) الاصفهاني، الاغاني، ج٣، ص١٧٣.

(٥) المصدر نفسه، ج١٦، ص٣٢٩.

(٦) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج١، ص٢٧٧.

(٧) السيرافي، اخبار، ص٦٥؛ ابن الانباري، نزهة، ص٥٧.

(٨) ابن الانباري، نزهة، ص٥٩؛ القفطي، إنباه، ج٢، ص٢٥٨؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٢٠٩.

الأكفـا، فكأني كنت طائراً يغرف بمنقاره من البـحر»[١]. وكـان للكسائي مناظرات عـديدة مع اليزيدي وسيبـويه في النحو والعربية[٢]. وناظر الأخفش الأوسط الكـسائي في المسجـد وساله عن مائة مـسألة[٣]. وناظر الشـافـعي، بشـر بن غـيـاث المريسي الفـقـيـه المتكلم (ت٢١٨هـ/ ٨٣٣م)، ببغداد[٤]. وكـان لإسـحـاق بن راهويه الحـافظ (ت٢٣٨هـ/ ٨٥٢م)، مناظرات مع الشافعي[٥]. وجـرت بين الشـافعي وأحـمـد بن حنبل (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، مناظرة في تارك الصلاة[٦]. وقدم صالح بن إسـحاق الجـرمي النحوي (ت٢٢٥هـ/ ٨٣٩م)، إلـى بغداد وناظر بها الفرّاء[٧]. «وكـان يلقب بالـكلب النبّاح لأنه كـان يذهب إلى أبي زيـد الأنصـاري فـيناظره ويصايحه، كما لقّب بالمهارش لأنه كان لا يُرى إلا ناظراً أو مناظراً»[٨]. وكان أبو بكر محمد ابن داود (ت٢٩٧هـ/ ٩٠٩م)، فقـيهاً أديباً شاعـراً، وكان يناظر أبا العباس بـن شريح، وقد خلف أباه في حلقته[٩].

وترد إشـارات إلى أن دروساً في علم الكلام، كـانت تُلقى في المساجـد، فكان المعتـزلة يعلمون الـكلام في مسجـد المنصور ببـغداد،[١٠] وقـد اعـتـزل واصـل بن عطاء (ت١٣١هـ/

(١) الزجّاجي، مجالس، ص٢٧٠؛ السيوطي، بغية، ج٢، ص١٦٣.

(٢) ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٢٩٦.

(٣) القفطي، إنباه، ج٢، ص٣٧.

(٤) أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٢٦؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٢٩٤.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٦، ص٢٣٩٩؛ ابن الاثير، الكامل، ج٦، ص١١٨؛ ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٢٠٠؛ السبكي،طبقات، ج٢، ص٩١؛ العلموي، المعيد، ص١٢٣، ١٢٥.

(٦) السبكي، طبقات، ج٢، ص٦١.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص١٠٠؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٣٠٦.

(٨) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص١٤٤٣.

(٩) الشيرازي، طبقات، ص١٧٥.

(١٠) أحمد امين، ضحى، ج٢، ص٥٣.

٧٤٨م) حلقة الحسن البصري، فكان يجلس لأتباعه في مسجد البصرة ليدرس لهم مبادىء علم الكلام[١]. وانتقل أبو المعتمد معمر السلمي رئيس أصحاب المعاني (ت٢١٥هـ/ ٨٣٠م)، من البصرة إلى بغداد، وقد اختارها مقاماً له، وعقد لنفسه بمسجدها الكبير حلقة للمحاضرة[٢]. وجلس إسحق بن إبراهيم الموصلي المغني (ت٢٣٥هـ/ ٨٤٩م)، إلى أهل الكلام مناظراً حتى انتصف منهم.[٣]

يتبين مما سبق أن المساجد في العصر العباسي الأول لم تكن مجرد أماكن تؤدى فيها الصلوات فحسب، بل كانت منبراً للعلوم والمعارف، فكان المسجد مفتوحة حلقاته للجميع يلتقي فيها العلماء والفقهاء للمناقشات وتدارس العلوم. ولم تكن هذه الحلقات مقصورة على الدراسات الدينية، وانما تعدتها إلى سواها من معارف ذلك العصر كالعلوم اللغوية والأدبية وعلم الكلام... وعقد المناظرات العلمية والأدبية.

٢- قصور الخلفاء والأمراء:

يبدو أن تاريخ التربية الإسلامية عرف الكثير من المجالس العلمية والأدبية، التي كانت تعقد في قصور الخلفاء والأمراء. فقد فتح الخلفاء والأمراء قصورهم للعلم والعلماء، وكان التنافس بينهم في رعايتهم والانفاق عليهم بسخاء[٤]. فكانت مجالسهم حافلة بالأدباء والمفكرين والشعراء وأصحاب العقائد والمذاهب المختلفة[٥]. مما جعل مجالسهم منتديات أدبية

---

(١) ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص٨؛ أحمد امين، ضحى، ج٢، ص٥٢؛ أحمد شلبي، التربية، ص١١١.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص٣٤٢.

(٣) ابن الانباري، نزهة، ص١٣٣.

(٤) صالح أبو دياك، دراسات في التاريخ الاسلامي، ط١، د.د، عمان ١٩٨٥م، ص١٧٨، سيشار له تالياً (ابو دياك، دراسات).

(٥) فاروق عمر فوزي، الخليفة المجاهد هارون الرشيد ١٧٠هـ-١٩٣هـ/ ٨٧٦-٨٠٩م، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩م، ص٢٧، سيشار له تالياً (فاروق عمر، الخليفة المجاهد).

وعلمية، تشع منها الثقافة والمعرفة، ويكتسب الحاضرون معرفةً وعلماً.[١]

ويبدو أن الخلفاء والأمراء حرصوا على تأثيث مجالسهم أثاثاً رائعاً، وتوفير كل أسباب الراحة فيها، فقد «زخرف الرشيد مجالسه وبالغ فيها وفي بنائها، وصنع فيها طعاماً كثيراً»[٢]. وإذا حضر الفقهاء، أدخلهم المأمون حجرة مفروشة، وقد نصبت لهم الموائد المحملة باطاييب الأطعمة والأشربة[٣]. وقد قال المأمون: «إذا أصلح الملك مجلسه، واختار من يجالسه صلح ملكه كله»[٤].

وكان لمجالس الخلفاء والأمراء آداب خاصة، وتقاليد معينة، يجب أن يراعيها أولئك الذين يسمح لهم بحضورها. قال أبو يزيد البسطامي (ت٢٦١هـ/ ٨٧٤م): «قعدت ليلة في محرابي، فمددت رجلي، فهتف بي هاتف: من يجالس الملوك ينبغي أن يجالسهم بحسن الأدب»[٥]. فعلى الداخل في حضرة الخليفة أو الأمير، أن يكون نظيف الملبس، ووقور الهيئة[٦]، قال رجل شامي اختاره المأمون لمنادمته: «إن الجليس إن كانت ثيابه دون ثياب جليسه دخله لذلك غضاضة» فامر المأمون أن يخلع عليه[٧]. وعليه أيضاً أن يجلس في المكان

---

(١) عبدالله العمري، تاريخ العلم، ص٢٢.

(٢) ابن طباطبا، الفخري، ص١٩٣ ـ ١٩٤؛ محمد بن مكرم بن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر تحقيق رياض عبدالحميد مراد وآخرون، ٢٩ ج، دار الفكر، دمشق ١٩٨٤م، ج٢٧، ص٢١، سيشار له تالياً (ابن منظور، مختصر)؛ محمد رضا الحكيمي، تاريخ العلماء عبر العصور المختلفة، ط١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٨٣م، ص٦٤، سيشار له تالياً (الحكيمي، تاريخ).

(٣) المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٢؛ ابن وادران، تاريخ، ص٤٨٥؛ ميخائيل عواد، صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٦م، ص٥٢، سيشار له تالياً (ميخائيل عواد، صورة مشرقة).

(٤) ابن سعد الأبي، نثر الدر، ج٣، ص١١٥.

(٥) أبو عبدالرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى السلمي، طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شربية، دار الكتاب النفيس، حلب ١٩٨٦م، ص٦٩، سيشار له تالياً (السلمي، طبقات).

(٦) الصابيء، رسوم، ص٣٢.

(٧) أبو الفضل أحمد بن طاهر بن طيفور، بغداد، تحقيق محمد زاهر بن الحسن الكوثري، نشره عزت العطار، مكتب نشر الثقافة، القاهرة ١٩٤٩م، ص١٥٠، سيشار له تالياً (ابن طيفور، بغداد).

المناسب لـه، لا يضـحك ولا يبـصق ولا يمخط[١]، وأن يقلل الالتـفات إلى جـانبيـه ووراثه، والتحريك بيـده أو شيء من أعضائه[٢]، ولا يقبل على غيـر الملك بملاحظته[٣]. قال نجـاح بن سلمان للـمتوكل لما دعـاه إلى منادمته: «فـيّ خصال لا تصلح مـعها منادمـة الخلفاء، قـال وما هي؟ قال: سلس البـول، وأبتسم إذا حدثت»[٤]. وحضر أبو بكر الهذلي البـصري الاخباري (ت١٦٧هـ/ ٧٨٣م)، ذات يوم مـجلس أبـي العـبـاس السـفـاح (ت١٣٢-١٣٦هـ/ ٧٤٩-٧٥٣م)، وقد كان السفـاح يتحدث بعض أحاديث الفرس «فعـصفت الريح فأذرت تراباً وقطعـاً من الآجـر من أعلى السـطح إلى المجلس، فـجـزع من حـضـر المجلس لوقـوع ذلك، وارتاع له، والهذلي شـاخص نحو أبي العبـاس لم يتغيـر. . . فقال له أبو العـباس: لله أنت يا أبا بكر، لم أر كـاليـوم، أمـا راعك مـا راعنا ولا أحـسـست بما ورد علينا؟ فـقـال: يا أمـير المؤمنين: ﴿ما جعل الله لرجـل من قلبين في جوفه﴾[٥]، وإنما جعل للرجل قلبـاً واحداً، فلما غمره السـرور بفائدة أمير المؤمنين لم يكن فيه لحـادث مجال»[٦]. ومن آدابه أيضــاً أن لا يرفع صـوته ولا يجـيب عـن شيء إلا إذا سُئل عنه[٧]. قـال علي بن صالح الـكاتب لرجل اختـاره لمجالسـة المأمون: «إني مُدخلك على أمـير المؤمنين فلا تسـاله عن شيء أبداً حتى يبـتدئك»[٨].

---

(١) ابن الازرق، بدائع، ج١، ص٣٥٥؛ الصابيء، رسوم، ص٣٥.

(٢) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، دار الفكر، بيروت ١٩٥٥م، ص٢٠٩، سيشار له تالياً (الجاحظ، التاج)؛ ابن الازرق، بدائع، ج١، ص٣٥٥؛ الصابيء، رسوم، ص٣٤.

(٣) الجاحظ، التاج، ص٢٠٩.

(٤) أبو الفتح محمود بن الحسين كـشاجم، أدب النديم، المطبعة الامـيرية، بولاق ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م، ص٢٥، سيشار له تالياً (كشاجم، أدب النديم).

(٥) سورة الاحزاب: اية ٤.

(٦) الجاحظ، التاج، ص١١٤ ـ ١١٥؛ المسعودي، مروج، ج٣، ص٣٢٢.

(٧) الجاحظ، التاج، ص١٣؛ الصابيء، رسوم، ص٣٤؛ أحمد شبلي، التربية، ص١٤٩.

(٨) ابن طيفور، بغداد، ص١٥٠.

وعليه أن يتعلم حُسن الاستماع، كما يتعلم حسن الكلام، ويمهل المتكلم حتى يتم حديثه[١]. قال عبدالملك بن صالح لمؤدب ولده بعد أن اختاره جليساً مقرباً: «يا عبدالله كن على التماس الحظ منك بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام، فانهم قالوا: إذا أعجبك الكلام فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلم، واعلم أن أصعب الملوك معاملة الجبار الفطن المتفقد»[٢]. وعليه أيضاً أن يتجنب الألفاظ الوحشية وإيراد الحكايات المسترذلة[٣].

ويبدو أن مجالس الخلفاء والأمراء لم تستقبل كل الراغبين، وإنما كان يسمح لطبقة معينة من الناس بالدخول[٤]، ولم يكن الحضور أحراراً في اختيار الموعد الذي يحضرون فيه، أو ينصرفون عنده، وإنما كانوا يحضرون في موعد محدد، وينصرفون عند إشارة خاصة يشير بها الخليفة أو الأمير، فقد اتخذ كل خليفة إشارة عُرف بها، فقد كان الهادي إذا قال: «سلام عليكم» قام من حضره، وكان الرشيد إذا قال: «سبحانك اللهم وبحمدك» قام من حضره، وكان المأمون إذا استلقى على فراشه، قام من حضره، وكان المعتصم إذا نظر إلى صاحب النعل، قام من حضره، وكان الواثق إذا مس عارضيه وتثاءب، قام من حضره[٥]. وكان الخليفة ولا أحد سواه يفتح النقاش في المجالس[٦].

وتنوعت المجالس في قصور الخلفاء والأمراء، فكانت مجالس الموعظة، ومجالس القرآن، ومجالس الحديث، ومجالس الفقه، ومجالس المناظرة، ومجالس الشعر، ومجالس السمر والترويح.

---

(١) كشاجم، أدب النديم، ص٢٥.

(٢) ابن أبي الحديد، نهج، ج٥، ص٥٦.

(٣) كشاجم، أدب النديم، ص٢٥؛ الصابيء، رسوم، ص٣٣.

(٤) الجاحظ، التاج، ص٤٥؛ أحمد شلبي، التربية، ص٧٢؛ عبدالله عبدالدايم، التربية، ص١٤٩.

(٥) الجاحظ، التاج، ص٢١١ ـ ٢١٢.

(٦) عبدالله عبدالدايم، التربية، ص١٤٩ ـ ١٥٠؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص٤٩٥.

أما مجالس الموعظة، فكانت تتميز بطابع الخصوصية، إذ يلجأ الخليفة فيه إلى طلب الموعظة من أحد الفقهاء[١]، وكان بعض الفقهاء يأتي لمجالس الخلفاء لوعظهم وأحياناً كان الخلفاء يستقدمونهم، فيعظوهم حتى يبكوهم[٢]. وكان المحور الذي تدور حوله هذه المواعظ، هو حث الخلفاء على التقوى وعدم غش الرعية، والابتعاد عن الإسراف في أحوال المسلمين، وحراسة الدين وإقامة العدل، وتقليل شأن الملل، والاقتداء بالسلف في زهدهم وتواضعهم[٣]. فقد عُرف عن المنصور أنه «كان يحب المواعظ ويسمع خشن الكلام ويحتمله»[٤]. فقد دخل عليه سفيان الثوري «فوعظ وأمر وبيّن وذكر، وأغلظ في قوله»[٥]. وجلس صالح بن بشر المريّ العابد الزاهد (ت١٧٦هـ/ ٧٩٢م)، إلى المهدي فوعظه موعظة بليغة حتى أبكاه[٦]. وكان الهادي يقصد مالك بن أنس ويجلس بين يديه لأخذ الموعظة منه.[٧] وحج الرشيد، ومضى إلى دار الفضيل بن عياض المكي (ت١٨٧هـ/ ٨٠٢م)، وقد وعظ الفضيل الخليفة بمواعظ بكى لها[٨]. ودخل القاص الكوفي ابن السماك (ت١٨٣هـ/ ٧٩٩م) على الرشيد، فقال: «يا أمير المؤمنين إن تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك. فقال: ما أحسن ما قلت!، فقال: يا أمير المؤمنين إن امرءٍ أتاه الله جمالاً في خلقته وموضعاً في

---

(١) طلب صبار، رسوم، ص١٥٢.

(٢) شوقي ضيف، العصر العباسي، ص٤٥٢.

(٣) أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، الاخبار الطوال، تحقيق عبدالمنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ص٣٨٤، سيشار له تالياً (الدينوري، الاخبار)؛ البيهقي، المحاسن، ص٣٣٨؛ ابن الازرق، بدائع، ج١، ص٨٥ ـ ٨٦.

(٤) ابن الكازروني، مختصر، ص١١٥.

(٥) مجهول، الامامة، ج٢، ص١٧٢؛ ابن الازرق، بدائع، ج١، ص٨٥ ـ ٨٦.

(٦) ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٧٦.

(٧) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص٣٤.

(٨) محمد بن الوليد بن محمد الطرطوشي، سراج الملوك، تحقيق جعفر البياتي، ٢ج، ط١، رياض الريس للكتب والنشر، لندن ١٩٩٠م، ج١، ص١١٣، سيشار له تالياً (الطرطوشي، سراج).

حسبه، وبسط له في ذات يده، فعف في جماله، وواسى في ماله، وتواضع في حسبه، كُتب في ديوان الله من خالص عباد الله... فدعا الرشيد بدواة وقرطاس وكتبه بيده»[١].

وكان ذو النون إبراهيم أبو الفيض المعروف بالمصري (ت٢٤٦هـ/ ٨٦٠م)، زاهداً، طلبه المتوكل، فجاء إليه وأسمعه المواعظ «وكان المتوكل مولعاً به يفضله على العباد والزهاد»[٢].

وكما حرص الخلفاء على طلب الموعظة، كان حرصهم أيضاً على عقد مجالس العلم الخاصة بالقرآن والحديث والفقه. فقد قرّب المنصور إلى بلاطه علماء الفقه والحديث[٣]. وكان حسن المشاركة في الفقه[٤]. ونجده ينفق الأموال على الفقهاء، فقد أعطى ابن سمعان ابن أبي ذؤيب الفقيه صرة فيها خمسة آلاف دينار[٥]. أما الهادي فكان يحضر الفقهاء إذا أعضل عليه أمر[٦]. ووجه الرشيد إلى مالك بن أنس (رضي الله عنه)، ليأتيه فيحدثه[٧]، ولما حج الرشيد دخل الكوفة وقال لأبي يوسف: «قل للمحدثين يأتونا يحدثون»[٨]. وفي سنة ١٧٤هـ/ ٧٩٠م خرج الرشيد حاجاً إلى مكة، فقدم المدينة... فبعث إلى مالك بن أنس، فأتاه، فسمع منه كتاب الموطأ، وقد حضر فقهاء الحجاز والعراق والشام واليمن[٩]. وكان الكسائي

---

(١) الطرطوشي، سراج، ج١، ص١١٢؛ ابن الازرق، بدائع، ج١، ص٥١٤.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٨، ص٣٩٣ ـ ٣٩٤.

(٣) السيوطي، تاريخ، ص٢٦٦؛ بروكلمان، تاريخ الشعوب، ص١٨٠.

(٤) الذهبي، سير، ج٧، ص٨٧.

(٥) مجهول، الامامه، ج٢، ص١٧٤.

(٦) انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٣، ص٢٣.

(٧) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص٣٤؛ ابن عربي، محاضرة، ج١، ص٤٤٣؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص٤٩؛ ابن نباته، سرح، ص٢٦٢؛ عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص٥٦٦.

(٨) النووي، تهذيب، ج٢، ص٤٨؛ الذهبي، تذكرة، ج١، ص٢٨١.

(٩) الخطيب البغدادي، الكفاية، ص٣٠٦؛ مجهول، الامامه، ج٢، ص١٨٣.

قبل أن يجعله هارون الرشيد مؤدباً لابنه الأمين والمأمون، يقرأ القرآن لأهل دار الخلافة[١]. ويبدو اهتمام المأمون بأصحاب الفقه والحديث واضحاً قبل أن يتولى الخلافة، فقد بعث الرشيد بخادمه إلى المأمون فوجده في مجلسه وقد اغتص بالفقهاء والقرّاء وأصحاب الحديث[٢]. ولما دخل بغداد وقرّ بها قراره أمر أن يدخل عليه من الفقهاء والمحدثين وأهل العلم جماعة يختارهم لمجالسته ومحادثته «واختير له.. مائة رجل، فما زال يختارهم طبقة من طبقة حتى حصل منهم عشرة»[٣]. وكان الحسن بن زياد اللؤلؤي الفقيه (ت٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، يأتي مجلس المأمون ويناقشه بعض المسائل الفقهية[٤]، ودخل ابراهيم بن المهدي (ت٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)، على المأمون وعنده جماعة يتكلمون في الفقه[٥]. ودفع اهتمام المأمون بالحديث إلى تخصيص مكانٍ لجلوس العلماء، فقد بنى المأمون شبه منبر بجانب قصره ببغداد، وقد جلس عليه سليمان بن حرب الأزدي (ت٢٢٤هـ/٨٣٨م)، والناس حوله، وكان المأمون فوق قصره يشرف على المجلس، وقد أرسل أحد الأشخاص ليكتب ما يمليه سليمان[٦]. ومما يُظهر اهتمام المأمون بالحديث، أن تقدم إليه رجل غريب بيده محبرة، وقال: «يا أمير المؤمنين، رجل من أهل الحديث منقطع به، فقال: ما تحفظ في باب كذا؟ فلم يذكر فيه شيئاً، فما زال المأمون يقول: حدثنا هشيم وحدثنا يحيى وحدثنا حجاج، حتى ذكر الباب ثم سأله عن باب آخر، فلم يذكر فيه شيئاً، فقال المأمون: حدثنا فلان وحدثنا فلان...»[٧]، وفي هذا إشارة إلى

---

(١) بروكلمان، تاريخ الادب، ج٢، ص١٩٨.

(٢) ابن العمراني، الانباء، ص٩٧.

(٣) ابن طيفور، بغداد، ص٣٦.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٠.

(٥) الماوردي، ادب، ص٤٤.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٩، ص٣٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص٩٢؛ الذهبي، تذكرة، ج١، ص٣٩٣؛ الذهبي، العبر، ج١، ص٣٠٧.

(٧) السمعاني، أدب، ص١٤٦ ـ ١٤٧؛ ابن خلكان وفيات، ج٢، ص٢٣٧.

مدى العلم الذي وصله المأمون في مجال الحديث. وقد رغب يوماً أن يكون محدثاً، فأمر أن يُصنع له منبر، ثم صعد وحدث بنحو ثلاثين حديثاً[١]، وقرب الفضل بن سهل وزير المأمون (ت٢٠٢هـ/ ٨١٧م)، كبار الفقهاء والعلماء وألزمهم مجلسه واستقدمهم من الأمصار وأجرى عليهم الأرزاق[٢].

وتعددت مجالس المناظرة في قصور الخلفاء والأمراء حيث تناولت مختلف المواضيع الدينية واللغوية والأدبية والعلمية، فكانت سمة مميزة لمجالس الخلفاء والأمراء خاصة في العصر العباسي الأول، الذي يظهر فيه تشجيع الخلفاء لمثل هذه المجالس، فكثيراً ما نجد الخلفاء يأخذون دوراً رئيساً في المناظرات التي تدور في مجالسهم، ولا غرابة في ذلك، فقد كان بعضهم على درجة من العلم والثقافة وإجادة فروع كثيرة من العلم يناظرون فيها.

ومما يدخل في مجال العلوم الدينية من مناظرات، ما جرى بين الإمام مالك بن أنس وأبو يوسف بالمدينة بحضرة الرشيد في مسألة الصاع وزكاة الخضروات[٣]. وقيل أن إبراهيم النظام[٤] (ت٢٢١هـ/ ٨٣٦م)، اجتمع وضرار[٥] بين يدي الرشيد «فتناظرا في القدر حتى دقت مناظرتهما»[٦]. وشجع المأمون البحث والجدل والمناظرة، واستقبل الفقهاء وأهل المعرفة من الأدباء، وأجرى لهم مجالس وشاركهم فيها[٧]، «فكان يخلو بهم ويأنس بمناظرتهم ويلتذ

---

(١) السمعاني، أدب، ص٢٢؛ ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٢٣٦.

(٢) المسعودي، مروج، ج٤، ص٣٥٨ ـ ٣٥٩.

(٣) ابن كثير، البداية، ج١، ص١٨٧.

(٤) أبو اسحاق، ابراهيم بن سيار بن هانيء البصري، المعروف بالنظام، من كبار المعتزلة وأئمتهم، متقدم في العلوم، وقد برز في علم المعاني. ابن نباته، سرح، ص٢٢٦.

(٥) أبو عمرو ضرار بن عمرو القاضي، من المعتزلة، كان حياً حوالي سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٦م. ابن النديم، الفهرست، ص٣٥٦ (الهامش).

(٦) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص١٧٤٩.

(٧) وليم الخازن، الحضارة العباسية، دار المشرق، بيروت ١٩٩٢م، ص١١٤، سيشار له تالياً (وليم الخازن، الحضارة).

بمذاكرتهم، فينالون بذلك عنده المنازل الرفيعة والمراتب السنيّة[١]»، فكان يجلس مع العلماء يتناظرون بين يديه، ويشاركهم فيما هم فيه[٢]. وقد بادر فور وصوله إلى بغداد بطلب الفقهاء والمتكلمين وأهل العلم، فإذا حضروا أدخلهم حجرة مفروشة، وأخذ في مناظرتهم «أحسن مناظرة وأنصفها وأبعدها عن مناظرة المتجبرين»[٣]. وبينما هو جالس - أي المأمون - مع الفقهاء في مجلس للمناظرة «إذ دخل في مجلسه رجل غريب. . . وجلس في آخر الناس. . . فدارت المسألة إلى أن وصلت إلى ذلك الرجل الغريب، فتكلم وأجاب بجواب أحسن من أجوبة الفقهاء كلهم فاستحسن كلامه وأمر أن يُرفع من ذلك المكان إلى أعلى منه»[٤]. وجمع المأمون علي بن موسى الرضا[٥] (ت٢٠٣هـ/ ٨١٨م)، في مجالس للفقه ضمت كبار الفقهاء[٦]. وكانت مسألة خلق القرآن من المسائل الهامة التي أثيرت في مجالس المناظرة[٧]. فقد طلب المأمون أشخاص سبعة من الفقهاء امتحنهم بخلق القرآن فأجابوه جميعاً أنّ القرآن مخلوق[٨]. وسلك الواثق مسلك المأمون في عقده للمناظرات التي تبحث في قضية

---

(١) أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبدالرحمن بن موسي الاندلسي، طبقات الامم، تحقيق حياة بو علوان، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ١٩٨٥م، ص١٢٩، سيشار له تالياً (صاعد الاندلسي، طبقات)؛ ابن الازرق، بدائع، ص١٣٦.

(٢) ابن دقماق، الجوهر، ج١، ص١٣٢.

(٣) المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٢؛ ابن وادران، تاريخ ، ص٤٨٥؛ ميخائيل عواد، صور شرقية، ص٥٢.

(٤) السيوطي، تحفة، ص٣٨٠.

(٥) أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين وهو من الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الامامية. ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٢٦٩.

(٦) أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، اعلام الورى باعلام الهدى، صححه وعلق عليه علي اكبر الغفاري، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٩م، ص٣١٥، سيشار له تالياً (الطبرسي، أعلام).

(٧) ابن طباطبا، الفخري، ص٢١٦ ـ ٢١٧؛ و عن مقولة «خلق القرآن»، انظر: الطبري، تاريخ، ج٨، ص٦٣١ ـ ٦٤٦؛ محمد بن أحمد بن نعيم أبو العرب، كتاب المحن، تحقيق يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت ١٩٨٣م، ص٤٣٣ ـ ٤٤٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص١٥ ـ ٢٤؛ أحمد عبدالجواد الدومي، أحمد بن حنبل (محنة الدين والدنيا)، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د. ت؛ "EI² "Miḥna

(٨) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٦٣٤؛ ابن كثير، البداية، ج١، ص٢٨٥.

خلق القرآن، فكان يجتمع في مجلسه كبار الفقهاء والمتكلمين[١]. وقد أرسل في طلب البويطي[٢] (ت٢٣١هـ/ ٨٤٥م)، من مصر، وقد أراد منه القول بخلق القرآن، فامتنع البويطي من ذلك[٣]. ولما أفضت الخلافة إلى المتوكل أمر بترك النظر والمباحثة في الجدل والترك لما كان عليه الناس في أيام المعتصم والواثق والمأمون، وأمر الناس بالتسليم والتقليد وأمر شيوخ المحدثين بالحديث وإظهار السنة والجماعة[٤].

وجرت مناظرات في العلوم اللغوية. ومن ذلك أن الكسائي وأبا محمد اليزيدي تناظرا بين يدي المهدي قبل أن يتولى الخلافة في جملة من المسائل اللغوية[٥]. ومن المناظرات التي جرت في مجلس الرشيد تلك المناظرة اللغوية بين سيبويه والكسائي، «حين زعم الكسائي أن العرب تقول: كنت أظن أن الزنبور أشد لسعاً من النحلة فإذا هو إياها، فقال سيبويه: بل الصحيح، فإذا هو هي...»[٦]. ولما أحضر سيبويه في دار يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد، لمناظرة الكسائي، حضر الأحمر قبل حضور الكسائي، فالقى الأحمر على سيبويه مسالة، فاجاب فيها. فقال له الأحمر أخطأت. وألقى عليه أخرى فأجاب، فقال له:

---

(١) المسعودي، مروج، ج٤، ص٩٧.

(٢) أبو يعقوب، يوسف بن يحيى البويطي القرشي، كان إماماً عالماً فقيهاً مناظراً. ابن النديم، الفهرست، ص٤٤٧.

(٣) محمد بن أحمد بن اياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ٥ج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢م، ج١ق١، ص١٥٨، سيشار له تالياً (ابن اياس الحنفي، بدائع).

(٤) اليعقوبي، مشاكلة، ص٣٢؛ المسعودي، مروج، ج٤، ص٩٨.

(٥) السيوطي، الاشباه، ج٥، ص٣٩ ـ ٤٥؛ أحمد امين، ضحى، ج٢، ص٥٥.

(٦) انظر: النحاس، صناعة، ص٤١؛ الزجاجي، مجالس، ص٩ ـ ١٠؛ ابن النديم، الفهرست، ص١٠٣ ـ ١٠٤؛ المرزباني، نور القبس، ص٢٨٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٥٤؛ الشريشي، شرح، ج٣، ص٢٠٧؛ القفطي، إنباه، ج٢، ص٢٧١، ٣٥٩؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٥، ص٢١٢٥؛ ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٤٦٤؛ الأربلي، خلاصة، ص١٢٦؛ أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص١٥؛ الذهبي، سير، ج٨، ص٣٥١؛ زين الدين عمر بن مظفر بن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٢ج، المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٦٩م، ج١، ص٢٨٠، سيشار له تالياً (ابن الوردي، تاريخ).

أخطأت[١]. ومن المناظرات الطريفة التي جرت في مجلس الرشيد تلك المناظرة التي جرت ين الكسائي والأصمعي في معنى مُحْرِماً، في بيت الراعي[٢]:

قتلوا ابن عفان الخليفة مُحرماً   وَدَعَا فلم أر مثلهُ مخذولاً

فذهب الكسائي إلى أن مُحرماً من الإحرام بالحج، فضحك الأصمعي من تفسيره، وذهب إلى أن المعنى أن عثمان في حُرمةِ الإسلام وذمته، لم يأت شيئاً يُحِلُّ دمه، وقد نصر الرشيد الأصمعي[٣]. وتكلم الكسائي مع اليزيدي في حضرة الرشيد فظهر كلام اليزيدي على الكسائي، فرمى اليزيدي قلنسوته فرحاً بالغلبة[٤]. وناظر المأمون محمد بن القاسم النوشجاني المتكلم، فجعل يصدقه ويُطريه ويستحسن قوله[٥]. وتناظر بعض الأدباء في مجلس ايتاخ (ت٢٣٤هـ/ ٨٤٨م)، لاختيار مؤدب للمنتصر والمعتز أبناء المتوكل[٦]. وتناظر أبو العباس ثعلب والمبرّد في حضرة الأمير محمد بن عبدالله بن طاهر (ت٢٥٣هـ/ ٨٦٧م، في شيء من علم النحو[٧].

وجرت مناظرات في أمور أخرى كالغناء وعلم الكلام والفلك والحكمة والتشيع

---

(١) القفطي، إنباه، ج٢، ص٣٥٩.

(٢) حصين بن معاوية من بني نمير وكان يقال لابيه في الجاهلية معاوية الرئيس،وكان سيداً وانما قيل له الراعي لانه كان يصف الابل في شعره. ابن قتيبة، الشعر، ص٢٦٥.

(٣) الزجاجي، الامالي، ص٣٥؛ المرزباني، نور القبس، ص٢٨٦؛ السيوطي، الاشباه، ج٥، ص١٠٢.

(٤) الزجاجي، مجالس، ص٣٤٠؛ ابن الأنباري، نزهة، ص٧٠؛ الاربلي، خلاصة، ص٢٠٦؛ ابن وادران، تاريخ، ص١٧٣؛ بروكلمان، تاريخ الادب، ج٢، ص١٦٨.

(٥) ابن سعد الآبي، نثر الدر، ج٣، ص١١٦؛ ابن أبي الحديد، شرح، ج٥، ص٨٣.

(٦) انظر: الزجاجي، مجالس، ص٦١؛ ابن النديم، الفهرست، ص٣٨٠؛ ابن الانباري، نزهة، ص١٥٩؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج١، ص٣٦١ ـ ٣٦٢.

(٧) انظر: ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٢، ص٥٥٠.

والمقالات. فقد قرَّب المأمون أهل الكلام وأمرهم بالمناظرة بحضرته. وجالسه بشر بن غياث المريسي المتكلم (ت٢١٨هـ/ ٨٣٣م)، وثمامة بن الأشري المتكلم (ت٢١٣هـ/ ٨٢٨م)، وهما من المعتزلة[(١)]. وعقد المأمون المجالس للمناظرة في الأدب والمقالات، وكان أستاذه فيها أبا الهذيل بن محمد بن الهذيل العلاف المعتزلي المتكلم (ت٢٣٥هـ/ ٨٤٩م)[(٢)]. وتناظر أحمد بن يوسف الكاتب (ت٢١٣هـ/ ٨٢٨م)، وإبراهيم بن المهدي في قصر المأمون في أمر بني هاشم وتقديم بعضهم على بعض، فعلاه إبراهيم فصاحة وحجة[(٣)]. وقال بشر بن غياث المريسي: «حضرت عبدالله المأمون أنا، وثمامة ومحمد بن أبي العباس، وعلي بن الهيثم، فتناظروا في التشيع، فنصر محمد بن العباس الامامية ونصر علي بن الهيثم الزيدية وجرى الكلام بينهما»[(٤)]. وعقد الوالي محمد بن سليمان ابن عم الرشيد مجالس للمناظرة، وقد حضر البهلول[(٥)] (ت١٩٠هـ/ ٨٠٥م)، أحد هذه المجالس[(٦)]. وجرت مناظرات في الشعر. ففي عهد الواثق تلاحى مخارق بن يحيى المغني (ت٢٣١هـ/ ٨٤٥م)، وحسين بن الضحاك الشاعر (ت٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)، في أبي العتاهية وأبي نُواس أيهما أشعر، وكانت الملاحاة، على حال، فاتفقا على اختيار شعر من شعريها يتناظران فيه.[(٧)] وتجادل أبو العباس ثعلب مع ابن الأعرابي في حضرة الأمير أحمد بن سعيد بن سَلْم، وعنده جماعة من أهل الأدب، في

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص٢٣٥.

(٢) الكازروني، مختصر، ص١٣٤.

(٣) ابو بكر محمد بن يحيى بن عبدالله الصولي، اخبار الشعراء المحدثين، عُني بنشره ج. هيورث، ٣ج، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٢م، ص٣٤، سيشار له تالياً (الصولي، اخبار).

(٤) ابن طيفور، بغداد، ص٢٢.

(٥) ابن وهيب، بهلول بن عمرو الصيرفي، من اهل الكوفة، وكان من عقلاء المجانين وله كلام مليح ونوادر واشعار. الكتبي، فوات، ج١، ص٢٢٩.

(٦) الحكيمي، تاريخ، ص١١٥ ـ ١١٦.

(٧) الاصفهاني، الاغاني، ج٧، ص١٧٣؛ أحمد شلبي، التربية، ص٨٧ ـ ٨٨.

معاني أبيات من الأبيات الغريبة[١]. وتناظر اسحاق الموصلي وإبراهيم المهدي في الغناء بحضرة المعتصم[٢]، كما تناظر المغنون عند الواثق «فذكروا الضُرّاب وحذقهم»[٣]. وناظر المأمون سهل ابن هارون في حكماء اليونان، وما قد تكلموا في الحكمة وعلم الفلك[٤].

ويبدو أن الخلفاء والأمراء كانوا يعقدون مجالس خاصة للسمر والترويح، فيحضرها الأدباء من أهل الأخبار والنوادر والأدب والشعر ممن آثرهم، واختصهم لهذا الغرض، يجالسونه في أوقات معينة، أو إذا دعاهم في ساعة قلقه أو أرقه. فقد أشار أبو العباس السفاح في أحد مجالسه إلى سمارة قائلاً: «العجب، ممن يترك أن يزداد علماً ويختار جهلاً، فقال أبو بكر الهذلي: ما تأويل ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: يترك مجالسة مثلك وأمثال أصحابك، ويدخل إلى امرأة أو جارية فلا يزال يسمع سخفاً ويروي نقصاً»[٥]. وقد كان يطيل السهر ويعجبه الفصاحة ومنازعة الرجال «فسهر ذات ليلة وعنده أناس من مضر وفيهم خالد بن صفوان بن الأهتم التميمي الخطيب الراوية (ت١٣٥هـ/ ٧٥٢م) وناس من اليمن... فقال أبو العباس: هاتوا واقطعوا ليلتنا بمحادثتكم»[٦]. وكان المنصور ميالاً إلى مسامرة أهل بيته، وقد خصّهم بأن رفع عنهم الكثير من رسوم المجالس العامة، إذ أعفاهم من الوقوف له إذا ما حضر مجالسهم[٧]. وأرسل يوماً في طلب وجوه بني هاشم من بيوتهم، في

---

(١) أحمد امين، ضحى، ج٢، ص٥٦؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص٥٠٥.

(٢) الاصفهاني، الاغاني، ج٥، ص٢٦٣.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ج٥، ص٢٥٣.

(٤) ابن وادران، تاريخ، ص٤٣٥.

(٥) المسعودي، مروج، ج٣، ص٣٢٠.

(٦) البيهقي، المحاسن، ص٩٤.

(٧) أبو لحسن علي بن عبدالرحمن بن هذيل، عين الادب والسياسة وزين الحسبة والرياسة، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٩٣٨م، ص١٤٧، سيشار له تالياً (ابن هذيل، عين الادب).

الوقت الذي كان يجلس البعض الآخر عنده، وعندما أخذوا مجلسهم عنده أمر الربيع أن يضع بين يدي كل واحد منهم دواة وورق، ثم التفت إلى عبدالصمد بن علي[١]، فقال: «يا عم حدث ولدك وأخوتك وبني أخيك بحديث البر والصلة»[٢]. وكان يوصي المهدي ويحثه على أن لا يعقد مجلساً إلا ومعه من أهل العلم والمحادثة[٣]. واختص الهيثم بن عدي الاخباري (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، بمجالسة المنصور والمهدي والهادي والرشيد وروى عنهم.[٤] وكان عيسى بن دأب، يجالس الهادي، وقد كان ذا علم ومعرفة بأخبار الناس وأيامهم[٥]. واستخلص الرشيد الأصمعي لمجالسته، وقد قال له يوماً: «هل تعرف كلمات جامعة لمكارم الأخلاق، يقل لفظها ويسهل حفظها تكون لأغراضها لقفاً ولمقاصدها وقفاً، تشرح المستبهم وتوضح المستعجم»[٦]. وقال الرشيد للكسائي: «يا علي بن حمزة، قد أحللناك المحل الذي لم تكن تبلغه همتك، فرونا من الأشعار أعفها، ومن الأحاديث أجملها بمحاسن الأخلاق، وذاكرنا بآداب الفرس والهند»[٧]. وكان الحسين بن الضحاك الشاعر (ت٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)، من جلساء الأمين[٨]. ولما قدم المأمون من خراسان وصار إلى بغداد، أمر أن يسمى قوم من أهل الأدب يجالسونه... فكان الحسين بن الضحاك منهم[٩]. وكان أبو بشر ثمامة بن

---

(١) عبدالصمد بن علي بن عبدالله بن عباس عم المنصور، (ت ١٨٥هـ/ ٨٠١م). أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص١٦.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٠٥ ـ ١٠٦.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٧٢.

(٤) ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص١٠٦ ـ ١٠٧.

(٥) المسعودي، مروج، ج٣، ص٣٩٨.

(٦) الطرطوشي، سراج، ج١، ص٢٠٠.

(٧) ابن أبي الحديد، شرح، ج٥، ص٥٦.

(٨) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٣، ص١٠٦٣.

(٩) ابن طيفور، بغداد، ص٣٧.

الأشرس النميري المعتزلـي خصيصاً بالمأمون[١]. ودخل النضـر بن شُميل على المأمـون وهو في بهوٍ لـه في يوم صائف وجلس إليـه يسامره وقـد سأله المأمـون عن النساء وأيهم أحـب إليه[٢]. وأعـجب المعـتصـم بأبي جعـفـر محـمد بـن عبـدالله الاسكافي (ت٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، إعجـاباً شديداً، فقدمه ووسع عليه وكـان إذا تكلم أصغى إليه وسكت من في المجلس، فإذا فرغ نظر المعتصم اليهم وقال: «من يذهب عن هذا الكلام والبيان؟»[٣]. واختص والي خراسان، طاهر بن الحسين (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، عون بن ملحم الخـزاعي لمجالسته ومنادمتـه، وقد كان عون من الشعراء الظرفاء كما كان صـاحب أخبار ونوادر ومعرفة بأيام الناس[٤]. ولما خرج المعتصم إلى عمورية استخلف الواثق بسامراء، فوجه إلى الجـلساء والمغنين ليحضروا إليه للمـسامرة[٥]. وقال بعض خاصة الواثق: «كنا نسمر عنده ذات ليلة، وكنا نتذاكر الأسباب التي أدت بالرشيد إلى الإطاحة بالبرامكة وزوال نقـمتهم»[٦] وقال المسـعودي: «وكان يحـضر مجـلس الواثق فتى برسم الندماء، وكـان يقوم قائمـاً لصغـر سنه، ولم يكن لذلك يلحق في الجلوس بمراتب ذوي الأسنان، وكان ذكـياً مـأذوناً له في الإفاضـة مع الجلساء في كل مـا يعرض لهم الكلام فـيه، والتكلم بما يـسنح ويخـتلج في صـدره من مـثل سـائر، وبيت نادر، وحـديث ممتع، وجـواب مسرع[٧]. وكـان أبو الحسن علي بن يحـيى المنجم (ت٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، نديماً للمتـوكل ومن خواصه وجلسائه المتقدمين عنده[٨].

---

(١) ابن خلكان ، وفيات، ج٦، ص١٧٧.

(٢) انظر: البيهقي، المحاسن، ص٤٠٤؛ النووي، تهذيب، ج٢، ص١٢٧ ـ ١٢٨.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص٣٥٣.

(٤) ابن المعتز، طبقات، ص١٨٥.

(٥) الاصفهاني، الاغاني، ج٩، ص٢٩٠ ـ ٢٩١.

(٦) الطبري، تاريخ، ج٩، ص١٢٥ ـ ١٢٦.

(٧) المسعودي، مروج، ج٤، ص٨٩.

(٨) ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٣٧٣.

ولم تقتصر مجالس السمر على الموضوعات التي ذكرت آنفاً، بل تجاوزتها إلى الشعر. فقد طلب المنصور من حماد الراوية أن ينشده شعر هِفَّان بن همّام بن نضلة، وهو يرثي أباه[١]. ودخل مروان بن أبي حفصة الشاعر (ت١٨١هـ/ ٧٩٧م)، علي المهدي بعد وفاة معن بن زائدة الشيباني (ت١٨٢هـ/ ٧٩٨م)، في جماعة من الشعراء[٢]، كما استدعى المهدي الشعراء إلى مجلسه وكان فيهم أبو العتاهية وبشار بن برد[٣]. وكان بشار بن برد يمدح المهدي ويحضر مجلسه[٤]. وقرب الهادي، الشاعر سلم بن عمرو الخاسر (ت١٨٦هـ/ ٨٠٢م)، وأغدق عليه الأموال[٥]. ويبدو ولع الرشيد كبيراً في الاستماع الى الشعر، ومجالسة الشعراء، فكان مجيداً للشعر ذواقاً له[٦]. وقد قال يوماً لجماعة من أهله وجلسائه: «أي بيت مدح به الخلفاء منا ومن بني أمية أفخر؟ فقالوا وأكثروا. . . فقال الرشيد: أمدح بيت وأفخره، قول ابن النصرانية[٧] في عبدالملك:

شمس العداوةِ حتى يُستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا»[٨].

وجلس علي بن حمزة الكسائي مع المفضل[٩] بحضرة الرشيد، وقد طلب الرشيد أن

---

(١) الاصفهاني، الاغاني، ج٨، ص٧٧.

(٢) رفاعي، عصر، ج١، ص١٨٣.

(٣) ابن كثير البداية، ج١٠، ص٢٧٧.

(٤) ابن المعتز، طبقات، ص٢١.

(٥) ابن طباطبا، الفخري، ص١٩٣ ـ ١٩٤.

(٦) ابن دقماق، الجوهر، ج١، ص١٢٧.

(٧) الاخطل، النصراني، الشاعر، واسمه غياث بن غوث التغلبي، شاعر بني اميه، والاخطل لقب غلب عليه. الاصبهاني، الاغاني، ج٨، ص٢٧٩.

(٨) المصدر نفسه، ج١١، ص٦١.

(٩) المقصود به: المفضل بن محمد الضبي، وقد سبقت ترجمته.

يؤذن لمن حضر من الشعراء بالدخول إليه وقد أشار للكسائي والمفضل بالجلوس[١]. وعن العتابي (ت٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)، قال: «كنا بباب الفضل بن يحيى البرمكي أربعة آلاف ما بين شاعر وزائر»[٢]. ويظهر اهتمام المأمون بالشعر واضحاً، فقد قال مرة لمن حضر من جلسائه: «أنشدني بيتاً لملك، يدل البيت وإن لم يُعرف قائله أنه شعر ملك، فأنشده بعضهم قول امرىء القيس:

أمن أجل اعرابية حل أهلها   جنوب الملا عيناك تبتدران»[٣]

واستقدم المعتصم الحسين بن الضحاك من البصرة حين ولي الخلافة بعد موت المأمون، فلما دخل عليه استأذن في الإنشاد[٤]. وكان الواثق شاعراً أديباً حافظاً لأشعار العرب[٥].

وربما تخلل مجالس أسمارهم الاستماع إلى شيء من الشعر المغنى، وغالباً ما يكون مجلس المغنين مفصولاً عن مجلس الخلفاء ويغنوهم من وراء ستارة[٦]. فقد كان الهادي يحب الغناء فقرب إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق، وأغدق الأموال عليهم[٧]. وكان المغنون يحضرون مجلس المهدي فيسمع إليهم من وراء الستار[٨]. وخلع الرشيد على إسحاق الموصلي خلعة مجزية بعد أن غناه[٩]. كما حظي إبراهيم الموصلي عند الرشيد،

---

(١) الزجاجي، مجالس، ص٣٨.

(٢) الصولي، اخبار، ج١، ص٣.

(٣) الاصفهاني، الاغاني، ج٧، ص٣٧.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٣، ص١٠٦٤ ـ ١٠٦٥.

(٥) ابن العمراني، الانباء، ص١١١.

(٦) المسعودي، مروج، ج٣، ص٤٤١.

(٧) الذهبي، سير، ج٧، ص٤٤٢؛ الدوري، العصر العباسي، ص١٠٠.

(٨) الاصفهاني، الاغاني، ج٤، ص٣٦٢.

(٩) الابشيهي، المستطرف، ج٢، ص١٨٦.

وكان من جملة سماره وندمائه ومغنيه[١]. وكان الرشيد يجعل بينه وبين مغنيه ستارة، وعندما غناه مخارق (ت٢٣١هـ/ ٨٤٥م)، رفع الستارة، وكان في مجلس الرشيد، ابن جامع المغني (ت١٩٢هـ/ ٨٠٧م)، وغيره[٢]. وقام الأمين عن مجلسه فاكب على رأس إبراهيم المهدي مقبلاً بعد أن غناه[٣]. وحدّث مخارق قائلاً: «كنا عند المأمون أنا والمغنون بدمشق»[٤]. وكان الواثق عارفاً بالغناء مجيداً له،[٥] ولما خرج المعتصم إلى عمورية مستخلفاً الواثق، أرسل في طلب الجلساء والمغنين أن يبكروا إليه في يوم حدده لهم، وطلب أن يجلس كل جليس إلى جانب مغنٍ، فجلسوا كذلك... وابتدأ الواثق بالغناء ثم تبعه البقية[٦].

ويبدو أن مجالس الخلفاء والأمراء في قصورهم، لم تقتصر على العلوم الدينية واللغوية والأدبية، بل تعدتها إلى عقد مجالس أخرى شملت الكلام والطب والصيدلة والنجوم والفلسفة. فقد قرّب المنصور المنجمين، وعمل بأحكام النجوم[٧]. وفي أيام الرشيد كان ليحيى ابن خالد البرمكي - وهو ذو بحث ونظر - مجلس يجتمع فيه أهل الكلام من أهل الإسلام وغيرهم من أهل النحل[٨]. وعقدت مجالس للطب والصيدلة. فقد أراد الرشيد أن يمتحن

---

(١) ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٢٠٨.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص٣١٦.

(٣) الجاحظ، التاج، ص٩١.

(٤) ابن طيفور، بغداد، ص١٥٠.

(٥) ابن العمراني، الانباء، ص١١؛ السيوطي، تاريخ، ص٣٤٣؛ حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام (السياسي والديني والثقافي والاجتماعي)، ٤ج، ط٧، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٦٤م، ج٢، ص٤١٣، سيشار له تالياً (حسن ابراهيم، تاريخ).

(٦) الاصفهاني، الاغاني، ج٩، ص٢٩٠ ـ ٢٩١.

(٧) المقريزي، السلوك، ج١، ص١٥؛ السيوطي، الوسائل، ص١٠١؛ القرماني، اخبار، ج٢، ص٧٦.

(٨) المسعودي، مروج، ج٣، ص٤٥٤؛ أحمد شلبي، التربية، ص٨٣؛ الديوه جي، التربية، ص١١٠.

بختيشوع بن جورجس الطبيب (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، أمام جماعة من الأطباء[١]. وتكلم المأمون في الطب وقرب أهل الحكمة[٢]. وأمر حيدر بن كاوس الأفشين، قائد جيوش المعتصم (ت٢٢٦هـ/ ٨٤٠م)، زكريا الطيفوري الطبيب، بأن يمتحن الصيادلة[٣]. وكان الواثق محباً للنظر مكرماً لأهله، مبغضاً للتقليد، محباً للاشراف على علوم الناس وآرائهم. وقد حضر مجلسه يوماً الفلاسفة والأطباء «فجرى بحضرته أنواع من علومهم في الطبيعيات وما بعد ذلك من الالهيات»[٤].

٣- منازل العلماء:

يبدو أن منازل العلماء لعبت دوراً كبيراً في نشر العلم، وتوسيع التعليم. فقد اتخذ كثير من العلماء منازلهم أماكن لانعقاد مجالسهم. فقد جاء أصحاب الحديث يوماً ليسمعوا على سليمان بن مهران الأعمش (ت١٤٨هـ/ ٧٦٥م)، فقال لهم مازحاً: «لولا أن في منزلي من هو أبغض إليّ منكم ما خرجت إليكم»[٥]. وناظر أبو يوسف (ت١٨٢هـ/ ٧٩٨م)، زفر بن الهذيل العلاف (ت١٥٨هـ/ ٧٧٤م)، عند أبي حنيفة في الفقه، فأطالا، فقال أبو حنيفة لزفر: «لا تطمع في رياسة بلد فيها مثل هذا».[٦] وكان منزل مالك بن أنس مبسوطاً بأنواع المفارش[٧]

---

(١) موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي اصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ٣ج، ط١، دار الثقافة، بيروت ١٩٨١م، ج١، ص٤٢، سيشار له تالياً (ابن ابي أصيبعة، عيون)؛ أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات في الاسلام، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨١م، ص٣٥، سيشار له تالياً (احمد عيسى، البيمارستانات).

(٢) ابن طباطبا، الفخري، ص٢١٦.

(٣) انظر: القفطي، اخبار ص١٢٩؛ ابن أبي أصيبعة، عيون، ج٢، ص٩٢.

(٤) المسعودي، مروج، ج٤، ص٩٠ - ٩١.

(٥) اليافعي، مرآة، ج١، ص٣٢٦.

(٦) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج١، ص٢٩٩.

(٧) ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٨٠.

لمن يأتيه من طلاب العلم[١]. ووجه الرشيد إلى مالك بن أنس ليأتيه فيحدثه، فقال مالك: «إن العلم يؤتى» فصار الرشيد إلى منزله وجلس بين يديه فحدثه[٢]. وكان يجتمع في منزل عبدالله بن المبارك المحدث (ت١٨١هـ/ ٧٩٧م)، الكثير من العلماء وأصحاب العبادات يتدارسون العلم[٣]. وكان محمد بن الحسين الشيباني (ت١٨٩هـ/ ٨٠٤م)، «إذا حدث عن مالك امتلأ منزله وكثر الناس عليه حتى يضيق عليهم الموضع»[٤]. وكان لغندر الحافظ البصري (ت١٩٣هـ/ ٨٠٨م)، مجلس في داره، وقد حضر يحيى بن معين (ت٢٣٣هـ/ ٨٤٧م)، مجلسه[٥]. واجتمع أبو نواس (ت١٩٨هـ/ ٨١٣م)، ومسلم بن الوليد (ت٢٠٨هـ/ ٨٢٣م)، وجماعة من الشعراء في مجلس أحدهم فقال لهم أبو نواس: «إن مجلسنا قد اشتهر باجتماعنا فيه، ولهذا اليوم ما بعده فليأت كل امريء منكم بأحسن ما قال فلينشده»[٦] وقصد الحسين بن علي الصدائي الراوي منزل أبي داود الحضري (ت٢٠٣هـ/ ٨١٨م)، طالباً للحديث فأخذ يملي عليه الحديث[٧]. وكان منزل الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، ملتقىً لعلماء بغداد والوافدين عليها[٨]. أما مجلس داود بن علي الأصفهاني المحدث (ت٢٧٠هـ/ ٨٨٣م)، فكان يحضره أربعمائة طالب من أصحاب الطيلسان الأخضر[٩].

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٤٦٩.

(٢) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص٣٤؛ ابن عربي، محاضرة، ج١، ص٤٤٣؛ ابن نباته، سرح، ص٢٦٢؛ عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص٥٦٦.

(٣) ابن الجوزي، الصفوة، ج٤، ص١٢١.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٢، ص١٧٣؛ بشار معروف، «التربية والتعليم»، ج٨، ص٣٤.

(٥) الذهبي، تذكره، ج١، ص٣٠١.

(٦) ابن المعتز، طبقات، ص٢٠٧، ٢٢٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ٣٣؛ الشريشي، شرح، ج٢، ص١١١.

(٧) ابن الجوزي، الصفوة، ج٣، ص١١٧.

(٨) المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص١٢.

(٩) الشيرازي، طبقات، ص٩٢؛ الذهبي، العبر، ج١، ص٣٩٠. والطيلسان قطعة قماش توضع فوق العمامة، وتتدلى على الكتفين، وبعضهم يرسلها على ظهره. أحمد شلبي، التربية، ص٢٧٧؛ الديوه جي، التربية، ص١٠٥.

ولم تقتصر مجالس العلم وحلقاته في منازل العلماء على العلوم الدينية وعلوم اللغة والأدب فحسب، بل تعدتها لتشمل الطب والهندسة والفلسفة والكلام. فقد كان بعض كبار الأطباء يعقدون المجالس العامة لتدريس الطب في منازلهم[١]، فقد كان يوحنا بن ماسويه الطبيب (ت٢٤٣هـ/ ٨٥٧م)، يعقد مجلساً للطب في منزله، «... ويجري فيه من كل نوع من العلوم القديمة بأحسن عبارة واجتمع إليه أهل العلوم والآداب وكان يدرس ويجتمع إليه تلاميذ كثيرون»[٢]. وقد قال أحد جلسائه: «كان مجلس يوحنا بن ماسويه أعمر مجلس كنت أراه بمدينة السلام لمتطباب أو متكلم أو متفلسف»[٣]. وكان تلاميذه يقرؤون عليه في هذا المجلس كتب المنطق والطب[٤]. وكان لأبي دُلف القاسم بن عيسى العجلي (ت٢٢٥هـ/ ٨٣٩م)، مجلساً يحضره الأطباء «فربما اجتمع في مجلسه منهم عشرون رجلاً»[٥]. وكان لأبي عبدالله أحمد بن أبي دُوَاد المعتزلي، مستشار المأمون والمعتصم والواثق (ت٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، ندوة كبيرة يحضرها من كبار المترجمين والأطباء سلمويه وابن ماسويه وبختيشوع بن جبريل[٦].

وفي منازل العلماء عقدت مجالس للهندسة والحساب، فقد سال سند بن علي[٧]: «هل

---

(١) أحمد عيسى بك، البيمارستانات، ص٣٨.

(٢) أبو الحسن علي بن القاضي الاشرف يوسف القفطي، اخبار العلماء باخبار الحكماء، تحقيق محمد امين الخانجي، دار الكتب الخديوية، القاهرة د.ت، ص٢٤٩، سيشار له تالياً (القفطي، اخبار)؛ الديوه جي، التربية، ص٧١.

(٣) ابن أبي اصيبعة، عيون، ج٢، ص١٢٤؛ ابن العبري، مختصر، ص١٣١.

(٤) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج٢، ص١٢٤.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص١١٢.

(٦) الجاحظ، الحيوان، ج٤، ص١٢٣.

(٧) سند بن علي اليهودي، ويكنى ابا الطيب، كان يهودياً واسلم على يد المامون، وكان منجماً. ابن النديم، الفهرست، ص٥٥٣.

للمهندسين والحساب موضع يجتمعون فيه. فقيل له: لهم مجلسين في دار العباس بن سعد الجوهري... فرأيت جميع من حضر مشايخ»[١].

وربما عقدت مجالس العلماء عند أبواب دورهم بسبب ضيق منازلهم وكثرة الطلاب، فقد كان الفرّاء النحوي (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، يُدرِّس عند باب داره النحو[٢]. وكان أحمد بن جعفر الدينوري النحوي (ت٢٨٩هـ/ ٩٠١م)، يخرج من منزل ثعلب النحوي وهو جالس على باب داره فيتخطى ثعلب وطلبته ويتوجه إلى المبرّد النحوي ليقرأ عليه[٣].

يلاحظ مما سبق أن منازل العلماء كانت ملتقىً لرجالات العلم والأدب، يعقدون فيها مجالسهم، فكان اسهامها كبيراً في نشر العلم والثقافة. ولما كان البيت مكاناً خاصاً يحس رواده بالوحشة والانقباض كان على صاحب البيت - وقد جعل منه ملتقىً للطلاب - أن يقابل رواده ببشاشة وترحيب. في الوقت الذي يتحتم فيه على الطلاب أن يتسموا بالوقار والهدوء حفاظاً على حرمة البيت وجلاله[٤].

٤- حوانيت الوراقين:

ويقصد بها الأماكن الخاصة ببيع الكتب والورق وأدوات الكتابة[٥]، والتي بدأت تنتشر

---

(١) أبو جعفر أحمد بن يوسف بن ابراهيم بن الداية، المكافاة وحسن العقبى، تحقيق محمود محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت، ص١٤٢، سيشار له تالياً (ابن الداية، المكافاة).

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٤، ص١٥٣.

(٣) السيوطي، بغية، ج١، ص٣٠١.

(٤) أحمد شلبي، التربية، ص٧١.

(٥) انظر: الفصل الخامس (الوراقون).

منذ مطلع الدولة العباسية، نتيجة للتطور العلمي والحضاري الذي مر به المجتمع الإسلامي، وقد اتخذ العلماء والأدباء من هذه الحوانيت مكاناً لاجتماعاتهم وابحاثهم فعقدوا فيها المناقشات والمناظرات واشترك فيها الوراقون أنفسهم، الذين لم يكونوا مجرد تجار ينشدون الربح المادي فقط، بل كان الكثير منهم من المثقفين الذين اختاروا هذه المهنة لما تتيحه لهم من فرص للقراءة والاطلاع[١]، وقد حرصوا على اجتذاب العلماء إلى حوانيتهم[٢]. وبذلك أصبحت حوانيت الوراقين مصدراً من مصادر انتشار الثقافة واتساع نطاق التعليم في الدولة الإسلامية. قال عبدالله بن أحمد أبو هفان الشاعر: «لم أر قط ولا سمعت من أحب الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ، فانه لم يقع بيده كتاب قط، إلا استوفى قراءته كائناً ما كان، حتى أنه كان يكتري دكاكين الوراقين، ويبيت فيها للنظر»[٣]. وكان الشعرا يعقدون بعض مجالسهم في دكاكين الوراقين، فقد روى ابن أبي شقيقه الوراق أنه «كان يجتمع في دكان أبيه ببغداد، وأن أبا العتاهية (ت٢١١هـ/ ٨٢٦م)، حضرهم يوماً، فتناول دفتراً ووقع على ظهره شعراً»[٤]. وقال أبو بكر بن دريد البصري الحافظ (ت٢٢٤هـ/ ٨٣٨م): «رأيت رجلاً من الوراقين بالبصرة يُفضل كتاب المنطق ليعقوب بن السكيت، ويُقدّم الكوفيين... وكان الرياشي[٥]، قاعداً في الوراقين[٦]. ووصف ابن الجوزي سوق الوراقين ببغداد، فقال: «إنها سوق كبيرة وهي مجالس العلماء والشعراء»[٧].

---

(١) أحمد شلبي، التربية، ص٦٣.

(٢) محمد منير، تاريخ التربية، ص١٨٣.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٥؛ ابن النديم، الفهرست، ص٢٣٠؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٥، ص٢١٠١ ـ ٢١٠٢؛ متز، الحضارة، ج١، ص٣٢٤.

(٤) ابن المعتز، طبقات، ص٢٠٧.

(٥) ابو الفضل، العباس بن الفرج الرياشي، ورياش رجل من جذام، وكان أبو عباس عبداً له، فبقي نسبه إلى رياش، وكان عالماً باللغة والشعر وكثير الرواية عن الاصمعي، توفي سنة ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م. ابن النديم، الفهرست، ص١١٨.

(٦) السيرافي، اخبار، ص٩٩؛ ابن النديم، الفهرست، ص١١٨.

(٧) ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢٦.

٥- الدكاكين (حوانيت البيع والشراء):

وظهرت دكاكين البيع والشراء كأماكن يلتقي فيها العلماء، يتباحثون في مختلف المواضيع[١]. حيث كان بعض العلماء يعملون في الأسواق لكسب معاشهم، فكانوا يستقبلون في دكاكينهم العلماء للبحث والنظر[٢]. فقد ازدحم حانوت أبي العتاهية - الذي كان يبيع فيه الجرار والفخار - بالأحداث والمتأدبين فينشدهم أبو العتاهية أشعاره ثم يأخذ هؤلاء ما تكسر من الخزف فيكتبوها عليها[٣]. وكان الإمام أحمد بن حنبل يروي الحديث في دكان صائغ.[٤]

وهكذا كانت الفرصة متاحة لمن يعمل في مثل تلك الحوانيت أو يقوم بزيارتها أن يسمع إلى الدروس والمناقشات التي كانت تجري خلالها.

٦- المكتبات:

يبدو أن المكتبات العامة منها والخاصة[٥]، كانت من الأماكن التي تعقد فيها حلقات ومجالس العلم، فقد كانت مركزاً علمياً للبحث والدراسة، ومجمعاً للعلماء يقصدونها للمشاركة والاستماع لما يدور فيها من مناظرات ومناقشات.[٦]

وقد كانت مكتبة بيت الحكمة في بغداد أول مكتبة عامة في العصر العباسي مجمعاً

---

(١) أحمد شلبي، التربية، ص٦٦؛ رناد الخطيب، «المؤسسات»، ص٢٣.

(٢) منير الدين أحمد، تاريخ التعليم، ص٧٣؛ الديوه جي، التربية، ص٧٠.

(٣) الاصفهاني، الاغاني، ج٤، ص١١.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٢، ص٢٩.

(٥) عن المكتبات العامة والخاصة انظر: الفصل الخامس (المكتبات).

(٦) اسعد طلس، التربية، ص٩٧؛ الديوه جي، التربية، ص٧٢ ـ٧٣؛ محمد منير، تاريخ التربية، ص١٨٠.

للعلمـاء والكتاب والأدباء والمترجـمين يتوافـدون اليها لتلقـي العلم والانتفاع بما توفـر فيـها من كتب[١].

أما المكتبات الخاصة فقد أنشأها العلـماء والأدباء لاستعمالهم الخاص، وكان من الصعب أن تجد عالماً أو أديباً دون أن تكون له مكتبـة يرجع إليها في دراسته واطلاعه[٢]. ويبدو دورها واضحاً في استـقبال الوافدين عليها لتلقي العلم من أفـواه الرجال أو من بطون الكتب. فيروي ياقوت الحموي: «انه كان بكركر[٣]، ضـيعة لعلي بن يحيى المنجم (ت٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، فيها قصـر جميل يضم خـزانة كتب عظيـمة يسمـيها خـزانة الحكمة، يقصـدها الناس من كل بلد، فيقـيمون فيـها، ويتعلمون منهـا صنوف العلم، وكانت الكتب مبذولة في ذلك لهـم، والصيانة مشـتملة عليهم، والنفـقة في ذلك من مال علي بن يحـيى، فقدم أبو مـعشر جـعفر بن محـمد البلخي المنجم (ت٢٧٢هـ/ ٨٨٦م)، من خراسـان يريد الحج، وهو إذ ذاك لا يحـسن كـبير شيءٍ من النجوم، فوصفت له الخزانة فمضى ورآها فـهاله أمرها، فأقام بها وأضرب عن الحج وتعلم فيها علم النجوم وأغرَقَ فيه حتى الحد، وكان ذلك آخر عهده بالحج وبالدين الاسلامي أيضاً»[٤]. وكان للـفتح بن خـاقان وزير المتـوكل (ت٢٤٧هـ/ ٨٦١م)، خـزانة كتب ضـخمـة

---

(١) اسـعـد طلس، التربيـة، ص٩٧؛ عـبدالله العـمري، تاريخ العلم، ص٣٣؛ مـحمـد منيـر، تاريخ التربيـة، ص١٨٠؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص٤٢٦؛ اعتماد يوسف القصيري، فن التجليد عند المسلمين، المؤسسة العـامة للآثار والتراث، بغداد، ١٩٧٩م، ص٢٠، سيشار له تالياً (اعتماد القصـيري، فن التجليد)؛ هونكه، شمس، ص٣٨٥ ـ ٣٨٦.

(٢) عبدالله عبد الدايم، التربية، ص١٥٩.

(٣) وهي ناحيـة من نواحي بغداد، كـانت مجـمعـاً لاصحاب الحـرف. ياقوت الحـموي، معـجم البلدان، ج٤، ص٤٤٧.

(٤) ياقـوت الحموي، مـعجم الادباء، ج٥، ص٢٠١٤ ـ ٢٠١٥؛ أحمد عبـدالباقي، معـالم الحضارة العـربية في القرن الثالث الهجري، مركز دراسـات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩١م، ص٢٩٢، سيـشار له تالياً (احمد عبدالباقي، معالم)؛ كوركـيس عواد، «خزائن كتب العراق العامة»، مجلة سومر، ج٢ م٢، مطبعة الحكومة، بغداد ١٩٤٦م، ص٢١٩، سيشار له تالياً (كوركيس عواد، «خزائن»).

وكان يحضر إليه علماء الكوفيين والبصريين لـلقراءة والاطلاع[١]. وأعد عبدالله محمد بن هانىء النيسابوري اللغوي (ت٢٣٦هـ/ ٨٥٠م)، داراً لكل من يقدم من المستفيدين، فيأمر بإنزاله فيها، ويوفر له الورق ويقوم بالانفاق عليه»[٢].

٧- البادية:

يبدو أن اتصال العرب المسلمين بغيرهم من الأعاجم، كان له الأثر الكبير في ظهور اللحن بين العامة والخاصة، وظهور لغة أطلق عليها الجاحظ اسم «لغة المولّدين»[٣].

وبينما كان اللحن يفشو في الحضر حيث اختلط العرب بالأعاجم، بقيت اللغة سليمة تماماً في الصحراء التي لم تجذب إليها الأعاجم ولا من فسدت لغتهم[٤]. وقد كان العلماء - البصريون خاصة - حذرين في بحثهم عن العربية الصافية ولذلك تجنبوا - في الغالب - القبائل التي تأثرت بأهل الحواضر القريبة[٥]. وعلى هذا أصبحت البادية مقصداً لعدد كبير من العلماء، يتعلمون اللغة من منبعها الأصيل، وليتحاشوا سماع لغة

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص٢٣٠؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٥، ص٢١٥٧؛ الكتبي، فوات، ج٣، ص١٧٧؛ اعتماد القصيري، فن التجليد، ص٢٠.

(٢) القفطي، إنباه، ج٣، ص١٢٧.

(٣) الجاحظ، البيان، ج١، ص٥٠، والمولد: مَنْ وَلِدَ بين العرب ونشأ مع أولادهم ممن لم تخلص عروبته، والمولدون من الشعراء من لا يستشهد بهم في اللغة والنحو، تميزاً لهم عن الجاهليين والاسلاميين الاولين. محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، ٢ج، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٧م، ج٢، ص١٧٨٦، سيشار له تالياً (غربال، الموسوعة).

(٤) أحمد شلبي، التربية، ص٩٩؛ الابراشي، تاريخ علماء، ص١٠٨.

(٥) عبدالعزيز الدوري، «نشأة الثقافة العربية الاسلامية نظره إلى العراق»، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني، ع١م٢، ط٢، عمان ١٩٧٨م، ص٦٧، سيشار له تالياً (الدوري، «نشأة»).

المولّدين[١]. فقد خرج الكسائي (ت١٨٩هـ/ ٨٠٤م)، إلى البصرة والتقى الخليل بن أحمد الفراهيدي وجلس في حلقته وسأله: «من أين أخذت علمك هذا؟ فقال من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فخرج [إلى البادية] ورجع، وقد أنفذ خمس عشرة قنينة حبراً في الكتابة عن العرب سوى ما حفظة»[٢]. ولما ناظر الكسائي سيبويه استشهد بكلامهم واحتج بهم وبلغتهم على سيبويه[٣]. وقيل لبشار بن برد (ت١٦٨هـ/ ٧٨٤)م: «ليس لأحد من شعراء العرب إلا وقد قال فيه شيئاً استنكرته العرب وشُك فيه، وأنه ليس في شعرك ما يُشَكُّ فيه. قال: ومن أين يأتيني الخطأ؟ وُلدت ههنا، ونشأت في حجور ثمانين شيخاً من فصحاء بني عقيل، ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ وإن دخلت إلى نسائهم فنساؤهم أفصح منهم، وأيفعت فأبديت، إلى أن أدركت، فمن أين يأتيني الخطأ»[٤]. وقد كان يأتي إليه قومٌ من أعراب قيس عيلان وكانوا من أهل البيان والفصاحة، فكان ينشدهم أشعاره التي يمدحهم بها فيجلونه لذلك ويعظمونه[٥]. وطلب المهدي من المفضل الضبي (ت١٦٧هـ/ ٧٨٣م)، أن يجمع له الأمثال مما سمعها من البادية. قال المفضل: «فكتبت له الأمثال وحروب العرب مما كان فيها، فوصلني وأحسن إليّ»[٦]. وكان إسحاق الموصلي (ت ١٨٨هـ/ ٨٠٣م)، راوية للشعر والمآثر، وقد لقي فصحاء الأعراب من الرجال والنساء[٧]. وخرج أبو نواس (ت١٩٨هـ/ ٨١٣م)، إلى

---

(١) احمد شلبي، التربية، ص٩٩.

(٢) ابن الانباري، نزهة ، ص٥٩؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٦٩؛ القفطي، إنباه، ج٢، ص٢٥٨؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص١٧٣٨؛ الاربلي، خلاصة، ص١٥٧؛ الذهبي، سير، ج٩، ص١٣٢؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٢٠٩؛ ابن الجزري، غاية، ج١، ص٥٣٨؛ السيوطي، بغية، ج٢، ص١٦٣.

(٣) المرزباني، نور القبس، ص٢٨٧؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص١٧٤٣.

(٤) الاصفهاني، الاغاني، ج٣، ص١٤٣ ـ ١٤٤.

(٥) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٠٠.

(٦) الطبري، تاريخ، ج٨، ص١٧٩.

(٧) ابن النديم، الفهرست، ص٢٧٠.

بادية بني أسد وظل بينهم حولاً كاملاً يتعلم منهم العربية والغريب[١]. وأقام النضر بن شميل الشاعر (ت٢٠٣هـ/ ٨١٦م)، بالبادية أربعين سنة[٢]. وكان الإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، يطلب اللغة والشعر، وكان كثيراً ما يخرج إلى البدو ويسمع منهم[٣]. وقد قال في وصف حياته الأولى: «...ثم إني خرجت عن مكة فلزمت هذيلاً في البادية أتعلم كلامها وآخذ طبعها، وكانت أفصح العرب، فبقيت سبع عشرة سنة، أرحل برحيلهم، وأنزل بنزولهم، فلما رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار، وأذكر الآداب والأخبار، وأيام العرب»[٤]. وقال أبو العباس ثعلب (ت٢٩١هـ/ ٩٠٣م): «دخل أبو عمرو إسحق بن مرار الشيباني اللغوي: (ت٢١٠هـ/ ٨٢٥م)، البادية ومعه دستجتان[٥] من حبر فما خرج حتى أفناهما بكتب سماعه عن العرب»[٦]. وقال الأصمعي (ت٢١٧هـ/ ٨٣١م): «بينما أنا في بعض البوادي إذ أنا بصبي - أو قال صبية - معه قربةٌ قد غلبته، فيها ماء، وهو ينادي: يا أبتِ! أدرك فاها، غلبني فوها، لا طاقة لي بفيها. قال: فوالله لقد جمع العربية في ثلاث»[٧]. وكان محمد بن هشام بن عوف الشيباني اللغوي (ت٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)، يقصد البادية لطلب العربية، وقد أقام بها مدة[٨].

---

(١) رفاعي، عصر، ج٣، ص٢٠٧؛ شوقي ضيف، العصر العباسي، ص٢٢٢؛ بروكلمان، تاريخ الادب، ج٢، ص٢٥ ـ ٢٦.

(٢) ابن الانباري، نزهة، ص٧٣؛ السيوطي، بغية، ج٢، ص٣١٦.

(٣) ابو نعيم الاصبهاني، حلية، ج٩، ص٧١؛ ابن الجوزي، الصفوة، ج٢، ص١٦٥؛ السبكي، طبقات، ج٢، ص١٢١.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٦، ص٢٣٩٥.

(٥) الدستيج، آنية تُحمل باليد. ابن الجوزي، المنتظم، ج١، ص٢١٩ (الهامش).

(٦) ابن الانباري، نزهة، ص٧٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٢١٩؛ القفطي، إنباه، ج١، ص٢٥٩.

(٧) ابن الجوزي، الاذكياء، ص٢٤٥؛ ابن الجوزي، اخبار الحمقى، ص٢٣٧؛ الابشيهي، المستطرف، ج١، ص٨٣.

(٨) السيوطي، بغية، ج١، ص٢٥٧.

وكان الذين يفدون إلى البادية يتعلمون من جمهرة الناس، إذ أن اللغة الفصحى كانت وحدها اللغة المستعملة، وبالإضافة إلى ذلك فإنهم انضموا إلى الحلقات العلمية التي كان يقصدها كثير من مثقفي البدو[١]، أمثال: أبي مالك بن كركرة[٢]، وأبي ثروان العكلي[٣].

ولم تكن البادية مدرسة العلماء فحسب، إنما كان يقصدها الأمراء. قال أبو محمد اليزيدي (ت ٢٠٢هـ / ٨١٧م): «كان أبي يكلم الأمين والمأمون بكلام يتفصحان به ويقول: كان أولاد الخلفاء من بني أمية يخرج بهم إلى البدو حتى يتفصحوا، وأنتم أولى بالفصاحة منهم»[٤]. ووجه الرشيد بالمعتصم إلى البادية ليتعلم الفصاحة[٥].

ومن الجدير بالذكر أن البصرة امتازت بسوق باديتها المعروف باسم «المربد». وهو مكان بظاهر البصرة تفد إليه الأعراب من بواديهم للاتجار بالإبل والماشية وتبادل السلع والعروض، كما كان يلتقي فيه الخطباء والشعراء والرواة والنّسّابون وأرباب البلاغة من مختلف القبائل[٦]. وكان كثير من طلاب العلم يفدون إليه ليدوّنوا ما يجري فيه من الأحاديث، أو لينقلوا عن علماء البادية ما يحفظون من أخبار قبائلهم وأنسابها وأشعارها ومنثورها[٧]. فقد شهد المربد مفاخرات أشهر الشعراء كجرير والفرزدق وغيرهما وهما يتفاخران بالنسب والقبائل

---

(١) أحمد شلبي، التربية، ص١٠١.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص٩٣؛ السيوطي، بغية، ج٢، ص٢٣٢.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص٩٦.

(٤) السيوطي، تاريخ، ص٣٠٥.

(٥) ابن عبدربه، العقد، ج٢، ص٢٧٥.

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١١٥؛ الخربوطلي، الحضارة، ص١٣٩.

(٧) اسعد طلس، التربية، ص٦٦؛ قصي الحسين، من معالم الحضارة العربية الاسلامية، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٣م، ص١٧٢، سيشار له تالياً (قصي الحسين، من معالم).

والمكارم[١]. وكـان أبو نواس يغـدو على المربد بألواحـه للقـاء الأعـراب الفصـحـاء[٢]. وعـن الأصمـعي قال: «جـئت إلى عمـرو بن العلاء، فـقال لي: من أين أقـبلت يا أصمـعي؟ قال: جئت مـن المربد. قال: هات مـا معك، فـقرأت عليه مـا كتـبت في ألواحي، فمـرت به ست كلمات لم يعرفها، فخرج يعـدو في الدرجة، وقال: شمّرت في الغريب. . . أي غلبتني»[٣].

ولـم يكن الجاحظ يقتـصر على ما يتلقى عن شيـوخه، بل كان يذهب إلى مربد البصـرة فيلتقي بالأعراب الواردين عليه ويتلقف الفصاحة منهم شفاهاً[٤].

---

(١) الاصفهاني، الاغاني، ج٨، ص٢٨.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ج٦، ص٢٣٩.

(٣) قصي الحسين، من معالم، ص١٧٢.

(٤) السندوبي، أدب الجاحظ، ص٢٨.

ثالثاً : أعداد المتعلمين:

يبدو أن عدد الطلاب في حلقات العلم ومجالس التدريس لم يكن محدداً، فقد تفاوتت أعداد الطلاب من حلقة إلى أخرى ومن عالم إلى آخر، وقد يكون للازدهار العلمي والتطور الثقافي الذي شهده العصر العباسي الأول أثر كبير في كثرة العلماء وتنوع العلوم، فانعكس ذلك على أعداد الطلاب بشكل واضح. وقد أوردت المصادر التاريخية أعداداً كبيرة لطلبة العلوم في حلقات العلم ومجالسه يصعب في بعض الأحيان تصورها. فقد كان يحضر مجلس أبي الحسين علي بن عاصم الواسطي المحدث (ت٢٠١هـ/ ٨١٦م)، ثلاثون ألفاً[١]. واشتهر يزيد بن هارون (ت ٢٠٦هـ/ ٨٢١م)، بالحديث والفقه، وكان يحضر مجلسه زهاء سبعين ألفاً من الطلبة[٢]. وبلغ عدد طلاب الحديث في جامع الرصافة اكثر من مائة الف شخص، وكان المحدث عاصم بن علي (ت ٢٢١هـ/ ٨٣٦م)، يجلس على سطح المسقطات ويجلس الناس على رحبة النخل التي في الجامع. وقد بلغ المعتصم كثرة الجمع فامر بحرزهم، فوجه بقطاعي الغنم فحرزوا المجلس عشرين الفاً ومائة الف[٣]. وضم مجلس عمرو بن مرزوق البصري المحدث (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)، عشرة آلاف رجل[٤]. وجلس أبو بكر بن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ/ ٨٤٩م)، في جامع الرصافة، فاجتمع اليه نحوٌ من ثلاثين الفاً، وجلس أخوه عثمان (ت٢٣٤هـ/ ٨٤٨م)، في جامع المنصور، فاجتمع اليه ايضاً نحواً من ثلاثين الف طالب علم[٥]. وكان الحضور في مجلس الامام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، في

---

(١) الذهبي، العبر ج١، ص٢٦٣؛ اليافعي، مرآة، ج١، ص٤٦٦.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٤، ص٣٤٦؛ السمعاني، أدب، ص١٦؛ النووي، تهذيب، ج٢ق١، ص١٦٤؛ اسعد طلس، التربية، ص١٦٠.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٢، ص٢٤٧ ـ ٢٤٨؛ السمعاني، أدب، ص١٧، ٩٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص٦٨ ـ ٦٩؛ الذهبي، سير، ج٩، ص٢٦٣، الذهبي، العبر، ج١، ص٣٠١.

(٤) السمعاني، أدب، ص١٧.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٠، ص٦٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص٢٠٧؛ السيوطي، تاريخ، ص٣٤٦.

مسجد بغداد خمسة آلافٍ أو يزيدون، منهم خمسمائة يكتبون عنه[١]. وبلغ عدد طلاب الحديث لدى أبي مسلم الكجي (ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م)، اربعين الفاً[٢].

وكذلك كان الحال في قصور الخلفاء ومنازل العلماء، فقد اغتصت بالأعداد الكبيرة من العلماء والفقهاء وطلاب العلم. فعن العتابي (ت ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)، قال: «كنا بباب الفضل ابن يحيى البرمكي أربعة آلاف ما بين شاعر وزائر»[٣]. ولما دخل المأمون بغداد وقر بها قراره، اختير لمجالسته ومحادثته مائة فقيه[٤]. وبنى المأمون شبه منبر بجانب قصره ببغداد، وجلس عليه سليمان بن حرب المحدث (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)، والناس حوله، وقد قدر عددهم أربعين الفاً[٥]. ويكثر عدد طلاب العلم في منزل الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ/ ٧٨٦م)، فقد قال أبو محمد اليزيدي: «صرت يوماً إلى منزل الخليل بن أحمد الفراهيدي، والمجلس غاص بأهله»[٦]. وكان طلاب العلم من الاطباء يحضرون مجلس أبي دُلف العجلي (ت ٢٢٥هـ/ ٨٣٩م)، فربما اجتمع في مجلسه عشرون رجلاً[٧]. وكان يحضر حلقة ابن الاعرابي (ت ٢٣١هـ/ ٨٤٥م)، زهاء مائة شخص يأخذون عنه العلم[٨]. وكان في مجلس داود بن علي الأصفهاني المحدث (ت ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م)، أربعمائة طالب من أصحاب

---

(١) ابو الفرج، عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، مناقب الامام أحمد بن حنبل، تحقيق محمد أمين الخانجي، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٣٠م، ص٢١٠، سيشار له تالياً (ابن الجوزي، مناقب الامام أحمد)؛ أبو زهرة، ابن حنبل، ص٣٩.

(٢) السمعاني، أدب، ص٩٦؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص١٣٩.

(٣) الصولي، اخبار، ج١، ص٣.

(٤) ابن طيفور، بغداد، ص٣٦؛ رفاعي، عصر، ج١، ص٣٦٠.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ ج٩، ص٣٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص٩٢؛ الذهبي، تذكرة، ج١، ص٣٩٣؛ الذهبي، العبر، ج١، ص٣٠٧.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ٢٠ ج، ص١٨٧.

(٧) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج٢، ص١١٢.

(٨) ابن النديم، الفهرست، ص١٣٧؛ القفطي، إنباه، ج٣، ص١٣؛ السيوطي، بغية، ج١، ص١٠٥.

الطيلسان الأخضر[١].

ومما يلاحظ أن حلقات العلم كانت تتسع أو تضيق تمشياً مع أعداد الطلاب الذين يتحلقون حول القائم بالتدريس[٢]، وهذه الأعداد بدورها كانت تتوقف على مدى شهرة العالم، وتعمقه في مادته، ومهارته في التدريس[٣]، فقد كان مجلس يوحنا بن ماسوية (ت ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م)، من المجالس العامرة بالأطباء والفلاسفة، وأهل العلم، وكان فيه دعابة شديدة «يحضر بعض من يحضر من أجلها»[٤]. وجلس عتبة النحوي قريباً من حلقة ابن مناذر، فترك الناس حلقة ابن مناذر وتوجهوا إلى حلقة عتبة[٥].

ورغم ما قد يكون في الأعداد الواردة من مبالغة تضيق بها سعة المساجد في العراق، وسعة القصور والمنازل، الا أن فيها دلالة واضحة على مقدار الاقبال على طلب العلم والسعي من أجله، ومدى استعداد العالم لتقبل مثل هذه الأعداد، وهي بالتالي انعكاسٌ لمدى شهرته وغزارته في العلم.

---

(١) الشيرازي، طبقات، ص٩٢؛ الذهبي، العبر، ج١، ص٣٩٠.

(٢) بشار معروف، «التربية والتعليم»، ج٨، ص٣٨؛ بلبع، «المسجد»، ص٢٠٦.

(٣) أحمد شلبي، التربية، ص٣٠٤؛ بلبع، «المسجد»، ص٢٠٦؛

George Makdisi, The Rise of Colloges, P. 18.

(٤) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج٢، ص١٢٤؛ ابن العبري، مختصر، ص١٣١.

(٥) الذهبي، تذكرة، ج١، ص١٨٩.

رابعاً: سن التعليم:

يبدو أنه لم يكن هناك سن محددة لطلب العلم، بل كان كل مسلم يدرك أن من واجبه أن يطلب العلم ما أتيح له ذلك، في أي فترة من فترات عمره. فقد ذكر أن إبراهيم بن المهدي دخل على المأمون وعنده جماعة يتكلمون في الفقه فقال: «يا عم ما عندك من ما يقول هؤلاء، فقال: يا أمير المؤمنين: شغلونا في الصغر واشتغلنا في الكبر. فقال: لِمَ لا تتعلمه اليوم، قال: أويحسن بمثلي طلب العلم، قال: نعم. والله لأن تموت طالباً للعلم خير من أن تعيش قانعاً بالجهل. قال: والى متى يحسن بي طلب العلم؟ قال: ما حسنت بك الحياة»[١].

وقد طلب بعضهم العلم أو بعضاً من العلوم على كبر سنه. فقد طلب عيسى بن غُنجار (ت ١٨٦هـ/ ٨٠٢م)، العلم على كبر السن[٢]. وقال الفراء: «إنما تعلم الكسائي (ت١٨٩هـ/ ٨٠٤م)، النحو على كبر سنه»[٣]. وتعلم أبو معشر البلخي (ت ٢٧٢هـ/ ٨٨٦م)، النجوم بعد سبع واربعين سنة من عمره[٤].

على أن اكثر المربين كانوا يدركون أن التبكير في طلب العلم له كبير فائدة، وعظيم جدوى، لنشاط الجسم، وصفاء النفس، ولهذا آثروا أن يكون طالب العلم شاباً[٥]. لذلك لم يتردد الآباء على أن يُلحقوا أبنائهم بحلقات العلم وهم في سن مبكرة، كما حرص الصبيان

---

(١) الوشاء، الظرف، ص٥٠؛ الماوردي، أدب، ص٤٤؛ الطرطوشي، سراج، ج١، ص٢٠٤.

(٢) الذهبي، العبر، ج١، ص٢٢٧.

(٣) ابن الانباري، نزهة، ص٥٩؛ القفطي، إنباه، ج٢، ص٢٥٧ ـ ٢٥٨؛ الذهبي، سير، ج٩، ص١٣٣؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٢٠٩؛ السيوطي، بغية، ج٢، ص١٦٣؛ ابن وادران، تاريخ، ص١٧٣.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص٥٥٧؛ القفطي، اخبار ص١٠٦ ـ ١٠٧.

(٥) أحمد شلبي، التربية، ص٣٠١ ـ ٣٠٢.

أنفسهم، بل تنافسوا في الجلوس المبكر أمام المدرسين للاستماع إليهم، والانتفاع بهم[1]، قال أبو عمر بن العلاء القاريء (ت١٥٤هـ/ ٧٧٠م): «نظرت في العلم قبل أن أختن»[2]. وطلب سفيان الثوري (ت ١٦١هـ/ ٧٧٧م)، العلم وهو حدث[3]، وقال: «ينبغي للرجل أن يكره ولده على طلب الحديث فإنه مسؤول عنه»[4]. وطلب الإمام مالك بن أنس (ت١٧٩هـ/ ٧٩٥م)، العلم وهو ابن بضع عشرة سنة[5]. وطلب عبدالله بن المبارك (ت ١٨١هـ/ ٧٩٧م)، العلم وهو ابن عشرين سنة[6]، وقال أبو يوسف (ت ١٨٢هـ/ ٧٩٨م): «توفي أبي وخلفني صغيراً في حجر أمي، فأسلمتني إلى قصار، أخدمه، فكنت أدع القصار وأمر إلى حلقة أبي حنيفة، فاجلس فاستمع»[7]. وطلب عبيد بن وهب بن مسلم (ت ١٩٧هـ/ ٨١٢م)، العلم وهو ابن سبع عشرة سنة[8]. وكان أبو نواس (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م)، يتردد على حلقات الدرس في المساجد صغيرا[9]. وطلب سفيان بن عيينة (ت١٩٨هـ/ ٨١٣م)، العلم في صغره[10]. وقال الزهري: «ما رأيت طالباً للعلم أصغر منه»[11]. وقد وصف طلبه

---

(١) أحمد شلبي، التربية، ص٣٠٢.

(٢) الذهبي، العبر، ج١، ص١٧١؛ اليافعي، مرآة، ج١، ص٣٤٤؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج١، ص٢٣٧.

(٣) الذهبي، تذكرة، ج١، ص٢٠٦؛ الذهبي، سير، ج٧، ص٢٣٠.

(٤) ابو نعيم الاصفهاني، حلية، ج١، ص٣٦٥.

(٥) الذهبي، سير، ج٨، ص٤٩، ٦٤.

(٦) المصدر نفسه، ج٨، ص٣٧٩.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٧٢ ـ ٧٣؛ ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٣٨٨؛ الاربلي، خلاصة، ص١٢٩.

(٨) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٤٠؛ الذهبي، تذكرة، ج١، ص٣٠٤؛ الذهبي، سير، ج٩، ص٢٢٣.

(٩) الشكعة، الشعر، ص٢٧٣.

(١٠) الذهبي، تذكرة، ج١، ص٢٦٢؛ الذهبي، سير، ج٨، ص٤٥٦.

(١١) الرامهرمزي، المحدث، ص١٨٥.

للعلم صغيراً، فقال: «لو رأيتني ولي عشر سنين طولي خمسة أشبار، ووجهي كالدينار وانا كشعلة نار ثيابي صغار وأكمامي قصار وذيلي بمقدار ونعلي كأذان الفار، أختلف إلى علماء الأمصار، فاذا اتيت قالوا أوسعوا للشيخ الصغير»[١]. ونشأ الشافعي يتيماً في حجر أمه في قلة عيش وضيق حال، وكان في صباه يجالس العلماء ويكتب ما يستفيده[٢]. وقال: «حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وانا ابن عشر سنين»[٣]. وطلب الحسن ابن زياد اللؤلؤي الفقيه (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، العلم وهو ابن بضع عشرة سنة[٤]. وقال الاصمعي (ت ٢١٦هـ/ ٨٣١م): «جلست إلى أبي عمرو بن العلاء المقريء النحوي، ولي تسع عشرة سنة»[٥]. وكان أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، يختلف إلى مجلس القاضي أبي يوسف، ثم ترك ذلك وأقبل على سماع الحديث، فكان أول طلبة الحديث في سنة ثمانين ومائة، وقد بلغ من العمر ستّ عشرة سنة[٦]. وحفظ الإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، تصانيف ابن المبارك وهو صبي[٧]. وكان المبرد النحوي (ت ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م)، يلازم حلقة أبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، ويلازم القراءة عليه وهو غلام[٨]. وكان ثعلب النحوي (ت ٢٩١هـ/ ٩٠٣م)، يقول: «ولدت سنة مائتين، وابتدأت في طلب العربية في

---

(١) الاربلي، خلاصة، ص١٩٥؛ الذهبي، سير، ج٨، ص٤٥٩.

(٢) أبو نعيم الاصفهاني، حلية، ج٩، ص٦٩؛ النووي، تهذيب، ج١، ق١، ص٤٦؛ ابن الجوزي، الصفوة، ج٢، ص١٦٦.

(٣) ابو نعيم الاصفهاني، حلية، ج٩، ص٧٣؛ ابن الجوزي، الصفوة، ج٢، ص١٦٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٣٦؛ أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٢٦.

(٤) الذهبي، سير، ج٩، ص١٩٣.

(٥) القفطي، إنباه، ج٤، ص١٣٤.

(٦) أبو نعيم الاصفهاني، حلية، ج٩، ص١٦٢؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٣٤٠؛ كارل بروكلمان، تاريخ الادب، ج٣، ص٣٠٨.

(٧) الذهبي، تذكرة، ج١، ص٢٦٢.

(٨) ابن الانباري، نزهة، ص١٤٦؛ القفطي، إنباه، ج٢، ص٥٩؛ السيوطي، بغية، ج١، ص٦٠٧.

سنة ست عشرة ومائتين، ونظرت في حدود الفراء وسني ثماني عشرة سنة، وبلغت خمساً وعشرين سنة، وما بقي عليّ مسألة للفراء الا وأنا احفظها».[١]

وقد جلس بعضهم للإفادة والفتيا في سن مبكرة. فقد قال يزيد بن هارون: «أخذ العلم عن سفيان الثوري، وهو ابن ثلاثين سنة»[٢]. وتأهل مالك بن انس للفتيا، وجلس للإفادة، وله احدى وعشرين سنة[٣]. وكان سيبويه النحوي يجلس في المسجد، «وكان شاباً جميلاً نظيفاً قد تعلق من كل علم بسبب، وضرب في كل أدب بسهم مع حداثة سنه»[٤]. وحدث وكيع بن الجراح الكوفي المحدث (ت ١٩٧هـ/ ٨١٢م)، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة[٥]. وأفتى الشافعي (٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، وهو ابن خمس عشرة سنة[٦]. وكان سفيان ابن عيينه اذا جاءه شيء من الفتيا أو التفسير التفت إلى الشافعي وقال: «سلوا هذا الغلام»[٧].

يظهر مما سبق الحرص على التبكير في اللحاق بحلقات العلم ومجالسه، لما في ذلك من فائدة كبيرة، مع أن هذا لم يمنع بعضهم من طلب العلم على كبر سنه. وقد يتفاوت سن قبول الطلاب للجلوس في حلقات ومجالس العلم بين تخصص وآخر، وربما هو في اللغة اكبر من الحديث، والفقه اكبر من اللغة. وقد يكون معدل سن قبول العلماء لطلبة العلم يتراوح بين

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص١٤٦؛ ابن الانباري، نزهة، ص١٧٤؛ القفطي، إنباه، ج١، ص١٧٤؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٢، ص٤٤٢؛ ابن خلكان، وفيات، ج١، ص١٠٢؛ الذهبي، تذكرة، ج٢، ص٦٦٦؛ السيوطي، بغية، ج١، ص٣٩٦.

(٢) ابن الجوزي، الصفوة، ج٣، ص٩٧.

(٣) الذهبي، سير، ج٨، ص٦٤.

(٤) القفطي، إنباه، ج٢، ص٣٥٢؛ الذهبي، سير، ج٨، ص٣٥٢.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٣، ص٤٦٨؛ ابن الجوزي، الصفوة، ج٣، ص١١٣.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٣٦؛ النووي، تهذيب، ج١، ص٥٩؛ ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص١٦٤.

(٧) ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص١٦٤؛ أحمد شلبي، التربية، ص٣٠٣.

العاشرة والسادسة عشرة وهو متوسط سن فراغ الطالب من المرحلة الابتدائية (الكُتّاب)، مع الأخذ بعين الاعتبار التفاوت في ذكاء الطلاب الذي يتيح لبعضهم مغادرة الكُتّاب في سن مبكرة. حيث يبدأ الطالب بارتياد حلقات العلم ومجالسه، وقد تأهل بعضهم ليترأس حلقات العلم ومجالس الافتاء في سن مبكرة، وفي ذلك دليل على ما تمتع به هؤلاء من ذكاء أتاح لهم القدرة على الإفادة والإفتاء، فوصلوا إلى مراكز علمية مرموقة وهم في مطلع الشباب، ومقتبل العمر.

خامساً: مواعيد التعليم:

يبدو أن انعقاد حلقات ومجالس العلم في المساجد، ارتبط بمواعيد الصلاة، فقد كان أبو حنيفة (ت ١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، يجلس للناس ويفقههم من صلاة الفجر إلى الظهر، ثم إلى العصر، ثم إلى المغرب، ثم إلى العشاء[١]، وقد قال عبدالله بن المبارك المحدث (ت ١٨١هـ/ ٧٩٧م): «كنت أحضر مجلس أبي حنيفة بالغداة والعشي»[٢]. ودخل الكسائي (ت ١٨٩هـ/ ٨٠٤م)، مسجد السبيع في الكوفة مع آذان الفجر، فصلى، وجلس في حلقة حمزة بن حبيب الزيات المقريء[٣]. وعن وكيع بن الجراح المحدث (ت ١٩٧هـ/ ٨١٢م)، قال: «كان أبي يجلس لأصحاب الحديث من بكرة إلى ارتفاع النهار، ثم ينصرف فيقيل»[٤]. وكان قطرب النحوي (ت٢٠٦هـ/ ٨٢١م)، يبكر إلى سيبويه، قبل حضور أحد من الطلاب، فقال له يوماً: «ما أنت الا قطرب ليل»[٥]. وكان الشافعي (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، «يجلس في حلقته

(١) الخطب البغدادي، تاريخ، ج١٣، ص٣٥٦.

(٢) الموفق المكي، مناقب، ص٣٠٩ ـ ٣١٠.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١١، ص٤٠٥.

(٤) الذهبي، سير، ج٩، ص١٤٩.

(٥) ابن وادران ،تاريخ العباسين، ص٣٧٢.

اذا صلى الفجر، فيجيئه أهل القرآن، فاذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث، فيسألونه تفسيره ومعانيه، فاذا ارتفعت الشمس قاموا، فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر، فاذا ارتفع الضحى تفرقوا، وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر، فلا يزالون إلى قرب انقضاء النهار»[١]. وفي هذا اشارة إلى قدرة الشافعي العلمية ورغبته في نشر علمه بين الناس طلباً للأجر والثواب.

وقد تستمر حلقات العلم ومجالسه في المساجد إلى ما بعد صلاة العشاء فقد كان أبو حنيفة «يركع في كل ليلة بعد العشاء أربعاً ثم يجلس يلقي المسائل ويناظر»[٢]. وكان للإمام مالك (ت ١٧٩هـ/ ٧٩٥م)، مجلس بعد العشاء يجلس فيه للتعليم.[٣] وتذاكر عبدالله بن المبارك (ت ١٨١هـ/ ٧٩٧م) الحديث مع أحد العلماء عند باب المسجد بعد صلاة العشاء فما زال كذلك حتى جاء المؤذن فأذن الفجر[٤].

وكانت بعض المجالس تتخصص بيوم واحد في الأسبوع، فقد كان ابن مناذر النحوي (ت ١٨١هـ/ ٧٩٧م)، يعقد حلقة للنحو في كل يوم جمعة[٥]. وكان الكسائي (ت ١٨٩هـ/ ٨٠٤م)، يعقد مجلساً للعلم في كل يوم ثلاثاء[٦]. وكان لمحمد بن أحمد بن كيسان النحوي (ت ٢٩٩هـ/ ٩١١م)، مجلساً بعد صلاة الجمعة في جامع المنصور[٧]. وكان الشعراء يجتمعون في كل يوم جمعة في القبة المعروفة بهم «قبة الشعراء» بجامع بغداد، ينشدون

---

(١) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٦، ص٢٤٠٥؛ George Makdisi, The Rise of Colloges, P. 81

(٢) الموفق المكي، مناقب، ص٢٣٢.

(٣) الكردري، مناقب، ص٢٩٤.

(٤) الذهبي، تذكرة، ج١، ص٢٧٧.

(٥) أبي عمران، المرقصات، ص١٦٩.

(٦) الزجاجي، مجالس، ص٢٦٩.

(٧) القفطي، إنباه، ج٣، ص٥٩.

الشعر، ويعرض كل منهم على أصحابه ما يكون قد نظمه بعد مفارقتهم في الجمعة التي قبلها[١].

وكما هو الحال في حلقات ومجالس العلم في المساجد، كان الحال في منازل العلماء حيث وردت إشارات إلى أوقات انعقاد حلقات العلم في منازل العلماء، فقد كان خلف بن أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر يأتيان بشار بن برد (ت ١٨٦هـ/ ٧٨٤م)، ويسلمان عليه، ثم يقولان: «يا أبا معاذ: ما أحدثت فيجيزهما وينشدهما ويكتبان عنه متواضعين له حتى وقت الظهر»[٢]. وكان منزل عبدالله بن المبارك (ت ١٨١هـ/ ٧٩٧م)، ملتقىً للعلماء يجتمعون في كل يوم[٣]. وكان الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، يذاكر وكيعاً (ت ١٩٧هـ/ ٨١٢م)، في منزله بعد صلاة العشاء[٤]، ومر عبدالرحمن بن يوسف بن خراش الحافظ (ت ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م)، بمنزل أبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، في وقت مبكر، فتذاكرا معاً حتى الصباح[٥].

أما المجالس التي تعقد في قصور الخلفاء والأمراء، فقد كانت مرتبطة بدعوة الخليفة أو الأمير لانعقادها[٦]، فقد دعا المأمون بحضور الفقهاء إلى مجلسه وأمرهم بالإبكار إليه في السحر، قال حماد بن زيد: «فغدونا عليه قبل طلوع الفجر، فوجدناه قد لبس ثيابه وهو جالس ينتظرنا»[٧]. وذكر المسعودي: «ان المأمون كان يجلس للمناظرة في الفقه يوم الثلاثاء

---

(١) الاصفهاني، الاغاني، ج٣، ص١٧٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص١٣١؛ ابن نباته، سرح، ص٣٢٥.

(٢) الاصفهاني، الاغاني، ج٣، ص١٨٤.

(٣) ابن الجوزي، الصفوة، ج٤، ص١٢١.

(٤) ابن الجوزي، مناقب الامام أحمد، ص٥٧.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٠، ص٣٣٣.

(٦) أحمد شلبي، التربية، ص٧٢.

(٧) ابن عبدربه، العقد، ج٥، ص٣٥٠.

«فلا يزالون كذلك إلى أن تزول الشمس»[١]، بينما ذكر السيوطي: «ان للمامون كل اسبوع يومان يجلس فيهما لمناظرة العلماء، فيجلس المناظرون من الفقهاء والمتكلمون بحضرته على صفاتهم ومراتبهم»[٢]. ووجه الواثق إلى الجلساء والمغنين أن يبكروا اليه في يوم حدده لهم.[٣]

نتبين مما سبق أن مجالس العلم وحلقاته في المساجد، ارتبطت بأوقات الصلاة، وربما بدأت قبل صلاة الفجر، إلا أن أغلبها كان يلقى بعد صلاة الفجر، وهي الفترة الأولى ثم تليها الفترة الثانية لتنتهي عند صلاة الظهر. أما الفترة الثالثة فتنتهي بعد صلاة العصر، وتستمر الفترة الرابعة حتى آذان المغرب. وربما عقدت بعض المجالس بعد صلاة المغرب، لتستمر إلى صلاة العشاء، وربما إلى ما بعد صلاة العشاء. وهذا لا يعني وجود حلقة واحدة في موضوع واحد في الصباح مثلاً لتستمر إلى العشاء، وعلى فترات، بل قد يجاورها حلقات اخرى، وفي مواضيع اخرى ولعلماء آخرين.

ان هذا الاتساع في عقد حلقات العلم، والذي شمل جميع ساعات النهار، ومعظم ساعات الليل، منح طلاب العلم فرصة كاملة للأخذ من العلم ما وسعهم ذلك، وكان بوسعهم أن ينتقلوا من مكان إلى آخر طلباً لمزيد من العلوم.

اما حلقات ومجالس العلم التي كانت تعقد في منازل العلماء وقصور الخلفاء والامراء، فقد ارتبطت بالاشخاص، حيث تحدد أوقات المجالس وعددها. وقد تعقد بطريق الصدفة فيلتقي عالم بآخر وطالب علم بعالم وليستمر النقاش لفترة قد تطول أو تقصر.

---

(١) المسعودي، مروج، ج٤، ص٢٢.

(٢) السيوطي، تحفة، ص٣٧٩.

(٣) انظر: الاصفهاني، الاغاني، ج٩، ص٢٩٠ ـ ٢٩١.

سادساً : مدة التعليم:

يبدو الاختلاف واضحاً في المدة الزمنية التي يقضيها الطالب في ملازمة الحلقات ومجالس العلم. فقد ذكر عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج (ت ١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، انه جالس عمرو بن دينار بعدما فرغ من عطاء سبع سنين، وذكر ايضاً انه حضر عطاء عشرين سنة[١]. وصحب أبو حنيفة (ت ١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، حماد بن سلمة النحوي (ت ١٦٩هـ/ ٧٨٥م)، عشر سنين، ثم اراد اعتزال حلقته، والجلوس في حلقة لنفسه، ولكنه لم يفعل، وقد اخذ عهداً على نفسه أن لا يفارقه حتى يموت[٢]. وجالس مبارك بن فضالة البصري الراوي (ت ١٦٥هـ/ ٧٨١م)، الحسن البصري ثلاث عشرة سنة[٣]. واختلف أبو عبيدة معمر بن المثنى النحوي اللغوي (ت ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م)، إلى حلقة يونس بن حبيب النحوي (ت ١٨٣هـ/ ٧٩٩م)، اربعين سنة[٤]. وحضر أبو عبدالله محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٧هـ/ ٨٠٢م)، مجلس أبي حنيفة سنتين، ثم تفقه على أبي يوسف[٥]. ولزم غندر الحافظ البصري (ت ١٩٣هـ/ ٨٠٨م)، شعبة بن الحجاج المحدث (ت ١٦٠هـ/ ٧٧٦م)، عشرين سنة[٦]. واختلف أبو بكر بن عياش القاريء (ت ١٩٣هـ/ ٨٠٨م)، إلى عاصم بن علي نحواً من ثلاث سنين[٧]. واقام النضر بن شميل (ت ٢٠٣هـ/ ٨١٦م)، بالبادية، يطلب العلم، اربعين سنة[٨]. وقال نافع بن عبدالله (ت ٢٠٦هـ/ ٨٢١م): «جالست مالكاً اربعين أو خمساً

---

(١) الشيرازي، طبقات، ص٧١.

(٢) الموفق المكي، مناقب، ج١، ص٥١ - ٥٢؛ الذهبي، سير، ج٦، ص٣٩٧.

(٣) الذهبي، تذكرة، ج١، ص٢٠١.

(٤) القفطي، إنباه، ج٤، ص٧٧؛ ابن خلكان، وفيات، ج٧، ص٢٤٤ - ٢٤٥؛ اليافعي، مرآة، ج١، ص٤٠٠.

(٥) الشيرازي، طبقات، ص١٣٥.

(٦) الذهبي، تذكرة، ج١، ص٣٠١.

(٧) الذهبي، سير، ج٨، ص٥٠٧.

(٨) السيوطي، بغية، ج٢، ص٣١٦.

وثلاثين سنة، كل يوم ابكر واهجر وأروح»[١]. وقال أبو زيد الانصاري النحوي (ت ٢١٥هـ/ ٨٣٠م)، «جلست إلى يونس بن حبيب، عشر سنين، وجلس اليه قبلي خلف الاحمر عشرين سنة»[٢]. واكب الاصمعي على رأس أبي زيد الأنصاري مقبلاً، وقال: «هذا عالمنا ومعلمنا منذ ثلاثين سنة»، ثم جاء خلف الاحمر، فقبل رأس أبي زيد وجلس، وقال: «هذا عالمنا ومعلمنا منذ عشرين سنة»[٣]. ولزم أبو العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ/ ٩٠٣م)، مجلس محمد بن زياد الاعرابي (ت ٢٣١هـ/ ٨٤٥م)، بضع عشرة سنة[٤]. ويذكر أن أبا العباس ثعلب، لم يبرح مجلس ابراهيم الحربي الفقيه (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)، وقال أبو العباس: «ما فقدت ابراهيم الحربي في مجلس لغةٍ أو نحوٍ خمسين سنة»[٥].

نلاحظ مما سبق:

- لم تكن المدة التي يقضيها الطالب في طلب العلم محددة بفترة زمنية، فقد تفاوتت من شخص لآخر، ومن علم لآخر، وقد تطول فترة العلم أو تقصر تبعاً لظروف الطالب، ورغبته في موضوع العلم ومجالسه.

- أن ملازمة بعض الطلبة لعلمائهم مدداً طويلة؛ دليل على مدى قدرة العالم، ومدى احترام الطالب لهذا العالم.

- حرية الطالب في اختيار العالم الذي يريد، وتحديد مدة طلبه للعلم وقد يستغرق حياته كلها، مع ما في ذلك من تحمل وصبر وطول نفس.

---

(١) ابو نعيم الاصفهاني، حلية، ج٦، ص٣٢٠؛ الذهبي، سير، ج٨، ص١٠٨.

(٢) القفطي، إنباه، ج٤، ص٧٧؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٦، ص٢٨٥١؛ ابن خلكان، وفيات، ج٧، ص٢٤٥؛ اليافعي، مرآة، ج١، ص٤٠٠.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٢٦٨؛ السيوطي، بغية، ج١، ص٥٨٣.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص١٣٧؛ القفطي، إنباه، ج٣، ص١٣٠.

(٥) القفطي، إنباه، ج١، ص١٩٣؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١، ص٤٤.

سابعاً: أساليب وطرق التعليم:

١ ـ طريقة الاملاء:

تقوم طريقة الاملاء على أن يقوم العالم بالقاء بعض ما يحفظه، أو من مذكرات كتبها، على من يحضرون مجلسه[(١)]، مطيلاً للقراءة ومرتباً للفقرات والمسائل[(٢)]. ويقوم الطلبة بكتابة ما يمليه العالم فيما يحملونه من اوراق[(٣)]. وحينما ينتهي العالم من إملاء النص، يقوم بالشرح والتفسير والتوضيح لما غمض منها، والطلاب يدونون هذه الشروح على هامش اوراقهم التي كتبوا فيها الاصول[(٤)]. وعندما يُكمل العالم اماليه كانت تعرض عليه، أو يقوم الطلاب بقراءتها عليه ليصحح ما قد يكون بها من اخطاء[(٥)].

ويبدو أن اسلوب الاملاء عُرف منذ القرن الاول للهجرة، فقد كان الرسول ﷺ ـ يُملي على كتابه (رضي الله عنهم)[(٦)]. ودعا يوماً بأديم وعلي بن أبي طالب عنده «فلم يزل رسول الله ﷺ يُملي وعلي يكتب حتى ملأ بطن الاديم وظهره وأكراعه»[(٧)]. وقدم علي بن أبي طالب الكوفة، فرأى اصحاب عبدالله بن مسعود يفقهون الناس، والناس يكتبون[(٨)]. وكان واثلة بن الاشجع المحدث (ت٨٥هـ/ ٧٠٤م)، يملي على الناس الاحاديث وهم

---

(١) سعيد اسماعيل، معاهد، ص٢٢٥؛ منير أحمد، تاريخ التعليم، ص٦٣؛ بلبع، «المسجد»، ص٢٣٠.

(٢) النحاس، صناعة، ص١١٥.

(٣) سعيد اسماعيل، معاهد، ص٢٢٥.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٥٥؛ ماجد عرسان، النظرية التربوية، ص٩٤.

(٥) محمد منير، تاريخ التربية، ص١٧٢؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص٢٢٥؛ منير أحمد، تاريخ التعليم، ص٦٤؛ ماجد عرسان، النظرية التربوية، ص٩٥.

(٦) السمعاني، أدب، ص١٣.

(٧) الرامهرمزي، المحدث، ص٦٠١. وأكارعه: أطرافه، وأكارع الارض اطرافها القاصية. ابن منظور، لسان، ج٨، ص٣٠٧.

(٨) الكردري، مناقب، ص٦٤.

يكتبونها بين يديه[١]. وذكر الشافعي أن مُعلم الكُتّاب الذي درس فيه القرآن كان يملي على الصبيان وهم يكتبون[٢]. وعن سفيان الثوري (ت ١٦١هـ/ ٧٧٧م)، انه جاء إلى يونس بن حبيب، فأخذ يسأله ويملي عليه[٣]. وكان ابن مناذر (ت ١٨١هـ/ ٧٩٧م)، يجلس في المسجد وعنده اصحاب الاخبار والشعر يكتبون عنه[٤]. ولما قدم أبو نواس (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م)، مصر، كان يجلس في الجامع والناس حوله وهو ينشدهم الاشعار وهم يكتبون عنه[٥]. وأملى عبدالرحمن بن مهدي العنبري (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م)، عشرين الف حديث حفظاً[٦]. وذهب الحسين بن علي الصدائي الراوي الى ابى داود الحضري المحدث (ت ٢٠٣هـ/ ٨١٨م)، فاملى عليه حتى انتهى ما معه من ورق[٧]. وذهبت جماعة من اصحاب الكسائي إلى الفراء (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، يسالوه أن يُملي عليهم بعض النحو[٨]. وقد كان له مجلساً للاملاء، يعقد في يوم معين[٩]. وامر المأمون الفراء بوضع كتاب في النحو فاملاه وكتبه الناس عنه[١٠]. وفي مسجد البصرة كان يجلس مسلم بن الوليد (ت ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م)، يملي من شعره[١١]، وكان الامام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، يلزم مجلس اسحاق

---

(١) محمد كردعلي، «التدوين في الاسلام»، مجلة المقتطف، م٧٧، القاهرة ١٩٣٠م، ص٢٦٦، سيشار له تالياً (كرد علي، التدوين).

(٢) ماجد عرسان، النظرية التربوية، ص٩٤.

(٣) المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص١٠٦.

(٤) الاصفهاني، الاغاني، ج١٨، ص١٢٧؛ أبي عمران، المرقصات، ص١٧٨ ـ ١٧٩.

(٥) السيوطي، تحفة، ص٣٣٧.

(٦) ابن الجوزي، الصفوة، ج٤، ص٣.

(٧) المصدر نفسه، ج٣، ص١١٧.

(٨) ابن النديم، الفهرست، ص١٣٣.

(٩) القفطي، إنباه، ج٤، ص١٠، ج٢، ص٥٦.

(١٠) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٧٨؛ ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص١٧٨؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٢٧٢؛ ابن وادران، تاريخ العباسيين، ص٣٧٤.

(١١) المرزباني، الموشح، ص٤٤٥؛ أحمد امين، ضحى، ج٢، ص٥٣.

ابن مرار الشيباني اللغوي (ت ٢١٠هـ/ ٨٢٥م)، ويكتب اماليه[١]، وقدم أحمد بن الفرات ابن خالد الضبي (ت ٢٥٨هـ/ ٨٧١م)، مصر فاملى على طلابه «كذا وكذا الف حديث عن ظهر قلبه، فلما وصلت الكتب اليه قوبلت بما أملى فلم يختلف الا في مواضع يسيره وكان يقول: حضرت مجلس يزيد بن هارون فاملى ثلاثين حديثاً فحفظتها»[٢]. وحدث أبو بكر بن الانباري قال: «املى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي أو قرأ على باب داره»[٣].

واتخذ بعضهم شخصاً يبلغ عنه ما يقول ليصل إلى من بعد في مجلس الدرس، وقد عُرف هذا الشخص باسم «المستملي»[٤]، فقد كان سيبويه يستملي على حماد بن سلمه النحوي (ت ١٦٩هـ/ ٧٥٨م)[٥]. وإذا اتسع المجلس يستعان باكثر من مستملي، بحيث يبلغ بعضهم بعضاً ما يقوله المملي[٦]. فقد كان في مجلس علي بن عاصم الواسطي المحدث (ت ٢٠١هـ/ ٨١٦م). اكثر من مئة الف انسان، وكان يستملي عليه هارون الديك، وهارون مكحلة[٧]، وجلس سليمان بن حرب المحدث (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)، والناس حوله، وقد قُدِّر عددهم

---

(١) ابو المحاسن يوسف بن الحسن بن المبرد، بحر الدم فيمن تكلم فيه الامام أحمد بمدح أو ذم، تحقيق روحية عبدالرحمن السويفي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م، ص١٨٣، سيشار له تالياً (ابن المبرد، بحر الدم).

(٢) ابن عساكر، تهذيب، ج١، ص٤٣٦.

(٣) أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي، الامالي، ٢ج، ط٢، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٦م، ج١، ص٥٤، سيشار له تالياً (الامالي، القالي).

(٤) شوقي ضيف، العصر العباسي، ص١٠٠.

(٥) ابو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي واداب السامع، تحقيق محمد عجاج الخطيب، ٢ج، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩١م، ج٢، ص٨٣، سيشار له تالياً (الخطيب البغدادي، الجامع)؛ ابن الانباري، نزهة، ص٤٢؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٣، ص١١٩٩؛ الذهبي، سير، ج٨، ص٣٥٢؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٨٢؛ السيوطي، بغية، ج١، ص٥٤٩.

(٦) ماجد عرسان، النظرية التربوية، ص٩٥.

(٧) السمعاني، أدب، ص١٧،٩٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص٦٨ ـ ٦٩؛ الذهبي، سير، ج٩، ص٢٦٣.

باربعين الفاً، وقد استعان بهارون المملي «وكان صوته كالرعد»[١]. ولما زار البخاري (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، بغداد، عُقدت له مجالس فيها، وكان يحضر مجلسه أكثر من عشرين الفاً، ولكثرة عددهم كان في مجلسه ثلاثة مستملين[٢]. واملى أبو مسلم الكجي (ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م)، الحديث، وقد كان في مجلسه سبعة مستملين يبلغ كل واحد منهم صاحبه الذي يليه[٣].

ويقف المستملي عادة على رجليه بخلاف العالم والطلبة، الا اذا وجد مقعداً عالياً يجلس عليه بحيث يراه الطلاب ويسمعونه.[٤] فقد كان هارون المستملي يركب نخلة معوجة[٥].

ومن الصفات الواجب توفرها في المستملي، أن يكون جهوري الصوت، ذكياً، سريع الفهم، سريع الادراك والفطنة «افصح الحاضرين لساناً، واوضح بياناً، واحسنهم عبارة واجودهم اداء»[٦]، وان يكون ملماً بالعلم الذي يستميله، وله بعض الخبرة فيه، ليساعده ذلك على تجنب الغلط والخطأ. وعليه تبليغ كلام العالم إلى البعيد عنه بامانة ودقة[٧]. فقد كان سيبويه يستملي على حماد بن سلمه، فقال له حماد يوماً: قال رسول الله « ما من اصحابي الا اخذت عليه ليس ابا الدرداء». فقال سيبويه: أبو الدرداء. فقال حماد: لحنت يا سيبويه[٨].

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٩، ص٣٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص٩٢؛ الذهبي، تذكرة، ج١، ص٣٩٣؛ الذهبي ، العبر، ج١، ص٣٠٧.

(٢) السمعاني، أدب، ص١٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٩٦؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص١٣٩؛ اسعد طلس، التربية، ص١٦٣.

(٤) الخطيب البغدادي، الجامع، ج٢، ص٨١.

(٥) السمعاني، أدب، ص٩٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص٦٨؛ الذهبي، سير، ج٩، ص٢٦٣.

(٦) السمعاني، أدب، ص٩٣.

(٧) اسعد طلس، التربية، ص١٦٣؛ ماجد عرسان، النظرية التربوية، ص٩٥.

(٨) الخطيب البغدادي، الجامع، ج٢، ص٨٣ ـ ٨٤؛ ابن الانباري، نزهة، ص٤٢؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٣، ص١١٩٩؛ الذهبي، سير، ج٨، ص٣٥٢؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٨٢؛ السيوطي، بغية، ج١، ص٥٤٩.

٢ـ طريقة السماع والحفظ:

وتقوم هذه الطريقة على أن يقوم العالم بالقاء علومه على الطلاب ليسمعها الطلاب ويحفظونها دون كتابتها[١]. وربما كان الحفظ من اهم شروط العلم عند المسلمين، وقد يكون ذلك راجعاً إلى حاجتهم إلى الاعتماد على الذاكرة اكثر من الاعتماد على الكتابة. وقد كانوا يفخرون بالعلم الذي« حوته الصدور» لا بالعلم الذي « حوته السطور»[٢]. كقول الخليل بن أحمد الفراهيدي:

ليس بعلم ما حوى القمطر ما العلم الا ما حواه الصدر[٣]

وقول سليمان بن مهران الاعمش:

نستودع العلم قرطاساً نضيعه وبئس مستودع العلم القراطيس[٤]

وأوضح الإمام الشافعي اهمية الحفظ فقال:

علمي معي حيثما يَمّمْتُ ينفعني قلبي وعاءٌ له لا بطن صندوق

إن كُنتُ في البيت كان العلم فيه معي أو كنت في السوق كان العلم في السوق[٥]

---

(١) منير أحمد، تاريخ التعليم، ص٦٣؛ ماجد عرسان، النظرية التربوية، ص٨٠.

(٢) عبدالله عبدالدايم، التربية، ص١٨٥.

(٣) ابن عبدالبر، جامع، ج١، ص٦٨؛ أبو بكر جابر الجزائري، العلم والعلماء، دار الكتب السلفية، القاهرة د.ت، ص٣٤، سيشار له تالياً (ابو بكر الجزائري، العلم).

(٤) الرامهرمزي، المحدث، ص٣٨٧؛ ابن عبدالبر، جامع، ج١، ص٦٩.

(٥) ابو عبدالله محمد بن ادريس الشافعي، ديوان، جمع وتحقيق اميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩١م، ص١١٠، سيشار له تالياً (الشافعي، ديوان).

وقد كـان بعض علماء المسلمين يرى البدء بـالحفظ قبل الفهـم، فكان يقال: «أول العلم الصمت، والثاني الاستماع، والثالث الحفظ، والرابع العقل، والخامس النشر»[١].

وقال أبو الدرداء: «كن عـالماً، أو متعلماً، أو مستمعاً، ولا تكن الرابع فـتهلك»، يعني ممن لا يعلم، ولا يتعلم، ولا يستمع[٢].

ويبـدو أن بعض العلـمـاء لا يسـمح بالكتـابة في حلقـاتـهم لعـدم رغبـتـهم في الامـلاء والكتابة، أو أن مـواد الكتابة غـير متـوفرة، أو بسـبب كثرة عـدد الطلاب، لذلك نجد بعـضهم يضع شـخصـاً ليراقب الطـلبة ويمنعـهم من الكتـابة، مثـال ذلك الحجـاج بن ارطأة الراوي (ت ١٤٩هـ/ ٧٦٦م)، الذي اتخذ غلاماً مراقباً في حلقته[٣].

وتتـعـدد الروايـات التي تشـيـر إلى السـماع والحـفظ، التي تظهـر التـفـاوت في مقـدرة الطلاب على الحـفـظ. فـقد قـال أبو حنيـفـة (ت ١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، «جلسـت إلى حـمـاد، فكنت اسمع مـسائله، فاحفظ قـوله، ثم يعـيدها في الغد فاحـفـظها»[٤]. وكـان أبو يـوسـف (ت ١٨٢هـ/ ٧٩٨م)، مـعـروفـاً بحـفظ الحـديث، فكان يحـضـر حلـقـة المحـدث فـيـحـفظ خمـسين حديـثاً، ثم يقـوم ويملـهـا على الناس[٥]. وسـمع هارون الرشـيـد كتـاب الموطأ من مالـك بن انس، كمـا سمعـه من حـضـر من فقـهـاء الحجـاز والعراق والـشام واليـمن الذين حضروا المجلس[٦]. وقـال سفـيـان بن عـيينه (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م): «ما كـتـبت شـيـئاً الا

---

(١) السمرقندي، تنبيه، ص٣٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٤١.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٨، ص٢٣٣.

(٤) الموفق المكي، مناقب، ص٥١؛ الذهبي، سير، ج٦، ص٣٩٧.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٧٢ ـ ٧٣؛ ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٣٨٨.

(٦) مجهول، الامامة، ج٢، ص١٨٣.

حفظته قبل أن اكتبه»[١]. وقال الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م): «حفظت الموطأ قبل أن آتي مالكاً»[٢]. وقال: «دخلت المسجد فكنت اجالس العلماء فأحفظ الحديث والمسألة»[٣]. وكان أبو محمد عبدالله بن نافع الصايغ (ت ٢٠٦هـ/ ٨٢١م)، امياً لا يكتب، وقد قال: «صحبت مالكاً، اربعين سنة، ما كتبت عنه شيئاً، وإنما كان حفظاً اتحفظه»[٤]. وحُكي عن أبي مُحِلِّم السعدي (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)، انه قال: «لما قدمت مكة لزمت ابن عيينه، فلم اكن افارق مجلسه فقال لي يوماً: يا فتى أرك حسن الملازمة والاستماع، ولا أراك تحظى من ذاك بشيء، قلت: وكيف؟ قال: لأني لا أراك تكتب شيئاً مما يمر، قلت: اني احفظ، قال: كل ما حُدثت به حفظته؟ قلت: نعم، فاخذ دفتر انسان بين يديه، وقال: أعد عليّ ما حدثت به اليوم، فأعدته فما خرمت منه حرفاً»[٥]. وقال حاشد بن اسماعيل الحافظ (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤م)، وآخر: «كان البخاري يختلف معنا إلى السماع وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أياماً، فكنا نقول له: فقال: إنكما قد اكثرتما عليّ، فاعرضا عليّ ما كتبتما، فاخرجنا اليه من كان عندنا، فزاد على خمسة عشر الف حديث، فقرأها كلها على ظهر قلب، حتى جعلنا نُحكم كُتبنا من حفظه»[٦]. وقال أبو العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ/ ٩٠٣م): «ما بقي للفراء عليّ مسألة الا وأنا احفظها واضبط موضعها»[٧].

---

(١) الذهبي، سير، ج٨، ص٤٦١.

(٢) أبو نعيم الاصفهاني، حلية، ج٩، ص٦٩؛ ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص١٦٤.

(٣) ابو نعيم الاصفهاني، حلية، ج٩، ص٧٣؛ ابن الجوزي، الصفوة، ج٢، ص١٦٦.

(٤) الشيرازي، طبقات، ص١٤٧.

(٥) المرزباني، نور القبس، ص٢١٢؛ السيوطي، بغية، ج١، ص٢٥٨.

(٦) السبكي، طبقات، ج٢، ص٢١٧.

(٧) ابن النديم، الفهرست، ص١٤٦؛ ابن الانباري، نزهة، ص١٧٤؛ القفطي، إنباه، ج١، ص١٧٤؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٢، ص٥٤٢؛ ابن خلكان، وفيات، ج١، ص١٠٢؛ الذهبي، تذكرة، ج٢، ص٦٦٦؛ السيوطي، بغية، ج١، ص٣٩٦.

٢ـ طريقة المناظرة:

وقف المسلمون على أهمية المناظرة فأولوها عناية كبرى، كواحدة من طرق التعليم في مراحل التعليم العليا[١]، لما لها من أهمية في شحذ الذهن، وتقوية الحجة، وتربية العقل على التفكير السليم، والتوصل إلى الحقائق بأسلوب سليم، ولما لها من أهمية في تنمية روح الاجتهاد والقياس، وتعويد اللسان على التعبير الشفوي السليم[٢]. فيكون في ذلك إثراء تربوي واضح، وتعليم مفتوح يقوم على مراعاة المواهب، وتنوع القدرات[٣]. وقد سبق أن تحدثنا عن بعض المناظرات الهامة التي كانت تعقد في حلقات العلم ومجالسه في المساجد والقصور والمنازل[٤].

وحتى تصل المناظرة إلى المستوى المنشود لا بد أن يكون المتناظرين عالمين بارعين متسامحين، غير حقودين ولا غيورين ولا مرائين[٥]، وان يكون مرادهما من المناظرة بحث العلم واحياء الحق[٦]، فان كان مراد احدهما المغالبة والمفاخرة، فيرى الآجري (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م): «عدم اقامة تلك المناظرة»[٧]. وقال الغزالي (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م)، في جواز المناظرة «لكن تجوز اذا اردت اظهار الحق وذلك لان لا تفرق بين أن ينكشف الحق على لسانك أو على لسان غيرك»[٨]. وقال الشافعي (ت٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، «ما ناظرت احداً

---

(١) عبدالله عبدالدايم، التربية، ص١٨٧؛ الابراشي، تاريخ علماء، ص٢٠٤.

(٢) عبدالرؤوف يوسف، أخلاق العالم، ص١٥٣؛ الابراشي، تاريخ علماء، ص٢٠٤.

(٣) ماجد عرسان، النظرية التربوية، ص٤٩٧.

(٤) انظر: الفصل نفسه.

(٥) العلموي، المعيد، ص١١٧.

(٦) المصدر نفسه، ص١١٦.

(٧) الآجري، أخلاق العلماء، ص٧٨ ـ ٨٠.

(٨) الغزالي، ايها الولد، ص٣٢.

فاحببت أن يخطيء بل احب أن يوفق ويسدد، وما ناظرت احداً، الا ولم ابال بيّن الله الحق على لساني أو لسانه»[١]. واذا ظهر الحق على لسان احدهما فعلى الطرف الآخر أن يلتزم قوله ويعدل عن الباطل، اذا تبين له الحق على لسان مناظره[٢]. قال الشافعي: «ما ناظرت احداً فباليت مع من كانت الحجة إن كانت معه صرتُ إليه»[٣]. وقال: «ما ناظرت أحداً فانكر الحجة الا سقط من عيني»[٤]. وعلى المتناظرين عدم انقياد احدهما للآخر قبل وجوب الحجة عليه مثبتاً الباطل. فقد ناظر المأمون محمد بن القاسم النوشجاني المتكلم، «فجعل يصدقه ويطريه ويستحسن قوله، فقال له المأمون: تنقاد لي إلى ما تظن انه يسري، قبل وجوب الحجة عليك ولو شئت أن اقتسر الامور بفضل بيان، وطول لسان، وأبهة الخلافة، وسطوة الرياسة، لصدقت وإن كنت كاذباً، وصُوِّبت وإن كنت مخطئاً، وعُدّلت وان كنت جائراً، ولكن لا ارضى الا بازالة الشبهة، وغلبة الحجة، وان شر الملوك عقلاً، واسخطهم رأياً من رضي بقولهم»[٥]. وعلى المتناظرين ايضاً، الاحتراز من الشغب والغضب، فإن هدف المناظرة استخراج، الصواب «وذلك إنما يحصل بالتأمل والتاني والانصاف، ولا يحصل ذلك بالغضب والشغب»[٦] فقد روي انه اجتمع متكلمان، فقال احدهما: «هل لك في المناظرة؟ قال: على شرائط الا تغضب، ولا تعجب، ولا تشغب»[٧].

---

(١) أبو نعيم الاصفهاني، حلية، ج٩، ص١١٨؛ ابن الجوزي، الصفوة، ج٢، ص١٦٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٣٧؛ الاربلي، خلاصة، ص٢٠٩؛ العلموي، المعيد، ص٢٦.

(٢) الآجري، أخلاق العلماء، ص٧٨ ـ ٨٠.

(٣) ابن الجوزي، تلبيس، ص١٤٦.

(٤) المصدر نفسه، ص١٤٦.

(٥) ابن سعد الآبي، نثر الدر، ج٣، ص١١٦.

(٦) الزرنوجي، تعليم، ص٧٢؛ الديوه جي، التربية، ص٨٨.

(٧) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص٧٨؛ أحمد شلبي، التربية، ص٨٥.

مما سبق يتضح أن للمناظرة جوانب سلبية واخرى ايجابية، ويمكن القول انه اذا ابعدت الجوانب السلبية من حلقة المناظرة، فإنها ستكون من الاساليب المهمة والناجحة في التعليم، خاصة في التعليم العالي، اذ تعد من ألوان التعبير الشفوي لأنها تقوم على استعراض وجهات النظر المتعارضة، والتركيز عليها.

٤- طريقة السؤال:

يبدو أن طرح الاسئلة من قبل المتعلم والإجابة عليها من قبل العالم، كانت من احدى طرق التعليم في الحلقات والمجالس العلمية. قال تعالى: ﴿فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[١]. وقال الرسول ﷺ: «العلم خزانة مفتاحها المسئلة»[٢]. ووصف السؤال بأنه نصف العلم[٣]. وقيل: «اذا كنت لا تدري ولم تك بالذي يسائل من يدري فكيف اذاً تدري»[٤]. وقال الشاعر:

شفاء العمر طول السؤال وإنما ... تمام العمر طول السكوت على الجهل[٥]

وقيل لدغفل النسابة (ت ٦٥هـ/ ٦٨٤م): «بم ادركت هذا العلم؟ فقال: بلسان سؤول وقلب عقول»[٦]. وعن ميمون بن مهران (ت ١١٧هـ/ ٧٣٥م)، قال: «التودد إلى الناس نصف العقل، وحسن المسألة نصف الفقه»[٧]. وعن أبي حنيفة (ت ١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، قال:

---

(١) سورة النحل: آية ٤٣.

(٢) ابن عبدالبر، جامع، ج١، ص٨٧؛ العلموي، المعيد، ص٧٠.

(٣) ابن عبدالبر، جامع، ج١،ص٩٠.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٨٩.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٨٩؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص١٤٩.

(٦) ابن قتيبة، عيون، ج٢، ص١٣٤؛ ابن عبدالبر، جامع، ج١، ص٨٩؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص١٤٩؛ ابن عساكر، تهذيب، ج٥، ص٢٤٦.

(٧) الخطيب البغدادي، الجامع، ج١، ص٢١٣.

«لقد لزمت حماداً لزوم ما أعلم أن احداً لزم أحداً مثل ما لزمته وكنت أكثر السؤال»[١]. وروي بأن الخليل بن أحمد الفراهيدي قال: «العلوم اقفال والسؤالات مفاتيحها»[٢]. وقال سفيان بن عيينه (ت١٩٨هـ/ ٨١٣م)، : «جالست عبدالكريم الجزري سنين، وكان يقول لأهل بلده: أنظروا هذا الغلام يسالني وأنتم لا تسألوني».[٣]

وعلل الاصمعي (ت ٢١٦هـ/ ٨٣١م)، بلوغه المرتبة التي وصل اليها لجرأته على السؤال واستعماله في تعليمه ودراسته[٤]. وقال الغزالي (ت٥٠٥هـ/ ١١١١م): «فالسؤال مأمور به. فاعلم انه كذلك ولكن فيما يأذن المعلم في السؤال عنه، فإن السؤال عما لم تبلغ مرتبتك إلى فهمه مذموم»[٥]. وعلى طالب العلم أن لا ينتابه الخوف أو التردد والحياء أو الكبر عن سؤال ما أشكل عليه فهمه[٦]، فقد قيل: «لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر»[٧]. وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي: «منزلة الجهل بين الحياء والانفة»[٨]. وأوصى يحيى بن خالد البرمكي ابنه جعفر موضحاً له طريقة السؤال والاجابة قائلاً: «لا ترد على أحد جواباً حتى تفهم كلامه، فإن ذلك يصرفك عن جواب كلامه إلى غيره، ويؤكد الجهل عليك، ولكن افهم

---

(١) الموفق المكي، مناقب، ص٥٣.

(٢) المرزباني، نور القبس، ص٦٠؛ ابن عبدالبر، جامع، ج١، ص٨٩.

(٣) الذهبي، سير، ج٨، ص٤٦٢.

(٤) المرزباني، نور القبس، ص٩٠.

(٥) الغزالي، إحياء، ج١، ص٦٤.

(٦) ابن عبدالبر، جامع، ج١، ص١٤٨؛ العلموي، المعيد، ص٧٠؛ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، ٢ج، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٩م، ج٢، ص١٤٧، سيشار له تالياً (السيوطي، تدريب).

(٧) العلموي، المعيد، ص٤٢؛ القاسم، اداب، ص٨٦.

(٨) ابو زكريا، يحيى بن شرف النووي، المجموع، ٢٠ج، دار الفكر، د.م، د.ت، ج١، ص٣٧، سيشار له تالياً (النووي، المجموع).

عنه، فإذا فهمته فأجبه ولا تعجل بالجواب قبل الاستفهام، ولا تستحي أن تستفهم اذا لم تفهم، فإن الجواب قبل الفهم حمق، واذا جهلت فاسئل فيبدو لك، واستفهامك أجمل وخير من السكوت على العى»[١]. وقال شيخ للمأمون: «أقبيح بي أن استفهم؟ فقال: بل قبيح بك أن تستبهم»[٢]. وقال ابن حزم (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)، : «وصفة سؤال المتعلم هو أن تسأل عن ما لا تدري لا عن ما تدري، فإن السؤال عما تدريه سخف وقلة عقل وشغل لكلامك وقطع لزمانك بما لا فائدة فيه لا لك ولا لغيرك، وربما أدى إلى اكتساب العداوات. وهو يعد عين الفضول، فإن اجابك الذي سألت بما فيه كفاية لك فاقطع الكلام، وإن لم يجبك بما فيه كفاية أو أجابك بما لم تفهم، فقل له: لم افهم، واستزده فإن لم يزدك بياناً وسكت أو عاد عليك الكلام الأول، ولا مزيد فأمسك عنه، والا حصلت على الشر والعداوة ولم تحصل على ما تريد من الزيادة»[٣].

وعلى المعلم ملازمة الانصاف في بحثه وخطابه، ويسمع السؤال من مورده على وجهه وان كان السائل صغيراً، ولا يترفع عن سماعه فيحرم الفائدة، قاصداً الاستفادة أو الافادة[٤]، روي عن الخليل بن أحمد الفراهيدي انه قال: «إن لم تعلم الناس ثواباً فعلمهم لتدرس بتعليمهم ما عندك! ولا تجزع ممن يقرع السؤال فإنه ينبهك على علم ما لم تعلم»[٥].

---

(١) ابن عبدالبر، جامع، ج١، ص١٤٨. والعي: العاجز في نطقه فلا يتمكن من إظهار مراده من كلامه، جمعها أعياء. ابن منظور، لسان، ج١٥، ص١١٢.

(٢) الراغب الأصبهاني، محاضرات، ج١، ص٤٧.

(٣) ابو محمد علي بن احمد بن حزم الاندلس، الأخلاق والسير أو رسالة في مداواة النفس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل، تحقيق ايفا رياض، ابسالا ١٩٨٠م، ص١٠٠ ـ ١٠١، سيشار له تالياً (ابن حزم، الأخلاق)؛ ابن حزم، رسائل، ج١، ص٤١١ ـ ٤١٢.

(٤) ابن جماعة، تذكرة، ص٩٢؛ القاسم، اداب، ص٤٣؛ الديو ه جي، التربية، ص٨٨.

(٥) المرزباني، نور القبس، ص٦٠؛ ابن عبدالبر، جامع، ج١، ص٩٠.

وعلى العالم أن يفكر قبل أن يجيب على السؤال[١]. روي عن الفراهيدي انه جاء رجل يسأله فاطرق الخليل يفكر، وأطال التفكير، حتى ذهب الرجل وسأل عن ذلك فقال: «ما أجبت بجواب حتى أعرف ما عليّ فيه من الاعتراضات والمؤاخذات»[٢].

وقال: «إن الرجل ليسأل عن المسالة ويعجل في الجواب، فيصيب فاذمه، ويسأل عن مسألة، فيتثبت في الجواب فيخطيء فأحمده»[٣]. وعلى العالم عدم التحرج من قول لا أدري أو لا أعرف إن سُئل عن شيء أو عُرض في الدرس ما لا يعرفه[٤]. قال ابن مسعود رضي لله عنه، يوصي المعلمين: «يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به، ومن لا يعلم فليقل «الله أعلم»، فإن من العلم أن تقول «الله أعلم»[٥]. جاء رجل إلى مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ/ ٧٩٥م)، فقال له: «يا أبا عبدالله جئتك من مسيرة ستة أشهر، حمّلني أهل بلدي مسئلة اسالك عنها قال: فسل. فسأله الرجل عن المسئلة، فقال: لا أحسنها. قال: فبهت الرجل كأنه قد جاء إلى من يعلم كل شيء، فقال أي شيء أقول لأهل بلدي اذا رجعت اليهم، قال: تقول لهم، قال مالك: لا أحسن»[٦]. وقال مالك: «ينبغي للعالم أن يألف فيما أشكل عليه قول لا أدري فإنه عسى أن يُهيأ له خير»[٧]. وقد قال ابن وهب: «وكنت اسمعه كثيراً ما يقول لا أدري»[٨]. وسئل الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) عن مسألة في زواج المتعة، فقال: «والله

---

(١) الآجري، أخلاق العلماء، ص٧٣، ١٢٨؛ الزرنوجي، تعليم، ص٧٣.

(٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج١، ص٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٣) أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح ، أدب المفتي والمستفتي، تحقيق موفق بن عبدالله بن عبدالقادر، ط١، عالم الكتب، مكة ١٩٨٦م، ص٨٢، سيشار له تالياً (ابن الصلاح، ادب).

(٤) الآجري، أخلاق العلماء، ص٧٣، ١٢٨؛ العلموي، المعيد، ص٥٦.

(٥) ابن عبدالبر، جامع، ج٢، ص٥١؛ العلموي، المعيد، ص٥٦؛ اسعد طلس، التربية، ص٧٢ ـ ٧٣.

(٦) ابن عبدالبر، جامع، ج٢، ص٥٣؛ النووي، تهذيب، ج٢، ص٧٨.

(٧) ابن عبدالبر، جامع، ج٢ ص٥٤.

(٨) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٤.

ما ندري»[١].

وسأل احدهم ثعلب النحوي (ت٢٩١هـ/ ٩٠٣م)، عن مسألة، فقال: «لا أدري»، فقال له السائل: «اتقول لا أدري وإليك تضرب أكباد الأبل واليك الرحلة من كل بلد. فقال له ثعلب: لو كان لأمك بعدد ما أدري بعر لاستغنت»[٢].

ومما يدخل في مجال السؤال «الفتيا» وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات﴾[٤]. وفي الحديث قوله ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يُبقِ عالماً، اتخذ الناس رُءوساً جُهّالاً فَسُئِلُوا فأفتوا بغير علمٍ فضلُّوا وأضلوا»[٥]. ويقال: افتاه في الأمر، أبانه له. وافتيته في مسالةٍ، اذا اجبته عنها. ويقال: أفتاه في المسألة اذا أجابه[٦]. فالاستفتاء في اللغة يعني السؤال عن امرٍ أو عن حكم مسألة، وهذا السائل يسمى المستفتي والمسؤول الذي يجيب: هو المفتي، وقيامه بالجواب هو الافتاء وما يجيب به هو الفتوى[٧].

وقد تورع الكثير من العلماء عن الفتيا على الرغم من تبحرهم في العلم، كما كانوا كثيراً ما يحيلون المستفتي إلى ما يرونه افضل منهم واعلم[٨]. لقوله ﷺ: «اجرؤكم على الفتيا

---

(١) ابن جماعة، تذكرة، ص٩٣.

(٢) النووي، تهذيب، ج٢، ق١، ص٢٧٣.

(٣) سورة النساء: آية، ١٢٧.

(٤) سورة يوسف: اية ٤٦.

(٥) البخاري، صحيح، ج١، ص٥٣.

(٦) ابن منظور، لسان، ج١٥، ص١٤٧.

(٧) ابن الصلاح، أدب، ص٢٤ (مقدمة المحقق).

(٨) اسعد طلس، التربية ص١٥١.

اجرؤكم على النار»[١]. وعن البراء قال: «ادركت عشرين ومائة من الانصار من اصحاب رسول الله ﷺ، يسأل احدهم عن المسألة، فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول»[٢]. وجاء رجل إلى مالك بن أنس يسأله عن شيء أياماً ما يجيبه، فقال: «يا ابا عبدالله، إني اريد الخروج، وقد طال التردد اليك! قال: فاطرق طويلاً، ثم رفع رأسه فقال: ما شاء الله يا هذا. اني إنما أتكلم فيما احتسب فيه الخير، ولست احسن مسالتك هذه»[٣]. وروي عن الشافعي «انه سئل عن مسألة، فسكت فقيل، له الا تجيب؟ فقال: حتى أدري، الفضل في سكوتي أو في الجواب»[٤]. واستفتي الحسن بن زياد اللؤلؤي في مسألةٍ، فاخطأ فيها ولم يعرف الذي افتاه، فاستأجر منادياً، فنادى: «ان الحسن بن زياد استفتي يوم كذا وكذا في مسألة فاخطأ، فمن كان افتاه الحسن بن زياد بشيء فليرجع اليه، فلبث أياماً لا يفتي حتى وجد صاحب الفتوى فأعلمه انه اخطأ، وأن الصواب كذا وكذا»[٥]. وكان أحمد ابن حنبل يستفتى فيكثر أن يقول: «لا أدري»[٦].

ولا بد للمفتي من استكمال شروط الاستفتاء التي اشترطها المتاخرون، فقد اشترط المتأخرون في المفتي شروطاً لا شك في أن القدماء اعتبروها كلها، لما في ذلك من التحري. منها أن يكون مسلماً، مكلفاً، عدلاً، ثقة، مأموناً، متنزهاً عن اسباب الفسق، وخوارم المروءة، سليم الذهن ، رصين الفكر، صحيح التصرف والاستنباط، قوي الضبط متيقظاً[٧].

---

(١) الدارمي، سنن، ج١، ص٢٠؛ ابن عبدالبر، جامع، ج١، ص١٧٧.

(٢) ابن عبد البر، جامع، ، ج١، ص١٧٧؛ ابن الجوزي، تلبيس، ص١٤٧؛ ابن الصلاح، أدب، ص٧٩.

(٣) ابن الصلاح، أدب، ص٧٩.

(٤) المصدر نفسه، ص٧٩.

(٥) المصدر نفسه، ص١١٠.

(٦) المصدر نفسه، ص٧٩.

(٧) المصدر نفسه، ص٨٦؛ العلموي، المعيد، ص٨٥؛ اسعد طلس، التربية، ص١٥٢.

٥ـ الرحلة في طلب العلم:

دعا الاسلام إلى الرحلة لطلب العلم، ظهر ذلك من خلال الآيات القرآنية، والاحاديث النبوية قال تعالى: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافةً فلولا نَفَرَ من كُلِّ فرقةٍ منهم طائفةٌ ليتفقهوا في الدين ولِيُنذِروا قومهم اذا رَجَعُوا اليهم لعلَّهم يحذورن﴾[١]. وقال رسول الله ﷺ: «من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سلك الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع اجنحتها رضاءاً لطالب العلم»[٢]. وقوله ﷺ: «ما من خارج من بيته في طلب العلم الا وضعت له الملائكة أجنحتها»[٣]. وعن انس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع»[٤]. وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ انه قال: «ان الناس لكم تبع، وإن رجالاً يأتونكم من اقطار الارضين يتفقهون في الدين، فاذا اتوكم فاستوصوا بهم خيراً»[٥].

وبهذا فان الاسلام يعطي مكانة للعالم ولطالب العلم ويحثهم على طلب العلم والرحلة من اجله. وقد استجاب المسلمون في جميع عصورهم إلى هذه الدعوة. فخرجت اعداد كبيرة من طلبة العلم من مختلف الاقاليم الاسلامية عن أوطانها إلى معاهد التعليم، فكانوا يرحلون من بلد إلى بلد، يقطعون مسافات طويلة، غير مبالين بما يعترضهم من صعاب، صابرين على ألم الغربة وعناء السفر، لسماع حديث أو التأكد من ضبطه، أو الالتقاء بعالم سمع به وملازمته للأخذ عنه[٦]. وقد ترجم ذلك من خلال أقوال الصحابة والتابعين، قال أبو الدرداء

---

(١) سورة التوبة: اية ١٢٢.

(٢) ابن ماجة، سنن، ج١، ص٨١؛ الترمذي، سنن، ج٥، ص٤٧؛ السمرقندي، تنبيه، ص٣٣٣.

(٣) ابن ماجه، سنن، ج١، ص٧٧.

(٤) الترمذي، سنن، ج٥، ص٢٩.

(٥) ابن ماجه، سنن، ج١، ص٩٠؛ الترمذي، سنن، ج٥، ص٣٠.

(٦) أحمد امين، ضحى، ج٢، ص٦٩؛ أحمد شلبي، التربية، ص٣١٨؛ باقر القرشي، النظام، ص١٩٤.

(ت ٣٢هـ/ ٦٥٢م): «لو أعيتني آية من كتاب الله فلم أجد أحداً يفتحها عليّ الا رجل ببرك الغماد[١] لرحلت اليه»[٢]. وقول عبدالله بن مسعود (ت ٣٢هـ/ ٦٥٢م): «لو اعلم احداً أعلم بكتاب الله مني تبلغه الأبل لأتيته»[٣]. وقال أبو العالية الرياحي الراوي : «كنا نسمع الرواية عن اصحاب رسول الله ﷺ، ونحن بالبصرة، فما نرضى حتى نركب إلى المدينة فنسمعها من أفواههم»[٤]. وقال الشعبي (ت١٠٣هـ/ ٧٢١م): «أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسمع كلمة حكمة ما رأيت أن سفره ضاع»[٥].

وقال الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م):

تغرّب عن الأوطان في طلب العلى وسافِر ففي الاسفار خمس فوائد
تفرج همّ، واكتساب معيشة وكلمٌ، وأداب، وصحبة ماجد[٦]

وعن عبدالله بن أحمد بن حنبل، قال: سالت أبي - رحمه الله - عمّن طلب العلم، ترى له أن يلزم رجلاً عنده علم فيكتب عنه؟ او ترىَ أن يرحل إلى المواضع التي فيها العلم، فيسمع منهم؟ قال: يرحل، يكتب عن الكوفيين، والبصريين، وأهل المدينة، ومكة، ويسال

---

(١) موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر، وقيل بلد في اليمن. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٧٥.

(٢) ابو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نور الدين عتر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م، ص١٩٥، سيشار له تالياً (الخطيب البغدادي، الرحلة)؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٧٥.

(٣) الخطيب البغدادي، الكفاية، ص٤٤٢؛ الغزالي، ايها الولد، ص٦٤.

(٤) الخطيب البغدادي، الكفاية، ص٤٤٢؛ الغزالي، ايها الولد، ص٦٤؛ الحاج محمد أحمد، العلم (فضله، طلبه، من اداب العالم، جانب من أخلاق العلماء ووصاياهم ومواقفهم واقوالهم، ط١، دار المطبوعات الحديثة، جده ١٩٧٨م، ص٧١، سيشار له تالياً (الحاج محمد أحمد، العلم).

(٥) المقدسي الحنبلي، الآداب الشرعية، ج٢، ص٥١.

(٦) الغزالي، ايها الولد، ص٦٥.

الناس يسمع منهم[١]. ويتحدث ابن خلدون عن الرحلة في طلب العلم، فيقول: «الرحلة في طلب العلوم مفيدة، لأن البشر يأخذون معارفهم، وأخلاقهم تارة علماً وتعليماً وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة، الا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين اشد استحكاماً وأقوى رسوخاً»[٢]. وكانت قيمة الطالب في نظر الناس تتناسب مع ما قام به من رحلات لطلب العلم، ومع عدد المدرسين الذين تلقى عنهم، لان ذلك يعتبر رصيده العلمي، وهي حالة تشير إلى تعدد موارده العلمية، وغزارته في التحصيل[٣]، ويقول ابن خلدون: «والرحلة تفيد كثرة الشيوخ، وعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكة ورسوخها، فتعدد المشايخ يفيد تعدد الطرق اذ أن لكل منهم طريقته في التعليم»[٤]. وقد شجع ذلك طالب العلم للرحيل إلى جهات مختلفة لتلقي العلم، والنفقة على العلماء والأخذ عنهم[٥]. وقد أنفق المقتدرون منهم اموالاً طائلة لتمويل اسفارهم وتنقلاتهم واقاماتهم في البلاد التي يطلبون العلم فيها، فقد انفق موسى بن نصره بن هشام بن عبدالله الفقيه (ت ٢٢١هـ/ ٨٣٦م) في طلبه للعلم سبعمائة الف درهم[٦]. ورحل محمد بن سلام البيكندي الحافظ (ت٢٢٥هـ/ ٨٣٩م)، وسمع من مالك وخلق كثير، وقال: «انفقت في طلب العلم اربعين ألفاً وفي نشره مثلها»[٧]. وخلف

---

(١) الغزالي، أيها الولد، ص٦٤؛ اقلانية، النظم، ص١٠٦.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ص٣٠٠؛ مصطفى بن عبدالله حاجي خليفة، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، ٢ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م؛ ج١، ص٤٣، سيشار له تالياً (حاجي خليفة، كشف).

(٣) أحمد شلبي، التربية، ص٣٢٠.

(٤) ابن خلدون، المقدمة، ص٢٩٩؛ حاجي خليفة، كشف، ج١، ص٤٣.

(٥) أحمد شلبي، التربية، ص٣٢٠.

(٦) الذهبي، تذكرة، ج١، ص٣٨٧ ـ٣٨٨.

(٧) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٢٢؛ الذهبي، العبر، ج١، ص٣١٠.

والد يحيى بن معين بن عون المري (ت ٢٣٣هـ/ ٨٤٧م) الف الف درهم وخمسين الف درهم، فانفق ذلك كله على الحديث، لما توسع في طلبه ورحلاته من اجله[١]. وانفق سهل ابن محمد السجستاني (ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م) في طلب العلم وعلى العلماء مائة الف دينار عيناً غير الضياع والمنازل[٢]. وكان أحمد بن مهدي بن رستم الحافظ (ت ٢٧٢هـ/ ٨٨٥م)، صاحب اموال، وقد انفق على اهل العلم ثلاثمائة الف درهم[٣]. وورث ابراهيم بن اسحاق الحربي الفقيه (ت٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)، عن ابيه اموالاً كثيرة، فانفقها على طلب العلم[٤].

وتكثر روايات الرحلة في طلب العلم في المصادر والتي توضح هذا النشاط وهذا الاتساع في نطاق الرحلات في طلب العلم، سواء من العراق أو اليه، ويبدو أن دراسة الحديث كانت الدعامة الهامة التي حفزت الطلاب على أن يبذلوا هذا الجهد الكبير. فقد ارتحل معمر بن راشد الازدي (ت ١٥٣هـ/ ٧٧٠م) إلى اليمن في طلب الحديث[٥]، ورحل أبو عمرو الاوزاعي الفقيه (ت ١٥٧هـ/ ٧٧٣م)، إلى اليمامة، ومكة، والبصرة، ودمشق، وبيروت[٦]. ورحل شعبة بن الحجاج المحدث (ت ١٦٠هـ/ ٧٧٦م)، إلى مكة، وذكر رحلته هذه بقوله: «فرحلت إلى مكة لم ارد الحج اردت الحديث»[٧]. وقيل في سفيان الثوري (ت ١٦١هـ/ ٧٧٧م)، : «وما بدد في الاسلام أحد حديث في الامصار تبديد الثوري، فانه حدّث بالبصرة ما لم يحدّث بالكوفة، وحدّث بالشام ما لم يحدّث بالعراق، وحدّث بالعراق، وحدّث باليمن ما لم يحدّث بالعراق ولا بالشام، وحدّث بالري ما لم يحدّث بغيرهما من

---

(١) الخطيب البغدادي، الرحلة، ص٢٠٧.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٣، ص١٤٠٦.

(٣) الذهبي، تذكرة، ج٢، ص٥٩٧ ـ ٥٩٨.

(٤) القفطي، إنباه، ج١، ص١٩١.

(٥) الذهبي، العبر، ج١، ص١٦٩؛ اليافعي، مرآة، ج١، ص٣٤٢.

(٦) الرامهرمزي، المحدث، ص٢٣١.

(٧) الخطيب البغدادي، الرحلة، ص١٥٢ ـ ١٥٣.

الأمصار»[١]. ورحل ابراهيم بن طهمان المحدث (ت ١٦٣هـ/ ٧٧٩م)، في طلب العلم وورد بغداد وحدث بها ثم انتقل إلى مكة فسكنها إلى آخر عمره[٢]. وكان عبدالله بن لهيعة (ت ١٧٤هـ/ ٧٩٠م)، من الكتّابين للحديث والجمّاعين للعلم، والرحالين فيه، وكان يكنى بأبي خريطة، وذلك «انه كانت له خريطة معلقة في عنقه، فكان يدور عليهم، فكان اذا رأى شيخاً سأله: من لقيت وعمن كتبت»[٣]. وارتحل عبدالله بن المبارك المحدث (ت ١٨١هـ/ ٧٩٧م)، إلى الحجاز والشام ومصر والعراق والجزيرة وخراسان[٤]. وقد قال أحمد بن حنبل: «لم يكن في زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه، رحل إلى اليمن، والى مصر والشام، والبصرة، والكوفة»[٥]. ورحل المعافى بن عمران أبو مسعود الازدي الموصلي (ت ١٨٤هـ/ ٨٠٠م)، في طلب الحديث[٦]. وارتحل الكسائي (ت ١٨٩هـ/ ٨٠٤م)، إلى حمزة الزيات الكوفي (ت ١٥٦هـ/ ٧٧٢م)، وقرأ عليه[٧]. كما ارتحل إلى البصرة فأخذ اللغة عن الخليل بن أحمد الفراهيدي[٨]، ورحل القاسم بن يزيد الجرمي (ت ١٩٤هـ/ ٨٠٩م)، وكتب عمن لحق من الحجازيين والكوفيين والبصريين والشاميين والموصليين، وكان حافظاً للحديث[٩]. وعن محمد ابن سعيد الترمذي المحدث (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م)، قال: «قدمت البصرة اكتب الحديث»[١٠].

---

(١) الرامهرمزي، المحدث، ص٦٢٠.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٢٦٥.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص٩٩.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٢٦٣؛ الذهبي، سير، ج٨، ص٣٨١.

(٥) الخطيب البغدادي، الرحلة، ص٩١؛ الذهبي، سير، ج٨، ص٣٩٧؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص٥١، السبكي، طبقات، ج٢، ص١٢١؛ ابن المبرد، بحر الدم، ص٨٩.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٠١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص١٤٩.

(٧) الزبيدي، طبقات، ص١٢٨.

(٨) ابن الجزري، غاية، ج١، ص٥٣٦.

(٩) الذهبي، سير، ج٩، ص٢٨٣.

(١٠) المصدر نفسه، ج٩، ص١٨٧.

ورحل الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، إلى مكة ومنها رحل إلى المدينة للقاء مالك بن انس ثم قدم بغداد فأقام بها سنتين، ثم خرج إلى مكة، ثم عاد إلى بغداد، ثم خرج إلى مصر ولم يزل بها إلى أن توفي[١]. ورحل بشر بن الحارث ويكنى ابا نصر (ت ٢٢٧هـ/ ٨٤١م)، في طلب العلم إلى مكة والكوفة والبصرة[٢]. ورحل اسحق بن راهوية الحافظ (ت ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م)، في طلب العلم إلى العراق، والحجاز واليمن، والشام[٣]. ورحل أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، في طلب العلم، إلى الكوفة والبصرة، ومكة، والمدينة، واليمن، والشام، والجزيرة[٤]. وكان محمد بن هشام بن عوف التميمي (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)، اماماً في اللغة وعلم الشعر وايام الناس، وقد رحل في طلب الحديث مراراً إلى مكة والكوفة والبصرة[٥]. ورحل أبو عمرو الهروي اللغوي (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، إلى العراق في شبيبته فأخذ عن الكثير من علمائها[٦]. ورحل أبو داود سليمان بن معبد النحوي (ت ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م)، في طلب العلم إلى العراق والحجاز ومصر واليمن[٧]. وقدم حميد الخزاز (ت ٢٥٨هـ/ ٨٧١م)، إلى بغداد ليسمع التفسير من حسين المروزي الحافظ (ت ٢١٤هـ/ ٨٢٩م)، وقد نزل عند أحمد بن حنبل[٨]. وسافر أحمد بن الفرات الضبي الحافظ (ت ٢٥٨هـ/ ٨٧١م)، كثيراً في طلب العلم، وسمع وجمع في الرحلة بين البصرة والكوفة

---

(١) الرامهرمزي، المحدث، ص٣٣٢؛ ابن الجوزي، الصفوة، ج٢، ص١٦٥؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٦، ص٢٣٩٥؛ النووي، تهذيب، ج١، ص٤٧؛ ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص١٦٥.

(٢) ابن الجوزي، الصفوة، ج٢، ص٢٢٠.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص٢٥٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص٣٤٨ ـ ٣٤٩.

(٤) السبكي ،طبقات، ج٢، ص٣٠ ـ ٣١؛ أبو زهرة، ابن حنبل، ص٢٥ ـ ٢٧.

(٥) السيوطي، بغية، ج١، ص٢٥٧.

(٦) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٣، ص١٤٢٠.

(٧) السيوطي، بغية، ج١، ص٦٠٣.

(٨) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٨، ص١٦٤.

والحجاز واليمن والشام ومصر والجزيرة. وكان يقول: «كتبت عن الف وسبعمائة وخمسين رجلاً»[1]. وأراد البخاري (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، أن يجمع اكبر عدد من الاحاديث الصحيحة، فجمع احاديث بخارى وبلخ ومرو ونيسابور وبغداد والبصرة والكوفة ومكة والمدينة ودمشق وعسقلان وحمص، وقد التقى بكثير من علماء هذه الامصار واخذ عنهم[2]. ورحل أبو اسحاق النيسابوري (ت ٢٦٥هـ/ ٨٧٨م)، في طلب العلم إلى البلدان، واستوطن بغداد[3]. وارتحل ابن ماجة (ت ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م)، إلى البصرة والكوفة وبغداد ومكة والشام ومصر، والري، لكتابة الحديث[4]. وطاف أبو داود السجستاني المحدث (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، البلاد وكتب عن العراقيين، والخراسانيين والشاميين والمصريين والجزريين[5]. ورحل أبو حاتم الرازي الحافظ (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م)، في طلب الحديث، وقد تنقل في الكثير من البلاد الاسلامية. قال ابنه عبدالرحمن: «سمعت أبي يقول: «اول سنة خرجت في طلب الحديث أقمت سبع سنين احصيت ما مشيت على قدمي زيادة على الف فرسخ، لم أزل أحصي حتى زاد على ألف فرسخ تركته»[6]. وفي هذا اظهار إلى مدى المعاناة التي يلقاها العالم في طلبه للعلم.

ولم تقتصر الرحلة في طلب العلم على العلوم الدينية، بل كان للعلوم والمعارف الآخرى نصيبها في ذلك. فقد كان اليمان بن أبي اليمان (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، حافظاً للكثير من الآداب والاشعار وقد خرج إلى بغداد، وسامراء في ذلك ولقي الشعراء والعلماء[7].

---

(١) ابن عساكر، تهذيب، ج١، ص٣٤٦.

(٢) ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص١٨٩؛ الذهبي، تذكرة، ج٢، ص٥٥٦.

(٣) ابن الجوزي، الصفوة، ج٢، ص٢٦٠.

(٤) ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص٢٧٩؛ الذهبي، تذكرة، ج٢، ص٦٣٦.

(٥) الرامهرمزي، المحدث، ص٢٣٠؛ ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٤٠٤ ـ ٤٠٥.

(٦) الخطيب البغدادي، الرحلة، ص٢١٣؛ الذهبي، تذكرة، ج٢، ص٥٦٧.

(٧) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٦، ص٢٨٤٤.

ودخل ابراهيم الموصلي (ت ١٨٨هـ/ ٨٠٣م)، إلى العراق ثم رحل إلى البلاد في طلب الاغاني، فبرع فيها بالعربية والعجمية[١]. وارتحل حنين بن اسحاق العبادي الطبيب المترجم (ت ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م)، إلى بلاد الروم لجمع الكتب والتزود في العلم، «وقد وصل في رحلاته إلى اقصى بلاد الروم، كما طاف بمدن العراق والشام ومصر»[٢].

ولم تقتصر الرحلة في طلب العلم والتزود بالمعرفة على العلماء والادباء والمفكرين بل امتدت لتشمل الخلفاء العباسيين وأبنائهم. فقد كان المنصور يرحل في طلب العلم قبل توليه الخلافة[٣]. وتوجه الرشيد من العراق إلى الحجاز قاصداً الفضيل بن عياض (ت ١٨٧هـ/ ٨٠٢م)، ليسمع منه الموعظة والحديث[٤]. كما رحل مع ولديه الأمين والمامون لسماع الموطأ من الامام مالك بن انس في المدينة، قال القاضي الفاضل (ت٥٩٦هـ/ ١١٩٩م) في بعض رسائله: «ما أعلم أن لملك رحلة في طلب العلم الا للرشيد، فانه رحل بولديه الأمين والمامون لسماع الموطأ من مالك»[٥].

يتضح مما سبق:

- استجابة العرب المسلمين لدعوة الاسلام في حثه على الرحلة لطلب العلم من خلال الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الصحابة والتابعين.
- كانت الرحلة في طلب العلم احدى الوسائل المهمة في التحصيل العلمي عند العرب،

---

(١) الاصفهاني، الاغاني، ج٥، ص١٤٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٥٦؛ الذهبي، سير، ج٩، ص٨٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص١٥٩ـ ١٦٠.

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج٢، ص١٤٣؛ علي عبدالله الدفاع، اعلام العرب والمسلمين في الطب، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣، ص٦٥، سيشار له تالياً (الدفاع، اعلام).

(٣) السيوطي، تاريخ، ص٢٦٣.

(٤) مجهول، الامامة، ج٢، ص١٨٦ ـ ١٨٧.

(٥) السيوطي، تاريخ، ص٢٩٤؛ ابن وادران، تاريخ العباسيين، ص٨٤.

وقد عرفها العرب المسلمين منذ عهد الرسول ﷺ.

- شدة اهتمام المسلمين بالارتحال في طلب العلوم والمعارف، وخصوصاً فيما يتعلق بالحديث النبوي وجمعه.

- كانت العراق مركزاً للاشعاع الحضاري، لذلك فقد زارها الكثير من طلاب العلم من مختلف انحاء الدولة الاسلامية، في الوقت الذي خرج منه الكثير من العلماء إلى أطراف الدولة الاسلامية للاستفادة والاستزادة، وقد تكون الرحلات ضمن مدن العراق لسماع عالم والأخذ عنه.

- لم تقف مشاق السفر وأخطاره، ومفارقة الأهل والبلد، حائلاً دون القيام بالرحلات فقلما نجد بين العلماء من لم يرحل في طلب العلم، وربما قطع الواحد منهم آلاف الاميال لمجرد قراءة كتاب أو سماع حديث واحد.

- لقد انفق الكثير من طلاب العلم اموالاً طائلة في سبيل طلب العلم وتمويل اسفارهم وتنقلاتهم واقاماتهم في البلاد التي يطلبون العلم فيها، مما يؤكد حرصهم على العلم والبذل السخي في طلبه.

- كانت الرحلة في طلب العلم من أبرز مظاهر النشاط العلمي والثقافي، كما كانت في الوقت نفسه من الاسباب الرئيسة التي ساعدت على انتقال العلوم والمعارف وتبادلها واطلاع طلاب العلم على أحوال الدنيا ومعرفة أوضاع الشعوب وتقاليدها.

٦ - توجيه الطلاب حسب مواهبهم:

حرص المسلمون على توجيه الطلاب على حسب مواهبهم واستعداداتهم الذهنية، وكانت عملية التوجيه هذه تبدأ بعد أن يجتاز الطالب المرحلة الاولى للتعليم (مرحلة الكُتّاب).

فيبدأ الطالب بالتعرف على العلوم ثم يتوجه إلى العلم أو الحرفة على حسب استعداده وتكوينه. وقد ذكر حاجي خليفة ذلك في قوله: «ومن شرائط التحصيل أن لا يدع فناً من فنون العلم الا وينظر فيه نظراً يطلع به على غايته ومقصده وطريقته وبعد المطالعة في الجميع أو الأكثر اجمالاً إن مال طبعه إلى فن عليه أن يقصده ولا يتكلف غيره فليس كل الناس يصلحون للتعلم ولا كل من يصلح لتعلم علم يصلح لسائر العلوم بل كلٌ ميسر لما خلق له»[1]. وقيل: «اختر كل انسان للفن الذي يستطيع، فبقدر شهوته يكون نفاذه فيه»[2]. وقد رأى بعضهم أن الطالب اذا وجه أو التحق بحلقة دون توجيه، ورأى المدرس في هذه الحال أو تلك أن الطالب ينبغي أن يفارق هذه الحلقة إلى سواها، فان المدرس ما كان يتردد في ابلاغ الطالب هذه النتيجة، وينصحه بان يغير الموضوع الذي شغل به نفسه ويدرس موضوعاً آخر وفي هذا يقول ابن جماعة: «واذا علم أو غلب على ظنه انه لا يفلح في فن أشار عليه بتركه والانتقال إلى غيره ومما يرجى فيه فلاحه»[3]. وقد روي «ان يونس بن حبيب كان يختلف إلى الخليل بن أحمد يتعلم منه العروض، فصعب عليه تعلمه، فقال له الخليل يوماً، من اي بحر قول الشاعر:

اذا لم تستطع شيئاً فدعه   وجاوزه إلى ما تستطيع

ففطن يونس إلى ما عناه الخليل، فترك العروض وأخذ يتعلم النحو، وقواعد اللغة حتى اصبح في ذلك إماماً وعالماً شهيراً»[4].

وبدأ محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، يتعلم الفقه على محمد بن

---

(١) حاجي خليفة، كشف، ج١، ص٤٦.

(٢) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص٤٦.

(٣) ابن جماعة، تذكرة، ص١٠٢.

(٤) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص٤٦.

الحسن الشيباني، فقال له محمد: اذهب فتعلم عِلم الحديث، لما رأى أن ذلك العلم أليق بطبعه، فطلب البخاري علم الحديث فصار فيه مقدماً[١].

من ذلك نرى حرص العلماء المسلمين على توجيه الطالب إلى العلم الذي يستطيع البروز فيه، فكان العالم لا يتردد في أن يطلب من الطالب أن يترك الحلقة وينصحه ويرشده بتغير الموضوع اذا وجده غير قادر على استيعاب الدروس الملقاة في هذا الموضوع. وكان الطالب لا يتردد في قبول مثل هذه النصيحة.

اما اذا وفق الطالب في اختيار الموضوع فانه يستمر في دراسته حتى يصل إلى المرحلة التي تؤهله ليكون مُقدّماً فيه.

ومن ذلك نلمس المستوى الرفيع الذي وصله التعليم في الاسلام، والذي اتاح الفرصة لظهور علماء افذاذ تخصصوا في علم معين، بالاضافة إلى اطلاعهم الواسع على العلوم الاخرى.

---

(٣) الزرنوجي، تعليم، ص١١٤.

ثامناً: مكانة العلماء:

اهتم الاسلام بالعلم والمعرفة اهتماماً كبيراً، وانعكس هذا الاهتمام على العلماء الذين حظو بكثر من الاجلال والتقدير والتعظيم، وقد ورد تأكيد ذلك في القرآن الكريم، حيث قال الله تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات﴾[١]. وقوله تعالى: ﴿انما يخشى اللهَ من عبادِهِ العلماءُ﴾[٢]. وقوله: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر ألوا الألباب﴾[٣]. واكدت السنة على ذلك، فقد مر الرسول ﷺ على مجلسين احدهما فيه قوم يدعون الله والثاني جماعة يُعلّمون الناس فعدل إلى حلقة العلم، وقال: «انما بعثت معلماً»[٤]. وقال عليه الصلاة والسلام: «وان فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب إنّ العلماء ورثة الانبياء»[٥]. لهذا كان العلماء موضع احترام الخاصة من خلفاء وامراء، وموضع احترام العامة من الناس. فقد نُصح احد الخلفاء برسالة هامة جاء فيها: «واعلم أن مواقع العلماء من ملكك مواقع السرج المتالقة والمصابيح المتعلقة وعلى قدر تعاهدك لها تبذل من الضياء، وتجلو بنورها صور الاشياء»[٦]. وقال أبو الاسود الدؤلي: «ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك»[٧]. وقيل لابي جعفر المنصور: «قد حقق الله لك كل مرغوب ومأرب، فهل بقيت لك لذة أو بغية لم تنلها؟ فقال: نعم، بقيت لذة واحدة وهي أعلى من جميع ما نلته أن اقعد في مصطبة وحولي أصحاب

---

(١) سورة المجادلة: اية١١.

(٢) سورة فاطر: آية ٢٨.

(٣) سورة الزمر: اية ٩.

(٤) ابن ماجه، سنن، ج١، ص٨٣؛ عبد الحي الكتاني، التراتيب، ج٢، ص٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٥) ابن ماجه، سنن، ج١، ص٨١.

(٦) أحمد شلبي، التربية، ص٢٢٩؛ محمد سعد الدين، العلماء، ص١١٢.

(٧) ابن جماعة، تذكرة، ص٧٠؛ أحمد شلبي، التربية، ص٢٢٩؛ اسعد طلس، التربية، ص٤٧.

الحديث»[١]. وكان أبو جعفر المنصور يدخل البصرة في ايام بني امية مستتراً، فيجلس في حلقة أزهر بن سعد السَّمان المحدث (ت ٢٠٣هـ/ ٨١٨م)، فلما افضت الخلافة اليه قدم عليه أزهر السَّمان الكوفة فرحب به وقرب منزلته[٢]. ويظهر إجلال واحترام المنصور لمالك بن انس بان كان يجلسه إلى جانبه[٣]. ونبغ أبو دلامة الشاعر النديم (ت ١٦١هـ/ ٧٧٧م)، في ايام بني العباس، فانقطع إلى السفاح والمنصور وكانوا يقدمونه ويفضلونه[٤]. وكان المهدي شديد التواضع مع العلماء، فقد كان الفقيه صالح المري يدخل عليه على حماره ويدنو به من بساط المهدي، فيأمر ولديه موسى وهارون قائلاً: «قوما فانزلا عمكما»[٥]. وكان الرشيد يخضع للكبار ويتأدب معهم[٦]، واذا امتنع عليه احدهم بعدم المجيء إلى مجلسه، قصده بنفسه لأخذ الموعظة منه، فقد وجه الرشيد إلى مالك بن أنس ليأتيه فيحدثه، فقال مالك: «إن العلم يؤتى! فصار الرشيد إلى منزله، فاستند معه إلى الجدار، فقال: يا امير المؤمنين، من اجلال الله تعالى اجلال العلم، فقام وجلس بين يديه»[٧]. ولما بلغ الرشيد موت عبدالله بن المبارك (ت ١٨١هـ/ ٧٩٧م)، حزن عليه وجلس للعزاء[٨]، وقال أبو يوسف (ت ١٨٢هـ/ ٧٩٨م):

---

(١) ابن كثير، البداية، ج١، ص١٢٩؛ السيوطي، تاريخ، ص٢٦٦.

(٢) ابن عبدربه، العقد، ج١، ص٢١٦؛ السيوطي، تحفة، ص٨٧؛ فخر الدين فخر الدين، اخبار وطرائف عن الملوك والخلفاء والمغنين والشعراء والعشاق، ط١، دار الحرف العربي لطباعة والنشر، بيروت ١٩٩١، ص٦٦، سيشار له تالياً (فخر الدين، اخبار).

(٣) مجهول، الامامة، ص١٨٠.

(٤) ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٣٢٠؛ رفاعي، عصر، ج٣، ص٣٠٠.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٩، ص٣٠٦.

(٦) الذهبي، العبر، ج١، ص٢٤٣.

(٧) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص٣٤؛ ابن نباته، سرح، ص٢٦٢.

(٨) الذهبي، سير، ج٩، ص٢٨٨.

«كنت اجالس الرشيد، وآكل معه على مائدته»[١]. ولما مات أبو يوسف مشى الرشيد في جنازته وصلى عليه بنفسه وقال: «ينبغي لاهل الاسلام أن يُعزي بعضهم بعضاً بابي يوسف»[٢]. ولما اشتدت علة الكسائي (ت ١٨٩هـ/ ٨٠٤م)، جعل الرشيد يدخل عليه ويعوده دائما[٣]. وكان أبو معاوية الضرير (ت ١٩٥هـ/ ٨١٠م)، يأكل مع الرشيد ويصب الرشيد على يديه الماء[٤]. وحج الرشيد، فزار سفيان بن عيينه (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م)، في منزله[٥]. واشرف الرشيد يوماً على الكسائي وهو لا يراه، فقام الكسائي ليلبس نعله لحاجة يريدها، فقام الأمين والمأمون فوضعاها بين يديه، وقد شجعهما الرشيد[٦]. وكان احد أبناء الرشيد يصب الماء على قدمي الاصمعي في وضوئه، وقد عاتب الرشيد الاصمعي في ذلك، وقال: «لماذا لم تأمره بان يصب الماء باحدى يديه ويغسل بالاخرى رجلك»[٧]. ومر الرشيد مرة بحلقة محمد بن الحسن بن فرقد (ت ١٨٩هـ/ ٨٠٤م)، فقام الناس كلهم الا محمد بن الحسن، ولما سأله الرشيد عن ذلك، قال: كرهت أن اخرج من طبقة العلماء إلى طبقة العامة[٨]. ودخل الاصمعي وخلف الاحمر إلى مجلس أبي زيد الانصاري، فاكب كل منهما

---

(١) ابن لجوزي، المنتظم، ج٩، ص٧٣.

(٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج١، ص٣٠١.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص١٣.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٢٣؛ ابن طباطبا، الفخري، ص١٩٤؛ الاربلي، خلاصة، ص١٠٩؛ الذهبي، سير، ج٩، ص٢٨٨؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٢٢٣ ـ ٢٢٤؛ الكردري، مناقب، ص١٠٩؛ السيوطي، تاريخ، ص٢٨٥.

(٥) ابن وادران، تاريخ العباسيين، ص١٨٥ ـ ١٨٦.

(٦) ابن النديم، الفهرست، ص١٣١؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص١٧٤٨.

(٧) الزرنوجي ، تعليم، ص٥١.

(٨) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٢، ص١٧٣.

على رأس أبي زيد يقبلانها اعترافاً منهما بفضله وتعليمه لهما[١]. ولما عزم النضر بن شميل (ت ٢٠٣هـ/ ٨١٦م)، على الخروج من البصرة إلى خراسان، شيعه نحو ثلاثة الاف من المحدثين والفقهاء واللغويين والنحاة والادباء[٢]. وقرب المأمون العلماء[٣]، وكان يتفقدهم اذا غابوا عنه ويزورهم اذا انقطعوا في بيوتهم[٤]، كما كان يتلطف بهم ويتواضع لهم، فقد كان العتابي (ت ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)، يجلس بين يديه وقد أسنّ، فلما اراد القيام قام المأمون فأخذ بيده، واعتمد الشيخ على المأمون فما زال المأمون ينهضه رويداً رويداً حتى نهض[٥]. وسار أبناء المأمون على نهج أبيهم، فتنازعوا على تقديم نعل مؤدبهم الفراء (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) عندما نهض، ايهم يقدمه اليه[٦]. وقال الحسن بن الربيع المحدث (ت ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م): «قدمت بغداد فلما خرجت شيعني اصحاب الحديث»[٧]. وكان سلمويه (ت ٢٢٥هـ/ ٨٣٩م)، عالماً بالطب، ولما مرض عاده المعتصم وبكى عنده[٨]، وكان الخليفة الواثق بالله يكرم مؤدبه هارون بن زياد ويقربه من مجلسه لما قام بتعليمه منذ الصغر[٩].

وسعى الخلفاء والامراء إلى تقليد العلماء المناصب، ومنها القضاء وان دل هذا على شيء فانما يدل على تلك المكانة العلمية والاجتماعية الرفيعة التي كان يتمتع بها العلماء، لان

---

(١) ابن الجوزي ، المنتظم، ج١٠، ص٢٦٨؛ الذهبي، سير، ج٩، ص٤٩٥؛ السيوطي، بغية، ج١، ص٥٨٣.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٦، ص٢٧٥٨.

(٣) المقريزي، السلوك، ج١، ص١٦.

(٤) ابن دقماق، الجوهر، ج١، ص١٣٢.

(٥) رفاعي، عصر، ج٣، ص٢٥٣.

(٦) ابن الانباري، نزهة، ص٨٢ ـ ٨٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٧٩؛ القفطي، إنباه، ج٤، ص١٨؛ ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص١٧٩؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٢٧٢ ـ ٢٧٣.

(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٧، ص٣٠٨.

(٨) ابن العبري، مختصر، ص١٤٠.

(٩) ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص١٢؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٣٢٣.

مثل هذه المهام يتطلب خبرة وثقافة ومواصفات معينة، ورغم ذلك فان الكثير منهم كان يرفض هذه المناصب، فقد عرض المنصور قضاء الكوفة على أبي حنيفة فأبى[١]. وامتنع عبدالله ابن ادريس (ت ١٩٢هـ/ ٨٠٧م)، من القضاء قائلاً للرشيد: «لا أصلح»[٢]. وأراد الرشيد أن يولي وكيعاً (ت ١٩٧هـ/ ٨١٢م)، قضاء الكوفة فامتنع[٣]. ورفض أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، قضاء اليمن، بعد أن عرضه عليه الشافعي بامر من الرشيد[٤].

من خلال ذلك نلاحظ أن العلماء، تمتعوا بمكانة اجتماعية مرموقة، فكانوا موضع احترام الخاصة والعامة. وتعلو مكانة العالم ويتردد ذكره بازدياد علمه ومعرفته، وقد يكون ذلك سبباً في أن يكون العالم جليساً مقرباً للخليفة أو الأمير، ويشاركه موائده، أو يكون سبباً في اختياره ليتولى احد المناصب وبالذات منصب القضاء.

---

(١) الموفق المكي، مناقب، ص١٩١؛ النووي، تهذيب، ج٢، ق١، ص١٢٧؛ الكردري، مناقب، ص٢٤٦؛ ابن وادران، تاريخ العباسيين، ص١٠١.

(٢) الذهبي، تذكرة، ج١، ص٢٨٣.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٣٠٩.

(٤) ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٣٤٢؛ أبو بكر الجزائري، العلم، ص٣٠٥.

تاسعاً : الاجازات العلمية:

الإجـازة العلميـة في اللغة، تعنـي اعطاء الأذن وبهذا فـقد اشـار الفيـروزأبادي إلى ذلك بقوله: «أجاز سوغ له»[١]. اما ابن منظور فـيذكر: اذن وتسويغ، وعلى هذا نقـول: اجزت له رواية كذا، كما نقول: أذنت له وسوغت له[٢].

اما اصطلاحاً: فهي عند علماء الحديث، أن يأذن ثقـة من الثقات لغيره رواية حديث أو كتـاب سواء كـان ذلك الكتاب من تصنيـفه ام كـان يرويه عن شيوخـه بالاسناد[٣]. وقد كـان الطالب يسـعى لطلب العلـم ما أتيح لـه الفراغ والمال والمـوهبة، ويكتـفي بالقـليل من العلم أو يجمع منه الكثيـر على حسب ظروفه الخاصة. وهو ينتـقل من دور الطالب في الحلقة إلى دور الرحلة في طلب العلم، إلى أن يصبح شيخاً له حلقة خاصة بعد أن يستحصل الاجازة بذلك، وهذا لم يكن ليـحصل عليـه طالب العلم بيسـر وسهـولة، فقد كـان يتردد طويلاً قـبل أن ينقل نفسه من مـجلس التعلم إلى مجلس التعليم، لذلك فان الـطالب الذي يرغب في الحصول على الاجازة يجب أن يثبت جدارته ومؤهلاته امام الامتحان الذي يمر به مع الطلبة أو الشيوخ، فاذا استـطاع اقناع الشيـوخ والطلبة الذين تحلقـوا حوله بانه يـستطيع القـيام بعـملية التـعليم، عندئذ تستـوجب اجازته بعد الاجـابة عن الاسئلة التي يوجهـها له شيـوخه وطلبتـهم فإن لم يوفق في ذلك يرجع إلى مكانه الاول، طالبـاً يتلقى العلم في حلقـات ومجـالس العلم[٤]. روي أن ابـا حنيـفة كـان يلتحق بحلقـة حمـاد بن سلمـة ثم أحس أن في مقـدوره أن يستـقل عنه، ويكوّن

---

(١) مجد الدين الفيروزأبادي، القاموس المحيط، ٤ج، دار المعرفة، بيروت د.ت، ج٢، ص١٧٠، سيشار له تالياً (الفيروزابادي، القاموس).

(٢) ابن منظور، لسان، ج٨، ص٤٣٦.

(٣) ابو عمرو عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري، المعروف بابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨م، ص٧٢، سيشار له تالياً (ابن الصلاح، مقدمة).

(٤) أحمد شلبي، التربية، ص٢٦١.

لنفسه حلقة يعلم فيها ففعل، ولكن طالباً ساله سؤالاً، فلم يستطيع أن يجيب عنه ففض حلقته وعاد إلى حلقة استاذه[١]. وروي أن ابا يوسف مرض مرضاً شديداً، فعاده معلمه أبو حنيفة النعمان، وقال له: «لقد كنت أؤملك بعدي للمسلمين» فلما برىء من مرضه، اعجب بنفسه بسبب شهادة شيخه له، فعقد مجلساً للامالي، فلما عرف أبو حنيفة ذلك، ادرك أن ابا يوسف تعجل، فارسل أبو حنيفة له رجلاً يساله عن خمس مسائل، وقد أجاب عليها أو يوسف باجابات خاطئة، فادرك أبو يوسف تقصيره، وعاد إلى أبي جنيفة[٢].

من ذلك ندرك قيمة الاجازة من الشيخ لطالبه، اذ هي اعلان بقدرته على قيادة حلقته العلمية ونجاحه في عمله وعلمه، اما اذا اختار لنفسه هذا الطريق، وهو طريق الاستقلال عن شيخه قبل اجازته، فانه قد يتعرض إلى مواقف تعيده ثانية إلى شيخه لاستكمال مسيرته في التأهيل العلمي. وقد كان للحديث وروايته عناية خاصة عند المسلمين، فالطالب لا تجوز روايته قبل اجازته من شيخه، ولا يجرؤ على التحدث الا بهذه الاجازة، قال ابن عبدالبر القرطبي: «الاجازة لا تجوز الا لماهر بالصناعة، حاذق بها، يعرف كيف يتناولها، ويكون في شيء معين معروف لا يشكل اسناده»[٣]. وانتقل هذا من الحديث إلى سواه من العلوم، فاذا ثابر الطالب على الاستماع لامالي الشيخ في الادب أو التاريخ أو غيرهما، أو لشرح يقوم به المدرس لكتاب ما، وتأكد المدرس من استفادة الطالب، كتب له على الورقة الاولى أو الاخيرة من الكتاب يقول فيها مثلاً: «اتم فلان قراءة هذا الكتاب وأجزت له تدريسه»[٤].

وقسم المحدثون الاجازة إلى نوعين: الشفوية والتحريرية[٥]. اما الشفوية، فقد روي بأن

---

(١) الموفق المكي، مناقب، ج١، ص٥٧.

(٢) أحمد شلبي، التربية، ص٢٦١ ـ ٢٦٢.

(٣) ابن عبدالبر، جامع، ج٢، ص١٨٠.

(٤) أحمد شلبي، التربية، ص٢٦٣؛ بلبع، «المسجد»، ص٢٣١.

(٥) الخطيب البغدادي، الكفاية، ص٣٦٣. ولمزيد من المعلومات، انظر: المصدر نفسه، ص٣٦٣ ـ ٣٨٨.

رجلاً، سأل الحسن البصري فقال: «يا ابا سعيد منزلي ناءٍ والاختلاف يشق عليّ، ومعي أحاديث فان لم تكن ترى بالقراءة بأساً قرأت عليك؟ قال: ما أبالي إن قرأت عليّ أو قرأت عليك، واخبرتك انه حدثني به، قال: يا ابا سعيد، فأقول: حدثني الحسن؟ قال: نعم، فقل حدثني الحسن»[١]. وعن الأوزاعي، قال: «دفع إلي يحيى بن أبي كثير صحيفة، فقال: أروها عني»[٢]. وروي بان الحجاج بن محمد المصبحي (ت ٢٠٦هـ/ ٨٢١م)، قال لابن جريح: «هذه الكتب التي عرضتها عليك احدث بها عنك؟ قال: نعم، وقل حدثني ابن جريح»[٣]. ويذكر بان حسين بن علي الكرابيسي الفقيه المتكلم (ت ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م)، قال: «لما كانت قدمة الشافعي الثانية أتيته، فقال له فاذن لي أن اقرأ عليك الكتب فابى، وقال: خذ كتب الزعفراني[٤]، فانسخها فقد اجزتها، فأخذها اجازة»[٥].

اما المكاتبة، فقد روي بان محمد بن يحيى الذهلي (ت ٢٥٨هـ/ ٨٧١م)، قد كتب بخطه اجازة للاصبهانيين كتب «بسم الله الرحمن الرحيم، أتاني سعيد بن عمر أبو عثمان البرذعي، بهذه الأحاديث المتضمنة الرقعة... وهذه أحاديثي...، فقد أجزتها له وليرويه عني»[٦].

ولم تقتصر الاجازة عند العلماء العرب والمسلمين على العلوم الدينية، وإنما كان للعلوم الطبيعية نصيبها في الاجازة، فقد حدثتنا الروايات التاريخية عن إجراء امتحانات من قبل العلماء المتخصصين في علوم الفلك والنجوم في عهد الخليفة المامون للمشتغلين من الطلبة بهذه

---

(١) الخطيب البغدادي، الكفاية، ص٣٦٣.

(٢) الرامهرمزي، المحدث، ص٤٣٧.

(٣) الخطيب البغدادي، الكفاية، ص٣٦١.

(٤) ابو علي الحسن بن محمد بن الصباح، الزعفراني، صاحب الامام الشافعي، برع في الفقه والحديث، توفي سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م. النووي، تهذيب، ج٢، ق١، ص٧٧.

(٥) الرامهرمزي، المحدث، ص٤٤٨.

(٦) الخطيب البغدادي، الكفاية، ص٣٥٩.

الحقول العلميـة لتوظيفهم في المراصد، وقد أشير إلى أن الخليـفة المأمون قد أوكل إلى سند بن علي المنجم الاشراف على الامـتحان، وان اجتيـاز الطالب لهذا الامتحان يعنـي اجازته بالعمل بالمراصد[١]. ولم يقتـصر الامر على علم الفلك، بل كـان لعلم الصيدلة نصـيبه في ذلك، فـقد امتحن الافشين، ومعه زكريا الطيفوري، الصيادلة سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م[٢].

ويشـترط لصـحة الاجـازة أن يكون الفـرع معـارضاً بـالأصل حتى كـأنه هو، وأن يكون المجيـز عالماً بما يجيـز به، ثقة في دينه وروايته، مـعروفاً بالـعلم، وان يكون المستجـيز من اهل العلم، حـتى لا يوضع العلم الا عند أهله[٣]. وهكذا فان الاجازة الشهـادة العلمية للطالب من قبل شيخه بالأهليـة بأن يروي عنه، وأن الاجازة تدل على المستوى العلمي لمن منحت له بكل انواع الاجازات وفي أية طريقـة تمت ولا تمنح إلا لمن كان ذا مـعرفة تهيء له أن يجـيد تدريس الكتاب المجاز به، أو رواية الأحـاديث المأذون له في روايتها[٤].

---

(١) القفطي، اخبار، ص١٤١.

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج٢، ص٩٢؛ أحمد عيسى بك، البيمارستانات، ص٤٩.

(٣) ابن الصلاح، مقدمة، ص٧٨ ـ ٧٩.

(٤) أحمد شلبي، التربية، ص٢٦٧.

الفصل الرابع

تعليم المرأة

أولاً: الموقف العام من تعليم الإناث:

يبدو أن المرأة في الاسلام، اخذت فرصتها في التعليم، فقد فُرض طلب العلم على المرأة، كما فُرض على الرجل في الاسلام. قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»(١). ومدلول كلمة مسلم هنا لا يقتصر على الذكور من المسلمين فقط، بل شمل الإناث ايضاً. وقال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لهم أجران، رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ، والعبد المملوك، اذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمةٌ يطؤها فادبها فاحسن تأديبها، وعلمها فاحسن تعليمها، ثم اعتقها فتزوجها فله اجران»(٢).

وقد كان الرسول ﷺ، ومنذ بداية الدعوة الاسلامية يهتم بتعليم النساء أمور دينهن الحنيف، فقد اغتنم فرصة مبايعة النساء له، كي يعظهن ويفقههن في الدين، فقد كانت أسماء بنت يزيد الأنصارية تسأله عن بعض الأمور الدينية الخاصة بالنساء مالهن وما عليهن(٣). وتشهد عائشة (رضي الله عنها)، لنساء الأنصار في هذا الأمر إذ تقول: «نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»(٤). ولم تكتف النساء بمبادرات الرسول في تعليمهن أمور دينهن، بل أنهن سعين عند النبي ﷺ، كي يجعل لهن يوماً من نفسه، ليعظهن ويفقهن في الدين. فعن أبي سعيد الخدري قال: «قال النساء للنبي ﷺ غَلَبَنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً لقِيهُنّ فيه فوعظهن وأمرهن»(٥).

---

(١) ابن ماجه، سنن، ج١، ص٨١.

(٢) البخاري، صحيح، ج٢، ص٨٧ ـ ٨٩؛ ابن عبدالبر، جامع، ج١، ص٩٢ ـ ٩٣.

(٣) ابن عساكر، تهذيب، ج٧، ص٤٤٠؛ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ٦ج، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٣م، ج٦، ص٥٨١، سيشار له تالياً (ابن حجر العسقلاني، تهذيب).

(٤) البخاري، صحيح، ج٢، ص١٥٨؛ ابن عبدالبر، جامع، ج١، ص٨٨.

(٥) البخاري، صحيح، ج١، ص٩٩.

وحدث شعبة عن أيوب قال: قال عطاء بن أبي رباح عن ابن العباس «أن رسول الله ﷺ خرج ومعه بلال، فظن أنه لم يُسمع فوعظهن وأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة تُلقي القرط والخاتم وبلال يأخذ في طرف ثوبه»[١]. لذلك تهافتت النساء كتهافت الرجال على طلب العلم والتثقف بثقافة الاسلام[٢]. وقد كان على نساء النبي ﷺ بنص القرآن أن يتلقين العلم عن رسول الله ليعلمنه للناس من بعده[٣]. قال تعالى: ﴿واذكرن ما يُتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾[٤]. وقد كن رضي الله عنهن، يحفظن من احاديه الكثير، فكن خير مبلغ[٥]. فكانت أم المؤمنين عائشة ـ مثلاً ـ مصدراً هاماً في الفقه للرجال والنساء. قال عطاء بن أبي رباح: «كانت عائشة أم المؤمنين افقه الناس وأحسن الناس رأياً في العامة»[٦]. وكانت تحسن الفرائض فقد كان الاكابر من أصحاب رسول الله يرسلون اليها فيسألونها عن السنن[٧].

ومنح الاسلام المرأة المتعلمة فرصة تعليم نساء المسلمين وبناتهم. فقد كانت الشفاء بنت عبدالله العدوية (ت ٢٠هـ/ ٦٤٠م)، كاتبة قبل الاسلام، وعندما اسلمت أمرها، الرسول ﷺ، أن تُعلّم أم المؤمنين حفصة (ت ٤٥هـ/ ٦٦٥م)، فقد روي عنه ﷺ، انه قال للشفاء بنت العدوية: «الا تعلمين حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة»[٨].

---

(١) البخاري، صحيح، ج١، ص٩١ ـ ٩٢.

(٢) أحمد حسين، الاسلام والمرأة، دار الشرق الاوسط للنشر، القاهرة، د.ت، ص٢٥، سيشار له تالياً (احمد حسين، الاسلام).

(٣) القابسي، الرسالة، ص٢٩٠؛ اقلانية، النظم، ص١٤٢ ـ ١٤٣؛ أحمد حسين، الاسلام، ص٢٥.

(٤) سورة الاحزاب: آية ٣٤.

(٥) اقلانية، النظم، ص١٤٢ ـ ١٤٣.

(٦) ابو الفضل، احمد بن علي بن حجر العسقلاني، الاصابة في تميز الصحابة، ٨ج، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج٨، ص١٤٠، سيشار له تالياً (ابن حجر العسقلاني، الاصابة).

(٧) ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٥٢ ـ ٥٣.

(٨) البلاذري، فتوح، ص٤٥٨؛ ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٦٩؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب، ج٦، ص٦٠١؛ اسعد طلس، التربية، ص٩٢.

وبالاضافة إلى حث الآباء لبناتهم على التعليم، كانوا ايضاً يعلموهن بانفسهم، فقد علم سعد بن أبي وقاص ابنته عائشة (ت ١١٧هـ/ ٧٣٥م)، وقد قالت: «علمني أبي الكتاب»[١].

واستمر الاهتمام بتعليم الاناث في العصر الأموي، فنبغ الكثير منهن في التفسير والحديث والفقه، مثال ذلك خيرة ام الحسن البصري[٢]، وسبيعة بنت حبيب البصرية[٣]، وأم الدرداء الاوصابية (٨١هـ/ ٧٠٠م)[٤]، وفقيهة مولاه أبي امامة (ت٨١هـ/ ٧٠٠م)[٥]، ومعاذة بنت عبدالله العدوية (ت ٨٣هـ/ ٧٠٢م)[٦]، وعائشة بنت طلحة (ت ١٠١هـ/ ٧١٩م)[٧]، وسكينة بنت الحسين (ت١١٧هـ/ ٧٣٥م)[٨].

اما في العصر العباسي حيث ازدهرت العلوم والثقافات المختلفة، فقد تمكنت المرأة من بلوغ اقصى درجات العلم والثقافة، ومما يبدو في هذا العصر أن الجواري كن أكثر نشاطاً في المجال الأدبي والفني من الحرائر، وقد يكون السبب في ذلك النظام الاجتماعي السائد في

---

(١) البلاذري، فتوح، ص٤٥٨.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٣٤٨؛ محمد بن خلف بن حيان وكيع، اخبار القضاة، ٣ج، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ج٢، ص٥، سيشار له تالياً (وكيع، اخبار).

(٣) ابن حجر العسقلاني، الاصابة، ج٨، ص١٠٣.

(٤) ابن عساكر، تاريخ (تراجم النساء)، ص٤٢٢؛ الذهبي، تذكرة، ج١، ص٥٤؛ اليافعي، مرآة، ج١، ص١٩٥؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب، ج٦، ص٦٢٥.

(٥) ابو نعيم الاصبهاني، حلية،ج١٠، ص١٢٩.

(٦) ابن حجر العسقلاني، تهذيب، ج٦، ص٦١٥.

(٧) الاصفهاني، الاغاني، ج١١، ص١٧٩؛ ابن عساكر، تاريخ (تراجم النساء)، ص٢٠٧؛ وداد سكاكيني، «مجالس الادب عند نساء العرب»، مجلة المقتطف، م١٠٢، ج١، ١٩٤٣م، ص٤٥٣، سيشار له تالياً (وداد سكاكيني، «مجالس»).

(٨) ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٣٤٦ ـ ٣٤٧؛ وداد سكاكيني، «مجالس»، ص٤٥٤؛ باسمه كيالي، تطور المرأة عبر التاريخ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١م، ص٨٨، سيشار له تالياً (باسمه كيالي، تطور المرأة).

المجتمع، حيث تحجب الحرة، فقد كان الناس يغارون على الحرائر اكثر مما يغارون على الجواري، ويحجبون الحرة ويشددون في تحجبها، وقد جرت العادة ألاّ يرى الرجل من يريد التزوج بها رؤية كاملة، اذا كانت من الحرائر إلاّ في حدود ما يسمح به الشرع الاسلامي لمريد الخطبة، بخلاف الأمة فقد كان يستطيع أن يراها ويتعرف طباعها واخلاقها بحكم مخالطتها قبل أن يقدم على الاقتران بها. اما الجارية فهي سافرة إلى حد بعيد بحكم انها في كل وقت عرضة لان تباع وتشترى. وكان الميل إلى تعليمهن الآداب والفنون واضحاً، دعاهم إلى ذلك ـ فيما يبدو ـ الناحية التجارية، فقد كان علم الجارية وأدبها يُقوَّم في سوق الرقيق بأكثر مما يُقوَّم بدنها، وان الجارية اذا قُوِّمت بمائتي دينار قُوِّمت باضعاف ذلك مغنية أو اديبة[1]. وقد سُئل أحمد بن حنبل عن رجل مات وترك ولداً وجارية مغنية، فاحتاج الصبي إلى بيعها، فقال: «لا تباع على أنها مغنية، فقيل له: انها تساوي ثلاثين ألف درهم ولعلها اذا بيعت ساذجة تساوي، عشرين ديناراً»[2]. لذلك كان تدريب الجواري على الاداب السلطانية وتعليمهن مختلف الصناعات والفنون، كالرقص والغناء والضرب على الأوتار، اضافة إلى حفظ الاشعار والنوادر، وكل ما يمكن أن يجعل من الجارية محدثة لبقة، ونديمة متندرة، وقينة مطربة[3]، وراقصة مثيرة[4]. فلا غرابة أن نجد بعض الجواري وقد ابدعت في اكثر من مجال، خصوصاً المجال الأدبي والفني. فقد كانت حُسنية جارية من السبي، اسلمت في زمن الرشيد، وكانت عالمة فاضلة، وبصيرة بالأخبار والآثار[5]. وطلب الرشيد من الأصمعي أن

---

(١) أحمد امين، ضحى، ج١، ص٩٨ ـ ٩٩.

(٢) ابن الجوزي، تلبيس، ص٢٨١.

(٣) القينة: جمعها قيان، وهي الجارية المغنية. النووي، تهذيب، ج٣، ص١٠٧.

(٤) سليم التنير، الشاعرات من النساء (أعلام وطوائف)، ط١، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٩٨٨م، ص٤٥، سيشار له تالياً (التنير، الشاعرات).

(٥) عمر رضا كحالة، اعلام النساء، ٥ج، ط٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤، ج١، ص٢٦٤، سيشار له تالياً (كحالة، اعلام).

يكشف من العلم ما عند جاريتين أهديتا اليه. فسأل احداهن، فوجد عندها من العلم ما شمل القرآن والاخبار والأشعار والنحو والعروض[(١)]. وكانت جنان، جارية عبدالوهاب بن عبدالمجيد الثقفي محدث البصرة (ت ١٩٤هـ/ ٨٠٩م)، «جارية حسناء اديبة عاقلة، تعرف الاخبار وتروي الاشعار»[(٢)]. وكانت دنانير (ت ٢٠٥هـ/ ٨٢٠م)، جارية يحيى بن خالد البرمكي، «من احسن الناس وجهاً، واظرفهم واكملهم، واحسنهم ادباً واكثرهم رواية للغناء والشعر»[(٣)]. ونشأت متيم الهشامية (ت٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)، في البصرة وبها تأدبت وغنت، وكانت من احسن الناس وجهاً وغناءً وادباً، وكانت تقول الشعر»[(٤)]. وكانت عنان (ت ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م)، جارية الناطفي، شاعرة ظريفة من مولدات اليمامة، وبها نشأت وتأدبت، وكانت «مليحة الادب والشعر، سريعة البديهة»[(٥)]. وكانت سكن (ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م)، جارية محمود بن حسين الوراق (ت ٢٢٥هـ/ ٨٣٩م)، فيما وصفت لعبدالله بن المعتز بن المتوكل (ت ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م)، «من احسن خلق الله وجهاً، واكثرهم ادباً، واطيبهم غناء»[(٦)]. ونشأت محبوبة (ت ٢٤٧هـ/ ٨٦١م)، جارية المتوكل في الطائف، فبرعت في الادب، واجادت قول الشعر، وحذاقة الغناء[(٧)]. وكانت فضل (ت ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م)، جارية

---

(١) ابن الانباري، نزهة، ص٩٤؛ الشريشي، شرح، ج٢، ص٣٣٣.

(٢) أبي عمران، المرقصات، ص٩٦ ـ ٩٧.

(٣) الاصفهاني، الاغاني، ج١٨، ص١٤؛ السيوطي، المستظرف، ص٢٨؛ كحالة، اعلام، ج١، ص٤١٧.

(٤) السيوطي، المستظرف، ص٦٢.

(٥) المصدر نفسه، ص٣٨.

(٦) عبدالله بن المعتز بن المتوكل، طبقات الشعراء، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، ط٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٦م، ص٣٦٦، سيشار له تالياً (ابن المعتز، طبقات)؛ الشكعة، الشعر، ص٤٨٠.

(٧) المسعودي، مروج، ج٤، ص١٤٣؛ الاصفهاني، الاماء، ص١١٧؛ الشريشي، شرح، ج٢، ص٣٢٥؛ ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٣٥٦؛ محمد بن أبي بكر بن قيم بن الجوزية، اخبار النساء، شرحه وقدم له عبدمهنا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م، ص٥٢، سيشار له تالياً (ابن قيم الجوزية، اخبار)؛ الابشيهي، المستطرف، ج٢، ص١٨٨.

المتوكل ـ وقد نشأت في البصرة ـ «سمراء ادبية، فصيحة سريعة الهاجس، مطبوعة في الشعر، احسن خلق الله خطاً، وافصحه كلاماً، وابلغه في مخاطبة، واثبته في محاورة»[١]. وكانت عريب المأمونية (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م)، محسنة وشاعرة صالحة الشعر، وكانت مليحة الخط والمذهب في الكلام، وجودة الضرب، والمعرفة بالنظم والاوتار، والرواية للشعر والادب[٢]. قال حماد بن اسحاق قال أبي: «ما رأيت امرأة قط احسن وجهاً، وأدباً وغناءً، وضرباً وشعراً، ولعباً بالشطرنج من عَريب، وما تشاء أن تجد خصلة حسنة ظريفة، بارعة في امرأة الا وجدتها فيها»[٣].

واهتم الخلفاء والأمراء والاعيان بالجواري المبدعات، الأمر الذي ادى إلى ارتفاع اثمانهن اضعافاً مضاعفة، وقد اقبل الخلفاء والأمراء على شراء الجواري اللواتي اظهرن ابداعاً في مجالات العلم والادب والفن[٤].

---

(١) السيوطي، المستظرف، ص٥٠ ـ ٥١.

(٢) الاصفهاني، القيان، ص١١١؛ أبو الحسن علي بن محمد بن جميل المعافري، الحدائق الغناء في اخبار النساء، تحقيق عائدة الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٧٨م، ص٩٨، سيشار له تالياً (المعافري، الحدائق).

(٣) الاصفهاني، الاماء، ص١٠٦؛ ابن عساكر، تاريخ (تراجم النساء)، ص٢٢٩؛ السيوطي، المستظرف، ص٣٧.

(٤) انظر: الاصفهاني، الاغاني، ج١٧، ص٣٢؛ الاصفهاني، القيان، ص١٢٦؛ أبو منصور عبدالملك بن محمد الثعالبي، لطائف اللطف، تحقيق عمر الاسعد، ط٢، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٧م، ص١٠٠، سيشار له تالياً (الثعالبي، لطائف)؛ الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٣، ص٨٨؛ ابن عبدالبر، بهجة، ج٣، ص٣٥٨؛ أبو سعد عبدالكريم بن محمد السمعاني، الانساب، تقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي، ٥ج، ط١، دار الجنان، بيروت، ١٩٨٨م، ج٥، ص٥٨٦، سيشار له تالياً (السمعاني، الانساب)؛ أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، احكام النساء، مكتبة التراث الاسلامي، القاهرة د.ت، ص١٤٢، سيشار له تالياً (ابن الجوزي، احكام)؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١، ص٣٠١؛ السيوطي، تاريخ، ص٣٢٣؛ السيوطي، المستظرف، ص٥٩.

يظهر مما سبق:

- أن الاسلام أكـدّ على اهمية تعليم المرأة ورفع منزلتـها بتعليـمها وتثـقيفهـا وانقاذها من الجهل ومنحهـا الفرصة المتكافئة مع الرجل، لأن تحـصيل العلم أمر ضروري وفضـيلة انسانية، وهو وسيلة للتغير الاجتماعي المطلوب احداثه على ايدي النساء والرجال.

- حث الآباء لبناتهـم على التـعليم ، بل أن بعـضهـم كان يعلـمهن بنـفسـه أو يدعـو من يعلمهن، وقد كان لذلك الأثر الكبير في نبوغ الكثير منهن في مجالات العلم المختلفة.

- لم يكن عمل المرأة مقصور على الأعمـال المنزلية، بل كانت تتعاطى العلم والتعليم منذ العـهود الاولى، حـيث تصدرت مـجالس العلم والأدب مـشاركـة فاعلة، وبروز الجـواري في مـجـالات العلم والادب والـفن، حـيث تُدرَّب الجـارية على الآداب، والفنون، بمـا يجـعلهـا محدثة لبقـة، ونديمة متـندرة، وقينة مطربة، وراقصة مـثيرة، وعلاقة ذلك باقبـال الخلفاء وكبار رجال الدولة، من الأمراء والأغنياء على الجواري المبدعات، وأثر ذلك على ارتفاع أثمانهن.

ثانياً : المواد التعليمية

١ - القراءة والكتابة:

يبدو أن اهتمام الاسلام بتعليم المرأة كان له الأثر الكبير على إقبال المرأة في العصر العباسي الأول لتعليم القراءة والكتابة. فقد كانت عُلية بنت المهدي (ت ٢١٠هـ/ ٨٢٥م)، تقبل على قراءة القرآن وقراءة الكتب[١]. وبلغت زبيدة بنت جعفر المنصور (ت ٢١٦هـ/ ٨٣١م)، مبلغاً عظيماً من الثقافة، وقد كانت تبعث في رسائلها الفياضة ابياتاً شعرية إلى زوجها الرشيد[٢]. وكان لها «توقيعات في حواشي الكتب واسافلها... أجود اختصاراً واجمع للمعاني»[٣]. وذكر أن عاملاً لزبيدة كتب اليها كتاباً فوقعت في ظهره أن «أصلح كتابك وإلا صرفناك عن عملك، فتأمله فلم يظهر له فيه شيء، فعرضه على بعض إخوانه، فرأى فيه في الدعاء لها. وادام كرافيكِ، فقال: انها تخيلت انك دعوت عليها، فإن كرافة النساء دفنهن، فغير وأعاد الكتاب اليها فقبلته»[٤]. وقد كان لها مائة جارية يقرأن القرآن[٥]. وكانت عريب المأمونية (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م) بارعة في الخط[٦]. وكان لها مكاتبات منثورة

---

(١) الاصفهاني، الاغاني، ج١٠، ص١٧٢؛ ابن الجوزي، احكام، ص١٤٢؛ العاملي، الكشكول، ص٦٦٣؛ التنير، الشاعرات، ص١٠٦.

(٢) علي ابراهيم حسن، نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨١م، ص٧٤، سيشار له تالياً (علي ابراهيم، نساء).

(٣) القلقشندي، صبح، ج١، ص٩٦.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٩٧.

(٥) ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٣١٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص٢٦١؛ ياسين بن خير الله العمري، مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء، تحقيق رجاء محمود السامرائي، دار الجمهورية، بغداد ١٩٦٦م، ص٢١٨، سيشار له تالياً (خيرالله العمري، مهذب).

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص١٢٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص٣٠٥؛ واجدة مجيد الاطرقجري، «المرأة»، حضارة العراق، ١٣ج، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٥م، ج٥، ص١٣٥، سيشار له تالياً (واجدة الاطرقجي، «المرأة»).

ومنظومة[١]. وكانت تلبس قميصاً موشحاً بالذهب، مكتوباً في رشامة:

واني لاهواه مسيئاً ومحسناً   واقضي على قلبي له بالذي يقضي[٢]

وغنت جارية للواثق من وراء ستارة:

اظليم إن مصابكم رجلاً   اهدى السلام تحية ظلم

فقالت الجارية: علمني أعلم الناس بالعربية، المازني (ت ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م)[٣].

ومما يجدر ذكره أن بعضهن كن يتولين الكتابة للخلفاء والأمراء وفي دواوين الدولة، فقد كان للخيزران (ت ١٧٣هـ/ ٧٨٩م)، كاتبة تسمى خالصة[٤]، ولزبيدة (ت ٢١٦هـ/ ٨٣١م)، جاريتان تكتبان لديها، وهما سُكّر وتركيَّة، ثم كتبت سكر للمأمون من بعدها[٥]. وكان للأمير ابراهيم بن المهدي (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)، كاتبة تسمى ميمونة[٦].

ويبدو أن البعض كره تعليم النساء الكتابة والخط، وقد اعتبروا تعليم الكتابة والخط من العلوم الواجب على المرأة تجنبها لما فيها من خطر وشر[٧]. فقد جاء في النهي عن ابن عباس (رضي الله عنه)، انه قال: «لا تسكنوا النساء العلالي ولا تعلموهن الكتابة»[٨]. وقال عمر

---

(١) الاصفهاني، الاماء، ص١٠٧؛ المعافري، الحدائق، ص١٠١؛ السيوطي، المستظرف، ص٣٨؛ كحاله، اعلام، ج٣، ص٢٦٢؛ عبدالامير مهنا، معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والاسلام، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م، ص١٧٢، سيشار له تالياً (عبد مهنا، معجم النساء).

(٢) أحمد امين، ضحى، ج١، ص٩٦.

(٣) النحاس، صناعة، ص٣٩؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعيّة، ج٢، ص١٧٢.

(٤) الجاحظ، رسائل، ج٢، ص١٨٣.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص١٥٦.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٠، ص١٨٣.

(٧) الابراشي، تاريخ علماء، ص١٢٦؛ Goldziher, "Education", vol. 5. p.204.

(٨) الصولي، ادب الكتاب، ص٥٠.

ابن الخطاب: «لا تسكنوا نساءكم الغُرف، ولا تعلموهن الكتابة، واستعينوا عليهن بالعُرى»[١]. وقال الجاحظ: «وكان يقال: لا تعلموا بناتكم الكتاب، ولا تروهن الشعر، وعلموهنّ القرآن، ومن القرآن سورة النور»[٢]. وقيل: «ان المرأة التي تتعلم الكتابة كالافعى تحتسي سُماً»[٣]. وأكد القابسي (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)، على ذلك بقوله: «انما تُعلّم ما يرجى لها صلاحه، ويؤمن عليها من فتنته وسلامتها من تعلم الخط انجى لها»[٤]. وقال المغراوي (ت ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م): «وترك تعليمها الخط أصوب، لما عسى أن تستعين به فساداً، فان الكتابة لا تحتاج مع كتبها إلى رسول لمن تهوى»[٥]. ومن الوصايا التي اوردتها بعض المصادر والخاصة بتعليم المرأة، أن لا يعلم الخط لأمرأة ولا لجارية، لأن ذلك مما يزيدها شراً[٦]. ولعل الخشية على الاناث من فساد اخلاقهن، ومن معلمي السوء، هي التي جعلت كثير من الفقهاء منذ زمن بعيد يحرمون عليها تعلم الكتابة، ويبيحون لها تعلم القراءة، وقراءة القرآن فحسب، ويوصونها بتعلم سورة النور خاصة، لما فيها من الوعظ والتاديب والتعليم[٧].

٢ ـ العلوم الدينية:

اهتم الاسلام بالعلوم الدينية، وحث النساء المسلمات على دراستها وتعلمها، وانعكس ذلك على نساء العصر العباسي، فظهرت بينهن من كانت تقرأ القرآن وتعلمه، فقد سأل الأصمعي إحدى جواري الرشيد اللواتي أهدين اليه بحروف من القرآن فأجابته «وكأنها تقرأ

---

(١) ابن عبدالبر، بهجة، ج٣، ص٣٣.

(٢) الجاحظ، البيان، ج٢، ص١٨٠.

(٣) الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٠٤؛ ابن الاخوة القرشي، معالم، ص٢٦١.

(٤) القابسي، الرسالة، ص٢٨٩.

(٥) المغراوي، جامع، ص٣٥.

(٦) الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٠٤؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص١٦٢.

(٧) اسعد طلس، التربية، ص٩٢.

الجواب من كتاب»[١]. وكانت علية بنت المهدي (ت٢١٠هـ/ ٨٢٥م)، تُقبل على الصلاة وقراءة القرآن[٢]. وبالاضافة إلى اهتمام زبيدة بنت المنصور وزوجة الرشيد (ت٢١٦هـ/ ٨٣١م)، في القرآن، فقد كان لها مائة جارية يحفظن القرآن، «فكان يُسمع في قصرها دوي كدوي النحل من القراءة»[٣]. وكانت فاطمة النيسابورية الزاهدة (ت ٢٢٣هـ/ ٨٣٧م)، تتكلم في معاني القرآن[٤]. وقال سهل بن المرزبان: «كنت احضر أحياناً ببغداد مجلس عنان المسمعة، وكان الافاضل كثيراً ما يتنابونها للسماع الفائق، وكانت تبتدىء بالقرآن»[٥]. وقالت ميمونة بنت شاقولة الواعظة: «آذانا جار لنا فصليت ركعتين، وقرأت من فاتحة كل سورة آية حتى ختمت القرآن، وقلت: اللهم اكفنا أمْرَه، ثم نِمت ففتحت عيني فرأيت النجوم مصطفة فقرأت: ﴿فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾[٦]، فلما كان السحر قام ذلك الانسان لينزل فزلقت قدمه فوقع فمات»[٧].

واقبلت نساء هذا العصر على رواية الحديث عن الرسول ﷺ، أو عن الثقات من الصحابة، ومن رواة عنهن من النساء والرجال، فكانت بُنانة بنت يزيد العبشمية (ت ١٤٢هـ/ ٧٥٩م)، راوية من راويات الحديث، وقد روت عن عائشة رضي الله عنها[٨]. واشتهرت

---

(١) الشريشي، شرح، ج٢، ص٣٢٤.

(٢) الاصفهاني، الاغاني، ج١٠، ص١٧٢؛ ابن الجوزي، احكام، ص١٤٢؛ عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، نزهة الجلساء في اشعار النساء، تحقيق عبداللطيف عاشور، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة د.ت، ص٧٢، سيشار له تالياً (السيوطي، نزهة)؛ العاملي، الكشكول، ص٦٦٣.

(٣) ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٣١٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص٢٦١؛ خير الله العمري، مهذب، ص٢١٨.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص٢٩١.

(٥) الثعالبي، الكناية، ص١٩ ـ ٢٠.

(٦) سورة البقرة: آية ١٣٧.

(٧) ابن الجوزي، احكام، ص١٥٠.

(٨) ابن حجر العسقلاني، تهذيب، ج٦، ص٥٨٤؛ كحالة، اعلام، ج١، ص١٤٩.

نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي (ت ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م)، برواية الحديث[١]. وروت حميضة بنت ياسر الحديث عن جدتها يسيره، وروى عنها ابنها هانىء بن عثمان وعنه عبدالله بن داود الخريجي (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م)، وروى لها أبو داود والترمذي[٢]. وكانت خديجة ام محمد محدثة، روى عنها عبدالله بن أحمد بن حنبل (ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م)، وكانت تغشى مجلس الامام أحمد بن حنبل وتسمع منه ويحدثها[٣].

ولم يقتصر دور النساء على رواية الحديث فقط، بل تعداه إلى الفقه، فقد أخذت الخيزران (ت ١٧٣هـ/ ٧٨٩م)، الفقه عن الامام الأوزاعي[٤]. وكان الامام مالك يُقرأ عليه الموطأ، فإن لحن القارىء في حرف، أو زاد، أو نقص، تدق ابنته الباب، فيقول ابوها للقارىء: ارجع، فالغلط معك، فيرجع القارىء، فيجد الغلط[٥]. وكانت عُلية بنت المهدي (ت ٢١٠هـ/ ٨٢٥م)، مثقفة ثقافة دينية وفقهية، فقد كانت تستعمل المصطلحات الفقهية في شعر الغزل برشاقة[٦]. وروت حُسن، جارية الامام أحمد بن حنبل عنه مسائل كثيرة[٧].

---

(١) ابن خلكان، وفيات، ج٥، ص٤٠٨.

(٢) ابن حجر العسقلاني، تهذيب، ج٦، ص٥٩٠.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٤، ص٤٣٥؛ كحالة، اعلام، ج١، ص٣٠٣.

(٤) عبدالامير مهنا، اخبار النساء في كتاب الاغاني لابي فرج الاصفهاني، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٩٨٨م، ص١١٢، سيشار له تالياً (عبد الأمير مهنا، اخبار النساء)؛ عبد مهنا، معجم النساء، ص٨٢؛ خير الدين الزركلي، الاعلام، ٨ج، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤م، ج٢، ص٣٢٨، سيشار له تالياً (الزركلي، الاعلام).

(٥) اقلانيه، النظم، ص١٤٣؛ Goldziher, "Education", vol.5.p.205.

(٦) الشكعة، الشعر، ص٤٥٨؛ عبدمهنا، اخبار النساء، ص٢٥٣.

(٧) السيوطي، المستظرف، ص٢١.

٣ـ الفصاحة والبلاغة:

وتظهر فصاحة المرأة وبلاغتها في القول الأمر الذي يدل على المستوى الأدبي واللغوي والتعليمي الذي وصلته المرأة في هذا العصر، فقد كانت دنانير (ت ٢٠٥هـ/ ٨٢٠م)، جارية يحيى بن خالد البرمكي، اديبة فصيحة[١]. وكانت زبيدة بنت أبي جعفر المنصور (ت٢١٦هـ/ ٨٣١م)، من ذوات العقل والرأي والفصاحة والبلاغة[٢]. وقد قالت للمأمون عند دخوله بغداد: «اهنئك بخلافة قد هنأت نفسي بها عنك قبل أن أراك، ولئن كنت قد فقدت ابناً خليفة لقد عوضت ابناً خليفة لم ألده، وما خسر من اعتاض مثلك، ولا ثكلت أم ملأت يدها منك، وأنا اسأل الله اجراً على ما آخذ وامتاعاً بما عوض، فقال المأمون: ما تلد النساء مثل هذه، وماذا ابقت في هذا الكلام لبلغاء الرجال»[٣]. وتميزت زينب بنت سليمان بن علي (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م)، بالعقل والرأي والفصاحة والبلاغة[٤]، وكانت فضل (ت٢٥٧هـ/ ٨٧٠م)، جارية المتوكل، اديبة فصيحة، سريعة البديهة[٥]. ووُصفت الجارية سكن لعبدالله بن المعتز (ت ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م)، فقيل: «من أحسن خلق الله وجهاً، واكثرهم ادباً، واطيبهم غناءً، فتأتي بالمعاني الجياد، والألفاظ الحسان»[٦]. وكانت عريب (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م)، جارية المأمون، «من أفصح النساء لساناً، وابلغنهن بياناً»[٧]. وذُكر أن بلاغتها في كتبها[٨].

---

(١) الاصفهاني، الاماء، ص٤٥.

(٢) كحالة، اعلام، ج٢، ص١٧.

(٣) ابن الجوزي، احكام، ص١٣٨.

(٤) كحالة، اعلام، ج٢، ص٦٨.

(٥) ابن المعتز، طبقات، ص٤٢٦؛ الاصفهاني، الاغاني، ج١٩، ص٢٥٧ ـ ٢٥٨؛ الاصفهاني، الإماء، ص٥٠؛ الكتبي، فوات، ج٣، ص١٨٥.

(٦) الشكعة، الشعر، ص٤٨٠.

(٧) ابن المعتز، طبقات، ص٤٢٥ ـ ٤٢٦؛ الاصفهاني، القيان، ص١١١؛ التنير، الشاعرات، ص٢٢٣.

(٨) كحالة، اعلام، ج٣، ص٢٦٢.

٤ ـ الشعر:

تبدو مساهمة المرأة في الشعر واضحة، فقد حفلت كتب الأدب العربي وكتب التراجم بالحديث عن كثير من الاديبات البليغات والشاعرات اللواتي كن في كثير من الحالات نظيرات للرجال المعاصرين لهن، وربما كان لهن التفوق عليهم[١]. فقد كانت الخيزران (ت ١٧٣هـ/ ٧٨٩م)، أديبة شاعرة، إضافة إلى نفوذها السياسي[٢]. وكانت رابعة العدوية (ت ١٨٥هـ/ ٨٠١م)، شاعرة اديبة متصفوة، تستعمل في مناجاتها لله اسلوباً مملوءاً بالرقة والعذوبة والصفاء[٣]. وقد عاصرتها ريحانة الشاعرة الصوفية وقد اكثرت في شعرها من التحدث عن ايثارها الحياة الأخرى على الحياة الدنيا[٤]. وتحدثت ميمونة الشاعرة الصوفية المعاصرة لرابعة في شعرها عن المعرفة الصوفية لله تعالى[٥]. وشجع أبو جعفر المنصور ابنته زبيدة (ت٢١٦هـ/ ٨٣١م)، على حفظ الشعر، فنشأت مولعة بالشعر، محبة للأدب، حتى كانت تُزين حيطان حجرتها بالستائر الموشاة بالأبيات الجميلة من الشعر البديع[٦]. وقد كانت في شعرها رقيقة مجيدة، وكثيراً ما كانت تبعث برسائلها الفياضة ابياتاً شعرية إلى زوجها الرشيد، وقد رثت ولدها الأمين بقصائد رائعة تدل على علو منزلتها في الشعر[٧]. وعرف عن علية بنت المهدي (ت٢١٠هـ/ ٨٢٥م)، انها شاعرة معروفة بالنبوغ الشعري والمعاني الرقيقة والعبارة الجزلة[٨]،

---

(١) أحمد شلبي، التربية، ص٣٣٧.

(٢) كحالة، اعلام، ج١، ص٤٠٠؛ عبدمهنا، معجم النساء، ص٨٢.

(٣) ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٢٨٥.

(٤) الشريشي، شرح، ج٤، ص٣٤٥؛ التنير، الشاعرات، ص٢١٨.

(٥) التنير، الشاعرات، ص٢٢٠.

(٦) الابراشي، تاريخ، ص١٢٧ ـ ١٢٨.

(٧) أحمد شلبي، التربية، ص٣٣٩؛ حسن ابراهيم، تاريخ، ج٢، ص٤٣١؛ علي ابراهيم، نساء، ص٧٤.

(٨) ابن الجوزي، احكام، ص١٤٢؛ كحالة، اعلام، ج٣، ص٣٣٤؛ التنير، الشاعرات، ص١٠٥ ـ ١٠٦.

وكان الرشـيد يبالغ في اكرامـها واحتـرامها، ولها ديوان شـعر[١]. وقد اسـتعملت الكثـير من المصطلحـات الفقـهيـة في شعـر الغزل برشـاقة[٢]، «وكـانت تحب أن تراسل بالأشـعـار من تختصه»[٣]، وكانت تقول الشعر في خادم لها يقال له رشاً[٤]. ومن الشاعرات المبدعات ايضاً خديجة بنت الرشيد[٥]. وحسناء جارية يحيى بن خالد البرمكي[٦]. ومما روى عن أبـي نواس انه حضـر يوماً عند زهيـر بن المسيب، صاحب شـرطة الرشيد، فـاخرج له جـارية من جواريه شاعـرة يقال لـها مجيبـة، وقد سـاله أن يمتحنـها[٧]، وبلغت دنانيـر جـاريـة يحيى بن خـالد البـرمكي، مكانة مرمـوقة في قـول الشعـر وروايته، وقـد كان الشـعراء يقـصدونهـا للمـذاكرة والمساجلة في الشعر[٨]. وسأل الأصمعي جارية للرشيـد أهديت اليه عن الاشعار والعروض، وقـال: «فـمـا قـصّرت في جـوابي في كل فـن اخـذت فـيـه، فـقلت لـهـا: فـانشـدينا بيـتاً فانشـدت»[٩]. وكانت لبـابة بنت علي بن المهـدي، شاعرة، وقـد تزوجها الأمـين، ورثته في قصيدة بعد مقتله[١٠]. وكانت رقية بنت أبي العتاهية حافظة لشعر ابيها[١١]. وكانت عِنانُ جارية

---

(١) ابن الكـازروني، مـخـتـصـر، ص١٢٠؛ الكـتـبي، فـوات، ج٣، ص١٢٣؛ ابن الـغـزي، ديوان، ج٣، ص٢٦٧.

(٢) الشكعة، الشعر، ص٤٥٨.

(٣) الاصفهاني، الاغاني، ج١٠، ص١٧٣.

(٤) الصولي، اخبار، ج٣، ص٦١.

(٥) السيوطي، نزهة، ص٤٩.

(٦) الزجاجي، الامالي، ص٦٢.

(٧) السيوطي، تحفة، ص٢٧٣؛ عبدمهنا، معجم النساء، ص٢٣٧.

(٨) الاصفهاني، الاغاني، ج١٣، ص٣٣٨، ج١٨، ص١٤؛ السيوطي، المستظرف، ص٢٨.

(٩) ابن الانباري، نزهة، ص٩٤.

(١٠) المسعودي، مروج، ج٣، ص٥٠٤.

(١١) المصدر نفسه، ج١، ص٤٥٦.

الناطفي شاعرة اديبة فصيحة[١]، ولها مساجلات شعرية مع عدد كبير من الشعراء[٢]، منهم أبو نواس[٣]. وعن أحمد بن معاوية، قال: قال لي رجل: «تصفحت كتباً فوجدت فيها بيتاً جهدت جهدي أن اجد من يجيزه، فلم أجده، فقال لي صديق: عليك بعنان جارية الناطفي، فاتيتها، فانشدتها:

وما زال يشكو الحب حتى حسبته   تنفس من احشائه أو تكلما

فما لبثت أن قالت:

ويبكي فابكي رحمة لبكائه   إذا ما بكى دمعاً بكيت له دما[٤]

وفي هذا دلالة واضحة على فصاحة عنان وسرعة جوابها وتمكنها من الشعر. ولقبت خديجة بنت المأمون بالعطارة لاستخدامها العطر، وقد كانت شاعرة امتاز غزلها بالظرف والرقة[٥]. وكانت عريب جارية المأمون من الشاعرات الفصيحات البليغات[٦]، وقد كان لها مكاتبات منظومة[٧]. وقد وردت لها اشعار كثيرة[٨]. وكانت عائشة بنت الخليفة

---

(١) ابن المعتز، طبقات، ص٤٢١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص٣٠١؛ السيوطي، المستظرف، ص٣٨.

(٢) الاصفهاني، الاغاني، ج٢٢، ص٥٢١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص٣٠١؛ السيوطي، المستظرف، ص٣٨.

(٣) الوشاء، الظرف، ص٣٣٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص٣٠١.

(٤) الاصفهاني، القيان، ص٢٥.

(٥) الاصفهاني، الاغاني، ج١٥، ص٣٢٩؛ التنير، الشاعرات، ص٢٥٤.

(٦) ابن المعتز، طبقات، ص٤٢٥ ـ ٤٢٦؛ الاصفهاني، الاماء، ص٩٩؛ الاصفهاني، القيان، ص١١١؛ ابن عساكر، تاريخ (تراجم النساء)، ص٢٢٩؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص١٢٦؛ المعافري، الحدائق، ص٩٨؛ السيوطي، المستظرف، ص١٣، ٣٧.

(٧) الاصفهاني، الاماء، ص١٠٧.

(٨) انظر: ابن عساكر، تاريخ (تراجم النساء)، ص٢٢٩ ـ ٢٣٩.

اديبة شاعـرة، وقد كان يرتاد مجلسهـا أهل الأدب والشعر[١]. وجمعت فـضل جارية المتوكل الجمال والفصاحة والبـداهة الشعرية، وجودة الشعر[٢]، وكانت تتبع آثار الشعـراء فتخرج منها مواضع خطئـهم وغلطهم[٣]، كمـا كانت تهاجي الشعـراء وتساجلهم[٤]. واهدى عبـدالله بن طاهر بن الحسين (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، إلى المـتوكـل جارية يقـال لها محـبـوبة، وقد برعت في قـول الشعـر وقد الزم المتـوكل مـحبـوبة مجـلسـه، فكـانت لا تفـارقه[٥]. وكـانت سكن، جارية محمود الوراق الشاعر (ت ٢٢٥هـ/ ٨٣٩م) تقول الشعر فتأتي بالمعاني الجياد والالفاظ الحسان»[٦].

وترد الاشـارة عن كثـير من الشـاعـرات كعـتبـة جارية المهـدي[٧]، وطيف البـغدادية[٨]، والحجـناء بنت نصيب الاصـفر الحـبشي التي امـتدحت المهـدي وابنته علـية[٩]، ومجيـبة جارية هارون الرشيد[١٠]، وتيماء جارية خزيمة بن خاز التميمي، أحد كبار قادة الرشيد والمامون (ت ٢٠٣هـ/ ٨١٨م)[١١]، وفنون جـارية يحـيـى بن مـعـاذ، أحـد قـواد الرشـيـد (ت٢٠٦هـ/

---

(١) السيوطي، نزهة، ص٦٠.

(٢) ابن المعتز، طبقات، ص٤٢٦؛ الاصفهاني، الإماء، ص٤٩ ـ ٥٠؛ السيوطي، المستظرف، ص٥٠.

(٣) ابن المعتز، طبقات، ص٤٦١.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٢٦؛ الاصفهاني، الاغاني، ج١٩، ص٢٥٧ ـ ٢٥٨؛ الاصفهاني، الاماء، ص٥٠.

(٥) المسعـودي، مروج، ج٤، ص١٤٣؛ الشريشي، شرح، ج٢، ص٣٢٥؛ ابن خلكان، وفـيـات، ج١، ص٣٥٦.

(٦) ابن المعتز، طبقات، ص٣٦٦.

(٧) النحاس، صناعة، ص١٧١.

(٨) السيوطي، نزهة، ص٦٠.

(٩) التنير، الشاعرات، ص١٤٢.

(١٠) السيوطي، تحفة، ص٢٧٣.

(١١) الاصفهاني، الاماء، ص٧٣.

٨٢١م)[١]، وجنان جارية آل عبدالوهاب بـن عبدالمجيد الثقفي، وكـانت تروي الأشعار، وقد كان يهواها أبو نواس[٢]، وذلفاء جارية ابن طرخان[٣]، وتزيف التي حظيت عند المأمـون حتى انزلها منزلة عريب[٤]، ومراد جارية علي بن هشام ـ احد قادة المأمون (ت ٢١٧هـ/ ٨٣٢م) ـ وقد كـانت تقول الشعر فـي فتوحاته وأفـعاله[٥]. ومُتيم الهـشامـية، جارية علـي بن هشام[٦]، وسمراء وهيـلانه، وهما شاعرتان كانتـا لرجلين من نخاسي بغداد[٧]، وزهراء الكلابية، وقد كانت تحـدث اسحاق الموصـلي وتناشده[٨]، وبنان جـارية المتـوكل[٩]، وخنسـاء جارية هشـام المكفوف، وقد كانت فضل الشاعرة تهاجيها[١٠]، وكان لكل واحدة منهما عـصبة من الشعراء يتعصبون لها[١١]. وغيـر هؤلاء كثير ممـا حفلت به كتب الأدب والتـراجم، مما يؤكد على الدور الذي اضطلعت به المرأة العباسيـة في قول الشعر وحفظه وروايته، ومدى مساهمـتها في الحياة الادبية والثـقافيـة، وفي ذلك ما يؤكد على المسـتوى الثقـافي الرفيع الذي وصلت اليـه مما يظهر مسـتواها العلمي والتـعليمي، اذا مـا علمنا أن أشعـار الكثير منهـن تميزت بالبلاغـة والفصـاحة والمعـاني الرقيـقـة والعبـارات الجزلة، فكان ذلـك سببـاً في أن يقـصـد الشعـراء والادباء بعض الشاعرات للمساجلة والمذاكرة.

---

(١) المصدر نفسه، ص٧٩.

(٢) أبي عمران، المرقصات، ص٩٧.

(٣) الاصفهاني، القيان، ص٨٧؛ السيوطي، المستظرف، ص٢٧.

(٤) السيوطي، المستظرف، ص١٧.

(٥) الاصفهاني، الاماء، ص٨٧.

(٦) الاصفهاني، القيان، ص١٠٣؛ السيوطي، المستظرف، ص٦٢.

(٧) الاصفهاني، الاماء، ص٩٥.

(٨) كحالة، اعلام، ج٤، ص٢٠؛ التنير، الشاعرات، ص٢٦٤.

(٩) الاصفهاني، الاماء، ص١٢١؛ السيوطي، المستظرف، ص١٢.

(١٠) ابن المعتز، طبقات، ص٤٢٥؛ الاصفهاني، القيان، ص١١٦.

(١١) الاصفهاني، القيان، ص١١٦.

٥ـ الغناء والموسيقى:

يبدو الاتجاه نحو تعليم الغناء والموسيقى واضحاً لدى الناس في العصر العباسي الاول، وبالذات الجواري منهن، ويبدو أن الاثمان الباهظة التي تُدفع في شراء القيان المغنيات، بالاضافة إلى شغف الناس بالغناء والموسيقى كان دافعاً إلى العناية بتعليمهن مثل هذه الفنون، فاخذ نوابغ المغنين يعلمون جواريهم الحانهم واصواتهم، وطريقة غنائهم[١]. فقد اشترى عبدالرحمن بن عمرو المغني والملقب بدحمان (ت ١٦٥هـ/ ٧٨١م)، جارية بمائتي دينار، فعلمها الغناء وباعها بعشرة آلاف دينار[٢]. وعرضت جارية بثلاثمائة دينار، فلما علمها ابراهيم بن المهدي المغني (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)، الغناء، عرض في ثمنها ثلاثة آلاف دينار[٣]. وكان كل من ابراهيم بن المهدي، وابراهيم بن ماهان الموصلي المغني (ت ١٨٨هـ/ ٨٠٣م)، يدرب الجواري على الغناء، ثم يبيعوهن بأثمان عالية[٤]. وكانت أمان مغنية من مغنيات العصر العباسي، وكان يهواها أبو عيينه بن محمد بن أبي عيينه المهلبي، فجعل يرددها إلى ابراهيم الموصلي واسحاق بن ابراهيم الموصلي المغني (ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م)، فتأخذ عنهما، فكلما زادت في الغناء زاد في سومه[٥].

وقد اوردت المصادر الكثير من الاشارات المتعلقة بتعليم الاناث فن الغناء والموسيقى، فقد كان خليل المعلم يلقب خليلان، وكان يؤدب الصبيان ويلقنهم القرآن والخط ويعلم الجواري الغناء[٦]، وكان ابراهيم الموصلي، من اكثر الناس نشاطاً في تعليم الجواري وتثقيفهن، ومن

---

(١) أحمد امين، ضحى، ج١، ص٨٩؛ التنير، الشاعرات، ص٤٦؛ باسمه كيالي، تطور المرأة، ص٩٣.

(٢) انظر: الاصفهاني، الاغاني، ج٦، ص٢٦ ـ ٢٧؛ أحمد امين، ضحى، ج١، ص٩١.

(٣) أحمد امين، ضحى، ج١، ص٩١.

(٤) بروكلمان، تاريخ الشعوب، ص١٩٢.

(٥) الاصفهاني، الاغاني، ج٥، ص١٥٦؛ كحالة، اعلام، ج١، ص٧٩؛ حسن ابراهيم، تاريخ، ج٢، ص٤٠٧.

(٦) الاصفهاني، الاغاني، ج٢١، ص٢١٩؛ طوطح، التربية، ص٦٩.

اسبقـهم في التوجـه إلى ذلك، فـقد روي عن ابنـه اسحـاق قوله : «وأول من علّم الجـواري المثمنـات أبي، فانه بلغ بالقـيان كل مبلغ، ورفـع من اقدارهن»[١]. وقد اقـام ابراهيم الموصلي (ت ١٨٨هـ/ ٨٠٣م)، ويزيد بن حـوراء المغني شـركة لتـعليم القـيان أصـول الغناء، على أن تُقسم الأرباح بينهما مناصفة[٢]. ومن أشهر تلاميذ ابراهيم الموصلي وابنه اسحاق متيم الهشامية (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)، جـارية علي بن هشام الـبصـرية، التي وُصفـت بانها مـولدة صفـراء، نشـأت وتأدبت في البـصرة وغنت بهـا[٣]. وكـذلك أخذت قلم الصـالحيـة، جارية صـالح بن عبدالوهاب، الغناء عن ابراهـيم الموصلي وابنه اسحاق[٤]. واخذت خمـار، جارية هارون بن عبـدالله بن الربيع، الغناء عن ابراهيم الموصلي[٥]. وحدّث اسـحاق بن ابراهيم الموصلي، عن ابيه، قال: قال لي زلزل (ت ١٧٤هـ/ ٧٩٠م): «عندي جارية قد علمتها الغناء»[٦]. وأخذت الجارية بذل، الغناء عن دحـمان وفليح وابن جامع وابراهيم الموصلي وغـيرهم[٧]، ويقال انها كانت تغني ثلاثين الف صوت[٨]. وكان دحمان يغني ويعلم الجواري الغناء[٩]. وكانت لميس،

---

(١) الاصفهـاني، الاغاني، ج٥، ص١٥٦؛ الاصـفهاني، القيان، ص٩٢؛ القلقـشندي، صبح، ج١، ص٤٩٤؛ السيـوطي، الوسائل، ص١٤٧؛ سعيـد عبدالفتـاح عاشور وآخرون، دراسـات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية، ط٢، منشورات ذات السـلاسل، الكويت، ١٩٨٦م، ص٤٢١، سيشـار له تالياً (سعيد عـاشور، دراسات).

(٢) الاصفهاني، الاغاني، ج٣، ص٢٤٦.

(٣) الاصفهاني، الاماء، ص٩١؛ الاصفهاني، القيان، ص١٠٣؛ السيوطي، المستظرف، ص٦٢.

(٤) الاصفهاني، الاغاني، ج١٣، ص٣٤٨؛ الاصفهاني، القيان، ص١٢٦؛ السيوطي، المستظرف، ص٥٩.

(٥) كحالة، اعلام، ج١، ص٣٥٧.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٥.

(٧) الاصفهاني، الاغاني، ج١٧، ص٣٢؛ الاصفهاني، القيان، ص١١٩. وفليح هو فليح بن أبي العوراء، وهو احد مغني الدولة العباسية وله فضل كبير في الغناء والموسيقى. الاصفهاني، الاغاني، ج٤، ص٣٦٢.

(٨) الاصفهاني، الاغاني، ج١٧، ص٣٢؛ الاصفهاني، القيان، ص١١٩.

(٩) المصدر نفسه، ج٦، ص٢٢.

جارية عبدالله بن طاهر، مغنية مجيدة، وقد صنع اسحاق الموصلي لهاً لحناً وطلب منها أن تلقيه على كل جارية تعلمها[١].

وأخذت دنانير، جارية يحيى بن خالد البرمكي، الغناء عن فليح وابراهيم بن المهدي وابن جامع واسحاق الموصلي وغيره[٢]. واخذت دمن، جارية اسحاق الموصلي الغناء عن اسحاق الموصلي ومخارق وغيرهما[٣]، وكانت شارية، مولدة من مولدات البصرة، اشتراها ابراهيم بن المهدي، فأخذت غناءه كله أو اكثره عنه[٤]، وعلمها اساليبه المستحدثة في الغناء[٥]. وكانت عريب جارية لعبدالله بن اسماعيل، صاحب مراكب الرشيد، فرباها وادبها وعلمها الغناء[٦]. ونشأت فريدة الكبرى بالحجاز، ثم وقعت إلى الربيع بن يونس حاجب الرشيد، فتعلمت الغناء، ثم صارت إلى البرامكة[٧]. واقام ابراهيم بن المهدي بتعليم الجارية هدية الغناء، وبعث معها عود معمولاً من العود الهندي مكللاً بالجوهر، والبسها حلة منسوجة بالذهب، وارسل بها هدية إلى الأمين[٨]. وكانت سكن، جارية طاهر بن الحسين، جارية مولدة بيضاء، حسنة الغناء، وقد اخذت الغناء عن اسحاق الموصلي وطبقته[٩].

ونجد أسماء لمغنيات قمن بتعليم الغناء والموسيقى، فقد جاء اسحاق الموصلي إلى عاتكة

---

(١) كحالة، اعلام، ج٤، ص٢٩٧.

(٢) الاصفهاني، الاغاني، ج١٨، ص١٤؛ السيوطي، المستظرف، ص٢٨.

(٣) كحالة، اعلام، ج١، ص٤١٤.

(٤) الاصفهاني، الاغاني، ج١٥، ص٣٢١.

(٥) سعيد عاشور، دراسات، ص٤٣١؛ كحالة، اعلام، ج٢، ص٢٨٠.

(٦) كحالة، اعلام، ج٣، ص٢٦١ ـ ٢٦٢.

(٧) الاصفهاني، القيان، ص٩٨؛ السيوطي، المستظرف، ص٤٩.

(٨) الاصفهاني، القيان، ص١٠٢.

(٩) الاصفهاني، الاماء، ص٧٥.

بنت شهدة ـ جارية من مولدات المدينة ـ فاخذ منها صوتاً أو صوتين[١]. وكان مخارق (ت ٢٣١هـ/ ٨٤٥م)، مملوكاً لعاتكة وقد علمته الغناء[٢]. وكانت الجواري تختلف إلى سلاّمة الزرقاء صاحبة ابن رامين النخاس، فيتعلمن منها الغناء[٣]. وقال حماد بن اسحق الموصلي (ت ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م): «كان أبي يستحسن غناء جواري الحارث بن بسخنر، ويعتمد على تعليمهن لجواريه، وكان اذا اضطرب على واحدة منهن أو على غيرهن صوت، أو وقع فيه اختلاف اعتمد على الرجوع فيه اليهن»[٤].

وتبرز اسماء لبعض الحرائر اللواتي اشتهرن بالغناء وقمن بتعليمه، فقد كانت عُلية بنت المهدي، تقول الشعر الجيد، وتصوغ فيه الالحان الحسنة[٥]. وكان ابراهيم بن المهدي، يأخذ الغناء عن اخته عُليه[٦]. ويقول عبدالله بن العباس ابن الفضل بن الربيع: «انه ما اجتمع في الاسلام قط اخ واخت احسن غناءً من ابراهيم بن المهدي واخته عليه، وكانت تقدم علية»[٧]. ويحكى عن عَريب انها قالت: «أحسن يوم رأيته واطيبه يوم اجتمعت مع ابراهيم بن المهدي، عند اخته عُلية، وعندهم اخوهم يعقوب وكان احذق الناس بالزمر»[٨]. واشترت امرأة من بني هاشم، مولدة من مولدات البصرة، واسمها شارية، فقامت بتعليمها الغناء[٩]. ويبرز اسم خديجة بنت الخليفة المأمون كشاعرة ومغنية، فقد غنت احدى المغنيات يوماً بين يدي المتوكل

---

(١) الاصفهاني، الاغاني، ج٥، ص٢٤٥؛ الاصفهاني، القيان، ص٧٨؛ الشريشي، شرح، ج٢، ص٢٩٨.

(٢) الاصفهاني، الاغاني، ج٦، ص٢٤٧؛ الاصفهاني، القيان، ص٧٨.

(٣) كحالة، اعلام، ج٢، ص٣١.

(٤) الاصفهاني، الاغاني، ج٢٣، ص٥٣.

(٥) المصدر نفسه، ج١٠، ص١٧٢.

(٦) الصولي، اخبار، ج٣، ص٥٥.

(٧) الكتبي، فوات، ج٣، ص١٢٥.

(٨) المصدر نفسه، ج٣، ص١٢؛ أحمد شلبي، التربية، ص٣٤٢ ـ ٣٤٥؛ باسمه كيالي، تطور المرأة، ص٩٩.

(٩) كحالة، اعلام، ج٢، ص٢٨٠.

مقطوعة عذبة، فطرب المتوكل، وقال: لمن هذا الغناء؟ فقيل: «الشعر والغناء جميعاً لخديجة بنت المأمون»[١].

وابدعت بعض الجواري لدرجة أن تقوم بتاليف الكتب في الغناء. فقد كان لدنانير، جارية يحيى بن خالد البرمكي «كتاب مجرد في الاغاني مشهور»[٢]. وكان لغناء عريب، جارية المأمون «ديوان مفرد من شعرها»[٣]. وقيل أن لبذل «كتاب في الاغاني منسوب الاصوات غير مُجنَّس، يشمل على اثني عشر الف صوت»[٤].

وفي مجال الموسيقى، برعت كثير من النساء، فقد كانت علية بنت المهدي ماهرة في صناعة الموسيقى والألحان[٥]. واصبحت الجارية هدية، مبدعة في استخدام العود بعد أن علمها ابراهيم بن المهدي[٦]. وكانت قلم الصالحية تتقن الضرب على العود[٧]. وبرعت عاتكة بنت شهدة بالضرب على العود، لدرجة انها اصبحت معلمة حاذقة في هذا المجال. فقد أخبر حماد بن اسحق عن ابيه انه ذكر عاتكة بنت شهدة يوماً، فقال: «كانت اضرب من رأيت بالعود، وقد مكثت سبع سنين اختلف اليها في كل يوم فتضاربني ضرباً أو ضربين، ووصل اليها مني ومن أبي اكثر من ثلاثين الف درهم بسببي دراهم وهدايا»[٨]. وكان مخارق المغني (ت ٢٣١هـ/ ٨٤٥م)، مملوكاً لعاتكة، وقد علمته الغناء «ووضعت يده على العود»[٩].

---

(١) الاصفهاني، الاغاني، ج١٥، ٣٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ج١٨، ص١٤؛ الاصفهاني، القيان، ص٨٣؛ السيوطي، المستظرف، ص٢٨.

(٣) الاصفهاني، القيان، ص١١١؛ السيوطي، المستظرف، ص٣٧؛ واجدة الاطرقجي، «المرأة»، ص١٣٥.

(٤) الاصفهاني، الاغاني، ج١٧، ص٣٢؛ الاصفهاني، القيان، ص١١٩.

(٥) العاملي، الكشكول، ص٦٦٣.

(٦) الاصفهاني، القيان، ص١٠١.

(٧) الاصفهاني، الاغاني، ج١٣، ص٣٤٨؛ الاصفهاني، القيان، ص١٢٦.

(٨) الاصفهاني، الاغاني، ج٦، ص٢٤٧؛ الاصفهاني، القيان، ص٧٨.

(٩) الاصفهاني، الاغاني، ج٦، ص٢٤٧؛ الاصفهاني، القيان، ص٧٨.

واشتهرت عريب، جارية المأمون بالضرب على العود[١]، وقد وضعت الف صوت[٢]. وكذلك اشتهرت مؤنسة، جارية المأمون، بالضرب على العود[٣]. وعرفت سكن، جارية محمود الوراق بايقاعها الحسن.[٤]

٦ـ رواية الاخبار:

يبدو أن بعض النساء كان لديهن معرفة برواية الاخبار والسير فقد عني أبو جعفر المنصور بتربية ابنته زبيدة وشجعها على حفظ الاخبار والسير[٥]. وكانت عُلية ابنة المهدي تقول بعض الروايات[٦]. وامتحن الأصمعي احدى جواري الرشيد، فكان عندها علم برواية الاخبار[٧]. وكان حسنية من الجواري اللواتي اسلمن في زمن الرشيد، وكانت عالمة فاضلة، بصيرة بالاخبار والآثار[٨]. وكانت جنان، جارية عبدالوهاب ابن عبدالمجيد الثقفي، عالمة بالاخبار والآثار[٩]. وربيت الجارية بذل في البصرة، وقد عرفت بكثرة الرواية[١٠].

٧ـ الطب والرياضيات:

ويظهر دور المرأة في مجال الطب فيما روي عن الجارية تودد وقد اشتراها الرشيد بمائة

---

(١) السيوطي، المستظرف، ص٣٧.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص١٢٦.

(٣) السيوطي، المستظرف، ص٦٩.

(٤) التنير، الشاعرات، ص١٤٥.

(٥) الابراشي، تاريخ، ص١٢٧ ـ ١٢٨.

(٦) سعيد عاشور، دراسات، ص٤٢٣.

(٧) ابن الانباري، نزهة، ص٩٤؛ الشريشي، شرح، ص٣٢٤.

(٨) كحالة، اعلام، ج١، ص٢٦٤.

(٩) أبي عمران، المرقصات، ص٩٦ ـ ٩٧.

(١٠) الاصفهاني، الأغاني، ج١٧، ص٣٢.

الف دينار بعد أن فازت في امتحان صعب وضعه لها العلماء في الطب وفي علوم اخرى[١].

ويبدو أن بعض النساء كان لهن بعض الاهتمام بعلم الرياضيات، فقد قال العتبي ذات يوم لابن الجهم: «الا تتعجب من فلان، نظر في كتاب لاقليدس مع جارية سلمويه في يوم واحد، وساعة واحدة، فقد فرغت الجارية من الكتاب، وهو بعد لم يُحكم مقالة واحدة، على انه حر مُخير، وتلك أمة مقصورة، وهو احرص على قراءة الكتاب من سلمويه على تعليم الجارية»[٢].

يظهر مما سبق:

- اتساع دائرة التعليم لتشمل الإناث إضافة إلى الذكور، نتيجة إلزام الاسلام للمرأة في الإقبال على التعليم.

- بلغت المرأة مبلغاً عظيماً من الناحية الثقافية والعلمية، فاشتركت المرأة في الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية والادارية للمجتمع الاسلامي، ووصلت إلى درجة كبيرة في النهضة العقلية وفي الثقافة والعلم. فكانت تنظم الشعر وتصوغ الالحان وتجالس العلماء والادباء والشعراء والرواة وتناظرهم.

- لم يقتصر تعليم المرأة على معرفة القراءة والكتابة وبعض الامور الدينية، بل شمل العلوم الدينية، ورواية الاخبار، والسير والادب، والموسيقى والغناء والطب والرياضيات، إلى جانب بعض العلوم الاخرى المتفرقة، مما يؤكد تنوُّع ثقافة المرأة وتصدرها لموضوعات ثقافية متعددة.

- لم تقتصر نهضة المرأة التعليمية على الجواري دون الحرائر أو العكس، بل شملت

---

(١) أحمد شلبي، التربية، ص٣٥١؛ التنير، الشاعرات، ص٤٥.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٥٤.

الحرائر والجواري على حد سواء مع بروز دور الجواري في الشعر والغناء والموسيقى.

- ارتفاع شهرة بعض الجواري الراجع إلى نبوغهن في مجالات العلم المختلفة، اضافة إلى اتقانها الكبير للغناء والرقص والموسيقى، وقد تدربن على ايدي كبار المغنين الذين حفل بهم المجتمع الاسلامي.

- مغالاة الخلفاء وكبار الاعيان من رجال الدولة والاغنياء باثمان الجواري الأمر الذي ادى إلى ارتفاع اثمانهن الذي اغرى الكثير من المغنين ودفعهم إلى احتراف تجارة القيان، فكانوا يشترون الجارية، ويدربونها على الغناء والعزف واداب الحديث والمعاشرة، ويبعونها بعد ذلك بربح كبير.

ثالثاً: اماكن تعليم المرأة:

١ ـ الكتاتيب:

يبدو أن تعليم الاناث في الكتاتيب يعود إلى العصر الجاهلي، اذ ترد الاشارة إلى التحاق البنات بالكُتَّاب قبل الاسلام. فقد كانت ظلمة صبيّة في الكُتَّاب[١]. وذكر أحمد بن الفضل الكاتب: «ان غلاماً وجارية كانا في كُتَّاب، فهويها الغلام، فلم يزل يتلطف بمعلمه حتى صيره قريباً منها، فلما كان في بعض ايامه في غفلة من الغلمان كتب في لوح الجارية»[٢]. وروى الجاحظ أن الوليد بن عبدالملك (٨٦ ـ ٩٦هـ/ ٧٠٥ ـ ٧١٤م) مر بمعلم صبيان، فرأى عنده جارية، فقال: «ويلك ما لهذه الجارية، فقال: اعلمها القرآن»[٣]. ويذكر أن خليلاً المعلم الملقب بخليلان «كان يؤدب الصبيان، ويعلم الجواري الغناء في موضع واحد»[٤]. وقد كان يوماً يردد على صبي يقرأ بين يديه قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم﴾[٥]، ثم يلتفت إلى صبية يردد عليها:

اعتاد هذا القلب بَلباله ... ان قُرِّبت للبين أجماله[٦]

ويروى أن علي بن اديم ـ وهو من تجار الكوفة ـ كان يهوى جارية يقال لها منهلة، وقد

---

(١) ابن قتيبة، عيون، ج٤، ص١٠١؛
Hamidullah, "Education System in the Time of The Prophet", Islamic Culture, vol.13. No. 1. 1939, p.50, سيشار له تالياً (Hamidullah, Education System).

(٢) الديوه جي، التربية، ص٢٨.

(٣) الجاحظ، البيان، ج٢، ص٢٠٣؛ اسعد طلس، التربية، ص٩٢.

(٤) الاصفهاني، الاغاني، ج٢١، ص٢١٩؛ طوطح، التربية، ص٦٩؛ سامي مكي العاني، معجم القاب الشعراء، ط١، مكتبة الفلاح، دبي، ١٩٨٢م، ص٨٠، سيشار له تالياً (سامي العاني، معجم القاب).

(٥) سورة لقمان: آية ٦.

(٦) الاصفهاني، الاغاني، ج٢١، ص٢١٩.

شاهدها تختلف إلى الكُتَّاب[1].

من خلال ذلك يبدو أن تعليم الاناث في الكُتَّاب إلى جانب الصبيان كان امراً مالوفاً منذ الجاهليـة، وتوسع في القرنين الأول والثاني الهجريين، الا أن البـعض في فترة تاليـة قد أنكر ذلك. فـقـال ابن سـحنون (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م): «اكـره للـمعلم أن يعلـم الجـواري، ولا يخلطهن مع الغلمان، لان ذلك فساد لهم»[2]. وقد يكون في هذا النـص اشارة إلى أن تعليم الاناث في الكتاتيب في العصر العباسي الاول، كان خاصاً بالجواري دون الحرائر. خاصة اذا علمنا أن تعليم الجواري كان لرفع اثمـانهن عند بيعهن، وقد اكد القابسـي ضرورة التفريق بين الذكور والاناث في الكُتَّاب، مما يؤكد تعليم الاناث في الكُتَّاب، حـيث قال: «ومن صلاحهم ومن حسن النظر اليـهم الا يخلط بين الذكران والاناث»[3]. واذا علمنا أن القـابسي توفي في ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م، فهذا يؤكد على أن الكتاتيب الخاصة بتـعليم الاناث، استمرت إلى فترة ما بعد العصر العباسي الأول.

يبـدو مما سبق أن الكتـاتيب الخاصـة بتعليـم الاناث، انقسـمت إلى كتـاتيب اختلط فـيهـا الذكور والاناث، وكـتاتيب كـانت مقـتصـرة على الاناث فقط. ومع أن هناك كـتاتيب خـاصة بتعلـيم الاناث في العصر الـعباسي الاول ـ وهذا مـا اشار اليـه ابن سحنون ـ الا أن انتـشارها كـان اقل بكثيـر من انتشـارها في فـتـرة صـدر الاسـلام، مما يؤكـد حـرص المسلمين في هذه الفتـرة على حجب الحـرائر، واقتـصار تعليـمهن على المنازل أو يجلب لهـا معلم خـاص يقوم بتعليمها.

---

(١) الاصفهاني، الاغاني، ج١٥، ص٢٠٩؛ الاصفهاني، القيان، ص٩٢.

(٢) ابن سحنون، اداب، ص١١٧؛ القابسي، الرسالة، ص٣١١.

(٣) القابسي، الرسالة، ص٣١١؛ الاهواني، التربية، ص١٠٥؛ اسعد طلس، التربية، ص٩٢.

٢ ـ المساجد:

يبدو انه ونتيجة لاهتمام الاسلام بتعليم المرأة، أن ظهر بين النساء من كانت تتعلم وتعلم في المساجد. فقد كانت النساء تحضر مجالس القصاص في مسجد البصرة، على الرغم من انكار الحسن البصري (ت ١١٠هـ/ ٧٢٨م)، لاجتماع النساء والرجال في هذه المجالس، خوفاً من الفساد والفتنة[١]. وكانت لمسعر بن كدام الكوفي المحدث (ت ١٥٢هـ/ ٧٦٩م)، ام عابدة: «فكان يحمل لها لبداً ويمشي معها حتى يدخلها المسجد، فيبسط لها اللبد، فتقوم فتصلي ويتقدم هو إلى مقدم المسجد فيصلي ثم يقعد ويجتمع اليه من يريد فيحدثهم، ثم ينصرف اليها فيحمل لبدها وينصرف معها»[٢]. ويروى أن عبدالملك بن جريح (ت ١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، روى عن ست عجائز من عجائز المسجد الحرام[٣]. وجاءت امرأة إلى حلقة أبي حنيفة (ت ١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، وكان يطلب الكلام، فسألته عن مسألة[٤]. وارادت ام أبي حنيفة أن تستفتي في شيء فافتاها أبو حنيفة، فلم تقبل، فدخلت إلى القاص أبي زرعة في مسجد الحضرميين لتستفتيه في الامر. فقال أبو زرعة: «القول كما قال أبو حنيفة فرضيت وانصرفت»[٥]. وكان للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، دروس خاصة بالنساء يلقيها في المسجد مساءً[٦]. وقد كانت خديجة أم محمد، محدثة، روى عنها عبدالله بن أحمد بن حنبل (ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م)، وكانت خديجة تغشى سنة ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م، الامام

---

(١) ابن الجوزي، القصاص، ص٣٠١.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص٣٤٥؛ ابن الجوزي، الصفوة، ج٣، ص١٢٤ ـ ١٢٥.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٠، ص٤٠٢.

(٤) أبو عبدالله حسين بن علي الصيمري، اخبار أبي حنيفة واصحابه، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م، ص٢٠، سيشار له تالياً (الصيمري، اخبار).

(٥) الموفق المكي، مناقب، ص٢٥٤.

(٦) منير الدين أحمد، تاريخ التعليم، ص٨١.

أحمد بن حنبل وتسمع منه ويحدثها[١].

من خلال ما سبق تبدو اهمية المسجد في تعليم المرأة، وتثقيفها، وقد كان بوسع المرأة الذهاب إلى المسجد وحضور حلقات العلم فيها والاستماع إلى ما يدور فيها من مذاكرات ومناظرات، وعلاوة على ذلك فقد كانت هناك دروس خاصة بهن يلقيها بعض العلماء.

٢ ـ البيوت:

يبدو أن البيوت ومنذ بداية الاسلام، كانت المعهد الاول الذي تتلقى فيه المرأة علمها وتعليمها، والذي ما لبث أن اصبح مسرحاً لعقد الندوات والمناقشات والمناظرات، التي شملت جوانب مختلفة من العلم والثقافة، دعت اليها المرأة أو شاركت فيها. فقد روى الاصمعي أن ابنة أبي عمرو بن العلاء التميمي (ت ١٥٤هـ/ ٧٧٠م)، كانت تحضر مجلس ابيها وقد حجم الثدي على نحرها[٢]. وانتقلت رابعة العدوية (ت ١٨٥هـ/ ٨٠١م)، إلى البصرة حيث جمعت حولها كثيراً من المريدين والاصحاب الذين وفدوا عليها لحضور مجلسها وذكرها لله والاستماع إلى اقوالها[٣]. واستاذن عليها ناس منهم سفيان الثوري، فتذاكروا عندها ساعة، وذكروا شيئاً من الدنيا[٤]. ودخل عليها سلام بن أبي مطيع، وقد اخذ بذكر الدنيا، فقالت: «انما يذكر شيء هو شيء اما شيء ليس شيء فلا»[٥]. ودخل سفيان الثوري يوماً عليها فقال: «واحزناه!، فقالت: قل: واقلة حزناه، لو كنت محزوناً ما هناك العيش، إنما انت ايام، فاذا ذهب يوم مضى بعضك»[٦]. وحدث سهل ابن المرزبان قال: «كنت احضر

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٤، ص٤٣٥.

(٢) الزبيدي، طبقات، ص٣٧.

(٣) E.I¹ "Rābiʿa AL- ʿAdawiya".

(٤) الذهبي، سير، ج٨، ص٢٤١ ـ ٢٤٢.

(٥) المصدر نفسه، ج٨، ص٢٤٣.

(٦) ابن الجوزي، احكام، ص١٤٥؛ اليافعي، مرآة، ج١، ص٣٠٦.

احياناً ببغداد مجلس عنان المسمعة وكان الافاضل كثيراً ما يتنابونها للسماع الفائق، وكانت تبتدىء بالقرآن استفتاحاً ببركته فتجيده جداً ثم تأخذ في شأنها»[١]. وكانت علية بنت حسان، زوجة اسماعيل بن ابراهيم (ت ١٩٣هـ/ ٨٠٨م)، تعقد مجالس العلم في دارها بالبصرة، وتشترك مع الحاضرين في المحادثة والمسائلة[٢]. وكانت عنان جارية الناطفي (ت ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م)، قد اشتهرت بقول الشعر في الدولة العباسية، ولم يزل فحول الشعراء في عصرها يلقونها في منزل مولاها فيقارضونها الشعر وتنتصف منهم[٣]. وتصفح أحدهم كتاباً فوجد فيه بيتاً من الشعر وقد جهد أن يجد من يجيزه، فلم يجده، فقال له صديق: عليك بعنان جارية الناطفي، فاتيتها، فانشدتها[٤] وكان الشعراء يغدون إلى سمراء وهيلانه ـ وهما جاريتان شاعرتان لرجلين من نخاسي بغداد ـ ويستمعون إلى اصواتهما، ويقيمون عندهما ويجتمع لذلك اهل الادب والكتاب[٥]. وكانت عمرة الجمحية، شاعرة يجتمع اليها الشعراء للانشاد والمحادثة، وكان أبو دهبل الجمحي الشاعر يهواها، فكان لا يفارق مجلسها مع كل من يجتمع اليها[٦].

وفي الوقت الذي كانت فيه النساء تستقبلن العلماء والادباء والشعراء في بيوتهن، كان البعض الآخر يرتاد مجالس العلماء والأدباء والشعراء التي يعقدونها في بيوتهم أو مجالسهم الخاصة. فقد كان لبشار بن برد مجلس يجلس فيه، ويقال له البردان، وكان النساء يحضرنه

---

(١) الثعالبي، الكناية، ص١٩ ـ ٢٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٢٣٥.

(٣) الاصفهاني، الاغاني، ج٢٢، ص٥٢١؛ الاصفهاني، الإماء، ص٢٤؛ السيوطي، المستظرف، ص٣٨.

(٤) الاصفهاني، الاماء، ص٢٥.

(٥) المصدر نفسه، ص٩٥.

(٦) كحالة، اعلام، ج٣، ص٣٤٦.

فيه[١]. وكانت خشّابة فارسية تغشى مجلس بشار بن برد، وكان اليها مائلاً[٢]. وكانت نساء من اعراب قيس عيلان في ظاهر البصرة يحضرن مجلس بشار، حيث كان يأتيهنّ وينشدهنّ اشعاره التي يمدح بها قيساً[٣]. وكانت خديجة ام محمد، تغشى مجلس أحمد بن حنبل وتسمع منه[٤].

وهكذا تظهر اهمية البيت في تعليم المرأة وتثقيفها، الذي لم يقتصر دور المرأة فيه على حضور الندوات والمناقشات والمناظرات والاستماع اليها، بل تعداه إلى أن تكون فيه المرأة مشاركة فاعلة. وقد دعت الكثير منهن العلماء والادباء والشعراء لعقد الندوات في بيوتهن. التي شملت جوانب العلم المختلفة، مما يشعر بالمستوى، التعليمي والثقافي الذي وصلته المرأة في هذا العصر.

٤ ـ قصور الخلفاء ورجال الدولة:

يبدو أن نساء القصر من زوجات وبنات وجواري قد اخذن فرصتهن في التعلّم والثقافة، وقد برز منهن الكثير في مجالات العلم والادب والفن، فكان البعض منهن تحضر مجالس العلم أو تدعو اليها لتشمل جوانب العبادة والعلم والادب والفن، التي يحضرها العلماء والشعراء واهل الفنون، وتدور بينهم المناظرات والمناقشات فيحضرنها مشاركات وفاعلات. فقد احضر المهدي مزنة امرأة مروان بن محمد (١٢٧ـ ١٣٢هـ/ ٧٤٤ ـ ٧٤٩م)، فتباحثوا في اخبار الناس وأيامهم والدول وتنقلها، «فما تركت لأحد في المجلس كلاماً»[٥].

---

(١) الاصفهاني، الاغاني، ج٣، ص٢٣٢؛ عبدمهنا، اخبار النساء، ص١٩.

(٢) الاصفهاني، الاغاني، ج٣، ص٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٠٠.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٤، ص٣٤٥.

(٥) المسعودي، مروج، ج٣، ص٣٥٨.

ودخل المهدي ايام خلافته على جماعة من جواريه، وهن مجتمعات في حجرة بعضهن، فجلس عندهن فقلن له: «لو اذنت لبشار في الدخول علينا لنسامره ونحادثه فأمر به فأحضر، واجتمعن عليه فحدثهن، وجعل يسرد عليهن من نوادره وملحه وينشدهن عيون شعره»[١]. وبلغت زبيدة بنت جعفر المنصور (ت ٢١٠هـ/ ٨٢٥م)، مبلغاً عظيماً من الثقافة، وكانت تناظر الرجال في شتى نواحي الثقافة والفن[٢]. واقام الرشيد بالرّقة في فصل الصيف، واطال المكوث فيها، فقد كانت اثيرة لديه لطيب هوائها ورقة انسامها، فاشتاقت زبيدة لبغداد، وفكرت في حيلة تقنع بها الرشيد بالعودة إليها، فجمعت الشعراء، وطلبت منهم وصف عاصمة الخلافة بغداد، فتسابق الشعراء إلى القول في فضل بغداد، مما اقنع الرشيد بالعودة[٣]. وكانت الجواري تجتمع لدى زبيدة لقراءة القرآن «وكان يسمع في قصرها كدوي النحل من قراءة القرآن»[٤]. وكانت حسناء جارية يحيى بن خالد البرمكي مغنية شاعرة يدخل اليها الشعراء يقارضونها الشعر، فتأتي بكل مستحسن منَ الجواب»[٥]. وحضرت عَريب، جارية المأمون مجلساً للغناء ضم ابراهيم بن المهدي واخته عُلية واخوها يعقوب[٦]. وكان لعائشة بنت المعتصم مجلس يرتاده اهل الادب واللغة[٧]. وكانت فضل، جارية المتوكل شاعرة اديبة، يجتمع عندها الادباء والشعراء[٨]. وكانت تجلس في مجلس المتوكل على كرسي تقارض

---

(١) ابن المعتز، طبقات، ص٢٣.

(٢) ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٣١٥؛ علي ابراهيم، نساء، ص٧٤.

(٣) ابن المعتز، طبقات، ص٢٤٦؛ الشكعة، الشعر، ص٦٠٢.

(٤) ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٣١٤؛ خير الله العمري، مهذب، ص٢١٨.

(٥) الاصفهاني، الاماء، ص١٤٧.

(٦) الاصفهاني، الاغاني، ج١٠، ص١٨٣؛ الكتبي، فوات، ج٣، ص١٢٥.

(٧) كحالة، اعلام، ج٣، ص١٩١؛ التنير، الشاعرات، ص٢٥٥.

(٨) ابن المعتز، طبقات، ص٤٢٦؛ الاصفهاني، الاغاني، ج١٩، ص٢٥٧ ـ٢٥٨؛ الاصفهاني، الاماء، ص٥٠؛ الكتبي، فوات، ج٣، ص١٨٥؛ السيوطي، المستظرف، ص٥١.

الشعراء الشعر بحضرته[١]. واجادت محبوبة، جارية المتوكل، قول الشعر وحذاقة الغناء، فشغف بها المتوكل حتى كانت لا تفارق مجلسه ساعة واحدة[٢].

من خلال ما سبق يظهر الدور الذي لعبته القصور في رفع المستوى العلمي والادبي، لنسائه من حرائر وجواري، حيث نالت المرأة في القصور نصيبها من العلم والتعليم، فكانت مشاركة وفاعلة في مجالس العلم والأدب التي تعقد في القصور، بل كان البعض منهن يدعو لعقد مثل هذه المجالس التي يحضرها كبار العلماء والادباء والشعراء، مما يؤكد المستوى الثقافي الرفيع الذي وصلت اليه المرأة وحرية الفكر التي اتاحها كبار رجالات القصور لنساءهم، فبرز العديد من اسماء النساء اللواتي لعبن دوراً كبيراً في الحياة العلمية والادبية.

وهكذا كان للمرأة في المجتمع العراقي نصيب وافر من الثقافة والاطلاع، وكان لها مساهمات مختلفة تدل على علو المكانة التعليمية والثقافية للمرأة في العصر العباسي الاول، نجد ذلك من خلال كتب التاريخ والادب والاخبار التي حفلت باسماء النساء حرائر وجواري، قد حفل بهن العصر في مختلف صنوف الثقافة والمعرفة.

---

(١) الاصفهاني، الإماء، ص٥٧؛ السيوطي، المستظرف، ص٥١.

(٢) المسعودي، مروج، ج٤، ص١٤٣؛ ابن قيم الجوزية، اخبار، ص٥٢؛ الابشيهي، المستطرف، ج٢، ص١٨٨؛السيوطي، المستظرف، ص٦٣.

الفصل الخامس

الوسائل المعينة على التعلّم

أولاً: أدوات الكتابة :

١- القلم:

يبدو أن القلم استخدم كأداة معينة في التعليم، منذ العصر الجاهلي، إذ كان الصبيان يستخدمونه في الكتابة[١]، وقد ورد ذكر القلم في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ن والقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُون﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿اقرأ وَرَبُّكَ الأكرم، الذي عَلَّم بالقَلَمِ، علم الإنْسَانَ ما لم يَعْلَم»[٣].

وقد سمي القلم قلماً لأنه قُلم أي قُطع وسُوِّي كما يُقلَّم الظُفُر[٤]. وكلُّ عود يُقطع ويُحز رأسه ويُقلَّم بعلامة فهو قلم. ويقال للذي يُقْلَمُ به مِقْلم، وقِلام[٥]. وقد قيل لاعرابي: «ما القلم؟ ففكر ساعة، وجعل يُقلب يديه، وينظر إلى اصابعه، ثم قال: لا أدري. فقيل له: توهمه في نفسك، فقال: هو عود قُلِّم من جوانبه كتقليم الأظافر»[٦]. وقد قيل انه لا يسمى قلماً حتى يُبرى، اما قبل ذلك فهو قصبة[٧].

---

(١) ابن قتيبة، عيون، ج٤، ص١٠١؛ أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري، ربيع الابرار ونصوص الاخبار، تحقيق سليم النعيمي، ٢ج، مطبعة العاني، بغداد ١٩٧٦م، ج٢، ص٤٩١، سيشار له تالياً (الزمخشري، ربيع).

(٢) سورة القلم: آية ١.

(٣) سورة العلق: آية ٣،٤،٥.

(٤) النحاس، صناعة، ص١٠٤؛ أبو محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق مصطفى السقا وحامد عبدالمجيد، ٣ج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١ - ١٩٨٣م، ج١، ص١٦٥، سيشار له تالياً (البطليوسي، الاقتضاب)؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص١٦٧؛ القلقشندي، صبح، ج٢، ص٤٧٩.

(٥) البطليوسي، الاقتضاب، ج١، ص١٦٥ - ١٦٦.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص١٦٦؛ القلقشندي، صبح، ج٢، ص٤٧٩.

(٧) النحاس، صناعة، ص١٠٤؛ القلقشندي، صبح، ج٢، ص٤٧٩.

وتظهر مكانة القلم من بين أدوات الكتابة من خلال أقوال العلماء والشعراء والكتاب، فقد قال عبدالحميد بين يحيى الكاتب (ت ١٣٢هـ/ ٧٤٩م): «القلم شجرة ثمرها الالفاظ»[١] وقال ابن المقفع (ت ١٤٢هـ/ ٧٥٩م): «القلم بريد القلب، يخبر بالخبر وينظر بلا نظر»[٢]. وقال سهل بن هارون (ت ٢١٥هـ/ ٨٣٠م): «القلم انف الضمير، إذا رُعف أعلن أسراره وأبان آثاره»[٣]. وقال الخليفة المأمون (١٩٨ـ ٢١٨هـ/ ٨١٣ ـ ٨٣٣م): «لله در القلم كيف يحوك وَشْيَ المملكة»[٤]. وقال أبو دُلف القاسم بن عيسى العجلي القائد الاديب (ت ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م): «القلم صائغ الكلام، يفرغ ما يجمعه العلم ويصوغ ما يسكبه اللب»[٥]. وأنشد أبو تمام الطائي (ت ٢٣١هـ/ ٨٤٥م)، مبيناً شرف القلم وفضله:

إن يخدم القلم السيف الذي خضعت ... له الرقاب وذلت خوفه الامم

فالموت والموت لا شيءٌ يغالبه ... ما زال يَتْبَعُ ما يجري به القلمُ

كذا قضى الله للاقلام مذ بُريت ... أن السيوف لها مذ أرهِفت خدم[٦]

وقال الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م): «من عرَف النعمة في بيان اللسان كان بفضل النعمة في بيان القلم أعرف»[٧]. وقال علي بن يحيى بن منصور (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م): «بنور القلم تضيء الحكمة»[٨]. وقيل:

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص٣٦؛ القلقشندي، صبح، ج٢، ص٤٧٥.

(٢) الصولي، أدب الكتاب، ص٦٧.

(٣) ابن عبدربه، العقد، ج٤، ص٢٨٠؛ الصولي، أدب الكتاب، ص٦٧؛ القلقشندي، صبح، ج٢، ص٤٧٧.

(٤) الصولي، أدب الكتاب، ص٦٧؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص١١١؛ القلقشندي، صبح، ج٢، ص٤٧٧.

(٥) الصولي، أدب الكتاب، ص٦٧.

(٦) القلقشندي، صبح، ج٢، ص٤٧٧ ـ ٤٧٨.

(٧) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٧٧.

(٨) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٧٧.

وأهيف مذبوح على صدر غيره يترجم عن ذي منطق وهو أبكم

تــراه قــصيراً كلما طـال عمره ويضـحى بليغاً وهو لا يتكلم[١]

وقــال القـلقــشندي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م): «وأعلم أن القـلم اشــرف آلات الكتــابة وأعلاها رتبة، إذ هو المباشر للكتابة دون غيره، وغيره من آلات الكتابة كالاعوان»[٢].

وتتـعـدد اسـماء الاقـلام التي استـخـدمت والتي تنوعت بتنوع الخـطوط، فلكل نوع من الخطوط نوع من الاقلام[٣]، فكان قلم الثلثين[٤]، ثم ثقيل الطومار والشامي، وقلم النصف[٥]. وفي عهد المأمـون اخترع قلم جديد باسم القلم الرياسي ـ نسبة إلى ذي الرياستين، الفضل بن سهل وزير المأمون (ت ٢٠٢هـ/ ٨١٧م) ـ بحيث اشتقت منه اقلام عدة[٦].

وحتى يكون القلم صالحاً للكتـابة لا بد من توفر صفات معينة في شكله وقصـبه، فجودة القلم من جـودة قصبه، فقد كتب جعـفر بن يحيى البرمكي (ت ١٨٧هـ/ ٨٠٢م)، إلى محمد ابن الليث: «اما بعد فليكن قلـمك بحرياً لا سميناً ولا رقيقـاً، ما بين الرقة والغلظ»[٧]. وقال العتابي الشاعر (ت ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م): «سألني الاصمعي يوماً بدار الرشيد أي الانابيب للكتابة أصلح وعليهـا اصبر؟ فقلت: مـا نشف بالهجير مـاؤه، وستره من تلويحه غـشاؤه، من التِّبْرية

---

(١) الابشيهي، المستطرف، ج٢، ص٢٦٦.

(٢) القلقشندي، صبح، ج٢، ص٤٧٤.

(٣) انظر: ابن النديم، الفـهرست، ص٣٣؛ البطليـوسي، الاقتِضاب، ج١، ص١٧٠ ـ ١٧٣؛ ياقوت الحـموي، معجم الادباء، ج٢، ص٦١٧؛ القلقشندي، صبح، ج٣، ص٥١ ـ ٦٤؛ السيوطي، الوسائل، ص١٣١.

(٤) ابن النديم، الفـهرست، ص٣٣؛ البطليوسي، الاقـتضاب، ج١، ص١٧٠؛ ياقوت الحموي، مـعجم الادباء، ج٢، ص٦١٧.

(٥) البطليوسي، الاقتضاب، ج١، ص١٧٠.

(٦) ابن النديم، الفـهرست، ص٣٤؛ البطليوسي، الاقـتضاب، ج١، ص١٧٠؛ ياقوت الحموي، مـعجم الادباء، ج٢، ص٦١٧؛ السيوطي، الوسائل، ص١٣١؛ طلب صبار، رسوم، ص١٠٦.

(٧) ابن عبدربه، العقد، ج٤، ص٢٧٧.

القشور، الدُّرِّيَّة الظهور، الغِضينة الكُسُور»[١]. وكتب عبدالله بن طاهر بن الحسين امير خراسان (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، إلى اسحق بن إبراهيم الخزاعي والي بغداد أن يوجه اليه باقلام قصبية، كتاباً نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم، اما بعد فإنا على طول الممارسة لهذه الكتابة التي غلبت على الاسم، ولزمت لزوم الوسم، فحلّت محلّ الأنساب، وجرت مجرى الالقاب، وجدنا الاقلام الصُّخَّرية اجرى في الكواغد، وأمّر في الجلود، كما أن البحرية منها اسلس في القراطيس، وألين في المعاطف، وأشد لتصرُّف الخط فيها، ونحن في بلد قليل القصب رديئه، وقد احببت أن تتقدم في اختيار اقلام صخرية... وتطلبها من مظانها ومنابتها، من شطوط الانهار، وارجاء الكروم، وان تتيمن باختيارك منها الشديدة الصلبة، النقية الجلود، القليلة الشحوم، الكثيرة اللحوم، الضيقة الاجواف، الرزينة المحمل، فانها ابقى على الكتابة... وأن تقصد بانتقائك الرقاق القُضبان، المقومات المتون، الملس المعاقد، الصافية القشور، الطويلة الانابيب... المعتدلة القوام، المستحكمة يبساً، وهي قائمة على اصولها لم تُعْجَل عن إبَّان يَنْعها، ولم تؤخر إلى الاوقات المخوفة عليها من خصر الشتاء، وعفن الانداء، فاذا استجمعت عندك، أمرت بقطعها ذراعاً ذراعاً، قطعاً رقيقاً، ثم عبّات منها حزماً فيما يصونها من الاوعية، وتكتب معه بعدّتها واصنافها من غير تأخير ولا توان إن شاء الله»[٢]. ويبدو من هذه الرواية أن العراق كان من مصادر القصب المتميز بالجودة.

وقال محمد بن عبدالملك الزيات وزير المعتصم (ت ٢٣٣هـ/ ٨٤٧م)، في صفات الاقلام: «خير الاقلام ما استحكم نضجه، وخف بزره، قد تساعدت عليه السعود في فلك البروج حولاً كاملاً، تؤلفه بمختلف اركانها وطباعها، ومتباين انواعها وانحائها، حتى إذا بلغ اشده واستوى، وشقت بوازله ورقت شمائله،... وتعرى عنه ثوب المصيف، بانقضاء الخريف، وكشف عن لون البيض المكنون،... قطع ولم يعجل عن تمام مصلحته ولم يؤخر

---

(١) القلقشندي، صبح، ج٢، ص٤٨٠.

(٢) الصولي، أدب الكتاب، ص٦٨ ـ ٧٠.

إلى الاوقات المخوفة عاهاتها عليه من خصر الشتاء، وعفن الانداء، فجاء مستوي الانابيب معتدلها، مُثقَّف الكعوب مقومها»[١]. وقال إبراهيم بن محمد الشيباني (ت ٢٩٨هـ/ ٩١٠م): «ينبغي للكاتب أن يتخير من انابيب القضيب أقله عُقداً، وأكثفه لحماً، وأصلبه قِشراً، واعتدله استواء»[٢].

ويبدو أن القلم استخدم في تدوين آيات القرآن، وسوره بعد نزولها على الرسول ﷺ وكان يقوم بذلك كتبة الوحي[٣]. فقد روى خارجة بن زيد عن ابيه قوله: «كنت اكتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ «لا يستوي القاعدون من المؤمنين»[٤] . . . وقلمي رطب ما جف»[٥]. وكان القلم من أدوات الكتابة التي يستخدمها الصبيان في الكتاتيب»[٦]. ومر علي بن أبي طالب بابي حكيمة وهو يكتب المصاحف فقال له: «اجلك قلمك»[٧]. وفي زمن عمر بن عبدالعزيز استخدم ما يعرف بالقلم الجليل في الكتابة[٨]. وتوفرت الاقلام في مجالس الاحمر (ت ١٩٤هـ/ ٨٠٩م)، التي كان يعقدها في قصر الرشيد لما كان مؤدباً لابنائه[٩]، وكان عبدالرحمن بن مهدي البصري الحافظ (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م)، لا يتحدث في مجلسه، ولا يقوم احد، ولا يُبرى فيه قلم. . . وان رأى من يبرىء قلماً تغير وجهه غضباً[١٠]. واستخدم

---

(١) القلقشندي، صبح، ج٢، ص٤٨٣.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٨٠.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٧٩، ج٣، ص١٧٣.

(٤) سورة النساء: آية ٩٥.

(٥) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج١، ص٢٩٠ ـ ٢٩١.

(٦) ابن قتيبة، عيون، ج٤، ص١٠١.

(٧) أحمد عقل، تمويل، ص٢٩.

(٨) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٣١٢.

(٩) القفطي، إنباه، ج٢، ص٣١٧؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص١٦٧٢.

(١٠) الذهبي، سير، ج٩، ص١٥٤.

سفيان بن عيينه المحدث (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م)، القلم في سن مبكرة، فقد قال: «لو رأيتني ولي عشر سنين. . . وقلمي كالموزة»[١]. واستخدم الامام الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) القلم وانشد:

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي — من وصل غانية وطيب عناق

وصرير اقلامي على صفحاتها — احلى من الدوكاء والعشاق[٢]

وكان يحيى بن يحيى النيسابوري (ت ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م)، يحضر مجلس مالك بن انس، فانكسر قلمه، فناوله المأمون ـ وقد كان حاضراً للمجلس ـ قلماً، فامتنع يحيى عن قبوله[٣]. ودخل المأمون ذات يوم إلى الديوان فنظر إلى غلام على اذنه قلم[٤]. وكان الامام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، إذا خرج ليحدث اخرج معه قلماً[٥].

وحتى يكون القلم جيد الخط لا بد من بريه بطريقة تجعله كذلك، فقد قال عبدالحميد بن يحيى الكاتب (ت ١٣٢هـ/ ٧٤٩م)، لرغبان ـ وكان يكتب بقلم قصير البرية ـ «أتريد أن يجود خطك؟ قال: نعم، قال: فاطل جلفة قلمك واسمنها، وحرّف القطعة وأيمنها، قال رغبان: ففعلت ذلك فجاد خطي»[٦]. وقيل أن الأحول المحرر[٧] كان عجيب البراية للقلم، فكان خطه رائقاً بهجاً من غير إحكام ولا إتقان[٨].

---

(١) الاربلي، خلاصة، ص٨٠؛ الذهبي، سير، ج٨، ص٤٥٩.

(٢) الشافعي، ديوان، ص١٦٢؛ الغزالي، ايها الولد، ص٦٨.

(٣) ابن الجوزي، الصفوة، ج٤، ص١٠٥؛ ابن عربي، محاضرة، ج١، ص٤٤٣.

(٤) البيهقي، المحاسن، ص٤٣٧.

(٥) الخطيب البغدادي، الكفاية، ص٢٨٧.

(٦) القلقشندي، صبح، ج٢، ص٤٨٩.

(٧) ابو الحسين، اسحق بن إبراهيم بن عبدالله بن اصباح بن بشر بن الاسود التميمي، وكان إبراهيم احول، وكان اسحق يُعلم المقتدر العباسي. ابن النديم، الفهرست، ص٣٥.

(٨) القلقشندي، صبح، ج٢، ص٤٨٨.

وقد حدد بعضهم الطريقة التي تتم بها بري الاقلام، فقد أوصى جعفر بن يحيى البرمكي وزير الرشيد (ت ١٨٧هـ/ ٨٠٢م)، محمد بن الليث، موضحاً له طريقة بري القلم: «فأبره برياً مستوياً كمنقار الحمامة، اعطف قطته، ورقق شفرته»[١]. وقال العتابي (ت ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م): «سألني الاصمعي يوماً بدار الرشيد: أي نوع من البري أصوب واكتب؟ فقلت: البرية المستوية القطة التي عن يمين سنها برية تأمن معها المجة عند المدة والمطة، والهواء في شقها فتيق، والريح في جوفها خريق، والمداد في خرطومها رفيق»[٢]. وقال إبراهيم بن محمد الشيباني (ت ٢٩٨هـ/ ٩١٠م): «يجب يكون البري من جهة نبات القصبة، من أعلاها إذا كانت قائمة على أصلها، فإن محل القلم من الكاتب محل الرمح من الفارس»[٣].

ولبري الأقلام تستخدم السكين أو المدية، وقد قال ابن الاعرابي (ت ٢٣١هـ/ ٨٤٥م): «يقال للسكين مُدية، ومَدية، ومِدية»[٤]. وقال الجاحظ: «تقال بضم الميم وفتحها وكسرها، وتجمع على مُدىً، وهي السكين»[٥]. وقال بعض الكتاب: «وهي مسن الاقلام، تستمد بها إذا كلّت وتطلق بها إذا وقفت وتلمها إذا تشعثت»[٦]. وأحسن السكاكين «ما عرض صدره، وأرهف خصره، ولم يفضل عن القبضة نصابه»[٧]. وقد كان خلف الاحمر النحوي (ت ١٩٤هـ/ ٨٠٩م) يدفع إلى حاضري مجلسه الاقلام والسكاكين[٨]. وكان أحمد

---

(١) ابن عبدربه، العقد، ج٤، ص٢٧٧.

(٢) القلقشندي، صبح، ج٢، ص٤٨٨.

(٣) ابن عبدربه، العقد، ج٤، ص٢٥٥؛ القلقشندي، صبح، ج٢، ص٤٨٧.

(٤) النحاس، صناعة، ص١٠٤.

(٥) القلقشندي، صبح، ج٢، ص٤٩٥.

(٦) الصولي، أدب الكتاب، ص١١٥؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص١١٥؛ القلقشندي، صبح، ج٢، ص٤٩٦.

(٧) الصولي، أدب الكتاب، ص١١٥؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص١١٥.

(٨) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص١٦٧٢.

ابن يوسف الكاتب (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م) يكتب بين يدي المامون، فطلب المامون منه السكين فدفعها اليه، والنصاب في يده[١].

وينبغي أن تكون السكين حادة جداً لبراية الاقلام، وأن لا تستعمل الا في البراية[٢]، «لئلا تكل وتفسد»[٣]. قال الوزير أبو علي بن مقلة: «واستحد السكين جداً، ولتكن ماضية جداً، فانها إذا كانت كالة جاء الخط رديئاً مضطرباً»[٤]. وأهدى الحسن بن وهب الكاتب (ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)، إلى صديق له سكيناً، وكتب اليه: «اهديت اليك سكيناً املح من الوصل، واقطع من البين»[٥].

مما سبق تظهر اهمية القلم كأداة من أدوات الكتابة التي استخدمها العلماء والمتعلمون من خلال اقوالهم وافعالهم، وقد تعددت اسماءها وتنوعت بتنوع الخطوط، وحتى يكون القلم جيداً وصالحاً للكتابة لا بد أن تتوفر فيه صفات معينة في مصدر قصبه ونوعه وفي شكله وطريقة بريه. وقد حُددت الطريقة التي تُبرى فيها الاقلام، كما حُددت صفات السكين (المدية) كأداة مستخدمة في بري الاقلام.

٢- الدواة (المحبرة):

تتكون من الجونة، وهي الظرف الذي فيه الليقة والحبر[٦]، وكانت تُصنع من

---

(١) ابن سعد الابي، نثر الدر، ج٥، ص١٢٣.

(٢) ابن عبدربه، العقد، ج٤، ص٢٥٥؛ الصولي، أدب الكتاب، ص٥٤؛ الخطيب البغدادي، الجامع، ج٢، ص٣٩٤ - ٣٩٥؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص١١٤؛ السمعاني، ادب، ص١٦١؛ القلقشندي، صبح، ج٢، ص٤٩٦؛ العلموي، المعيد، ص١٣٣.

(٣) القلقشندي، صبح، ج٢، ص٤٩٦.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٩٧.

(٥) الخطيب البغدادي، الجامع، ج١، ص٣٩٥.

(٦) القلقشندي، صبح، ج٢، ص٤٩٨.

الخزف، أو الزجاج، أو النحاس[١]، أو من اجود العيدان وارفعها ثمناً، كالابنوس والساسم والصندل[٢]. والمقصود بالليقة: ما يوضع داخل الظرف من قطن أو حرير أو صوف[٣]. واذا الصق القطن أو غيره بالدواة فهو ليقة، مشتق من قولهم: «ما يليق فلان بقلبي، أي ما يلصق به»[٤]. وقد قال الجاحظ: «ولا تستحق اسم الليقة حتى تُلاق في الدواة بالمداد»[٥]. وقال بعض الكتاب: «ويتعين على الكاتب أن يتفقد الليقة ويُطيِّبها بأجود ما يكون، فانها تِروح على طول الزمن»[٦]. اما المداد فسمي بذلك لانه يمد القلم، أي يعينه وكُلُّ شيء مددت به شيئاً فهو مداد[٧]. ويقال امددت الدواة: إذا جعلت فيها المداد[٨]. كما قال الله عز وجل: ﴿والبحر يمده من بعده سبعة ابحر﴾[٩].

أما الحِبْر، فاصله اللون، يقال: فلان ناصح الحِبْر يراد به اللون الخالص الصافي من كل شيء[١٠]. وسُئِل الفراء النحوي (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) عن المداد لم سمي حِبْراً؟ فقال: «يقال للمعلم حَبْر وحِبْر يعني بفتح الحاء وكسرها، فأرادوا مداد حبر، أي مداد عالم، فحذفوا

---

(١) محمد منير، تاريخ التربية، ص١٧٩.

(٢) القلقشندي، صبح، ج٢، ص٤٧٠.

(٣) النحاس، صناعة، ص١٠٧؛ القلقشندي، صبح، ج٢، ص٤٩٨.

(٤) النحاس، صناعة، ص١٠٧؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص١٦٣.

(٥) البطليوسي، الاقتضاب، ج١، ص١٦٣.

(٦) القلقشندي، صبح، ج٢، ص٤٩٩.

(٧) الصولي، أدب الكتاب، ص١٠٣؛ البطليوسي، الاقتضاب، ج١، ص١٦٤؛ القلقشندي، صبح، ج٢، ص٥٠٠.

(٨) النحاس، صناعة، ص١٠٦.

(٩) سورة لقمان: آية ٢٧.

(١٠) القلقشندي، صبح، ج٢، ص٥٠٠ ـ ٥٠١.

مداد، وجعلوا مكانه حِبراً»[١]. وقال الاصمعي: «يقال: على أسنانه حِبر إذا كثرت صفرتها حتى صارت تضرب إلى السواد»[٢]. والحِبر الأثر، يعني أثر الكتابة في القرطاس[٣]. وقيل: «انما سمي الحبر حبراً لانه تحبر به الاخبار»[٤]. قال الحسن بن سهل الوزير (ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م): «انما سمي الحبر حبراً، لأن البليغ إذا حبَّر الفاظه، ونمنم بيانه، احضرك من معاني الحكم آنق من جرات البزّ ومقومات الوشي»[٥]. وقال المبرد: «وانا أحسب انه سمي بذلك لان الكتاب يُحَبَّر به، أي يُحسّن، آخذاً من قولهم: حَبَّرْت الشيء تحبيراً إذا احسنته»[٦].

وقد وردت بعض الروايات التي تؤكد شرف المداد والحبر، واختيار اللون الاسود، فقد قال عبدالله بن المبارك (ت ١٨١هـ/ ٨٩٧م): «الحبر في الثوب خلوق العلماء»[٧]. وكتب جعفر بن يحيى البرمكي (ت ١٨٧هـ/ ٨٠٢م) إلى محمد بن الليث: «وليكن مدادك صافياً خفيفاً إذا استمددت منه ليله»[٨]. وقيل لوراق: «أخفِ رداءة خطك بجودة حبرك»[٩]. وقال الشافعي:

مداد الفقيه على ثوبه   احب الينا من الغالية[١٠]

---

(١) النحاس، صناعة، ص١٠٧؛ البطليوسي، الاقتضاب، ج١، ص١٦٤؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص١٦٣؛ القلقشندي، صبح، ج٢، ص٥٠١.

(٢) المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص١٦٤؛ القلقشندي، صبح، ج٢، ص٥٠١.

(٣) القلقشندي، صبح، ج٢، ص٥٠١.

(٤) الصولي، أدب الكتاب، ص٩٤.

(٥) الخطيب البغدادي، الجامع، ج١، ص٣٨٥؛ السمعاني، أدب، ص١٤٩.

(٦) الصولي، أدب الكتاب، ص١٠٤؛ القلقشندي، صبح، ص٢، ص٥٠١.

(٧) السمعاني، أدب، ص١٤٩؛ الذهبي، سير ج٨، ص٤٠٩.

(٨) ابن عبدربه، العقد، ج٤، ص٢٧٧ ـ ٢٧٨.

(٩) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص١١٦.

(١٠) المغراوي، جامع، ص٤٩.

وكان إبراهيم بن يزيد النخعي الفقيه (ت ٩٥هـ/ ٧١٣م) يقول: «من المروءة أن يُرى في ثوب الرجل وشفتيه مداد»[١]. وقال علان الشعوبي الوراق (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م): «عطروا دفاتركم بسواد الحبر»[٢]. وسُئِل وراق عن حاله فقال: «عيشي أضيق من محبرة، . . . ووجهي عند الناس اشد من الحبر الزاج. . . وشرابي اسود من الحبر»[٣]. وتذاكر بعضهم الالوان عند الرشيد، فقال بعضهم: «احسنها البياض، وقال الآخر: احسنها الخضرة لون الجنة، وقال آخر: احسنها لون الذهب، ومحمد بن الحسن[٤] ساكت، فقال له الرشيد: لِمَ لا تتكلم؟ فقال: لو كان صبغ احسن من السواد لكُتِبتْ به كتب الله المنزلة»[٥]. وعن عبدالله ابن أحمد بن حنبل (ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م) قال: «حدثني ابي، قال: رآني الشافعي وأنا في مجلس وعلى قميصي حبر وانا، اخفيه، فقال: لم تخفيه وتستره؟ فان الحبر على الثوب من المروءة»[٦]. وقال ابن الرومي (ت ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م):

كأنه الوان دهم الخيل — حبر أبي حفص لعاب الليل

يسيل للاخوان أي سيل — بغير ميزان وغير كيل[٧]

وأنشد أبو العباس ثعلب النحوي (ت ٢٩١هـ/ ٩٠٣م):

لا تجزعي من المداد ولطخه — ان المداد خلوق ثوب الكاتب

وشم المداد لكاتب في ثوبه — سمةٌ تلوح له بحسن مناقب[٨]

---

(١) ابن سحنون، اداب، ص٨٨؛ القابسي، الرسالة، ص٣١٤؛ المغراوي، جامع، ص٤٩.

(٢) الخطيب البغدادي، الجامع، ج١، ص٣٨٥؛ السمعاني، أدب، ص١٤٩.

(٣) الخطيب البغدادي، الجامع، ج١، ص٣٩٠ ـ ٣٩١؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص١٠٦.

(٤) محمد بن الحسن الفقيه ابن فرقد الشيباني (ت ١٨٩هـ/ ٨٠٤م).

(٥) الخطيب البغدادي، الجامع، ج١، ص٣٨٣.

(٦) المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص٥٣.

(٧) الصولي، أدب الكتاب، ص٩٤.

(٨) السمعاني، أدب، ص١٥٠.

وربما كتب بعضهم العلم بماء الذهب. فقد ذكر السمعاني، أن أحمد بن مهدي قال: «اردت أن اكتب كتاب الاموال لابي عبيد، فخرجت لاشتري ماء الذهب فلقيت ابا عبيد، فقلت: يا ابا عبيد، اني أريد أن اكتب كتاب الاموال بماء الذهب، فقال: اكتبه بالحبر فانه ابقى»[١].

ويبدو أن الدواة (المحبرة)، استخدمت كأداة من ادوات الكتابة، بما فيها المداد، والحبر، منذ العصر الجاهلي، فقد كانت ظلمة صبية في الكُتّاب، فكانت تضرب دوِيَّ الصبيان واقلامهم»[٢]. واستخدمت الدواة في زمن الرسول ﷺ . فعن البراء بن عازب (رضي الله عنه)، قال: «لما نزلت ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غَيرُ أولى الضَّرر والمجاهدون في سبيل الله﴾[٣] قال النبي ﷺ، ادع لي زيداً وليجيء باللوح والدواة[٤]. واستخدمت الدواة في زمن علي بن أبي طالب، فعندما قدم الكوفة بعد مرّت عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) رأى اصحابه يفقهون الناس ورأى في مسجدها اربعمائة محبرة يكتبون الفقه[٥]. وقال يوماً لكاتبه عبيد الله بن أبي رافع: «اذا كتبت فألقِ دواتك واطل من قلمك، وفرِّج بين السطور، وقارب بين الحروف»[٦]. ويبدو أن الدواة استخدمت في زمن محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري الفقيه المحدث (ت ١٢٤هـ/٧٤٢م)، حيث قال: «من خرج من بيته بلا محبرة فقد نوى الصدقة من نيته»[٧].

---

(١) السمعاني، أدب، ص١٤٨ ـ ١٤٩؛ اسعد طلس، التربية، ص١٧٣.

(٢) ابن قتيبة، عيون، ج٤، ص١٠١.

(٣) سورة النساء: آية ٩٥.

(٤) البخاري، صحيح، ج١٩، ص١٠.

(٥) الكردري، مناقب، ص٦٤.

(٦) ابن عبدالبر، بهجة، ج١، ص٣٥٦.

(٧) السمعاني، أدب، ص١٥٥.

وقد استخدمت الدواة في العصر العباسي الأول. فقد أرسل المنصور في طلب بعض وجوه بين هاشم من بيوتهم في الوقت الذي كان يجلس البعض الآخر عنده، وعندما اخذوا مجالسهم عنده، أمر أن يضع بين يدي كل واحد منهم دواة وورق[١]. واظهر سفيان الثوري (ت ١٦١هـ/ ٧٧٧م)، اهمية المحبرة فقال: «المحبرة رأس مال كبير»[٢]. وذكر الجاحظ انه دخل على اسحاق بن سليمان (ت ١٧٨هـ/ ٧٩٤م)، بعد عزله ـ وكان أمير البصرة في عهد الرشيد ـ فوجد عنده من جملة ما وجد من مواد الكتابة، المحابر[٣]. وسمع الرشيد من ابن السماك الزاهد (ت ١٨٣هـ/ ٧٩٩م)، موعظة فدعا الرشيد بدواة وقرطاس وكتبها بيده[٤]. وخرج الكسائي (ت ١٨٩هـ/ ٨٠٤م)، إلى البادية وقد انفذ خمس عشرة قنية حبر، في كتابة ما أخذه في اللغة عن العرب في بوادي الحجاز ونجد وتهامة[٥]. وقال أبو يوسف: «دخلت على الكسائي في مسألة فقهية وهو في فراشه فاقرأته رقعة، فقال لي: خذ الدواة واكتب[٦]. وكانت المحابر متوفرة في مجلس الاحمر النحوي (ت ١٩٤هـ/ ٨٠٩م)، الذي كان يعقده في قصر الرشيد[٧]. ووصل المحدث وكيع بن الجراح الكوفي (ت ١٩٧هـ/ ٨١٢م) انساناً بصرة دنانير لكونه كتب من محبرته[٨]. ونظر سفيان بن عيينه المحدث (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م) إلى

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١، ص٣٨٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٠٥ ـ ١٠٦.

(٢) الخطيب البغدادي، الجامع، ج١، ص٣٨٧.

(٣) الجاحظ. الحيوان، ج١، ص٦١؛ ابن طباطبا، الفخري، ص٦.

(٤) ابن الازرق، بدائع، ج١، ص٥١٤.

(٥) ابن الانباري، نزهة، ص٥٩؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٦٩؛ القفطي، إنباه، ج٢، ص٢٥٨؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص١٦٧٢؛ الاربلي، خلاصة، ص١٥٧؛ الذهبي، سير، ج٩، ص١٣٢؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٢٠٩؛ السيوطي، بغية، ج٢، ص١٦٣.

(٦) السيوطي، الاشباه، ج٥، ص١٠٥.

(٧) القفطي، إنباه، ج٢، ص٣١٧؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص١٦٧٢.

(٨) الذهبي، تذكرة، ج١، ص٣٠٩؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص١٥٧.

صبي، فكأن اهل المسجد تهاونوا به لصغره فقال سفيان: «لو رأيتني ولي عشر سنين محبرتي كالجوزة»[1]. واظهر الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، أهمية المحابر في حفظ العلم وتدوينه، إذ قال: «لولا المحابر لخطب الزنادقة على المنابر»[2]. وقال: «العلم بلا محبرة كان كمن حضر الطاحونة بلا طعام»[3]. وتقدم إلى المأمون رجل غريب بيده محبرة، وقال: «يا أمير المؤمنين، رجل من أهل الحديث منقطع به»[4]. وقال المأمون لمن حضر مجلسه الذي أراد أن يفقه به: «ما رأيت لكم حلاوة، وانما المجلس لاصحاب الخلقان والمحابر»[5]. يعني اصحاب الحديث، وغضب كاتب المأمون على غلام «فرماه بالدواة وشجه»[6]. وكان الامام أحمد بن حنبل يرى المحابر بايدي طلبة العلم فيقول: «هذه سرج الاسلام»[7]. ويذكر بان صالحاً بن أحمد بن حنبل قال: «رأى رجل مع أبي محبرة، فقال: يا ابا عبدالله انت قد بلغت هذا المبلغ وانت امام المسلمين، فقال: معي المحبرة إلى المقبرة»[8]. وقال إبراهيم بن اسحاق الحربي الفقيه (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م): «لزمت أحمد بن حنبل سنتين فكان إذا خرج ليحدثنا يخرج معه محبرة مجلدة بجلد أحمر»[9]. وكان عدد الطلاب يعرف باحصاء محابرهم التي يضعونها امامهم، والتي كانت أهم عتاد الطالب[10]. فقد أملى أبو مسلم الكجي (ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م) الحديث

---

(١) الاربلي، خلاصة، ص٨٠؛ الذهبي، سير، ج٨، ص٤٥٩.

(٢) السمعاني، أدب، ص١٥٣؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص٥٣.

(٣) السمعاني، أدب، ص١٥٦.

(٤) المصدر نفسه، ص١٤٦؛ ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٢٣٧.

(٥) السمعاني، أدب، ص٢٢؛ ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٢٣٦.

(٦) ابن سعد الابي، نثر الدر، ج٥، ص٢٤٠.

(٧) الخطيب البغدادي، الجامع، ج١، ص٣٨٧.

(٨) ابن الجوزي، تلبيس، ص٤٠٠؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص٥٤.

(٩) المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص١٥٧.

(١٠) متز، الحضارة، ج١، ص٣٣٣ ـ ٣٣٤.

في رحبة غسان «وكتب الناس عنه وقوفاً بأيديهم المحابر، ثم مُسحت الرحبة وحسب من حضر بمحبرة فبلغ ذلك نيفاً واربعين الف محبرة»[١].

٣- اللخاف:

استعان المتعلمون في تدوين ما يأخذونه من علوم وحديث وآداب باللخاف. وهي صفائح من الحجارة البيضاء الرقاق[٢]. وقد كان العرب المسلمون يكتبون القرآن حين ينزل ويقرأة عليهم الرسول ﷺ، في اللخاف، فعن زيد بن ثابت (رضي الله عنه)، انه قال: عند جمعه القرآن: «فجعلت اتتبع القرآن من... واللخاف»[٣].

واستخدم الخزف في تدوين الأدب والحديث والعلوم. فعندما خرج الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، من الكتاب، كان يتلقط الخزف ليكتب فيه الحديث، ويضعه في جرة لأمه حتى ملأها، وكان أبو العتاهية (ت ٢١١هـ/ ٨٢٦م)، وهو جرار «يأتيه الاحداث والمتادبون فينشدهم اشعاره فيأخذون ما تكسر من الخزف فيكتبون فيها»[٤].

ويبدو أن مادة الفحم كانت تستخدم في الكتابة على اللخاف والخزف[٥]، فقد كتب المهدي على الارض بفحمة، قول عبدالله بن مصعب والي اليمامة في عهده (ت ١٨٤هـ/

---

(١) السمعاني، أدب، ص٩٦.

(٢) القلقشندي، صبح، ج٢، ص٥١٥؛ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ٤ج، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت ١٩٨٧م، ج١، ص١٦٨، سيشار له تالياً (السيوطي، الاتقان).

(٣) البخاري، صحيح، ج١٩، ص٧؛ القلقشندي، صبح، ج٢، ص٥١٥؛ محمد كردعلي، خطط الشام، ٦ج، ط٣، مكتبة النوري، دمشق، ١٩٨٣م، ج٤، ص١٦، سيشار له تالياً (كرد علي، خطط).

(٤) ابو نعيم الاصفهاني، حلية، ج٩، ص٧٧؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٦، ص٢٣٩٥.

(٥) حبيب زيات، «صحف الكتابة وصناعة الورق في الاسلام»، مجلة المشرق، م٤٨، ١٩٥٤م، ص١٠٠٨، سيشار له تالياً (حبيب زيات، «صحف»).

٨٠٠م):

فإن يحجبوها أو عجل دون وصلها مقالة واشٍ أو وعيد أمير[١]

ويروى أن المأمون أشرف يوماً من قصره فرأى رجلاً قائماً وبيده فحمة، وهو يكتب بها على حائط القصر، فقال المأمون لأحد غلمانه: «انزل إلى ذلك الرجل وامسك بيده، واقرأ ما كتب وائتني به»[٢]. وكان سعدون المجنون (ت ١٩٠هـ/ ٨٠٥م) من اهل البصرة من عقلاء المجانين وحكمائهم، وقد رؤي وبيده فحمة وهو يكتب بها على قصر خراب[٣].

وكانت كَرَبُ النخلِ - وهي أصول السّعف الغلاظ العراض التي تيبس فتصير مثل الكتف- [٤] من الادوات التي استعان بها الشافعي في حداثته[٥].

واستعان المتعلمون بالاكتاف. وهي العظم للبعير أو الشاة، كانوا إذا جف كتبوا عليه[٦]. فقد نشأ الشافعي يتيماً في حجر امه في قلة عيش وضيق حال، وكان في صباه يجالس العلماء ويكتب ما يستفيد في العظام[٧]. فقد قال: «فكنت اجالس العلماء فاحفظ الحديث والمسألة، فكنت انظر إلى العظم يلوح فاكتب فيه الحديث والمسألة، وكانت لنا جرة عظيمة فاذا امتلأ العظم تركته في الجرة»[٨].

---

(١) الاصفهاني، الاغاني، ج٢٣، ص٣٨٦ - ٣٨٧.

(٢) السيوطي، تحفة، ص١٦٤.

(٣) الكتبي، فوات، ج٢، ص٤٩.

(٤) ابن منظور، لسان، ج١، ص٧١٣.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٦، ص٢٣٩٥.

(٦) القلقشندي، صبح، ج٢، ص٥١٥؛ السيوطي، الاتقان، ج١، ص١٦٨؛ كردعلي، خطط، ج٤، ص٢٢٢.

(٧) أبو نعيم الاصفهاني، حلية، ج٩، ص٧٣؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٦، ص٢٣٩٥؛ النووي، تهذيب، ج١، ص٤٦؛ الاربلي، خلاصة، ص٢٠٨.

(٨) ابو نعيم الاصفهاني، حلية، ج٩، ص٧٣؛ أبو الجوزي، الصفوة، ج٢، ص١٦٦؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٦، ٢٣٩٥؛ النووي، تهذيب، ج١، ص٤٦؛ الاربلي، خلاصة، ص٢٠٨.

٤- الالواح:

واستخدمت الواح الطين والواح الخشب، كادوات للكتابة، وكانت ألواح الخشب هي الغالبة في الاستخدام في كتاتيب الصبيان، وذلك لخفة حملها، وسهولة مسحها[١]. فقد كان المعلم في الكُتّاب يكتب عليها، ثم يحفظها ويعطيها للصبيان كي يقلدوه[٢]، وقد كان بعضها من الخشب المصقول، يكتب الصبيان فوقها باقلامهم، بعد أن يغمسوها في الحبر[٣]. فقد حُبس علي بن الجهم في المكتب من قبل معلمه لشيء وجد عليه، فاخذ شق لوح وكتب فيه إلى امه شاكياً[٤]. وكان غلام سعيد الجوهري الذي كان قد لزم المأمون في الكُتّاب، إذا احتاج المأمون إلى محو لوحه بادر اليه فأخذ اللوح من يده فمحاه[٥]. ومر الجاحظ بمعلم صبيان، وقد قال لاحدهم: «إقرأ لوحك».[٦]

ويبدو أن بعض الصبيان لجأوا إلى محو الواحهم بارجلهم[٧]، أو ببصاقهم[٨]، وقد يستخدم بعضهم منديلاً لمسح الواحهم[٩]، أو يلجأ إلى بَلّ اللوح بالماء إذا ما امتلأ بالكتابة،

---

(١) الاهواني، التربية، ص٢٥٦؛ هونكه، شمس، ص٣٩٣؛ أحمد عقل، تمويل، ص٢٩؛ محمد طه الحاجري، «الورق والوراقة في الحضارة الاسلامية»، مجلة المجمع العلمي العراقي، م١٣، ١٩٦٦م، ص٧٢، سيشار له تالياً (الحاجري، «الورق، م١٣»).

(٢) Goldziher, "Education", vol, 5.p.199.

(٣) سعيد اسماعيل، معاهد، ص١٨٨.

(٤) ابن المعتز، طبقات، ص٣١٩.

(٥) رفاعي، عصر، ج١، ص٣٣٤.

(٦) الابشيهي، المستطرف، ج٢، ص٣٢١؛ عياش، العصا، ص٥٤؛ عبدالسلام هارون، «الجاحظ والمعلمون»، ص٥٦٨.

(٧) ابن سحنون، اداب، ص٨٦.

(٨) المصدر نفسه، ص٨٦؛ ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص٣١٨؛ ابن حجر الهيثمي، تحرير المقال، ص٣٣.

(٩) ابن سحنون، اداب، ص٨٨؛ القابسي، الرسالة، ص٣١٤.

ليعود كاتباً عليه من جديد[١].

ويبدو أن اقلاماً مصنوعة من التراب الابيض، استخدمها الصبيان في الكتابة على الواحهم لكثرة انتشارها، وسهولة الحصول عليها من كل مكان[٢]. ويظهر أن هذه الاقلام اصبحت تُصنع فيما يبدو، وتستورد من بلاد فارس، في فترة تالية فقد ذكر المقدسي انها كانت من جملة تجارات تبريز، إذ قال: «وطين ابيض يكتب به الصبيان الواحهم»[٣].

واستخدمت الألواح لتدوين مختلف العلوم، فقد دعا الرسول ﷺ زيد بن ثابت ليأتيه باللوح والدواة، ليكتب آية نزلت عليه[٤]. وروى عيسى بن عمر النحوي (ت ١٤٩هـ/ ٧٦٦م) أن عبدالله بن أبي اسحاق سمع موعظة، فاخرج الواحه، فكتبها[٥]. وعن سفيان الثوري (ت ١٦١هـ/ ٧٧٧م): «انه جاء إلى يونس بن حبيب، فاخذ يسأله ويملي عليه ومعه الواح»[٦]. وقال أبو عبيدة النحوي البصري (ت ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م): «اختلفت إلى يونس بن حبيب اربعين سنة، املأ كل يوم الواحي من حفظه»[٧]. ودخل الفراء النحوي، إلى بغداد، فسأل عن الكسائي فاتاه في مسجده، الذي يعقد فيه للناس، فوجد عند غلام يسأله ويكتب

---

(١) اين سحنون، اداب، ص٨٧؛ القابسي، الرسالة، ص٣١٤؛ المغراوي، جامع، ص٤٩؛ ابن حجر الهيثمي، تحرير المقال، ص٣٣.

(٢) حبيب زيات، «صحف»، م٤٨، ص٢١.

(٣) ابو عبدالله محمد بن مفلح المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، مكتبة خياط، بيروت، د.ت، ص٤٤٣، سيشار له تالياً (المقدسي، احسن التقاسيم).

(٤) البخاري، صحيح، ج١٩، ص١٠.

(٥) السيرافي، اخبار، ص٩٠.

(٦) المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص١٠٦.

(٧) القفطي، إنباه، ج٤، ص٧٦؛ ابن خلكان، وفيات، ج٧، ص٢٤٤ ـ ٢٤٥.

ما يمليه عليه في الواح معه[١]. ويروى أن بشر بن الحارث الزاهد (ت ٢٢٧هـ/ ٨٤١م)، التقى بيحيى بن سعيد القطان البصري الحافظ (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م)، في بغداد، فقال له: «معك الواح؟ قال، نعم، فقال: ناولني، وكتب له عشرة احاديث»[٢]. وخرج أبو نواس (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م)، إلى بادية بني اسد واخذ يغدو على المربد بالواحة للقاء الاعراب الفصحاء[٣]. وعن الاصمعي (ت ٢١٦هـ/ ٨٣١م)، قال: «جئت إلى عمرو بن العلاء فقال لي: من اين اقبلت يا اصمعي؟ قال: جئت من المربد، قال: هات ما معك، فقرأت عليه ما كتبت في الواحي»[٤]. وكان الخليل بن أبي نافع المزني الموصلي (ت ٢١٧هـ/ ٨٣٢م)، من علماء الموصل قد اتخذ لوحاً يكتب فيه كل ما يتكلم به ويحصيه في آخر النهار فيجده بضع عشرة كلمة[٥]. ويظهر أن استخدام بعض المتعلمين للالواح كان للكتابة العاجلة، ثم ينقلون ما فيها إلى دفاترهم، فيروى أن كيسان بن المعرف النحوي (ت ٢٩٩هـ/ ٩١١م) كان يخرج إلى الاعراب فينشده، فيكتب في الواحه غير ما ينشده، وينقل من الواحه إلى الدفاتر غير ما فيها[٦].

٥ ـ الجلود:

ويبدو أن الجلود كانت من مواد الكتابة منذ الجاهلية، ويقال للمدبوغ منها الادم[٧]، قالت

---

(١) الزجاجي، مجالس، ص٢٦٩.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٤، ص١٣٥.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج٦، ص٢٣٩.

(٤) قصي الحسين، من معالم، ص١٧٢.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص٦.

(٦) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٥، ص٢٢٤٦.

(٧) حبيب زيات، «الجلود والرقوق والطروس في الاسلام»، مجلة الكتاب، م٤، السنة الثانية، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٤٧، ج٩، ص١٣٥٨، سيشار له تالياً (حبيب زيات، «الجلود»).

ام سلمة، زوج الرسول ﷺ: «دعا رسول الله ﷺ باديم وعلي بن أبي طالب عنده، فلم يزل رسول الله ﷺ يملي وعلي يكتب حتى ملأ بطن الاديم وظهره واكارعه»[١]. وامر أبو بكر الصديق زيد بن ثابت ليكتب القرآن في قطع الاديم[٢].

واشتملت الجلود على جلود الغنم والمعزى والحمر وسائر الدواب الاهلية والوحشية، ويظهر أن جلد الحمر الوحشية كان يسمى (الفلجان)[٣]، فقد ذُكر: «ان الفرس كانت تكتب في جلود الجواميس والبقر والغنم، وان الروم تكتب أيضاً في الفلجان، وهو جلود الحمر الوحشية»[٤]. وذكر ابن النديم: «ان رجلاً يقال له محمد بن الحسين ويعرف بابن أبي بَعْرة، جماعة للكتب، له خزانة لم أر لأحد مثلها كثرة... فاخرج قمطراً[٥] كبيراً فيه نحو ثلثمائة رطل، جلود....، وجلود أدم»[٦]. وقد اشتهر عمرو بن العاص (رضي الله عنه)، بتجارته في الجاهلية «وكان يختلف بتجارته إلى مصر وهي الادم والعطر»[٧]. ويبدو استخدام الجلود في فترة العصر العباسي الأول فيما رواه ابن خلكان في حديثه عن مسك الجفر وهو جلد الماعز« تقول الشيعة أن الامام جعفر الصادق (ت ١٤٨هـ/ ٧٦٥م)، كتب لهم فيه كل ما يحتاجون اليه وكل ما يكون إلى يوم القيامة»[٨]. والجفر لغة: الجلد الصغير، وأصل التسمية

---

(١) الرامهرمزي، المحدث، ص٦٠١. وأكارعه: يعني أطرافه، وأكارع الأرض أي أطرافها القاصية. ابن منظور، لسان، ج٨، ص٣٠٧.

(٢) السيوطي، الاتقان، ج١، ص١٦٩.

(٣) حبيب زيات، «الجلود»، ص١٣٥٨.

(٤) القلقشندي، صبح، ج٢، ص٥١٥؛ حبيب زيات، «الجلود»، ص١٣٥٩.

(٥) القماطر: مفردها قمطر وتعني الصندوق المصنوع من القصب. ابن منظور، لسان، ج٥، ص١١٦.

(٦) القفطي، إنباه، ج١، ص٤٢ ـ ٤٣؛ حبيب زيات، «الجلود»، ص١٣٥٩.

(٧) ابو عمرو محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة، تهذيب وتصحيح رفن كست، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة د.ت، ص٦ ـ ٧، سيشار له تالياً (الكندي، الولاه).

(٨) حبيب زيات، «صحف»، م٤٨، ص١٣.

«ان هارون بن سعد العجلي كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق، فيه علم ما سيقع لاهل البيت عموماً، ولبعض منهم خصوصاً، كان مكتوباً عنده في جلد ثور صغير مما يقع له ولنظرائه من رجالاتهم كشفاً وكرامة، فكتبه هارون وسماه «الجفر» باسم الجلد الذي كتب فيه»[١]. وكانت الجلود البيض تفضل للكتابة لظهور سواد الحبر عليها، ويقال لها القُضُم، جمع قضيم، وفي حديث الزهري: «قبض رسول الله ﷺ والقرآن في القُضُم».[٢]

ويبدو أن الكتابة على الجلود قبل الدباغة كانت تصعب جداً، والارجح انها كانت تصقل ليهون مرّ القلم عليها، ويسرع الخط فيها[٣]. فقد كانت الجلود المصقولة متوفرة في قصر الرشيد لتعليم ابنائه بما في ذلك كتابة النحو عن خلف الاحمر النحوي (ت ١٩٤هـ/ ٨٠٩م)، حين كان مؤدباً لابناء الرشيد[٤].

اما الرَق، بفتح الراء، فهي الجلود الرقاق التي هُذِّبت وعولجت بالصناعة، حتى تصلح لما يراد له من الكتابة[٥]. وهو كما يقول المبرد، فيما يحكيه القلقشندي عنه «ما يرقق من الجلود ليكتب فيه»[٦]. وقال ابن خلدون: «وكانت السجلات اولاً لانتساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والاقطاعات والصكوك في الرقوق المهيأة بالصناعة من الجلد»[٧]. ووردت كلمة الرق في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿والطور، وكتابٍ مَّسطورٍ، في رَقٍّ

---

(١) ابن الازرق، بدائع، ج١، ص١٤٩.

(٢) ابن منظور، لسان، ج١، ص٥٩٩، اعتماد القصيري، فن التجليد، ص١١؛ حبيب زيات، «الجلود»، ص١٣٥٩.

(٣) محمد منير، تاريخ التربية، ص١٧٩؛ حبيب زيات، «الجلود»، ص١٣٥٩.

(٤) القفطي، إنباه، ج٢، ص٣١٧؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص١٦٧٢.

(٥) محمد طه الحاجري، «الورق والوراقة في الحضارة الاسلامية»، مجلة المجمع العلمي العراقي، م١٢، ١٩٦٥، ص١٢٣، سيشار له تالياً (الحاجري، «الورق»، م١٢).

(٦) القلقشندي، صبح، ج٢، ص٥١٤؛ الحاجري، «الورق»، م١٢، ص١٢٣.

(٧) ابن خلدون، المقدمة، ص٥٣٢.

منشور﴾[١]. وقيل لوراق ما تشتهي قال: «قلماً مشاقاً وحبراً براقاً وجلوداً رقاقاً»[٢]. واجمع الصحابة على كتابة القرآن في الرق لطول بقائه أو لانه الموجود عندهم حينئذ، وقد بقي الناس على ذلك إلى أن ولي الرشيد الخلافة[٣]. وكان الشافعي يطلب الحديث في حداثته، ويكتب في الرقوق[٤]. وذكر الجاحظ عن اسحاق بن سليمان (ت ١٧٨هـ/ ٧٩٤م) ـ وكان امير البصرة في عهد الرشيد ـ انه دخل عليه بعد عزله من الامارة «واذا هو في بيت كتبه، وحواليه الرقوق...»[٥].

ويبدو أن الرقوق كانت تصنع في الكوفة، وقد أتيح لها أن تجود في صناعتها، ففي خبر اورده الجاحظ ما يدل على أن الرقوق الكوفية كانت رقوقاً مرموقة معروفة بالجودة، فقد قال في سياق كلامه عن الكتب والعناية بها والحرص عليها: «وقيل لابن داحة وقد اخرج اليه كتاب أبي الشَّمَقْمَقْ الشاعر (ت ٢٠٠هـ/ ٨١٥م)، وهو في جلود كوفية، ودفتين طائفتين بخط عجيب»[٦]. والى جانب الكوفة كانت هناك واسط والبصرة. وكما كانت الرقوق الكوفية اجود انواع الرقوق، كانت الرقوق البصرية أرداها، فاما الواسطية فهي متوسطة بين هذه وتلك، كما يستخلص ذلك من كلام الجاحظ في الموازنة بين الكاغد والرق انه «احمل للغش، يغش الكوفي بالواسطي، والواسطي بالبصري»[٧].

---

(١) سورة الطور: آية ١ ـ٣.

(٢) محمد بن حسين الوراق، ديوان، جمع وتحقيق عدنان راغب العبيدي، وزارة التربية والتعليم، بغداد ١٩٦٩م، ص١٣، سيشار له تالياً (محمود الوراق، ديوان)؛ الصولي، أدب الكتاب، ص٩٥؛ الخطيب البغدادي، الجامع، ج١، ص٣٩٧؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص١٠٦؛ السمعاني، أدب، ص١٦٣.

(٣) القلقشندي، صبح، ج٢، ص٥١٥.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٦، ص٢٣٩٥.

(٥) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٦١؛ ابن طاطبا، الفخري، ص٦.

(٦) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٦١؛ الحاجري، «الورق»، م١٣، ص٧٧.

(٧) الحاجري، «الورق»، م١٣، ص٧٧، ٨٣.

٦- القراطيس:

والى جانب الرقوق المصنوعة من الجلد، كان هناك القراطيس (ورق البَرْدِى)[١]. وقد ورد القرطاس في القرآن الكريم مفرداً ومجموعاً[٢]. قال تعالى: ﴿ولو نزّلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سِحرٌ مبين»[٣]، وقال تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما انزل الله على بشرٍ من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً﴾[٤].

ويبدو أن المصدر الأول للقراطيس كان مصر حيث ينبت نبات البَرْدِى[٥]. يقول الجاحظ: «ويجلب من مصر الحمر الهماليج، والثياب الرقاق، والقراطيس»[٦]. ويؤكد هذا أيضاً ما اورده الجهشياري في أن المنصور وقف على كثرة القراطيس في خزائنه فقال لصالح صاحب المصلّى: «اني امرت بإخراج حاصل القراطيس في خزائننا، فوجدته شيئاً كثيراً جداً، فتول بيعه، وان لم تُعط بكل طومار[٧] الا دانِقاً (سدس الدرهم)، فان تحصيل ثمنه اصلح منه. فقال صالح: وكان الطومار في ذلك الوقت بدرهم، فانصرفت من حضرته على هذا، فلما كان الغد دعاني فدخلت عليه، فقال لي: فكرت في كتبنا، وانها قد جرت في القراطيس،

---

(١) الحاجري، «الورق»، م١٢، ص١٢٧؛ أحمد الشامي، «اوراق البردى العربي مصدراً أصيل للتاريخ الاسلامي»، مجلة المؤرخ العربي، ع٩، الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ١٩٧٨م، ص١٢١، سيشار له تالياً (أحمد الشامي، «اوراق البردى»).

(٢) الحاجري، «الورق»، م١٢، ص١٢٧.

(٣) سورة الانعام: آية ٧.

(٤) سورة الانعام: آية ٩١.

(٥) القلقشندي، صبح، ج٢، ص٥١٤؛ شوقي ضيف، العصر العباسي، ص١٠٣؛ محمد منير، تاريخ التربية، ص١٧٩؛ الحاجري، «الورق»، م١٢، ص١٢٨؛ حبيب زيات، «الجلود»، ص١٣٥٩.

(٦) الحاجري، «الورق»، م١٣، ص٧٢.

(٧) الطومار، الورقة الكاملة. القلقشندي، صبح، ج٦، ص١٨٠.

وليس يُؤمن من حادث بمصر، فتنقطع القراطيس عنا بسببه، فنحتاج إلى أن نكتب فيما لم تعوده عُمالنا، فدع القراطيس استظهاراً على حالها»[١]. وفي هذا ما يشير إلى أن القراطيس كانت قد أصبحت أداة من أدوات الديوان الضرورية، وفي بيعه لها ما يشير إلى أن القراطيس تجازوت الديوان، وخرجت إلى الحياة العامة، ولم تعد مقصورة على كتب الخلفاء أو الاعمال الديوانية[٢]. فقد تمثل سليمان بن مهران الاعمش (ت ١٤٨هـ/ ٧٦٥م) بهذا البيت:

نستودع العلم قرطاساً نضيعه   وبئس مستودع العلم القراطيس[٣]

وانشد يونس بن حبيب النحوي (ت ١٨٢هـ/ ٧٩٨م):

استودع العلم قرطاساً فضيَّعه   فبئس مستودع العلم القراطيس[٤]

وسمع الرشيد من ابن السماك (ت ١٨٣هـ/ ٧٩٩م)، موعظة فدعا الرشيد بدواة وقرطاس وكتبها بيده[٥]. ودخل احدهم على سلم الخاسر الشاعر (ت ١٨٦هـ/ ٨٠٢م)، فاذا بين يديه قراطيس، فيها اشعار يرثي ببعضها ام جعفر[٦]. وكتب جعفر بن يحيى البرمكي (ت ١٨٧هـ/ ٨٠٢م)، إلى محمد بن الليث، يستوصفه الخط، فكتب اليه: «.... وليكن قرطاسك رقيقاً مستوي النسج»[٧]. واعرب أبو نواس (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م)، عن حاجته إلى قطعة قرطاس فقال:

---

(١) الجهشياري، الوزراء، ص١٣٨.

(٢) الحاجري، «الورق»، م١٣، ص٧١.

(٣) الرامهرمزي، المحدث، ص٣٨٧.

(٤) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٦١.

(٥) ابن الازرق، بدائع، ج١، ص٥١٤.

(٦) رفاعي، عصر، ج٢، ص٣٥٢.

(٧) ابن عبدربه، العقد، ص٢٧٨.

اريد قطعة قرطاس فتعجزني وجُلّ صحبي اصحاب القراطيس

لحاهم الله من وُدٍّ ومعــرفةٍ إن الميـاسير منهــم كالمفــاليس[١]

ويبدو أن القراطيس، استخدمت في كتاتيب الصبيان، إلى جانب الالواح، فقد اشار أبو نواس إلى ذلك بقوله:

واحتازها لون جرى في جلدها يقف كقرطاس الوليد هجان[٢]

واستعمل الشافعي في حداثته القراطيس في تدوين الحديث، فكان يذهب إلى الدواوين يستوهب الطوامير ليكتب فيها[٣]. وقال الاصمعي (ت ٢١٦هـ/ ٨٣١م): «دخلت على الرشيد وهو ينظر في كتاب ودموعه تسيل على خده فلما ابصرني قال: أرأيت ما كان مني؟ قلت: نعم يا امير المؤمنين، فقال: اما إنه لو كان لأمر الدنيا ما كان هذا ثم رمى اليّ بالقرطاس فاذا فيه شعر أبي العتاهيه...»[٤]. وكتب بشر بن الحارث الزاهد (ت ٢٢٧هـ/ ٨٤١م): الحديث في حلقة عيسى بن يونس في قرطاس[٥]. واخذ علي بن الجهم الشاعر (ت ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م) الدواة والقرطاس وكتب ابياتاً من الشعر[٦]. وقال المبرد النحوي (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م): «رأيت الجاحظ يكتب شيئاً، فتبسم، فقلت: ما يضحك؟ فقال: لم يكن القرطاس صافياً، والحبر نامياً، والقلم مواتياً، والقلب خالياً، فلا عليك أن تكون عانياً»[٧].

---

(١) ابو نواس، ديوان، ص٦٠٤.

(٢) الحاجري، «الورق»، م١٣، ص٧٧.

(٣) ابو نعيم الاصفهاني، حلية، ج٩، ص٧٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٣٥؛ الاربلي، خلاصة، ص٢٠٨.

(٤) الماوردي، أدب، ص١٣٣.

(٥) الذهبي، تذكرة، ج١، ص٢٨١.

(٦) ابن قيم الجوزية، اخبار، ص٥٢.

(٧) الخطيب البغدادي، الجامع، ج١، ص٣٩٧؛ السمعاني، أدب، ص١٦٣.

ومن احسن ما مدح به كاتب قول عبدالله بن المعتز (ت ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م):

إذا اخذ القرطاس خِلت يمينه   تُفتِّح نوراً أو تنظم جوهراً[١]

ولاتساع استخدام القرطاس، وعدم اقتصار القرطاس على الاعمال الديوانية، فظهرت الحاجة اليه ماسة، حتى بدا كأن مصر لم تعد تكفي هذه الحاجة، وان الضرورة تدعو إلى أن تكون صناعة القراطيس صناعة عراقية، فتنشأ لها المصانع في العراق، ويحمل اليها الصناع من مصر يتولونها ويضعون اسس العمل فيها[٢]، وقد حاول المعتصم هذه المحاولة، وان لم تنجح، كما ذكر ابن الفقيه إذ يقول: «وقد حمل المعتصم بالله صناع القراطيس إلى سر من رأى، مع تربتها ومائها، وأمرهم باتخاذه هناك فلم يخرج منه الا الخشن الذي ينكسر»[٣].

٧ـ الورق (الكاغد):

يبدو أن صناعة ورق الكاغد انتقلت إلى بغداد في زمن الرشيد[٤]، إذ أمر الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي (ت ١٩٢هـ/ ٨٠٧م) بتاسيس أول معمل لصناعة ورق الكاغد في حدود سنة ١٧٨هـ/ ٧٩٤م[٥]. وعندما كثر الورق وانتشر بين الناس امر الا يكتب الا في

(١) القلقشندي، صبح، ج١، ص٧٥.

(٢) الحاجري، «الورق»، م١٣، ص٧٢.

(٣) المرجع نفسه، م١٣، ص٧٢.

(٤) القلقشندي، صبح، ج٢، ص٥١٥؛ سعيد عاشور، دراسات، ص٣٧٤؛ فاروق عمر، الخليفة المجاهد، ص٩٤.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، ص٥٣٢؛ سعيد عاشور، دراسات، ص٣٤٧؛ هونكه، شمس، ص٤٦؛ محمد ضيف الله البطاينة، في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، ط١، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٤م، ص١٤٨، سيشار له تالياً (محمد البطاينة، تاريخ)؛ عبدالمنعم الغلامي، مآثر العرب والاسلام في القرون الوسطى، مطبعة ام الربيعين، الموصل، ١٩٤٠م، ص٢٤٨ ـ ٢٤٩، سيشار له تالياً (الغلامي، مآثر).

الكاغد، «لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والاعادة، فتقبل التزوير بخلاف الورق فانه متى محي منه فسد، وإن كُشط ظهر كشطه»[١]. والظاهر من سياق هذا الخبر أن تحريم الكتابة في غير الكاغد انما كان مقصوداً به الصكوك والعقود والعهود والمواثيق، وما إلى ذلك مما يتقيد الناس به، وترتبط معاملاتهم بنصه[٢]. وعلل ابن خلدون هذا الاتجاه في استخدام ورق الكاغد بقوله: «ثم طما بحر التآليف والتدوين وكثر ترسيل السلطان وصكوكه، وضاف الرَقُّ عن ذلك، فاشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد، وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان، وصكوكه، واتخذه الناس من بعده صحفاً لمكتوباتهم السلطانية، والعلمية، وبلغت الاجادة في صناعة ما شاءت»[٣].

ويبدو أن صناعة ورق الكاغد كانت في بلاد الصين وانتقلت إلى سمرقند[٤]، وعندما احتل العرب هذه المدينة على يد قتيبة بن مسلم الباهلي سنة ٩٤هـ/ ٧١٢م، عملوا على تطوير هذه الصناعة وتنقيتها من الشوائب بحيث صارت سمرقند اكبر مركز لصناعة ورق الكاغد، ومنها انتقل إلى بغداد، ثم انتشر في جميع البلاد الاسلامية لرخصه ونعومته وسهولة استعماله، بينما اخذ الرق الجلدي والبردى المصري في الاختفاء[٥]. وقد عرف هذا الورق عند ابن النديم بالورق الخراساني الذي يُصنع من الكتان إذ يقول: «فان الورق الخراساني فيعمل من الكتان، ويقال انه حدث في ايام بني امية، وقيل: في الدولة العباسية وقيل أنه قديم العمل، وقيل أنه حديث، وقيل أن صناعاً من الصين عملوه بخراسان على مثال الورق

---

(١) القلقشندي، صبح، ج٢، ص٥١٦؛ اعتماد القصيري، فن التجليد، ص٢٠.

(٢) الحاجري، «الورق»، م١٣، ص٧٨.

(٣) ابن خلدون المقدمة، ص٥٣٢.

(٤) القلقشندي، صبح، ج٢، ص٥١٥.

(٥) سعيد عاشور، دراسات، ص٣٤٧.

الصيني»[١]. وأورد القفطي ما يثبت أن هذه التسمية كانت متداولة، فقد قال إبراهيم بن اسحق الحربي (٢٨٥هـ/ ٨٩٨م): «جلست على باب الدار، واذا رجل معه حملان محملان، وكان الحاج الخُراساني قد قدم، وهو يسأل عن بيت إبراهيم الحربي، فقلت له: أنا إبراهيم، فقال: قد سير اليك رجل من خُراسان هذين الحملين، وهما ورق خراساني، فقلت: من هو؟ فقال: قد احلفني الا أذكر لك اسمه، فاخذتهما منه، ودعوت الله لمرسلهما ولحاملها»[٢].

وشاع استخدام الكاغد بصورة عامة بين العلماء والمتعلمين، فقد أمر المنصور أن يضع بين يدي كل واحد من جلسائه دواة وورق[٣]. وكان ورق الكاغد من محتويات مجالس خلف الاحمر النحوي (ت ١٩٤هـ/ ٨٠٩م) في قصر الرشيد[٤]. ويقول الامام الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م):

وألذ من نقر الفتاة لدِفّها نقري لألقي الرمل عن اوراقي[٥]

وكانت مكتبة محمد بن الحسين ويعرف بابن أبي بعرة تحتوي على ورق صيني، وورق تهامي، وورق خراساني[٦]. ودخل محمد بن مناذر النحوي (ت ١٨١هـ/ ٧٩٧م)، المسجد الجامع بالبصرة فوقعت عينه على غلام مستند، فخرج والتمس غلاماً ورقعة ودواة، فكتب اليه ابياتاً مدحه بها وسأل الغلام الذي التمسه أن يوصل الرقعة إلى الفتى المستند إلى السارية فذهب بها الغلام، فلما قرأها كتب اليه على ظهرها يقول:

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص٤٨؛ الحاجري، «الورق»، م١٢، ص١٣٥.

(٢) القفطي، إنباه، ج١، ص١٩٢.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٠٥ ـ ١٠٦؛ طلب صبار، رسوم، ص١٦٠.

(٤) القفطي، إنباه، ج٢، ص٣١٧؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص١٦٧٢.

(٥) الشافعي، ديوان، ص١٦٣؛ الغزالي، ايها الولد، ص٦٨.

(٦) القفطي، إنباه، ج١، ص٤٣؛ حبيب زيات، «الجلود»، ص١٣٥٩.

مثـــل امتداحك لي بلا ورق　　مثــل الجدار يبنى على خص

وألذُّ عندي من مديحــك لي　　ســود البــغال ولين القمص

فـــاذا عزمـت فهيء لي ورقاً　　فاذا فعلت فلست استعصي[١]

وقيل:

لمحبرة تجالســني نهــــاري　　أحــبُّ إليَّ من انس الصديق

ورزمة كاغد في البيـت عندي　　أحبُّ إليَّ من عدل الرقيق[٢]

وحمل سند بن علي المنجم اوراقاً تحمل ما استخرجه من قريحته وما سمعه من غيره[٣]. وحدث أبو مسحل عبدالوهاب[٤]، قال: «كان اسمـاعيل بن صبيح الكاتب قد اقـدم ابا عبيدة من البصـرة في ايام الرشيد إلى بغداد وأحـضر الأثرم، وهو يومئـذ وراق، وجعله في دار من دوره، واغلق عليه البـاب، ودفع اليه كتب أبي عـبيدة وامره بنسـخها، فكنت انا وجمـاعة من اصحـابنا نصيـر إلى الأثرم، فيـدفع الينا الكتـاب من تحت الباب، ويدفع الينا ورقـاً ابيض من عنده ويسألنا نسخـه وتعجيله[٥]. وكـتب الجـاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) إلى ملك البـرغـر[٦] كتاباً يحتوي على اكثر من مائة ورقة[٧]. ويذكر بان صبيان قد جـاءوا إلى محمد بن غالب بن

---

(١) أبي عمران، المرقصات، ص١٦٢.

(٢) ابن عبدالبر، جامع، ج٢، ص٢٠٤؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٣، ص٢٥.

(٣) ابن الداية، المكافاة، ص١٤٣.

(٤) اعرابي يكنى بابي محـمد واسمه عبـدالوهاب بن حريش، حضر بغـداد وافداً عـلى الحسن بن سهل الوزير. ابن النديم، الفهرست، ص٩٦.

(٥) ابن الانباري، نزهة، ص١٢٧؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٥، ص١٩٧١.

(٦) ارض تقع على سـاحل بحر مالطس (الاسـود). وسكانها من الاتراك، وقـد تميزوا بشدة الـبأس، وقد قـاموا بمهـاجمـة القـسطـنطينيـة، ولم تمتـنع منهم الا باسـوارها. انظر: ياقـوت الحـموي، مـعـجم البلدان، ج١، ص٣٨٥.

(٧) ابن النديم، الفهرست، ص٣٤٧.

تمام البصري الحافظ (ت ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م) فقالوا: «يا أبا جعفر أخرج القماطر، فنحن بنادرة الحديث، فقال: اكتبوا ـ لاخيركم الله ـ فاخرجوا كاغداً رثاً، فقال لهم التمتام: يا بني الكاغد رخيص ببغداد، فلو كتبتموه في كاغد أجود من هذا»[١].

٨ـ الرقاع:

ومما يرد ذكره في مجال المواد المعينة على التعليم، الرقاع. فقد تكون من اكتاف أو جلد أو رق أو كاغد[٢]. فقد أمر أبو بكر الصديق زيد بن ثابت بجمع القرآن، وكان بعض ما جمعه مكتوباً في الرقاع[٣]. ودخل أبو يوسف على الكسائي ليقرأه رقعة كانت بيده[٤]، وخرج الرشيد يوماً إلى مجلسه، وفي يده رقعتان على نسخة واحدة من شعر أبي العتاهية[٥]. ودخل ابن مناذر النحوي (ت ١٨١هـ/ ٧٩٧م)، المسجد الجامع بالبصرة فالتمس رقعة ودواة فكتب فيها أبياتاً من الشعر[٦]. وحكى الجاحظ أن ابا الهذيل العلاف المتكلم (ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م)، سأله رقعة يكتب بها إلى الحسن بن سهل الوزير (ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م)، يستعينه على ضائقة لحقته[٧]. وطلبت ميمونة بنت شاقولة الواعظة من ابنها رقعة ودواة لتكتب شيئاً وضعته في جوف حائط[٨].

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٣، ص١٤٦.

(٢) السيوطي، الاتقان، ج١، ص١٦٨.

(٣) كردعلي، خطط، ج٤، ص١٦.

(٤) السيوطي، الاشباه، ج٥، ص١٠٥.

(٥) الاصفهاني الاغاني، ج٤، ص٩٩.

(٦) أبي عمران، المرقصات، ص١٦٢.

(٧) ابن نباته، سرح، ص٢٤٤.

(٨) ابن الجوزي، احكام، ص١٥١.

٩- الصحيفة:

اما الصحيفة، فيتغير مفهومها بتغير السياق واختلاف الملابسات، وقد جاءت في القرآن في صيغة الجمع، في اكثر من موضع[١]. قال تعالى: ﴿وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه، اولم تأتهم بيِّنةُ ما في الصحف الاولى»[٢] وقال تعالى: ﴿اولم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى»[٣]. وقوله تعالى: ﴿إنَّ هذا لفي الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿بل يريد كل امريءٍ منهم أن يؤتى صحفاً منشَّرة﴾[٥]. وقوله تعالى: ﴿رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة﴾[٦]. وقيل أن المصحف سمي مصحفاً لجمعة الصحف[٧].

ويبدو أن كلمة الصحيفة كانت تطلق بمعنى اللوح، والجلود، والرقوق، والاكتاف، والعسب، والقراطيس، والكاغد[٨]. فقد كان أبو بكر الصديق اول من جمع القرآن في الصحف[٩]. وقال سعيد بن جبير: «كنت اكتب عند ابن عباس، فاذا امتلأت الصحيفة اخذت نعلي، فكتبت فيها حتى تمتليء»[١٠]، ولما ولي المنصور «أمر وزيره ابا ايوب المورياني أن يكتب

---

(١) الحاجري، «الورق»، م١٢، ص١٢١.

(٢) سورة طه: آية ١٣٣.

(٣) سورة النجم: آية ٣٦، ٣٧.

(٤) سورة الاعلى: آية ١٨، ١٩.

(٥) سورة المدثر: آية ٥٢.

(٦) سورة البينة: آية ٢،٣.

(٧) المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص١٦٢؛ القلقشندي، صبح، ج٢، ص٥١٥.

(٨) ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، اساس البلاغة، تحقيق عبدالرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت ١٩٨٢م، ص٢٤٩، سيشار له تالياً (الزمخشري، اساس البلاغة).

(٩) السيوطي، الاتقان، ج١، ص١٦٩.

(١٠) الرامهرمزي، المحدث، ص٣٧١.

بحمل الاموال في صحف، وان تصفر الصحف، فجرى الامر على ذلك»[1].

١٠ـ الدفاتر:

ويرد ذكر الدفاتر في كثير من الروايات، فقد ظلت الكتب تثبت في صحف وتحفظ في الدواوين حتى كانت خلافة أبي العباس السفاح (١٣٢ ـ ١٣٦هـ/ ٧٤٩ ـ ٧٥٣م)، فجعلها خالد بن برمك في دفاتر، واتخذ الدفاتر من الجلود[2]. وقيل: «من لم يكن له دفتر في كمه لم يُثب الحكمة في قلبه، وينبغي أن يكون في الدفتر بياض»[3]. وكان عبدالله بن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز (ت ١٨٤هـ/ ٨٠٠م)، لا يجالس الناس وينزل المقبرة «ولا يكاد يُرى الا وفي يده دفتر فسئل عن ذلك، فقال: لم ار قط اوعظ من قبر ولا امتع من دفتر ولا اسلم من وحدة»[4]. وغدا الندماء وابناء الوزراء إلى المنصور بالمحابر والدفاتر[5]. وكان المستنير بن عمر بن النخعي يضرب اللبن في الكوفة ويبيعه ليشتري دفاتر ليكتب فيها العلم والحديث[6]. وقال أبو عمر بن العلاء المقريء (ت ١٥٤هـ/ ٧٧٠م): «ما دخلت على رجل قط ولا مررت ببابه فرأيته ينظر في دفتر وجليسه فارغ اليد الا اعتقدت انه اعقل منه وافضل»[7]. ودخل الجاحظ على محمد بن اسحق امير بغداد وهو معزول وكانت الدفاتر من محتويات خزانة كتبه[8].

---

(١) البلاذري، فتوح، ص٤٥١.

(٢) السيوطي، الوسائل، ص١٣٢؛ محمد البطاينة، تاريخ، ص١٤٨.

(٣) الزرنوجي، تعليم، ص٩٥.

(٤) ابن عبدالبر، جامع، ج٢، ص٢٠٤.

(٥) السيوطي، تاريخ، ص٢٦٦ ـ ٢٦٧.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٣٠.

(٧) رفاعي، عصر، ج٣، ص١١٤.

(٨) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٦١؛ ابن طباطبا، الفخري، ص٦؛ رفاعي، عصر، ج٣، ص١١٤.

١١ـ الكراسة:

أما الكراسة، فتعني الكتب المضمومة بعضها إلى بعض، والورق الذي الصق بعضه إلى بعض، مشتق من قولهم: «رسم مكرس إذا ألصقت الريح التراب به»[١]. وقال الخليل الفراهيدي: «الكراسة مأخوذة من كراس الغنم، وهو أن يبول في الموضع شيئاً بعد شيء فيتلبد»[٢].

١٢ـ الطروس:

أما الطروس فهي الكتاب الذي مُحي ثم كُتب، والجمع اطراس وطروس[٣]. وفي اللسان، الطِّرْسُ الصحيفة، ويقال هي التي محيت ثم كتبت[٤]. ويبدو أن الطروس كانت من الجلود أو الرقوق، فقد «اقام الناس ببغداد سنين لا يكتبون الا في الطروس، لان الدواوين نهبت في ايام محمد بن زبيدة، وكانت في جلود، فكانت تمحى ويكتب فيها». وكان المستنير بن عمر النخعي يشتري الطروس ليكتب فيها العلم والحديث[٥]. ووردت اشارات إلى من قام بغسل كتبه، اما تورعاً قبل موته، واما في حياته لغرض من الاغراض، فقد قام سفيان الثوري بغسل كتبه كلها. فقد قال أبو العلاء: «والخوف الزم سفيان أن يغرق كتبه»[٦].

١٣ـ المساطر:

وكانت المساطر من الوسائل المعينة على التعليم، فقد كانت المساطر من محتويات مكتبة

---

(١) النحاس، صناعة، ص١٠٨؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص١٦٢.

(٢) المقدسي، الحنبلي، الاداب، الشرعية، ج٢، ص١٦٢.

(٣) حبيب زيات، «الجلود»، ص١٣٦٦.

(٤) ابن منظور، لسان، ج٦، ص١٢١.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٣٠.

(٦) حبيب زيات، «الجلود»، ص١٣٦٦.

امير البصرة، اسحاق بن سليمان العباسي (ت ١٧٨هـ/ ٧٩٤م)[1]. ويبدو انها كانت من الادوات التي استخدمها الوراقون، فقد قال احدهم: «جسمي ادق من مسطرة».[2]

يظهر مما سبق أن وسائل الكتابة التي استعان بها العلماء والمتعلمون اشتملت على العديد من الادوات التي تعددت وتنوعت وتطورت بتطور الزمن واختلاق الضرورات. ومما يلاحظ أن دور السلطة العباسية كان واضحاً جداً في توفير مثل هذه الادوات وادخال ما استحدث منها لاستخدامها في الجوانب الرسمية من جهة، ولتوفير ما يلزم العلماء والمتعلمين من ادوات تخفف عليهم عناء الكتابة، وتسهل عليهم كلفة التعليم من جهة أخرى. وكان لادخال ورق الكاغد إلى الدولة وصناعته فيها الأثر الكبير في استخدامه من قبل العلماء والمتعلمين، وقد كان اكثر وفرة وارخص ثمناً. ولا شك في أن انتشاره كان حدثاً حضارياً بارزاً كان اثره واضحاً جداً في اتساع حركة التاليف واتساع نطاق العلم والتعليم.

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٦١؛ ابن طباطبا، الفخري، ص٦.

(٢) الصولي، أدب الكتاب، ص٩٧؛ الخطيب البغدادي، الجامع، ج١، ص٣٩٠ ـ ٣٩١؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص١٠٦.

ثانياً: الوراقون:

استدعى ظهور ورق الكاغد وانتشار استعماله، ظهور طائفة من الناس يشتغلون بالورق والكتابة والكتب، وهؤلاء هم الوراقون، الذين لعبوا دوراً مهماً في تاريخ الحضارة الاسلامية[١]. وقد جاءت التسمية من «الورق، بفتح الراء اسم جنس يقع على القليل والكثير، وواحدةً ورقة وجمعها أورق، وجمع الورقة وَرَقات، وبه سمي الرجل الذي يكتب وراقاً»[٢].

ويبدو أن الوراقين كانوا يقومون بنسخ الكتب وتجليدها وتصحيحها وتزويقها وتذهيبها وعرضها للاتجار بها، فضلاً عن بيع الورق وأدوات الكتابة[٣]. قال ابن خلدون: «وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية»[٤]. وكان معروف الوراق يورق كتاب اقليدس والمجسطي ويبيعه بعد تكامل خطه واشكاله وتجليده[٥]. وقد بلغ من عناية الوراقين بعملهم أن موّه بعضهم خطوطه بالذهب[٦].

ولم تكن مهنة الوراقة تقف عند حد الاتجار بالكتب والورق وادوات الكتابة، وانما تعدى ذلك إلى مهام ثقافية بالغة الاهمية فكانت مغدىً ومراحاً للطلاب والعلماء يتذاكرون فيها ويتناقشون[٧].

---

(١) محمد ماهر حماده، المكتبات في الاسلام (نشاتها وتطورها ومصائرها)، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٨م، ص٧٥، سيشار له تالياً (حماده، المكتبات).

(٢) ابن منظور، لسان، ج١٠، ص٣٧٥؛ القلقشندي، صبح، ج٢، ص٥١٦.

(٣) اعتماد القصيري، فن التجليد، ص٢٠.

(٤) ابن خلدون، المقدمة، ص٥٣٢.

(٥) ابن الداية، المكافاة، ص١٤٠ ـ ١٤١.

(٦) شوقي ضيف، العصر العباسي، ص١٠٤.

(٧) انظر: الفصل الثالث، (حوانيت الوراقين).

ويبدو أن الوراقة كانت من الصنائع التي وفرت الكثير من المتاعب للعلماء وحفظت علمهم من النسيان باستنساخه ورواجه بين الناس. فيصفها السبكي بقوله: «وهي من أجود الصنائع فيها من الاعانة على كتابة المصاحف وكتب العلم ووثائق الناس وعهدهم»[١].
وبين ابن خلدون فضل الوراقة بقوله: «وأما الكتابة وما يتبعها من الوراقة فهي حافظةٌ على الانسان حاجته ومقيدةٌ لها عن النسيان ومبلغة ضمائر النفس إلى البعيد الغائب ومخلدةٌ نتائج الافكار والعلوم في الصحف ورافعة رتب الوجود للمعاني»[٢].

ويبدو أن انتشار الورق وازدياد الطلب عليه وعلى أدوات الكتابة، كان سبباً في انتشار حوانيت الوراقين في بغداد وغيرها من مدن العراق. فقد مرّ أبو نواس (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م) على احد الوراقين الذين يكتبون في حانوت أبي داود وساله سؤالاً[٣]. وذكر ابن أبي شقيقة الوراق أن الشعراء كانوا يجتمعون في دكان والده ومنهم أبو العتاهية[٤]. وكان الجاحظ «يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر»[٥]. وحدث أحمد بن وليد: «ودعت اسحاق بن نُصير العبادي في بعض خرجاتي الى بغداد، فأخرج إليّ ثلاثة آلاف دينار وقال: إذا دخلت بغداد، فادفع الف دينار إلى ثعلب، والف دينار إلى المبرد وصر إلى قصر وضاح فانظر إلى اول دكان للوراقين، فانك تجد صاحبها إن كان حياً لم يمت قد شاخ، فاجلس اليه وقل له:

---

(١) السبكي، معيد النعم، ص١٣٢.

(٢) ابن خلدون، مقدمة، ص٥٠٨ ـ ٥٠٩.

(٣) ابن عبدربه، العقد، ج٧، ص١٧٩؛ ابن الجوزي، اخبار، ص١٩١؛ أحمد شلبي، التربية، ص٦٤؛ رفاعي، عصر، ج١، ص٤٢١؛ ناجي معروف، اصالة الحضارة العربية، ط٣، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٥م، ص٤٦٧، سيشار له تالياً (ناجي معروف، اصالة).

(٤) ابن المعتز، طبقات، ص٢٠٧.

(٥) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٥؛ ابن النديم، الفهرست، ص٢٣٠؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٥، ص٢١٠١ ـ ٢١٠٢؛ متز، الحضارة، ج١، ص٣٢٤.

اسحاق بن نصير يقرأ عليك السلام»[١]. وفي هذه الرواية ما يشير إلى كثرة دكاكين الوراقين وانتشارها وقد اصبح لها اسواقٌ خاصة عرفت باسواق الوراقين. فكان في ايام المأمون بسوق الوراقين رجل يعرف بمعروف يورق الكتب ويبيعها[٢]. وكان أحمد بن أبي طاهر المرزوي الأصل (ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)، مؤدب كتاب، ثم تخصص وجلس في سوق الوراقين في الجانب الشرقي من بغداد[٣]. وذكر بان طاق الحراني في الجانب الغربي من بغداد كان مكاناً لبيع الكتب فقد ذكر ابن النديم: «ان المرزوي جعفر بن أحمد توفي بالاهواز، وحملت كتبه إلى بغداد وبيعت في طاق الحراني سنة ٢٧٤هـ»[٤]. وفي جملة كلام اليعقوبي عن ارباض بغداد«ثم ربض وضاح مولى أمير المؤمنين، المعروف بقصر وضاح صاحب خزانة السلاح، واسواق هناك واكثر من فيه في هذا الوقت الوراقون اصحاب الكتب فان به اكثر من مائة حانوت للوراقين»[٥]. ووصف ابن الجوزي سوق الوراقين ببغداد فقال: «انها سوق كبيرة وهي مجالس العلماء والشعراء»[٦].

وفي عهد الرشيد نشطت جهود الوراقين وعمت فيه منفعة الورق في استنساخ الكتب على ما يبدو فقد اقدم اسماعيل بن صبيح الكاتب (ت ٢١٧هـ/ ٨٣٢م) ابا عبيدة من البصرة في ايام الرشيد إلى بغداد، واحضر الاثرم الوراق (ت ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م) وجعله في دار من دوره لينسخ له كتب أبي عبيدة[٧]. وأمر المأمون الفرّاء (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، «ان يؤلف ما

---

(١) ابن الداية، المكافأة، ص١٦.

(٢) المصدر نفسه، ص١٤١.

(٣) ابن طيفور، بغداد، ص٦؛ ابن النديم، الفهرست، ص٢٧٨؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج١، ص٢٨٣؛ حماده، المكتبات، ص٧٧.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص٢٨٦؛ حماده، المكتبات، ص٧٧.

(٥) اليعقوبي، البلدان، ص١٣.

(٦) ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢٦.

(٧) ابن الانباري، نزهة، ص١٢٧؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٥، ص١٩٧١.

جمع به اصول النحو وما سمع من العرب، وأمر أن يفرد في حجرة من حجر الدار واوكل به جواري وصير له الوراقين فكان يملي والوراقون يكتبون وكان ورّاقاه سلمة بن عاصم وأبا نصر بن الجهم»[١].

ولما تتيحة الوارقة من فرص للقراءة والاطلاع، فقد اشتغل بها علماء أجلاء أمثال علان الشعوبي الوراق (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م)، الذي امتهن الوراقة وفتح له دكاناً في سوق الوراقين ببغداد[٢]. وكان أبو العباس الاحول محمد بن الحسن بن دينار العالم باللغة والشعر، يورق بالاجرة وقد جمع دواوين مائة وعشرين شاعراً[٣]. وورق لحنين بن اسحق في منقولاته علوم الاوائل[٤]. ووصف أبو موسى سليمان بن محمد الحامضي - وهو من اصحاب ثعلب - بصحة الخط وحسن المذهب في الضبط، وكان يورق لابي العباس ثعلب[٥].

وتشير المصادر إلى اسماء الكثير ممن امتهنوا الوراقة،كان من بينهم العلماء ورواة الحديث والمتصوفون والكتاب والشعراء. نذكر منهم على سبيل المثال وليس الحصر: «ابو عبدالله بن اصبغ بن زيد الوراق الجهني (ت ١٥٩هـ/ ٧٦٧م)[٦]. وعمرو بن عبدالملك العنزي الوراق (ت ٢٠٠هـ/ ٨١٥)[٧]. ومحمود بن حسن الوراق (ت ٢٢٥هـ/ ٨٣٩م)، وقد كان

---

(١) ابن الانباري، نزهة، ص٨٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٧٨؛ القفطي، إنباه، ج٤، ص١٦؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٦، ص٢٨١٤؛ ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص١٧٨؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص٤٢٨.

(٢) الجهشياري، الوزراء، ص١٣١؛ السمعاني، أدب، ص١٤٩؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص١٦٣٢.

(٣) السيوطي، بغية، ج١، ص٨٢.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص١٥٦.

(٥) المصدر نفسه، ص١٥٦.

(٦) السمعاني، الانساب، ج٥، ص٥٨٤.

(٧) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٤٤٦، ٤٥٩، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٩، ٤٧٥، ٥٠٠.

شاعراً[١]، ولقب بالوراق لانه امتهن الوراقة[٢]. ومنهم أيضاً أبو جعفر أحمد بن محمد بن ايوب الوراق (ت ٢٢٨هـ/ ٨٤٢م) وقد كان وراقاً يكتب للفضل بن يحيى بن جعفر البرمكي[٣]. وكان عمر بن كركره أبو مالك الاعرابي يعلم في البادية ويورق في الحضر[٤]. ومن تلامذة الكندي ووراقيه، حسنويه ونفطويه وسلمويه[٥]. وكان زكريا بن يحيى، ويكنى ابا يحيى وراقاً للجاحظ[٦]، ومن وراقي المبرد النحوي، ابن الزجاجي، واسمه اسماعيل بن أحمد، والشاشي واسمه إبراهيم بن محمد[٧]. ومنهم أيضاً اسماعيل بن اياد الوراق[٨]. وابن أبي سعيد الوراق[٩]. وابو اسحاق إبراهيم بن مكتوم السلمي الوراق[١٠].

ويبدو أن بعض من امتهنوا الوراقة شكوا مُرَّ العيش، وقلة الجاه، وسوء الحال، قال أبو هفان عبدالله بن أحمد الشاعر: «سألت وراقاً عن حالة، فقال لي: عيشي اضيق من محبرة، وجسمي ادق من مسطرة، وجاهي أرق من الزجاج، ووجهي عند الناس اشد سواداً من الحبر بالزاج، وحظي اخفى من شق القلم، ويداي اضعف من قصبة، وطعامي امر من العفص، وشرابي اسود من الحبر، وسوء الحال ألزم لي من الصمغ، فقلت له: عبرت عن

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٣، ص٨٧؛ السمعاني، الانساب، ج٥، ص٥٨٦.

(٢) محمود الوراق، ديوان، ص١٥ (مقدمة المحقق).

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٢٥٢؛ السمعاني، الانساب، ج٥، ص٥٨٤.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص٩٣؛ السيوطي، بغية، ج٢،ص٢٣٢.

(٥) القفطي، اخبار، ص٢٤٦؛ ابن أبي أصيبعة، عيون، ج٢، ص١٨١.

(٦) ابن النديم، الفهرست، ص٣٤٧؛ القالي، الامالي، ج١، ص٢٤٨؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٥، ص٢١١٧.

(٧) ابن النديم، الفهرست، ص١٢١.

(٨) ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص٣٧٣.

(٩) الجهشياري، الوزراء، ص١٤١.

(١٠) السمعاني، الانساب، ج٥، ص٥٨٤.

بلاء ببلاء»[١]. وفي هذه الرواية اشارة واضحة إلى الادوات المستخدمة في الوراقة وإلى ما يمكن أن تحويه دكاكين الوراقين من ادوات ووسائل.

وهناك من طابت نفسه لمهنة الوراقة، وفضّلها على سواها، حتى اشتهى وتمنى موادها، قيل لوراق «ما تشتهي؟ فقال: قلماً مشاقاً، وحبراً براقاً، وجلوداً رقاقاً، وكل امرىء... على ما يطابق غريزته، ويوافق نخيرته»[٢]. وقيل لوراق: «ما السرور؟ قال: جلود واوراق، وحبر براق، وقلم مشاق»[٣].

نلاحظ مما سبق أن انتشار صناعة الورق كانت ذات أثر فعال في ازدهار العلوم وازدياد الطلب على الورق والكتب وأدوات الكتابة، فانتشرت لذلك حوانيت الوراقين واسواقهم في بغداد ومدن العراق الاخرى، والتي لم يقتصر دورها على نسخ وبيع وتوفير الكتب وأدوات الكتابة بل تعدتها لتقوم بمهمة المكتبة العامة التي يفد اليها الطلاب والناس للاطلاع. في الوقت الذي كان فيه الوراق عالماً مشاركاً لا ينشد الربح المادي فقط. فكان معظم الوراقين من العلماء الذين امتهنوا الوراقة لما توفره له من القراءة والاطلاع، فساهم هؤلاء بحوانيتهم في توفير مستلزمات التعليم وتوفير الكتب ونشرها. فكان اثرهم فاعلاً في حفظ التراث ودفع عجلة التقدم العلمي. وكانت حوانيتهم واسواقهم صورة بارزة من صور الحياة وعنصراً خطير الاثر في الحياة العلمية والادبية.

---

(١) محمود الوراق، ديوان، ص١٢ (مقدمة المحقق)؛ الصولي، أدب الكتاب، ص٩٧؛ الخطيب البغدادي، الجامع، ج١، ص٣٩٠ ـ ٣٩١؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص١٠٦، وانظر: أبو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي، اللطف واللطائف، تحقيق محمود عبدالله الجادر، ط١، مكتب دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٤م، ص٥٥، سيشار له تالياً (الثعالبي، اللطف).

(٢) محمود الوراق، ديوان، ص١٣ (مقدمة المحقق)؛ الصولي، أدب الكتاب، ص٩٥؛ الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص١٠٦؛ السمعاني، أدب، ص١٦٣.

(٣) محمود الوراق، ديوان، ص١٤ (مقدمة المحقق).

ثالثاً: الكتب والمكتبات:

١ ـ القيمة الادبية للكتاب:

يبدو اهتمام علماء وأدباء العصر العباسي الأول بالكتاب واضحاً من خلال اقوالهم وافعالهم، فقد شملوه بكل رعاية، ووضعوه موضع التقدير والاجلال، فكثيراً ما نجد احدهم يتحدث عن الكتاب «وكأنه يتحدث عن صديق نما ودُّه وزاد اخلاصه، أو حبيب طال بعده وكثر الشوق اليه، أو رائد يقود المتكلم للطريق المستقيم، ويأخذ بيده إلى الغاية الرشيدة»[١]. حدث أحمد بن عمران قال: «كنت عند أبي ايوب أحمد بن محمد بن شجاع وقد تخلف في منزله، فبعث غلاماً من غلمانه إلى أبي عبدالله بن الاعرابي صاحب الغريب يسئله المجيء اليه فعاد اليه الغلام فقال: سألته ذلك فقال لي: عندي قوم من الاعراب فاذا قضيت أربي معهم اتيت. قال الغلام: وما رأيت عنده احداً الا أن بين يديه كتباً ينظر فيها، فينظر في هذا مرة، وفي هذا مرة. ثم ما شعرنا حتى جاء فقال له أبو أيوب: يا أبا عبدالله، سبحان الله العظيم تخلفت عنا وحرمتنا الانس بك، ولقد قال لي الغلام انه ما رأى عندك احداً، وقلت انت مع قوم من الاعراب فاذا قضيت اربي معهم اتيت. فقال ابن الاعرابي (ت ٢٣١هـ/ ٨٥٤م):

لنــا جلسـاء مــا نمل حديثهم	امينون مامونون غيباً ومشهداً
اذا مــا خلونا كان خير حديثهم	معيناً على نفي الهموم مؤيـدا
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى	وعقلاً وتأديبا ورأيـا وسؤددا
فلا ريبةٌ تخشى ولا سوء عشرة	ولا نتـقي منهم لساناً ولا يداً
فان قلت: امواتٌ فلست بكاذب	وإن قلت احياءٌ فلست مفندا[٢]

---

(١) أحمد شلبي، التربية، ص١٤١.

(٢) ابن عبدالبر، جامع، ج٢، ص٢٠٢؛ ابن عبدالبر، بهجة، ج١، ص٥١.

وقيل لابن المبارك: «يا ابا عبدالرحمن لو خرجت فجلست مع اصحابك، قال: اني إذا كنت في المنزل جالست اصحاب محمد ﷺ، يعني النظر في الكتب»[1]. وقيل له: «اذا صليت معنا، لِمَ لا تجلس معنا؟ قال: اذهب فاجلس مع التابعين والصحابة. قال: قلنا فاين التابعين والصحابة؟ قال: اذهب انظر في علمي، فادرك اثارهم واعمالهم»[2].

واسهب الجاحظ في الحديث عن اهمية الكتاب وقيمته، فقال: «والكتاب صامت ما اسكته، وبليغ ما استنطقته، ومن لك بمسامر لا يبتديك في حال شغلك، ويدعوك في اوقات نشاطك، ولا يحوجك إلى التجمل له والتذمم منه، ومن لك بزائر أن شئت جعل زيارته غِبّا وورده خِمساً، وإن شئت لزمك لزوم ظلك، وكان منك مكان بعضك... والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك، والصديق الذي لا يغريك، والرفيق الذي لا يملك، والمستميح الذي لا يسترشيك، والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق، ولا يعاملك بالمكر، ولا يخدعك بالنفاق ولا يحتال لك بالكذب. والكتاب هو الذي أن نظرت فيه اطال امتاعك، وشحذ طباعك، وبسط لسانك، وجوّد بنانك، وفخم الفاظك، وبجح نفسك، وعمر صدرك، ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك، وعرفت به شهر، ما لا تعرفه من افواه الرجال في دهر، مع السلامة من الغُرم، ومن كد الطلب ومن الوقوف بباب المكتسب بالتعليم، ومن الجلوس بين يدي من انت افضل منه خلقاً واكرم منه عرقاً،.... والكتاب هو الذي يطيعك بالليل كطاعته بالنهار ويطيعك في السفر كطاعته في الحضر، ولا يقبل بنوم ولا يعتريه كُلال السهر.... وهو المعلم الذي أن افتقرت لم يحقرك، وان قطعت المادة لم يقطع عنك الفائدة، وان عُزلت لم يدع طاعتك، وان هبت ريح اعدائك، لم ينقلب عليك»[3]. وقال

---

(١) ابو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تقييد العلم، تحقيق يوسف العش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٤٩م، ص١٢٦، سيشار له تالياً (الخطيب البغدادي، تقييد).

(٢) المصدر نفسه، ص١٢٦.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٥٠ ـ ٥٢؛ الخطيب البغدادي، تقييد، ص١٢١ ـ ١٢٢.

المأمون: «لا شيء اثر للنفس ولا اشرح للصدر، ولا اوفر للعرض، ولا اذكر للقلب، ولا ابسط للسان، ولا اشد للجنان، ولا اكثر وفاقاً ولا اقل خلافاً ولا ابلغ اشارة ولا اكثر عبارة من كتاب تكثر فائدته وتقل مؤونته وتسقط غائلته وتحمد عاقبته، وهو محدث لا يُمل وصاحب لا يخل وجليس لا يتحفظ ومترجم عن العقول الماضية والحكم الخالية والامم السالفة يحيي ما اماته الحفظ ويجدد ما اخلفه الدهر ويبرز ما حجبته الغباوة، ويصل إذا قطع الثقة، ويدوم إذا خان الملوك»[١]. وقال أبو الطيب المتنبي (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م):

أعز مكان في الدنا سرجُ سابحٍ وخيرُ جليس في الزمان كتاب[٢]

واتخذ بعضهم الكتاب واعظاً وانيساً في الوحشة. فكان عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله ابن عمر بن الخطاب (ت ١٨٤هـ/ ٨٠٠م)، يلزم المقابر كثيراً «فكان لا يخلو من كتاب يكون معه ينظر فيه، فقيل له في ذلك، فقال: انه ليس شيء اوعظ من قبر ولا أسلم من وحدة ولا آنس من كتاب»[٣]. وراى المأمون بعض ولده وبيده كتاب فقال: «ما هذا يا بني؟ فقال: بعض ما يشحذ الفطنة، ويؤنس في الوحدة. فقال المأمون: الحمد لله الذي رزقني ذرية يرى بعض عقله اكثر مما يرى بعين جسمه»[٤]. وقال الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م): «والكتاب. . . . نعم الانيس ساعة الوحدة»[٥]. وقال ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م):

جعلت كتبي انيسي من دون كل انيس

لانني لست ارضى إلا بكل نفيس[٦]

---

(١) الخطيب البغدادي، تقييد، ص١٢٤.

(٢) ابن طباطبا، الفخري، ص٦.

(٣) الجاحظ، الحيوان ج١، ص٦٢؛ الخطيب البغدادي، تقييد، ص١٤٢؛ ابن الجوزي، الصفوة، ج٢، ص١٢٢.

(٤) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص١١٨.

(٥) البيهقي، المحاسن، ص٦؛ الخطيب البغدادي، تقييد، ص١٢١.

(٦) الخطيب البغدادي، تقييد، ص١٤٣.

وودع رجل صديقاً له فقال: «استعن على وحشة الغربة بقراءة الكتب، فانها السن ناطقة وعيون رامقة»[١]. ومما قيل:

نعم المؤانس والجليس كتاب   تخلو به أن ملك الاصحاب

لا مغشياً ولا متكبراً   ونفاد منه حكمة وصواب[٢]

وكانت الكتب، ولا سيما إذا كانت نادرة، جيدة الخط فنية التجليد من انفس الهدايا واجملها وقعاً في النفس، إذا كان المُهدى له شخصاً ذا ثقافة عالية. فقد اهدى الجاحظ، كتاب سيبويه إلى محمد بن عبدالملك الزيات وزير المعتصم، وتسلم ابن الزيات الهدية قائلاً للجاحظ: «والله ما اهديت لي شيئاً احب إليَّ منه»[٣].

ويبدو أن هذا النوع من الهدايا كانت تقابله أموال من المهدى اليهم تقديراً لجهود المؤلفين من العلماء والأدباء. فقد روي عن أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م) انه ألف كتاباً في «غريب المصنف» اهداه إلى عبدالله بن طاهر فأمر له بالف دينار[٤]. واهدى الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، كتاب الحيوان إلى محمد بن عبدالملك بن الزيات وزير المعتصم فاعطاه خمسة آلاف دينار، واهدى كتاب البيان والتبين إلى أحمد بن أبي داود المعتزلي فاعطاه كذلك، واهدى كتاب الزرع والثمار والنخل إلى إبراهيم بن العباس الصولي فأعطاه مثلها[٥].

ويظهر الحرص على الكتب واقتنائها من خلال ممارسات البعض التي تُظهر مدى الاهتمام بالكتاب وقيمته العلمية والأدبية. فكان عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله (ت

---

(١) الخطيب البغدادي، تقييد، ص١٢٤.

(٢) ابن عبدالبر، جامع، ج٢، ص٢٠٣.

(٣) القفطي، إنباه، ج٢، ص٣٥١.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٥، ص٢١٩٩.

(٥) المصدر نفسه، ج٥، ص٢١١٧ ـ ٢١١٨؛ الذهبي، سير، ج١١، ص٥٢٩.

١٨٤هـ/ ٨٠٠م) ينزل المقبرة، ولا يكاد يُرى الا وفيْ يده كتاب يقرؤه[١]. وكان المأمون، ينام والكتب حول فراشه، ينظر فيها متى انتبه من نومه وقبل أن ينام[٢]. وعن أبي العباس المبرد النحوي (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)، قال: «ما رأيت احرص على العلم من ثلاثة: الجاحظ والفتح بن خاقان وإسماعيل بن إسحاق القاضي. فأما الجاحظ فإنه كان إذا وقع بيده كتاب قرأه من أوّله إلى آخره، أي كتاب كان. واما الفتح فكان يحمل الكتاب في خفة، فاذا قام من بين يدي المتوكل ليبول أو ليصل، اخرج الكتاب، فنظر فيه وهو يمشي حتى يبلغ الموضع الذي يريد، ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه إلى أن يأخذ مجلسه، واما اسماعيل بن اسحاق فاني ما دخلت عليه قط الا وفي يده كتاب ينظر فيه أو يقلب الكتب لطلب كتاب ينظر فيه»[٣].

ودخل الجاحظ على محمد بن اسحاق أمير بغداد بعد عزله عن الولاية وحوله الكتب فقال الجاحظ: «فما رأيته اهيب منه في تلك الحال»[٤]. ومما يروى أن الجاحظ والذي احب الكتب وابرز قيمتها وأعلى قدرها انها كانت سبباً في موته وذلك بوقوع مجلدات عليه، وكان من عادته أن يصفها قائمة كالحائط محيطة به وهو جالس وكان عليلاً فسقطت عليه فقتلته[٥].

وكان لأبي داود السجستاني المحدث (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، كم واسع وكم ضيق، فقيل له في ذلك، فقال: «الواسع للكتب والآخر لا احتاج اليه»[٦] وقال علي بن الجهم الشاعر (ت٢٤٩هـ/ ٨٦٣م): «اذا غشيني النعاس في غير وقت النوم تناولت كتاباً فأجد اهتزازي فيه

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٦٢؛ الخطيب البغدادي، تقييد، ص١٤٢؛ ابن الجوزي، الصفوة، ج٢، ص١٢٢.

(٢) الخطيب البغدادي، تقييد، ص١٢٤.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٥؛ ابن النديم، الفهرست، ص٢٣٠؛ ص٢٣٠؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٥، ص٢١٠١ ـ ٢١٠٢؛ الكتبي، فوات، ج٣، ص١٧٧ ـ ١٧٨.

(٤) ابن طباطبا، الفخري، ص٦؛ أحمد شلبي، التربية، ص١٤٣؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص٣٨٩ ـ ٣٩٠.

(٥) ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤٧؛ أحمد شلبي، التربية، ص١٤٣؛ ناجي معروف، اصالة، ص٤٦٧؛ حماده، المكتبات، ص٨١.

(٦) السمعاني، أدب، ص١١٧؛ ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٤٠٥؛ متز، الحضارة، ج١، ص٣٢٤.

من الفوائد والاريحية التي تعتادني وتعتريني من سرور الاستنباه وعز التبين أشد ايقاظاً من نهيق الحمار وَهَدَة الهدم، وإني إذا استحسنت كتاباً واستجدته رجوت فيه فائدة فلو تراني ساعة بعد ساعة انظر كم بقي من ورقة مخافة استنفاده، وانقطاع المادة من قبله، وإن كان الكتاب عظيم الحجم وكان الورق كبير القدر»[١]. وروى الحسن بن زياد اللؤلوي الفقيه (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، انه قال: «لقد غبرت لي اربعون عاماً ما قمت ولا نمت الا والكتاب على صدري»[٢]. وباع سند بن علي المنجم دابة والده بسرجها ولجامها باقل من ثلاثين ديناراً واشترى بها كتاب المجسطي[٣]. وتوفي العباس ثعلب النحوي سنة ٢٩١هـ/ ٩٠٣م وكان سبب وفاته «انه خرج من الجامع يوم الجمعة بعد العصر، وكان قد لحقه صمم لا يسمع الا بعد تعب، وكان في يده كتاب ينظر فيه في الطريق فقصدته فرس فالقته في هوة، فاخرج منها وهو كالمختلط، فحمل إلى منزله على تلك الحال وهو يتأوّه من رأسه فمات ثاني يوم»[٤].

وابلغ بعضهم في وصف الكتاب، فقال عبدالله بن المقفع (ت ١٤٢هـ/ ٧٥٩م): «كل مصحوب ذو هفوات والكتاب مأمون الغدرات»[٥]. وقال أبو حفص حرملة بن يحيى الحافظ (ت ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م): «يزاد للعالم عشرة اشياء.... والدوام على النظر في الكتب....»[٦]. وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ/ ٧٨٦م): «اجعل كتبك رأس مالِ، وما في حفظ ما في كتبك»[٧]. وقال بعضهم: «الكتب بساتين العلماء»[٨]. وقال

---

(١) البيهقي، المحاسن، ص١٤.

(٢) ابن عبدالبر، جامع، ج٢، ص٢٠٤.

(٣) ابن الداية، المكافاة، ص١٤١.

(٤) ابن خلكان، وفيات، ج١، ص١٠٤.

(٥) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص١١٧.

(٦) السمرقندي، تنبيه، ص٣٤٢.

(٧) المبرد، الكامل، ج١، ص٣٩٤.

(٨) البيهقي، المحاسن، ص٦.

الجـاحظ: «وخيـر الكتب مـا إذا أعدت النظـر فيـه زادك في حسـنه، واوقفك على حـدّة»[١]. وسئل عبدالله مـحمد بن اسماعيل البخاري «ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، عن دواء للحفظ، فقال: إدمـان النظر في الكتب»[٢]. وقال ابن حـزم (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م): «ولا سـبيل إلى حـفظ المرء لجميع علمه الذي يختص به، فـاذ لا سبيل إلى ذلك، فـالكتب نعم الخازن له إذا طلب، ولولا الكتب لضـاعت العلوم ولم توجـد.... فلولا شـهادة الكتب لاسـتـوت دعوى العـالم والجاهل....»[٣].

٢ ـ المكتبات وانواعها:

أ ـ المكتبات العامة:

ـ بيت الحكمة:

يبـدو أن المؤرخين اختلفـوا في تسمـيـة بيت الحِكمـة، فـاحيـاناً يطلق عليـه اسم خـزانة الحكمة[٤]، واحياناً اخـرى بيت الحكمة[٥]. والخزانة اسم المـوضع الذي يخزن فيـه الشيء[٦].

---

(١) الجاحظ، رسائل، ج٣، ص٤٢.

(٢) ابن عبدالبر، جامع، ج٢، ص٢٠٤.

(٣) ابن حزم، رسائل، ج٤، ص٧٧.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص٢٣٦، ٥٥٢؛ القـفطي، اخبار، ص١٦٩؛ ياقوت الحمـوي، معجم الادباء، ج٣، ص١٤٠٩؛ ابن خلكان، وفيـات، ج١، ص٨٤؛ ابن نباته، سرح، ص٢٤٢؛ القلقـشندي،صبح، ج١، ص٥٣٧.

(٥) ابن عبدربه، العقد، ج٢، ص٧؛ أبو داود، سليمان بن حسـان بن جلجل، طبقات الاطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سـيد، ط٢، مـؤسسة الرسـالة، بيروت ١٩٨٥م، ص٦٥، سيشـار له تالياً (ابن جلجل، طبـقات)؛ ابن النديم، الفـهـرست، ص٢٠٩، ٢٣٧، ٥٤١؛ ياقـوت الحمـوي، مـعـجم الأدباء، ج٤، ص١٦٣١؛ حـاجي خليفة، كشف، ج١، ص٦٨١.

(٦) ابو بكر مـحمد بن الحسن الازدي، جمـهرة اللغة، ٣ج، ط١، دار صادر، بيروت، د.ت، ج٢، ص٢١٨، سيشار له تالياً (الازدي، جمهرة اللغة)؛ ابن منظور، لسان، ج١٣، ص١٣٩.

فاستعملت للدلالة على المكان الذي حفظت فيه الكتب[١]. اما البيت فقد اطلق على المكان الذي يحفظ فيه مال الدولة، فلا يبعد أن يكونوا قد اطلقوا كذلك «بيت الحكمة» على المكان الذي حفظت فيه الكتب. اما كلمة الحكمة، فقد استعملت بمعنى فلسفة، فالظاهر انهم اطلقوا خزانة الحكمة، وبيت الحكمة على المكان الذي جُمعت فيه كتب الفلسفة التي نقلت عن الامم الاخرى[٢]. فالخزانة والبيت يراد بهما هنا المكان أو المحل الذي تجمع فيها الكتب بنظام معلوم ليُطالع فيها ويستفاد من علومها[٣].

ويبدو أن النواة الأولى لتأسيس بيت الحكمة كان في خلافة أبي جعفر المنصور (١٣٦ ـ ١٥٨هـ/ ٧٥٣ ـ ٧٧٤م)، بدليل انه قد جُمعت له كتب في الطب والنجوم والهندسة والاداب، وقد جمع المنصور هذه الكتب في خزانة كانت النواة الأولى لبيت الحكمة[٤]. فقد كان الخليفة المنصور «أول خليفة قرّب المنجمين وعمل باحكام النجوم، وأول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والاعجمية، بالعربية»[٥]. فقد امر بترجمة كتاب السند هند إلى العربية «وان يؤلف فيه كتاب تجده العرب اصلاً في حركات الكواكب»[٦]. وقام جورجيوس بن جبرائيل الطبيب المترجم (ت ١٥٢هـ/ ٧٦٩م)، بنقل كتباً كثيرة للمنصور من كتب اليونانين إلى العربية[٧]. وطلب المنصور من محمد بن اسحق (ت ١٥١هـ/ ٧٦٨م) تأليف كتاب في السيرة وقد وضعه في خزانته.[٨]

---

(١) الازدي، جمهرة اللغة، ج٢، ص٢، ٢١٨.

(٢) أحمد امين، ضحى، ج٢، ص٦٤؛ حماده، المكتبات، ص٦٩.

(٣) كوركيس عواد، «خزائن»، ص٢١٥.

(٤) سعيد اسماعيل، معاهد، ص٤٢٣؛ أحمد عقل، تمويل، ص٣٧.

(٥) السيوطي، تاريخ، ص٢٦٩؛ حماده، المكتبات، ص٥٣.

(٦) صاعد الاندلسي، طبقات، ص١٣٢ ـ ١٣٣.

(٧) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج٢، ص٣٧.

(٨) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١، ص٢٢١.

ويبدو انه من المرجح أن تأسيس بيت الحكمة كان في عهد الرشيد (١٧٠ ـ ١٩٣هـ/ ٧٨٦ ـ ٨٠٨م)، فقد روي «ان الرشيد ولىّ يوحنا بن ماسويه الطبيب المترجم (ت ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م)، ترجمة الكتب الطبية القديمة التي وجدها بانقرة وعمورية، وسائر بلاد الروم حين افتتحها المسلمون وسبوا سبيها»[١]. واوضح من هذا ما ذكره ابن النديم في ترجمة أبي سهل الفضل بن نوبخت الفارسي الاصل «انه كان في خزانة الحكمة لهارون الرشيد»[٢]. وفي موضع آخر «كان علان الشعوبي ينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمامون والبرامكة»[٣].

وقد بلغ بيت الحكمة ذروة ازدهاره في عصر المامون (١٩٨ ـ ٢١٨هـ/ ٨١٣ ـ ٨٣٣م)، إذ اولاه اهتماماً كبيراً فيما عرف عن حبه للعلم والعلماء، واخذ من مختلف العلوم بقسط، فقد اهتم بثقافات عديدة وسلك الكثير من الاساليب لتزويد هذه المكتبة بمختلف الكتب، فقد ارسل بعثات مختلفة إلى سائر البلاد للحصول على الكتب[٤]. فقد ذكر «ان المامون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات، وقد استظهر عليه المامون، فكتب إلى ملك الروم يساله الاذن في انفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم. فاجاب إلى ذلك بعد امتناع، فاخرج المامون لذلك جماعة. . . . فاخذوا مما وجدوا ما اختاروا فلما حملوه اليه امرهم بنقله

(١) صاعد الاندلسي، طبقات، ص١٠١؛ القفطي، اخبار، ص٢٤٩؛ ابن أبي اصيبعة، عيون، ج٢، ص١٢٤.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص٥٥٢؛ القفطي، اخبار، ص١٦٩.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص٢٠٩؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص١٦٣١.

(٤) صاعد الاندلس، طبقات، ص١٢٨؛ ابن العبري، مختصر، ص١٣٦؛ المقريزي، الخطط، ج٢، ص٣٥٧؛ حيدر أحمد الشهابي، تاريخ الأمير حيدر أحمد الشهابي (الغرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان)، علق على حواشيه مارون رعد، اشراف نظير عبود، ٤ج، دار الجيل، بيروت ١٩٩٣م، ج١، ص٢٣٠، سيشار له تالياً (الشهابي، تاريخ)؛ أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، ١٠ج، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٥م، ج٣، ص٢٤٥، سيشار له تالياً (احمد شلبي، موسوعة)؛ عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤م، ص١١٤، سيشار له تالياً (عمر فروخ، تاريخ العلوم).

فنقل»[١]. وقال حنين بن اسحاق الطبيب المترجم (ت ٢٦٠هـ/ ٨٧٣): «انه سافر إلى بلاد كثيرة، ووصل إلى اقصى بلاد الروم لطلب الكتب التي قصد نقلها»[٢]. وقال ابن نباته المصري في ترجمة سهل بن هارون (ت ٢١٥هـ/ ٨٣٠م): «ان المأمون جعله كاتباً على خزانة الحكمة، وهي كتب الفلاسفة التي نقلت للمأمون من جزيرة قبرس، ذلك أن المأمون لما هادن صاحب هذه الجزيرة ارسل اليه يطلب خزانة كتب اليونان، وكانت مجموعة عندهم في بيت لا يظهر عليه احد ابداً، فجمع صاحب هذه الجزيرة بطانته وذوي الرأي واستشارهم في حمل الخزانة إلى المأمون، فكلهم اشاروا بعدم الموافقة، الا مطراناً واحداً، فانه قال: الرأي أن تعجل بانفاذها اليه، فما دخلت هذه العلوم العقلية على دولة شرعية الا افسدتها واوقعت بين علمائها. فارسلها اليه واغتبط بها المأمون، وجعل سهل بن هارون خازناً لها»[٣]. وارسل المأمون يوحنا بن ماسويه للبحث عن كتب الاوائل واحضارها لتنقل إلى العربية ومنها كتاب السياسة في تدبير الرياسة، وهو كتاب ارسطوطاليس المعروف «بسر الاسرار»[٤].

وبالاضافة إلى الكتب العلمية وكتب السياسة، فقد احتوت مكتبة بيت الحكمة على كتب النحو، فقد اهتم الخليفة المأمون بعلم النحو فطلب من الفراء أن يؤلف له كتاباً يجمع فيه اصول النحو وما سمع من العرب، فصنف الفراء كتاب «الحدود» فامر المأمون به ليوضع في الخزائن[٥]. ومما احتوت عليه مكتبة بيت الحكمة كتاب بخط عبدالمطلب بن هاشم في جلد من أدم. «فيه ذكر حق عبدالمطلب بن هاشم من اهل مكة على فلان بن فلان الحميري من أهل وزل صنعاء، عليه ألف درهم فعنه كيلاً بالحديدة، ومتى دعاه بها اجابه، شهد الله

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص٥٠٥؛ ابن أبي أصيبعة، عيون، ج٢، ص١٤٣؛ حاجي خليفة، كشف، ج١، ص٦٨١.

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج٢، ص١٤٣.

(٣) ابن نباته، سرح، ص٢٤٢.

(٤) ابن جلجل، طبقات، ص٦٧؛ حماده، المكتبات، ص٦٣.

(٥) ابن الانباري، نزهة، ص٨٢؛ القفطي، إنباه، ج٤، ص١٦؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٢٧٢ _ ٢٧٣.

والملكان»[١]. وكانت تحتوي أيضاً على المصورات والخرائط الجغرافية والفلكية، فقد ذكر المسعودي نموذج من هذه المصورات، فقال: «وفي الصورة المأمونية التي عملت للمأمون اجتمع على صنعها عدة من حكماء أهل عصره صور فيها العالم بافلاكه ونجومه وبره وبحره وعامره وغامره ومساكن الامم والمدن وغير ذلك»[٢]. وعن كثرة محتويات بيت الحكمة من الكتب والمؤلفات والاسفار، يقول القلقشندي: «فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة ولا يقوم عليه نفاسه»[٣].

ويبدو أن خزانة بيت الحكمة استمرت في العمل وتأدية رسالتها بعد المأمون، فمن اخبار بيت الحكمة التي يرد فيها ذكر الأمين والمتوكل «ان يوحنا بن ماسويه ظل اميناً على الترجمة في زمن الرشيد والأمين والمأمون واستمر إلى ايام المتوكل»[٤]. واختار المتوكل حنين بن اسحق للترجمة وائتمن عليها «ووضع له كتاباً نحارير[٥] عالمين بالترجمة»[٦].

ويظهر أن بيت الحكمة اهمل بعد المتوكل، حيث فقدت الشيء الكثير من اهميتها مع توالي الزمن[٧]، ولكنها بقيت ـ فيما يبدو ـ حتى استولى المغول على بغداد عام

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص٣٠.

(٢) ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، التنبيه والاشراف، لجنة تحقيق التراث، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨١م، ص٤٦، سيشار له تالياً (المسعودي، التنبيه).

(٣) القلقشندي، صبح، ج١، ص٥٣٧.

(٤) ابن جلجل، طبقات، ص٦٥؛ صاعد الاندلسي، طبقات، ص١٠١؛ القفطي، الاخبار، ص٢٤٩؛ ابن أبي أصيبعة، عيون، ج٢، ص١٢٤؛ ابن العبري، المختصر، ص١٣١.

(٥) النحرير، الحاذق الماهر، العاقل، المجرب، وقيل الفطن المتقن في كل شيء وجمعه النحارير. ابن منظور، لسان، ج٥، ص١٩٧.

(٦) ابن جلجل، طبقات، ص٦٩؛ القفطي، اخبار، ص١١٩.

(٧) ناجي معروف، اصالة، ص٤٤٤؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص٤٢٨؛ حماده، المكتبات، ص٦٩.

٦٥٦هـ/١٢٥٨م[١]، فقد ذكر القلقشندي: «ان هذه الخزانة ظلت حتى دهم التتر بغداد، وقتل ملكهم هولاكو، المستعصم آخر خلفاء العباسيين، فذهبت خزانة الكتب مما ذهب، وذهبت معالمها، وأعفت آثارها»[٢].

ولم تشر المصادر إلى موقع بيت الحكمة إن كان جزءاً من قصر الخليفة، أو كان بناية مستقلة، غير أنه ومن المرجح انه ألحق بقصر الخليفة بفناءٍ خاص منفرد[٣]، ففي نص أشار إلى أن داراً تتكون من عدد من الحجر والخزائن وفيها عدد من الوراقين الذين كانوا يملون على ناس لا يمكن ضبط عددهم لكثرتهم مما يدل على أن هذه الدار كانت مكتبة عامة[٤].

ويبدو أن بيت الحكمة كان مجموعة خزائن، لكل مجموعة من الكتب خزانة[٥]، ويؤكد على هذا ما قاله ابن نباته عند الكلام عن سهل بن هارون: أن المأمون جعله كاتباً على خزانة الحكمة وهي كتب الفلاسفة التي نُقلت للمأمون من جزيرة قبرص[٦]. ويغلب الظن كذلك على أن كتب الرشيد قد أُفردت في خزانة، وكتب المأمون قد افردت في اخرى، فنجد استعمال خزانة الرشيد مرة وخزانة المأمون مرة اخرى[٧].

فقد ذكر ابن النديم «ان ابا سهل الفضل بن نوبخت كان في خزانة الحكمة لهارون

---

(١) حسن إبراهيم، تاريخ، ج٢، ص٣٤٨؛ أحمد امين، ضحى، ج٢، ص٦٦؛ محمد منير، تاريخ التربية، ص١٨١.

(٢) القلقشندي، صبح، ج١، ص٥٣٧؛ أحمد عقل، تمويل، ص٣٩؛ أحمد شلبي، التربية، ص١٨٥.

(٣) احمد امين، ضحى، ج٢، ص٦٤؛ ناجي معروف، اصالة، ص٤٤١؛ سعيد اسماعيل، معاهد، ص٤٢٧.

(٤) ابن الانباري، نزهة، ص٨١؛ القفطي، إنباه، ج٤، ص١٦.

(٥) فاروق عمر، الخليفة المجاهد، ص٩٤.

(٦) ابن نباته، سرح، ص٢٤٢.

(٧) ناجي معروف، اصالة، ص٤٤١.

الرشيد»[١]. وكان محمد بن موسى الخوارزمي عالم الرياضيات (ت بعد ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م) «منقطعاً إلى خزانة كتب الحكمة للمأمون»[٢]. وكان في خزانة المأمون كتاب بخط يد عبدالمطلب بن هاشم[٣].

وقد ظهر أن خزانة بيت الحكمة ضمت كتباً بلغات اليونان، والفرس، والهند، واللغة القبطية، والآرامية، وقد صُنفت بحسب موضوعاتها، واختير لها المترجمون ممن اتقنوا هذه اللغات، فقد كان بيت الحكمة يضم غرفاً خاصة للترجمة والنسخ والمطالعة وحلقات الدراسة[٤].

ويبدو أن الاهتمام بفهرسة الكتب وتنظيمها كان معروفاً في بيت الحكمة، بحيث يسهل تناولها واستعمالها، فقد قال الحسن بن سهل الوزير (ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م): أن المأمون قال له يوماً: «اي كتب العجم اشرف؟ فذكرت كثيراً منها، ثم قلت خاويذان خرد (يتيمة السلطان) يا امير المؤمنين، فدعا المأمون بفهرست كتبه وجعل يقلبه فلم ير لهذا الكتاب ذكراً. فقال: كيف يسقط ذكر هذا الكتاب من الفهرست»[٥]. وقد تؤكد لنا هذه الرواية أن الكتب كانت توضع على رفوف مثبتة بجوار الجدران لتوضع فيها الكتب الواحد فوق الآخر، بحيث تكون المجلدات ذات الحجم الكبير في الاسفل وذات الحجم الاصغر في الاعلى[٦].

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص٥٥٢.

(٢) القفطي، اخبار، ص١٨٧؛ اسعد طلس، التربية، ص٩٨؛ ناجي معروف، اصالة، ص٤٤٤.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص٣٠.

(٤) أحمد امين، ضحى، ج٢، ص٦٣؛ عطية القوصي، الحضارة الاسلامية، دار الثقافة العربية، القاهرة ١٩٨٥م، ص١٤٩، سيشار له تالياً (القوصي، الحضارة)؛ عبدالله العمري، تاريخ العلم، ص٣٤؛ محمد الحسيني عبدالعزيز، الحياة العلمية في الدولة الاسلامية، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٨٥م، ص٥٩، سيشار له تالياً (محمد الحسيني، الحياة).

(٥) أحمد شلبي، التربية، ص١٥٣؛ حماده، المكتبات، ص١٥٤؛ أحمد عقل، تمويل، ص٣٩.

(٦) حماده، المكتبات، ص١٥٧؛ الحسيني، الحياة، ص٥٩؛ أحمد عقل، تمويل، ص٣٩.

ومن خلال النصوص المختلفة التي اشارت اليها المصادر يبدو لنا أن ادارة وتنظيم بيت الحكمة كانت تتم من خلال مدراء وموظفين مختصين، يقومون بالاشراف عليه وتدبير اموره. فكان المدير أو ما يسمى بصاحب بيت الحكمة والذي يقوم بادراته والى جانبه الامناء على الترجمة أو ما أطلق عليهم اسم الخزنة الذين يقومون بالاشراف على خزائن الكتب واعمال الترجمة في كل خزانة كلٌ حسب معرفته باللغة المنقول عنها، ويساعدهم عدد من الكتاب[١]. وممن تولى ادارة بيت الحكمة أبو سهل الفضل بن نوبخت، فقد عهد اليه الرشيد للقيام بشؤون خزانة كتب الحكمة[٢] وكان الفضل يتقن اللغة الفارسية فولاه الرشيد نقل ما يجده من كتب الحكمة الفارسية إلى اللغة العربية[٣]. ومنهم أيضاً سهل بن هارون (ت ٢١٥هـ/ ٨٣٠م) الذي يُذكر عنه «انه كان متحققاً بخدمة المأمون وصاحب خزانة الحكمة له»[٤]. ويرد اسم سعيد بن هارون الكاتب كشريك لسهل بن هارون في بيت الحكمة ويصفه ابن النديم بقوله: «انه كان بليغاً مترسلاً»[٥]. ويذكر ابن النديم شخصاً آخر هو سَلْمْ على اعتبار انه «صاحب بيت الحكمة مع سهل بن هارون وأن له نقولاً من الفارسي إلى العربي»[٦]. وكان سَلْمْ احد الذين اخرجهم المأمون لجلب الكتب المخزونة ببلاد الروم بعد المراسلات مع ملكهم[٧]. ومنهم أيضاً يوحنا بن ماسويه الطبيب (ت ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م) الذي جعله الخليفة المأمون رئيساً لبيت الحكمة سنة ٢١٥هـ/ ٨٣٠م[٨]. ويورد ابن عبد ربه في العقد

---

(١) القفطي، اخبار، ص٢٤٩.

(٢) المصدر نفسه، ص١٦٩.

(٣) المصدر نفسه، ص١٦٩؛ ناجي معروف، اصالة، ص٤٤٢.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص٢٣٦؛ حماده، المكتبات، ص٦٦.

(٥) ابن النديم، الفهرست، ص٢٣٧.

(٦) المصدر نفسه، ص٢٣٧.

(٧) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج٢، ص١٤٣.

(٨) ابن جلجل، طبقات، ص٦٥.

الفريد اسم سليمان كصاحب لبيت الحكمة فقد «دخل جعفر بن يحيى في زي العامة وكتمان النباهة على سليمان صاحب بيت الحكمة ومعه ثُمامة بن أشرس، فقال ثُمامة: هذا أبو الفضل، فنهض اليه سليمان فقبّل يده وقال له: بأبي انت، ما دعاك إلى أن تحمل عبدك هذه المنّة التي لا اقوم بشكرها، ولا اقدر أن أكافيء عليها»[١]. ويبدو أن سليمان هذا كان صاحباً لبيت الحكمة في ايام الرشيد إذا ما علمنا أن وفاة جعفر بن يحيى كانت في ١٨٧هـ.

أما الامناء على الترجمة فكان منهم سهل بن هارون (ت ٢١٥هـ/ ٨٣٠م)، فبالاضافة إلى كونه صاحباً لبيت الحكمة فقد كان امينا على ترجمة الكتب التي جلبها الخليفة المامون من قبرص وقد جعله خازناً لها[٢]. ومنهم أيضاً يوحنا بن ماسويه الذي قلده الرشيد ترجمة الكتب الطبية التي وجدها بانقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين إفتتحها المسلمون، ووضعه اميناً على ترجمة هذه الكتب، وقد «ظل اميناً على الترجمة في زمن الرشيد والأمين والمامون واستمر إلى ايام المتوكل»[٣]، إلى جانب رئاسته لبيت الحكمة في عهد المامون وما يليه. واحضر المأمون حنين بن اسحق (ت ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م)، وكان فتي السن وامره بنقل ما يقدر عليه من كتب الحكمة اليوناني إلى العربي واصلاح ما ينقله غيره[٤]. وقد كان النقل يتم سابقاً

---

(١) ابن عبدربه، العقد، ج٢، ص٧.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص٢٣٦؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٣، ص١٤٠٩؛ ابن نباته، سرح، ص٢٤٢؛ ابن وادران، تاريخ العباسيين، ص٤٤٨.

(٣) ابن جلجل، طبقات، ص٦٥؛ صاعد الاندلسي، طبقات، ص١٠١؛ القفطي، اخبار، ص٢٤٩؛ ابن أبي أصيبعة، عيون، ج٢، ص١٢٤؛ ابن العبري، المختصر، ص١٣١.

(٤) ابن جلجل، طبقات، ص٦٩؛ القفطي، اخبار، ص١١٨؛ ابن أبي أصيبعة، عيون، ج٢، ص١٤٣؛ شمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري، تاريخ الحكماء (نزهة الارواح وروضة الافراح)، تحقيق عبدالكريم أبو شويرب، ط١، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، طرابلس، ١٩٨٨م، ص٢٩٥، سيشار له تالياً (الشهرزوري، تاريخ).

من اليونانية إلى السريانية ومنها إلى العربية، فلما اتى حنين جعل النقل يتم مباشرة من اليونانية إلى العربية[١].

وكان يساعد المترجمين عدد من الكتاب، فقد عين هارون الرشيد عدداً من الكتاب الحاذقين للكتابة بين يدي يوحنا بن ماسويه[٢]. ووضع المتوكل لحنين بن اسحاق كُتّاباً عالمين بالترجمة كاسطفين بن بسيل، وحبيش بن الحسن الاعسم، وموسى بن أبي خالد الترجمان، ويحيى بن هارون»[٣]. كما كان لحنين كاتباً يعرف بالازرق، وقد قال ابن أبي أصيبعة: «وقد رأيت اشياء كثيرة من كتب جالينوس وغيره بخطه»[٤].

وكان في بيت الحكمة عدد من النساخ الذين يعملون على استنساخ الكتب الجديدة التي لا يوجد منها نسخ في المكتبة، ولا بد من تقيدهم بالدقة وعدم الحذف أو الزيادة، ولا بد أيضاً انهم يُختارون من ذوي الخطوط الجميلة والمعرفة بشؤون النسخ والنقل[٥]، فكان علان الشعوبي - فارسي الاصل - «منقطعاً إلى البرامكة وينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمامون والبرامكة»[٦]. ويبدو انه كان مشرفاً على النسخ كله في بيت الحكمة، وهو المسؤول عن تزويد المكتبة بالكتب الجديدة، وما يلزمها من اوراق ومحابر ونحوه. فقد اورد ياقوت الحموي «ان علاناً هذا كان وراقاً وله دكان يبيع فيه الكتب وينسخ».[٧]

---

(١) حمادة، المكتبات، ص٦٣.

(٢) ابن جلجل، طبقات، ص٦٥؛ القفطي، اخبار، ص٢٤٩؛ يوسف العش، تاريخ عصر الخلافة العباسية، راجعه ونقحه محمد أبو الفرج العش، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م، ص٢٣٨، سيشار له تالياً (يوسف العش، تاريخ).

(٣) ابن جلجل، طبقات، ص٦٩؛ القفطي، اخبار، ص١١٨.

(٤) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج٢، ص١٤٤؛ أحمد شلبي، التربية، ص١٦٦؛ حماده، المكتبات، ص٦٤.

(٥) ناجي معروف، اصالة، ص٤٤٣.

(٦) ابن النديم، الفهرست، ص٢٠٩؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص١٦٣١.

(٧) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص١٦٣٢؛ رفاعي، عصر، ج١، ص٣٧٥.

ويبدو أن بيت الحكمة كان يحوي فريقاً من المجلدين لتجليد الكتب وحفظها حتى لا تتأثر بكثرة الاستعمال، فقد ذُكر «أن أبا الحريش كان يُجلد في خزانة الحكمة للمامون»[١].

وترد اسماء لبعض الاشخاص الذين عملوا في بيت الحكمة بصفة رسمية كعمر بن الفرخان الطبري احد رؤساء التراجمة والمتخصص بعلم حركات النجوم[٢] والحجاج بن مطر (ت ٢١٤هـ/ ٨٢٩م) الذي ارسله المامون لجلب الكتب والمخطوطات[٣]. وابو زكريا يحيى بن عدي بن حميد المنطقي الذي عمل مترجماً وكان يجيد السريانية وعنها نقل إلى العربية[٤]. ومحمد بن موسى الخوارزمي عالم الرياضيات المعروف «وقد كان منقطعاً إلى خزائن كتب الحكمة للمامون»[٥]. ويعقوب بن اسحاق الكندي الفيلسوف (ت ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م)، الذي كان يراجع ما يترجمه العاملون تحت امرته فيصحح وينقح ترجماتهم[٦]. ويحيى بن أبي منصور الموصلي، منجم المامون وقد كان احد خزنة بيت الحكمة[٧]. وهناك أبو يعقوب اسحاق ابن حنين العبادي (ت ٢٩٨هـ/ ٩١٠م)، الذي كان ينقل كتب الحكمة من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية[٨]. وابناء موسى بن شاكر وعلى الاخص محمد وأحمد والحسن[٩].

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص٣٥.

(٢) ابن صاعد، طبقات، ص١٤٢؛ القفطي، اخبار، ص١٦١.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص٥٠٥؛ ابن أبي أصيبعة، عيون، ج٢، ص١٤٣؛ حاجي خليفة، كشف، ج١، ص٦٨١؛ ناجي معروف، اصالة، ص٤٤٣.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص٥٣٤ ـ ٥٣٥؛ ابن أبي أصيبعة، عيون، ج٢، ص٢٢٧؛ ناجي معروف، اصالة، ص٤٤٧.

(٥) القفطي، اخبار، ص١٨٧؛ أبو زيد شلبي، تاريخ، ص٣٦١؛ اسعد طلس، التربية، ص٩٨.

(٦) القفطي، اخبار، ص٢٤١؛ ابن أبي أصيبعة، عيون، ج٢، ص١٧٩.

(٧) القفطي، اخبار، ص٢٣٤؛ ناجي معروف، اصالة، ص٤٤٧.

(٨) ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٢٠٥.

(٩) القفطي، اخبار، ص٢٠٨.

مما سبق يمكننا أن نتبين الدور الذي لعبته مؤسسة بيت الحكمة بما احتوته من مدراء وموظفين، وبما احتوته من كتب علمية وادبية نادرة، حرص الخلفاء على جلبها من مختلف المناطق والاماكن وبمختلف اللغات، والانفاق السخي على ما كان فيها من مدراء وموظفين كانوا يقومون بالاشراف على شؤونها وادارتها وتنظيمها، وقد تم اختيارهم من ذوي العلم والمعرفة، الامر الذي جعل من بيت الحكمة مكاناً لتلقي العلم ومؤسسة علمية ساهمت في نشر العلم والثقافة، وفي ترجمة العديد من المخطوطات والكتب الاجنبية النادرة، على يد مترجمين حاذقين كان لهم الدور الابرز في الحفاظ على التراث ونشره وتوفير الكتب للمريدين من طلبة العلم مما وفّر الجهد الكبير في البحث عن مصادر تلقي الثقافة والعلم، فكانت الموئل الذي لجأ اليه العديد من العلماء، والمكان الانسب للبحث، والدراسة، والترجمة، والتأليف.

ب ـ مكتبات بين العامة والخاصة:

كانت هناك مكتبات خاصة يملكها بعض العلماء والادباء والاعيان، وقد انشأوها في قصورهم وبيوتهم، ومن اموالهم الخاصة بغية أن ينهلوا منها مختلف المعارف التي يحتاجون اليها، الا انهم لم يقصروا نفعها على انفسهم بل اتاحوا للآخرين الاستفادة منها مما قد نسميه مكتبات شبه عامة أو مكتبات ما بين العامة والخاصة. وقد كان لها دور كبير في استقبال الوافدين عليها لتلقي العلم بما توفر فيها من كتب، ومن أمثلة هذه المكتبات:

ـ مكتبة اسحق بن إبراهيم الموصلي (ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م): المعروف بروايته للشعر وعلمه بالأخبار وحذقه بالغناء، وكان الخليفة المأمون يقول: «لولا ما سبق لاسحاق على ألسنة الناس وشهر به من الغناء عندهم لوليته القضاء بحضرتي، فإنه اولى به واحق واعف واصدق

تديناً وامانة من هولاء القضاة واكثر»[١] وقد كان شديد الولع بالكتب وجمعها، فقد ذكر انه جمع لنفسه «خزانة كتب كبيرة من كل فن»[٢]. وقد قال: «لما خرجنا مع الرشيد إلى الرقة قال لي الاصمعي: كم حملت معك من كتبك؟ قلت: تخففت، فحملت ثمانية احمال، ستة عشر صندوقاً، قال: فعجبت فقلت: كم معك يا ابا سعيد؟ قال: ما معي الا صندوق واحد، قلت ليس الا؟ قال: وتستقل صندوقاً من حق!»[٣]. وقال أبو العباس ثعلب: «رأيت لاسحاق الموصلي الف جزء من لغات العرب وكلها بسماعه»[٤]، وذكر ابن النديم نص يبين فيه بأن مكتبة اسحاق الموصلي كانت مكتبة عامة وذلك ما رواه فضل بن محمد اليزيدي، قال: «كنت عند اسحق بن إبراهيم الموصلي فجاءه رجل فقال: يا أبا محمد اعطني كتاب الاغاني، فقال: أيما كتاب؟ الكتاب الذي صنعته أو الكتاب الذي صنف لي؟»[٥].

- مكتبة الفتح بن خاقان (ت ٢٤٧هـ/ ٨٦١م):

وهو وزير الخليفة المتوكل ومستشاره الخاص؛ وكان شاعراً فصيحاً مفوهاً، واسع الاطلاع مولعاً بالقراءة[٦]، حتى قيل انه كان يحضر لمجالسة المتوكل فاذا اراد أن يقوم إلى الموضأ اخرج كتاباً فلا يزال يطالعه في ممره وعوده[٧]. وقد كان له خزانة كتب عهد بجمعها

---

(١) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٢، ص٥٩٥؛ ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٣٢٨؛ محمود أحمد الحفني، اسحاق الموصلي الموسيقي النديم، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥، ص٣، ١٧١، سيشار له تالياً (محمود الحفني، اسحاق الموصلي).

(٢) ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٣٢٨.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٦، ص٣٤٠.

(٤) ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٢٠٤؛ أحمد امين، ضحى، ج٢، ص٦٦.

(٥) ابن النديم، الفهرست، ص٢٧٢.

(٦) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٥، ص٢١٥٧؛ الكتبي، فوات، ج٣، ص١٧٧.

(٧) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٥؛ ابن النديم، الفهرست، ص٢٣٠؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٥، ص٢١٠١ ـ٢١٠٢.

لعلي بن يحيى المنجم «لم يُرَ أعظم منها كثرة وحسناً»[١]. يقول ابن النديم: «ان علي بن المنجم «اتصل بالفتح بن خاقان، وعمل له خزانة حكمه، نقل اليها من كتبه، ومما استكتبه للفتح. اكثر مما اشتملت عليه خزانة حكمه قط»[٢]. وكان يحضر لهذه المكتبة فصحاء الاعراب وعلماء البصرة والكوفة للقراءة والاطلاع[٣].

- مكتبة علي بن يحيى المنجم (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م):

من خواص المتوكل وندمائه والمتقدمين عنده، وكان شاعراً وراوية للاخبار وعالماً بالفلك[٤]. وقد اشتهر بجمعه لخزانة كتب كبيرة جمع فيها كتباً من مختلف العلوم والفنون، روى ياقوت الحموي: «انه كان بكركر من نواحي القفص بالقرب من بغداد ضيعة نفيسة لعلي ابن يحيى بن المنجم وقصر جليل فيه خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة يقصدها الناس من كل بلد فيقيمون ويتعلمون فيها صنوف العلم، وكانت الكتب مبذولة في ذلك لهم، والصيانة مشتملة عليهم والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى، فقدم أبو معشر المنجم من خُراسان يريد الحج وهو إذ ذاك لا يحسن كبير شيءٍ من النجوم، فوُصفت له الخزانة فمضى ورآها فهاله امرها، فأقام بها وأضرب عن الحج وتعلم فيها علم النجوم وأغْرَق فيه حتى ألحد، وكان ذلك آخر عهده بالحج وبالدين الاسلامي ايضاً»[٥]. وفي هذا اشارة إلى تنوع معارفها وغزارة الكتب المتعلقة بالتنجيم، حيث اهتمام علي بن يحيى المنجم.

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص٢٣٠؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٥، ص٢١٥٧؛ الكتبي، فوات، ج٣، ص١٧٧.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص٢٧٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٣٠؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٥، ص٢١٥٧؛ الكتبي، فوات، ج٣، ص١٧٧؛ ناجي معروف، اصالة، ص٤٥٣؛ اعتماد القصيرّي، فن التجليد، ص٢٠.

(٤) ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٣٧٣؛ كوركيس عواد، «خزائن»، ص٢١٨.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٥، ص٢٠١٤.

مما سبق يمكننا ملاحظة ما يلي:

- بروز نوع من المكتبات انشأها بعض العلماء والادباء والاعيان لم يقتصر دورها على خدمة صاحبها فقط، انما كانت مفتوحة ابوابها لطالبي العلم ممن يحتاجون اليها، مما قد نطلق عليه مكتبات شبه عامة.

- بروز دور هذه المكتبات في استقبال طلاب العلم من مختلف المناطق، وقد قام اصحابها بالانفاق عليها وتزويدها بالكتب النادرة والانفاق على من يأتي اليها للاستفادة منها والمطالعة فيها.

- احتواء هذه المكتبات على آلاف الكتب، الامر الذي يفسر قدرة اصحابها المالية وشغفهم بالعلم وطلبه.

- حرص بعض العلماء والاعيان على نشر العلم بما وفروه من كتب نادرة في مكتباتهم وبما اتاحوا به الفرصة لطالبي العلم للاستفادة من مكتباتهم وما توفر فيها من كتب، مما يشير إلى تكافل المجتمع الاسلامي، وشعور الفرد فيه بانه مسؤول عن نشر العلم والمعرفة.

٢- المكتبات الخاصة:

يبدو انه ولاتساع النهضة العلمية والثقافية في بغداد ومدن العراق الاخرى منذ منتصف القرن الثاني الهجري وازدهارها خلال القرن الثالث الهجري، اقبل بعض العلماء والادباء ورجال الدولة على انشاء المكتبات الخاصة في قصورهم وبيوتهم وقد زودوها بالكتب من مختلف العلوم. وقد حرص هؤلاء على اقتناء الكتب تقديراً منهم لقيمة العلم، فلم يبخلوا ببذل الاموال في شراء الكتب النفيسة القيمة يجلبونها من مختلف البلاد، فكان من الصعب أن تجد عالماً أو اديباً دون أن تكون له مكتبة يرجع اليها في دراسته واطلاعه. وقد اشارت المصادر إلى العديد من هذه المكتبات منها:

ـ مكتبة أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ/ ٧٧٠م)، احد القراء السبعة.

قال أبو عبيدة: «كان أبو عمرو اعلم الناس بالقرآن والعربية والشعر وايام العرب، وكانت دفاتره ملء بيت إلى السقف»[١].

ـ مكتبة سفيان الثوري (ت ١٦١هـ/ ٧٧٧م) الذي أوصى بدفن كتبه، «وكان ندم على أشياء كتبها عن قوم»[٢]. قال أبو عبدالرحمن الحارثي: «دفن سفيان كتبه فكنت اعينه عليها، فقلت: يا ابا عبدالله: في الركاز الخمس[٣]، فقال: خذ ما شئت، فعزلت منها شيئاً كان يحدثني منه»[٤]. وقال عيسى بن يونس الكوفي الحافظ (ت ١٨٧هـ/ ٨٠٢م): «مات سفيان الثوري مستخفياً قد جعل قميصه خريطة قد ملأها كتباً»[٥].

ـ مكتبة معاذ بن هشام:

وكان لمعاذ بن هشام بن أبي عبدالله الامام البصري المحدث الفقيه(ت ٢٠٠هـ/ ٨١٥م)، مكتبة خاصة[٦]، وقال علي بن عبدالله بن المديني البصري المحدث المؤرخ (ت ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م): «سمعت معاذ بن هشام يقول بمكة، وقيل له ما عندك؟ قال: عندي عشرة آلاف، فانكرها عليه، وسخرنا منه، فلما جئنا إلى البصرة اخرج الينا من الكتب نحواً مما قال»[٧].

---

(١) الذهبي، سير، ج٦، ص٤٠٧ ـ ٤٠٨؛ الذهبي، العبر، ج١، ص١٧٢؛ اليافعي، مرآة، ج١، ص٣٤٤؛ حاجي خليفة، كشف، ج١، ص٥٢ (مقدمة المحقق)؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج١، ص٢٣٧.

(٢) الذهبي، سير، ج٧، ص٢٦١؛ حاجي خليفة، كشف، ج١، ص٥ (مقدمة المحقق).

(٣) المال المدفون، قال اهل الحجاز: «انما الركاز كنوز الجاهلية»، وقيل: «هو المال المدفون خاصة مما كنزه بنو آدم قبل الاسلام. ابن منظور، لسان، ج٥، ص٣٥٦.

(٤) الذهبي، سير، ج٧، ص٢٦٧ ـ ٢٦٨.

(٥) ابو نعيم الاصفهاني، حلية، ج٦، ص٣٦٤.

(٦) الذهبي، سير، ج٩، ص٣٧٢.

(٧) المصدر نفسه، ج٩، ص٣٧٣.

- خزانة الواقدي:

يبدو أن خزانة محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، العالم بالمغازي والسير والفتوح[١]، كانت تضم آلاف الكتب، والدليل على ذلك ما ذكر عنه انه عندما انتقل من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي من بغداد «حمل كتبه على عشرين ومئة وِقْر»[٢]. وانه خلف بعد وفاته «ستمائة قِمَطْر[٣] كتباً كل قمطر منها حمل رجلين»[٤]. ومما يحكى عنه انه قال: «ما من احد الا وكتبه اكثر من حفظه، وحفظي اكثر من كتبي»[٥]. وقد كان له «غلامان يكتبان الليل والنهار»[٦]، واشتهر محمد بن سعد بكتابته للواقدي[٧]، حتى اصبح من ابرز مميزات ابن سعد أن يقال عنه كاتب الواقدي[٨].

- مكتبة ابن بسطام:

وخلف يحيى بن عون بن زياد بن بسطام (ت ٢٣٣هـ/ ٨٤٧م) من الكتب «مائة قمطر واربعة عشر قمطراً، واربعة حباب شرابيه مملوءة كتباً»[٩].

---

(١) الذهبي، سير، ج٩، ص٤٥٤.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٧٤؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٦، ص٢٥٩٨؛ الذهبي، سير، ج٩، ص٤٥٩؛ والوقر بالكسر الثقل يحمل على ظهر او على الرأس وقيل الحمل الثقيل، ابن منظور، لسان، ج٥، ص٢٨٩.

(٣) القِمطر والجمع قماطر، ما تصان فيه الكتب وتحفظ. ابن منظور، لسان، ج٥، ص١١٦.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص١٩٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٧٤؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٦، ص٢٥٩٨.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٧٤؛ الذهبي، سير، ج٩، ص٤٥٩.

(٦) ابن النديم الفهرست، ص١٩٤.

(٧) المصدر نفسه، ص١٩٦؛ الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٣، ص١٥؛ ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص٣٥١؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج٢، ص١٨.

(٨) أحمد شلبي، التربية، ص١٦٥.

(٩) ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص٢٠٥. والحُبُّ: الجرَّة الضخمة. ابن منظور، لسان، ج١، ص٢٩٥.

- خزانة محمد بن عبدالملك الزيات:

وكان لمحمد بن عبدالملك الزيات وزير المعتصم (ت ٢٣٣هـ/ ٨٤٧م)، مكتبة بسامراء غنية بكتبها، وكان يزودها باستمرار بما يبتاعه أو يُنسخ له أو يُترجم من الكتب أو يُهدى اليه أو يُصنف باسمه[١].

- مكتبة الكندي:

وممن جمع خزانة كتب قيمة واشتهر بها واهتم كل الاهتمام، يعقوب بن اسحق الكندي (ت ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م)، الذي اهتم بجمع كتب الحكمة والفلسفة اليونانية وعلوم الاوائل، وقد اثار بعمله هذا حسد ابناء موسى بن شاكر ومنهم محمد وأحمد وكانا متقدمين زمن المتوكل، ويكيدان لكل من ذُكر بالتقدم في معرفة فاشخصا سند بن علي إلى بغداد وباعداه عن المتوكل ودبرا على الكندي حتى ضربه المتوكل ووجههما إلى دراه فاخذا كتبه باسرها وافرداها في خزانة سميت «الكندية»[٢]. وقد كانت فهرسة كتبه تزيد على دست كاغِد[٣]. وفي هذا اشارة إلى ضخامة اعداد الكتب في مكتبة الكندي، والى استخدام الفهارس في المكتبات الخاصة الامر الذي يجعلنا نلمس مدى التقدم الذي وصلت مثل هذه المكتبات.

- مكتبة ابناء موسى بن شاكر:

وهم محمد وأحمد والحسن، وقد اشتهر هؤلاء بحبهم للكتب، وجمعها وانفاق الاموال في طلبها «وانفذوا إلى بلد الروم من اخرجها اليهم. فاحضروا النقلة من الاصقاع

---

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج٢، ص١٧٦؛ أحمد عبد الباقي، معالم، ص٢٩٢؛ ناجي معروف، اصالة، ص٤٦٦ - ٤٦٧.

(٢) ابن الداية، المكافاة، ص١٣٠ - ١٣١؛ ابن أبي أصيبعة، عيون، ج٢، ص١٨٠.

(٣) الشهرزوري، تاريخ، ص٣٠٦.

والاماكن بالبذل السخي»[١]. وممن انفذوه لطلب الكتب حنين بن اسحق وغيره وقد جاءهم «بطرائف الكتب وغرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب»[٢]. وقد يكون ذلك بعد وفاة المأمون حيث اخذوا يعملون لحسابهم الخاص وقد جمعوا حولهم النقلة والبحاثة.

ـ خزانة الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م):

الذي اشتهر بحبه للكتب وجمعها، فقد قيل عنه انه «لم يقع بيده كتابٌ قط إلا استوفى قراءته كائناً ما كان»[٣]. ويبدو أن خزانة كتبه كانت تحوي على الكثير من الكتب حتى قيل أن سبب وفاته كانت بسبب وقوع مجلدات عليه وقد كان من عادته أن يضعها قائمة كالحائط محيطة به وهو جالس اليها[٤]. وكان من وراقيه عبدالوهاب بن عيسى (ت ٣١٩هـ/ ٩٢٥م)[٥].

ـ مكتبة حنين بن اسحق:

كان حنين بن اسحق العبادي (ت ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م)، من نصارى الحيرة «فاضلاً في صناعة الطب، فصيحاً باللغة اليونانية والسريانية والعربية»[٦]. وقد كان محباً للكتب وجمعها، ويذكر انه «قد سافر بعيداً من اجل جمع الكتب القديمة، ودخل بلاد الروم لطلب الكتب وترجمتها[٧]. ولاهتماماته الطبية كانت مكتبته تحوي على الكثير من كتب الطب، وبعدد كبير

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص٥٤٧؛ ابن خلكان، وفيات، ج٥، ص١٦١.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص٥٠٤ ـ ٥٠٥.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٥، ص٢١٠١.

(٤) ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٤٧.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١١، ص٢٨.

(٦) ابن النديم، الفهرست، ص٥٨٦.

(٧) المصدر نفسه، ص٥٨٦؛ القفطي، اخبار، ص١١٩.

من الكتب المكتوبة باللغات الاربع التي كان يجيدها»[١].

ـ مكتبة أبو حاتم السجستاني:

وكان سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، من ساكني البصرة، وكان اماماً في علوم القرآن واللغة والشعر، دخل بغداد «وكان جمّاعاً للكتب يتبحر فيها»[٢]. وقيل: «انه لم يكن بالبصرة مثل كتبه»[٣]، وقد بلغت قيمة كتبه عند وفاته اربعة عشر الف دينار وقد اشتراها يعقوب بن الليث الخارجي ونُقلت اليه.[٤]

ـ مكتبة أبو اسحاق إبراهيم الحربي:

وكان لإبراهيم أبو اسحاق الحربي (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)، مكتبة كبيرة قد وضعها في دهليز بيته، وغالباً ما كان يجلس فيها للنسخ والمطالعة[٥]. والتفت يوماً إلى ابنته التي خافت الفقر بعد موته وقد كان عليلاً وقال: «يا بنيّة انما خفت الفقر؟ فقالت نعم قال لها: انظري إلى تلك الزاوية، فنظرت فاذا كتب، فقال لها: هنالك اثنا عشر الف جزء لغةٍ، وغريبٍ كتبته بخطي، إذا مت فوجهي في كل يوم بجزءٍ تبيعينه بدرهم، فمن كان عنده اثنا عشر الف درهم ليس هو فقيراً»[٦].

وممن اشتهر بحبه للكتب وجمعها، عبدالملك بن قريب الاصمعي (ت ٢١٦هـ/ ٨٣١م)، عالم اللغة والنحو والاخبار والنوادر[٧]. ومحمد بن زياد المعروف بابن الاعرابي (ت

---

(١) أحمد شلبي، التربية، ص٢٠١.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص١١٨؛ السيوطي، بغية، ج١، ص٦٠٦.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٣، ص١٤٠٦.

(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص١٤٠٦.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٤٣.

(٦) ابن الجوزي، الصفوة، ج٢، ص٢٦٤؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج١، ص٤٤.

(٧) ابن النديم، الفهرست، ص١١٢.

٢٣١هـ/ ٨٤٥م) الراوية والعلامة باللغة الكوفي[١]. والحسن بن عثمان أبو حسان الزيادي (ت ٢٤٣هـ/ ٧٨٥م)[٢]. وامير بغداد، اسحق بن سليمان العباسي (ت ١٧٨هـ/ ٧٩٤م)[٣]. ومحمد بن الحسين المعروف بابن أبي بعرة[٤].

يتضح مما سبق:

- اقبال العلماء والادباء والاعيان على اقتناء الكتب، وانشاء المكتبات الخاصة بهم، مما يُظهر حرصهم على العلم واحتواء المعرفة.

- غزارة الكتب التي توفرت في مثل هذه المكتبات ، الامر الذي يُظهر مدى الجهد الذي بُذل للحصول عليها معنوياً كان أو مادياً.

- اهتمام بعض العلماء بفهرسة محتويات مكتباتهم، مما يدل على مدى ما وصلت اليه هذه المكتبات من اتساع ودقة في التنظيم.

- حرص اصحاب المكتبات الخاصة على مكتباتهم رغم ما قد يقعوا فيه من ضيق عيش وفقر حال.

- أن شيوع مثل هذه المكتبات وانتشارها في مختلف انحاء الدولة الاسلامية علامة مميزة في تاريخ المجتمع الاسلامي.

٢ ـ اعارة الكتب:

يبدو من بعض الروايات أن إعارة الكتب كانت معروفة لدى بعض المكتبات الخاصة،

---

(١) ابن عبدالبر، بهجة، ج١، ص٥١.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص٢١٧.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٦١؛ ابن طباطبا، الفخري، ص٦.

(٤) القفطي، إنباه، ج١، ص٤٢ ـ ٤٣؛ حبيب زيات، «الجلود»، ص١٣٥٩.

ولدى بعض الاشخاص من أهل العلم والمعرفة. فقد قصد بعضهم اصحاب الكتب لاستعارتها.

فقد كان محمد بن الحسن الشيباني الفقيه (ت ١٨٩هـ/ ٨٠٤م)، معلماً للشافعي وكان كثير البربه، والانفاق عليه من ماله، واعارته الكتب، حتى يقال انه دفع له حمل بعير كتباً[١]. وقال يعقوب ابن السكيت النحوي اللغوي (ت ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م): «مات أبو عمرو الشيباني وله مائة سنة وثمان عشرة سنة. وكان يكتب بيده إلى أن مات، وكان ربما استعار مني الكتاب وانا إذ ذاك صبي آخذ عنه واكتب من كتبه»[٢].

ويبدو أن بعض اصحاب الكتب رفض اعارتها، فقد روي بان الشافعي قد طلب من محمد بن الحسن كتاب «السير» فلم يجبه إلى ذلك[٣]. وقال رجل لابي العتاية اعرني كتابك، فقال: اني اكره ذلك[٤]. وكان علي بن المغيرة الاثرم (ت ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م)، وراقاً، وقد نسخ كتب أبي عبيدة النحوي اللغوي (ت ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م)، دون علمه «وكان أبو عبيدة من اضن الناس بكتبه، ولو علم بما فعل الاثرم لمنعه من ذلك ولم يسامحه»[٥].

وسمح بعضهم لنفسه أن يجود بمعظم ماله على أن يتخلى عن كتاب واحد. فقد انشد مسافر بن محمد البلخي قائلاً:

اجود بجل مالي لا ابالي ... وابخل عند مسألة الكتاب
وذلك انني افنيت فيه ... عزيز العمر أيام الشباب[٦]

---

(١) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج١، ص٣٢٣.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص١٣٥.

(٣) الشافعي، ديوان، ص١١٦؛ الصيمري، اخبار، ص١٢٧؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص١٦٨.

(٤) العلموي، المعيد، ص١٣٠.

(٥) ابن الانباري، نزهة، ص١٢٧؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٥، ص١٩٧١.

(٦) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص١٤٩؛ السمعاني، أدب، ص١٧٧.

ويحرص البعض على أن لا يعير الكتاب الا لمن توفرت فيه صفات العلم والدين، فقد قيل: «البخل بالعلم على غير اهله قضاء لحقه ومعرفة بفضله»[١]. وكان بعض اهل العلم إذا اتاه رجل يستعير منه كتاباً، امتحنه، فان وجده اهلاً له اعاره والا منعه[٢]. وقيل ايضاً:

لا تعر كتاباً الا بعد يقين بان المستعير ذو علم ودين[٣]

وقال بعض الشعراء:

اني حلفت برب البيت والحرم هل فوقها حلفة ترجى لذي قسم؟

ان لا اعير كتاباً فيه لي أربٌ إلا أخا ثقةٍ عندي وذا كرمٍ[٤]

وفي الوقت الذي كره فيه بعض العلماء اعارة كتبهم خوفاً من الاستهانة بها أو عدم ارجاعها، نجد بعضهم يقوم باعارتها «لما فيه من الاعانة على العلم مع ما في مطلق العارية من الفضل والاجر»[٥]. فعن سفيان الثوري: «من بخل بالعلم، ابتلى باحدى ثلاث: أن ينساه، أو يموت ولا ينتفع به، أو تذهب كتبه»[٦]. وقال: «تعجلوا بركة العلم، ليفد بعضكم بعضاً فانكم لعلكم لا تبلغون ما تؤملون»[٧]. وقال وكيع: «اول بركة الحديث اعارة الكتب»[٨]. وقال ابن المبارك: «من بخل بالعلم ابتلي بثلاث: اما أن يموت فيذهب علمه، أو ينساه أو يتبع

---

(١) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص١٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص١٤٦.

(٣) المصدر نفسه، ص١٤٦.

(٤) الراغب الاصبهاني، محاضرات، ج١، ص١١٨.

(٥) الغزالي، ايها الولد، ص٨٢؛ العلموي، المعيد، ص١٣٠.

(٦) الغزالي، ايها الولد، ص٨٢؛ العلموي، المعيد، ص١٣٠.

(٧) المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص١٦٨.

(٨) الغزالي، ايها الولد، ص٨٢؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص١٦٨.

السلطان»[١]. وكتب الشافعي إلى محمد بن الحسن بعد أن رفض اعارته كتاب السير:

قل للذي لم تَرَ عينُ ... مـــن رآه مثـلهُ
حتـى كـأن من رآه ... قد رأى مـن قبله
العـلم ينهـي أهله ... ان يمنـعوه أهلـه
لـعـلـه يـبذلـه ... لأهــله لعلــه

فوجه اليـه به في الحال هدية لا عارية[٢]. وقال رجل لابي العتاهيـة، وقد كره أن يعيره كتاباً: «اما علمت أن المكارم موصولة بالمكاره»[٣]. وانشد أبو الكرم خميس بن علي بن أحمد الحوزي لـنفسـه في إعارة الاجـزاء، وقد اعتـبر أن اخـفاء الكتـب وعدم اعارتـها من صـفات البخل:

كتبي لاهل العلم مبذولة ... ايديهم مثل يـدي فيها
متـى ارادوها بـلا منةٍ ... عـاريةٍ فليستـعيروها
حاشاي أن اكتمها عنهم ... بخلاً كما غيري يخفيها
أعارنـا اشياخنا كتبهم ... وسنة الاشياخ نمضيها[٤]

وقـال ابن الجوزي: «ينبـغي لمن يملك كتـاباً أن لا يبخل باعـارته لمن هو اهله، وكـذلك ينبغي افـادة الطالبين، فان الطلبة قليل، وقـد عمهم الفقـر، فاذا بخل عليهم بالكتـاب والافادة كان سبباً لمنع العلم»[٥].

(١) المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص١٦٨.

(٢) الشافعي، ديوان، ص١١٦؛ الصيمري، اخبار، ص١٢٧؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص١٦٨.

(٣) ابن جماعة، تذكرة، ص١٤٨.

(٤) السمعاني، أدب، ص١٧٥.

(٥) المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص١٦٨.

واستحب بعضهم اخذ الرهون على على اعارة الكتب، حتى وان كان المستعير صديقاً، فقد أنشد أبو حفص، عمر بن عثمان الجنزي لنفسه:

اذا ما اعرت كتاباً فخذ … على ذاك رهناً وخل الحياء

فانك لم تتهم مستعيراً … ولكن لتــذكر منه الاداء[١]

وانشد محمد بن خلف المرزبان:

أعر الدفتر للصاحب … بالــرهـن الوثيـــــق

انـــه ليـس قبيـحاً … اخــذ رهنٍ من صديق[٢]

وقد يكون الرهن نقداً أو عيناً، فقد انشد علي بن أبي بكر الطرازي

يــا مستـعير كتـابي … لاتكـــثرن عتـــابـي

الا بـرهن وثــــيق … مــن فضـة أو ثياب[٣]

وقد يكون كتاباً بكتاب فقد طلب أحدهم من إبراهيم بن ميمون الصائغ كتاباً، فقال: «هات رهناً فدفع اليه مصحفاً رهناً»[٤].

ومن شروط الاعارة: المحافظة على الكتاب، وعدم الكتابة في حواشيه واعادته في الوقت المحدد، وعدم اعارته، أو يُنسخ منه بغير اذنِ صاحبه[٥]. فعن يونس بن يزيد قال: «قال لي الزهري، يا يونس اياك وغُلول الكتب، قال: قلت: وما غلول الكتب؟ قال: حبسها

(١) السمعاني، أدب، ص١٧٩.

(٢) الخطيب البغدادي، تقييد، ص١٤٩؛ السمعاني، أدب، ص١٧٨.

(٣) السمعاني، أدب، ص١٧٨.

(٤) المصدر نفسه، ص١٧٨.

(٥) ابن جماعة، تذكرة، ص١٤٩ ـ ١٥٢؛ العلموي، المعيد، ص١٣١؛ محمد الحسيني، الحياة، ص٦١؛ عبدالله العمري، تاريخ العلم، ص٣٥.

على اصحابها»[١]. وقال الجاحظ وقد تقاضى تلميذاً له كتاباً، وتقاضى التلميذ كتاباً له، فردّ الكتاب عليه ثم انشأ الجاحظ يقول:

ايها المستعير مني كتاباً ارضى لي فيه ما لنفسك ترضى

لا ترى ردّ ما اعرتك نفلاً وترى ردّ ما استعرتك فرضاً[٢]

وكان بعضهم إذا سأله انسان أن يعيره كتاباً، قال: «ارني كتبك، فان وجدها مصونة، مكنونة، اعاره وان رآها مغبرّة متغيرة منعه»[٣]. وكان بعض اهل العلم يكتب على ظهور كتبه التي يعيرها: «يا رب من حفظ كتابي فاحفظه، ومن اضاعه فلا تحفظه»[٤]. وكتب آخر: «كتابي أعز شيء عليّ، واحسانك اليه احسانك الي»[٥].

وقد سهلت إعارة الكتب عمل المتعلمين والباحثين من العلماء، فقد كانت الكتب والمطالعة الحرة متوفرة لهم، مما كان له اكبر الاثر في تقدم الحركة العلمية والتعليمية في هذا العصر.

٤ - مالية المكتبات:

لم يرد ما يدل دلالة صريحة على التمويل المتعلق بالمكتبات، سواء العامة منها أو الخاصة، ولكن هي ملاحظات قد تعطينا دلالة على ما كان ينفق على هذه المكتبات لاستمرار

---

(١) الخطيب البغدادي، الجامع، ج١، ص٢٤٣؛ المقدسي الحنبلي، الاداب الشرعية، ج٢، ص١٦٨؛ أبو عبدالله محمد بن سعيد بن رسلان، اداب طالب العلم، ط١، دار ابن حزم، بيروت ١٩٩٣م، ص١٧٣، سيشار له تالياً (سعيد بن رسلان، اداب).

(٢) الخطيب البغدادي، الجامع، ج١، ص٢٤٤.

(٣) الخطيب البغدادي، تقييد، ص١٤٧.

(٤) المصدر نفسه، ص١٤٨.

(٥) المصدر نفسه، ص١٤٨.

بقائها، فقد انفق المأمون بسخاء على بيت الحكمة في بغداد[١]، «فتنافس اولوا النباهة في العلوم لما كانوا يرونه في احظائه لمتحليها واخصاصه لمتقلديها»[٢]. فقد خصص المأمون لحنين ابن اسحق راتباً شهرياً مقداره خمسمائة دينار[٣]. علاوة على ما تذكر بعض المصادر من انه كان يأخذ من الذهب زنة ما ينقل من الكتب إلى العربية[٤]. ويبدو أن الامر اعجب حنيناً وسره الحصول على ذهب اكثر بهذه الطريقة، فلجأ إلى كتابة منقولاته على ورق غليظ وباعد بين الاسطر[٥]. كما خصص المأمون راتباً شهرياً لحبيش بن الحسن، وثابت بن قرة الحراني، مقداره خمسمائة دينار لكل واحد منهما[٦]. يضاف إلى ذلك ما يُنفق على جمع الكتب وترجمتها وتنقيحها[٧]، واثمان الحبر والورق واجور التجليد واثاث المكتبة وغيرها[٨]. وقد واصل الواثق والمتوكل الاهتمام بحركة الترجمة والتمويل لها حتى أن المتوكل خصص لحنين بن اسحق راتباً شهرياً مقداره خمسة عشر الف درهم[٩].

وكما هو الحال في الانفاق على المكتبات العامة، كان الانفاق على المكتبات الخاصة، حيث كان يتولى الانفاق عليها مؤسسوها، فهذه خزانة الحكمة لعلي بن يحيى المنجم (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، «يقصدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها ويتعلمون فيها صنوف العلم،

---

(١) عبدالباقي، معالم، ص٣٠٠.

(٢) صاعد الاندلسي، طبقات، ص١٢٩؛ ابن العبري، مختصر، ص١٣٦.

(٣) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج٢، ص١٤٣.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص١٤٣؛ أحمد عقل، تمويل، ص٤٠؛ الزهراني، النفقات، ص٣٥٩.

(٥) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج٢، ص١٦٠؛ حماده، المكتبات، ص٦٤.

(٦) ابن أبي أصيبعة، عيون، ص١٤٣؛ أحمد عقل، تمويل، ص٤٠.

(٧) عمر فروخ، تاريخ العلوم، ص١١٤؛ أحمد عقل، تمويل، ص٤١؛ عبدالله المشوخي، موقف الاسلام والكنيسة من العلم، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٢م، ص٥١ ـ ٥٢، سيشار له تالياً (المشوخي، موقف).

(٨) أحمد عقل، تمويل، ص٤٠؛ حماده، المكتبات، ص٦٨.

(٩) أحمد عقل، تمويل، ص٤٠؛ الزهراني، النفقات، ص٣٦٠.

والكتب مبذولة في ذلك لهم والصيانة مشتملة عليهم، والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى»[١] . وكان ابناء موسى بن شاكر يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن اسحاق، وحبيش بن الحسن، وثابت بن قرة وغيرهم نحو خمسمائة دينار في الشهر[٢] . وكان محمد ابن عبدالملك الزيات الوزير (ت ٢٣٣هـ/ ٨٤٧م)، يزود مكتبته باستمرار بما يبتاعه أو ينسخ له، أو يُترجم من الكتب[٣]، وقد كان ينفق على النساخين والمترجمين ما يقرب من الفي دينار في الشهر[٤] .

(١) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٥، ص٢٠١٤ .

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج٢، ص١٤٣؛ أحمد عقل، تمويل، ص٣٩؛ الزهراني، النفقات، ص٣٥٨؛ حماده، المكتبات، ص٦٨ .

(٣) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج٢، ص١٧٦؛ أحمد عقل، تمويل، ص٤٠؛ الزهراني، النفقات، ص٣٥٩؛ حماده، المكتبات، ص٦٨؛ ناجي معروف، اصالة، ص٤٦٧ .

(٤) ابن أبي أصيبعة، عيون، ج٢، ص١٧٦ .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

- القرآن الكريم:

- الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)

١- المستطرف في كل فن مستظرف، ٢ج، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٨٩م.

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)

٢- الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبدالله القاضي، ١٠ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م.

- الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)

٣- أخلاق أهل القرآن، تحقيق فاروق حمادة، دار الثقافة، الدار البيضاء ١٩٨٤م.

٤- أخلاق العلماء، تحقيق فاروق حمادة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٤م.

- أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)

٥- مسند أحمد بن حنبل، ٦ج، دار صادر، بيروت، د.ت.

- ابن الأخوة القرشي، محمد بن محمد بن أحمد (ت ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م)

٦- معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى المطيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦م.

- الأربلي، عبدالرحمن بن إبراهيم (ت ٧١٧هـ/ ١٣١٧م)

٧- خلاصة الذهب المسبوك، صححه مكي السيد جاسم، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

- الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ/ ٩٣٣م)

٨- جمهرة اللغة، ٣ج، ط١، دار صادر، بيروت، د. ت.

- ابن الأزرق، محمد بن علي بن محمد (ت ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م)

٩- بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، ٢ج، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٧م.

- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)

١٠- الأغاني، تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء، ٢٥ج، ط٦، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٣م.

١١- الإماء الشواعر، تحقيق نوري حمودي القيسي ويونس أحمد السامرائي، ط١، مكتبة النهضة العربية، بغداد ١٩٨٤م.

١٢- القيان، تحقيق جليل العطية، رياض الريس للكتب والنشر، لندن ١٩٨٩م.

- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م)

١٣- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ٣ج، ط٣، دار الثقافة، بيروت ١٩٨١م.

- ابن أعثم، أبو محمد أحمد بن محمد بن علي (ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م)

١٤ الفتوح، ٤ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م.

- ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمد (٥٧٧هـ/ ١١٨١م)

١٥- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي، ط٣، مكتبة المنار، الزرقاء ١٩٨٥م.

- ابن اياس الحنفي، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م)

١٦- بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ٥ج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢م.

- البخاري، أبو عبدالله أحمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)

١٧- صحيح البخاري، شرح الكرماني، ٢٥ج، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨١م.

- ابن بسام، محمد بن أحمد (ت في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي)

١٨- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٨م.

- البطليوسي، أبو محمد عبدالله بن محمد بن السيد (ت ٥٢١هـ/ ١١٢٧م)

١٩- الاقتضاب في شرح أدب الكُتاب، تحقيق مصطفى السقا وحامد عبدالمجيد، ٣ج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨١م.

- ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)

٢٠- رحلة ابن بطوطة، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م.

- البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)

٢١- فتوح البلدان، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣م.

- البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)

٢٢- المحاسن والمساوىء، دار صادر، بيروت، د.ت.

- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٩٧هـ/ ٩٠٩م)

٢٣- سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، ٥ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٣٧ - ١٩٨٧م.

- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)

٢٤- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدّم له وعلّق عليه محمد حسين شمس الدين، ١٦ ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م.

- التنوخي، أبو علي المحسن بن علي (٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)

٢٥- الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، ٥ج، دار صادر، بيروت ١٩٧٨م.

- ابن تيمية، تقي الدين أحمد عبدالحليم (ت٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)

٢٦- أحاديث القصاص، تحقيق أحمد عبدالله باجور، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٣م.

- الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)

٢٧- الكناية والتعريض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٤م. (طبع مع الجرجاني، المنتخب).

٢٨- اللطف واللطائف، تحقيق محمود عبدالله الجادر، ط١، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٤م.

٢٩- لطائف اللطف، تحقيق عمر الأسعد، ط٢، دار المسيرة، بيروت ١٩٨٧م.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)

٣٠- البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ٤ج، ط٢، دار الجيل، بيروت ١٩٤٨م.

٣١- التاج في أخلاق الملوك، دار الفكر، بيروت ١٩٥٥م.

٣٢- الحيوان، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ٧ج، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٦٩م.

٣٣- رسائل الجاحظ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ٤ج، ط١، دار الجيل، بيروت ١٩٩١م.

٣٤- كتاب المعلمين، تحقيق إبراهيم جريس، جامعة تل أبيب، عكا، ١٩٨٠م.

- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)

٣٥- رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروفة بـ رحلة ابن جبير، إشراف لجنة تحقيق التراث، ط٢، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٦م.

- الجرجاني، أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م).

٣٦- المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٤م. (ويليه الثعالبي، الكناية).

- ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)

٣٧- غاية النهاية في طبقات القرّاء، عني بنشره برجستراسر، ٢ج، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٣٢م.

- ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان (ت ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م)

٣٨- طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥م.

- ابن جماعة، إبراهيم بن عبدالرحيم بن محمد (ت ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م)

٣٩- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، تحقيق عبدالأمير شمس الدين، ط٢، دار اقرأ للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٦م.

- الجهشياري، أبو عبدالله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ/ ٩٤٢م)

٤٠- الوزراء والكتّاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط١ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٩٣٨م.

- ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)

٤١- أحكام النساء، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، د. ت.

٤٢- أخبار الحمقى والمغفلين، تحقيق محمد شريف سكر، ط١، دار إحياء العلوم، بيروت ١٩٨٨م.

٤٣- الأذكياء، تحقيق أسامة عبدالكريم الرفاعي، ط٢، دار الحضارة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٦م.

٤٤- تلبيس إبليس، تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٥م.

٤٥- سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٤م.

٤٦- صفوة الصفوة، ضبطها وكتب هوامشها إبراهيم رمضان وسعيد اللحام، ٤ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٩م.

٤٧- القصاص والمذكرين، تحقيق محمد بن لطفي الصباغ، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٨٣م.

٤٨- مناقب الإمام أحمد بن حنبل، تصحيح محمد أمين الخانجي، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م.

٤٩- مناقب بغداد، صححه محمد بهجت الأثري، مكتبة دار السلام، بغداد، ١٩٢٣م.

٥٠- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، ١٨ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م.

- ابن الحاج، أبو عبدالله محمد بن محمد (ت ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م)

٥١- المدخل، ٤ج، ط١، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة ١٩٢٩م.

- حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله (ت١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م)

٥١- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ٢ج، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م.

- الحاكم النيسابوري، محمد بن عبدالله (ت ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م)

٥١- المستدرك على الصحيحين، ٤ج، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٠م.

- ابن حبيب، أبو جعفر محمد (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)

٥٢- المحبر، عني بتصحيحه إيليزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٤٢م.

- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)

٥٣- الإصابة في تمييز الصحابة، ٨ج، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٥٤- تهذيب التهذيب، ٦ج، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٣م.

٥٥- لسان الميزان، ٦ج، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد، الهند، ١٣٢٩ ـ ١٣٣١هـ/ ١٩١١ ـ ١٩١٢م.

- ابن حجر الهيثمي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م)

٥٦- تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٧م.

- ابن حجة، أبو بكر بن علي (ت ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م)

٥٧- ثمرات الأوراق، صححه أبو الفضل إبراهيم، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧١م.

- ابن أبي الحديد، عبدالحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)

٥٨- شرح نهج البلاغة، مراجعة وتحقيق لجنة إحياء الذخائر، ٥ج، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٥٦م.

- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)

٥٩- الأخلاق والسير أو رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل، تحقيق إيفا رياض، أبسالا ١٩٨٠م.

٦٠- رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، ٤ج، ط٢، المؤسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٧م.

- أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد (ت ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م)

٦١- البصائر والذخائر، تحقيق إبراهيم الكيلاني، ٤ج، مكتبة أطلس، مطبعة الإنشاء، د.م، ١٩٦٤م.

- الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)

٦٢ ـ تاريخ بغداد، ١٤ج، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

٦٣ ـ تقييد العلم، تحقيق يوسف العش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ١٩٤٩م.

٦٤ ـ الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق محمد عجاج الخطيب، ٢ج، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩١م.

٦٥ ـ الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نور الدين عتر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٥م.

٦٦ ـ الكفاية في علم الرواية، تحقيق احمد عمر هاشم، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٦م.

- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)

٦٧ ـ المقدمة، وهي الجزء الاول من تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحاده، ٨ج، ط٢، دار الفكر، بيروت ١٩٨٨م.

- ابن خلكان، ابو العباس احمد بن محمد بن ابراهيم (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)

٦٨ ـ وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، ٨ج، دار صادر، بيروت ١٩٧٠م.

- خير الله العمري، ياسين (ت ١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م)

٦٩ ـ مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء، تحقيق رجاء محمود السامرائي، دار الجمهورية، بغداد ١٩٦٦م.

- الدارمي، ابو محمد عبدالله بن عبدالرحمن (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)

٧٠ ـ سنن الدارمي، تحقيق عبدالله اليماني، ٢ج، دار المحاسن، القاهرة ١٩٦٦م.

- ابو داود، سليمان بن الاشعث (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)

٧١ ـ سنن ابي دواود، دراسة وفهرسة كمال يوسف الحوت، ٢ج، ط١، دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع، د.م، ١٩٨٨م.

- ابن الداية، ابو جعفر احمد بن يوسف بن ابراهيم (ت ٣٤٠هـ/ ٩٥١م)

٧٢ ـ المكافأة وحسن العقبى، تحقيق محمود محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

- ابن دقماق، ابراهيم بن محمد بن أيدمر (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م)

٧٣ ـ الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، ٢ج، ط١، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٥م.

- الديلمي، ابو شجاع شيرويه بن شهردار (ت ٥٠٩هـ/ ١١١٥م)

٧٤ ـ الفردوس بمأثور الخطاب، ٥ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م.

- الدينوري، ابو حنيفة احمد بن داود بن وَنَنْد (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)

٧٥ ـ الاخبار الطوال، تحقيق عبدالمنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

- الذهبي، ابو عبدالله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)

٧٦ ـ تذكرة الحفاظ، ٥ج، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٧٧ ـ سير اعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارنؤوط وآخرون، ٢٥ج، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٢م.

٧٨ ـ العبر في خبر من غبر، تحقيق ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ٤ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م.

٧٩ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، ٤ج، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

- الراغب الاصبهاني، ابو القاسم حسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)

٨٠ ـ محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ٤ج، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦١م.

- الرامهرمزي، ابو محمد الحسن بن عبدالرحمن بن خلاد (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)

٨١ ـ المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق محمد عجاج الخطيب، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٧١م.

- الزبيدي، ابو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م)

٨٢ ـ طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط٢، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م)

٨٣ ـ تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبدالمنعم الطحاوي، مراجعة بهجة الاثري وعبدالستار احمد فراج، ٢٠ج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت ١٩٦٨م.

- ابن الزبير، ابو الحسن احمد بن القاضي الرشيد (ت في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي).

٨٤ ـ الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميدالله، مراجعة صلاح الدين المنجد، دار المطبوعات والنشر، الكويت ١٩٥٩م

- الزجاجي، ابو القاسم عبدالرحمن بن القاسم (ت ٣٤٠هـ/ ٩٥١م)

٨٥ ـ الامالي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

٨٦ ـ مجالس العلماء، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، وزارة الارشاد والانباء، الكويت ١٩٦٢م.

- الزركشي، محمد بن عبدالله (ت ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م)

٨٧ ـ إعلام الساجد باحكام المساجد، تحقيق ابو الوفاء مصطفى المراغي، د.د، القاهرة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

- الزرنوجي، برهان الدين (ت ٥٩١هـ/ ١١٩٤م)

٨٨ ـ تعليم المتعلم في طريق التعلم، تحقيق صلاح محمد الخيمي ونذير حمدان، ط١، دار ابن كثير، دمشق، بيروت ١٩٨٥م.

- الزمخشري، ابو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)

٨٩ ـ اساس البلاغة، تحقيق عبدالرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت ١٩٨٢م.

٩٠ ـ ربيع الابرار، تحقيق سليم النعيمي، ٢ج، مطبعة العاني، بغداد ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

- السبكي، تاج الدين ابو نصر عبدالوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)

٩١ ـ طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي، وعبدالفتاح محمد الحلو، ١٠ج، ط٧، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت.

٩٢ ـ معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار وآخرون، ط١، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٤٨م.

- ابن سحنون، ابو عبدالله محمد بن ابي سعيد (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)

٩٣ ـ آداب المعلمين، تحقيق محمد العروسي المطوي، دار بو سلامه للطباعة والنشر والتوزيع، تونس ١٩٧٢م.

- ابن سعد الآبي، ابو سعد منصور بن الحسين (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)

٩٤ ـ نثر الدر، تحقيق محمد علي قرنه وآخرون، مراجعة علي محمد البجاوي وحسين نصار، ٧ج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨١ ـ ١٩٩٠م.

- ابن سعد، ابو عبدالله محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)

٩٥ ـ الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، ٩ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.

- ابن سلام، ابو عبيد القاسم (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)

٩٦ ـ الاموال، تحقيق محمد خليل هراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨١م.

- السلمي، ابو عبدالرحمن محمد بن الحسين بن محمد (ت ٤١٢هـ/ ١٠٢١م)

٩٧ ـ طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شربية، دار الكتاب النفيس، حلب ١٩٨٦م.

- السمرقندي، نصر بن محمد بن ابراهيم (ت ٣٧٣هـ/ ٩٨٣م)

٩٨ ـ تنبيه الغافلين باحاديث سيد المرسلين، تحقيق الشيخ احمد سلام، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م.

- السمعاني، أبو سعد عبدالكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م)

٩٩ ـ أدب الإملاء والاستملاء، تحقيق ماكس فايسفايلر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨١م.

١٠٠ ـ الانساب، تقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي، ٥ج، ط١، دار الجنان، بيروت ١٩٨٨م.

- السيرافي، ابو سعيد الحسن بن عبدالله (ت ٣٦٨هـ/ ٩٧٨م)

١٠١ ـ اخبار النحويين البصريين، تحقيق محمد ابراهيم البنا، ط١، دار الاعتصام، القاهرة ١٩٨٥م.

- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)

١٠٢ ـ الاتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ٤ج، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا، بيروت ١٩٨٧م.

١٠٣ ـ الاشباه والنظائر في النحو، تحقيق عبدالعال سالم مكرم، ٩ج، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥م.

١٠٤ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ٢ج، ط٢، دار الفكر، مصر الجديدة ١٩٧٩م.

١٠٥ ـ تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٥٢م.

١٠٦ ـ تحذير الخواص من اكاذيب القصاص، تحقيق محمد الصباغ، المكتب الاسلامي، بيروت ١٩٧٢م.

١٠٧ ـ تحفة المجالس ونزهة المجالس، باعتناء محمد بدر الدين النعساني الحلبي، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٠٨م.

١٠٨ ـ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، ٢ج، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٩م.

١٠٩ ـ تزيين الممالك بمناقب الامام مالك، ط١، المطبعة الخيرية، القاهرة ١٩٠٧م.

١١٠ ـ المستظرف من اخبار الجواري، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٦٣م.

١١١ ـ نزهة الجلساء في اشعار النساء، تحقيق عبداللطيف عاشور، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.

١١٢ ـ الوسائل الى مسامرة الاوائل، تحقيق اسعد طلس، مكتبة الزوراء، بغداد ١٩٥٠م.

– الشافعي، ابو عبدالله محمد بن ادريس (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)

١١٣ ـ ديوان الامام الشافعي، جمع وتحقيق اميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩١م.

– الشريشي، ابو العباس احمد بن عبدالمؤمن (ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)

١١٤ ـ شرح مقامات الحريري، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ٥ج، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.

– الشهابي، حيدر احمد (ت ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م)

١١٥ ـ تاريخ الامير حيدر احمد الشهابي، (الغرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان)، ٤ج، علق على حواشيه مارون رعد، اشراف نظير عبود، دار الجيل، بيروت ١٩٩٣م.

- الشهرزوري، شمس الدين محمد بن محمود (كان حياً سنة ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م)

١١٦ ـ تاريخ الحكماء (نزهة الارواح وروضة الافراح)، تحقيق عبدالكريم او شويرب، ط١، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، طرابلس ١٩٨٨م.

- الشيرازي، ابو اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف (ت ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م)

١١٧ ـ طبقات الفقهاء، تحقيق احسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٧٠م.

- الشيزري، عبدالرحمن بن نصر (ت ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)

١١٨ ـ نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٦م.

- الصابيء، ابو الحسن هلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م)

١١٩ ـ رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد ١٩٦٤م.

- صاعد الاندلسي، ابو القاسم صاعد بن احمد بن عبدالرحمن (ت ٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م)

١٢٠ ـ طبقات الامم، تحقيق حياة ابو علوان، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٥م.

- ابن الصلاح، ابو عمرو عثمان بن عبدالرحمن (ت ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م)

١٢١ ـ ادب المفتي والمستفتي، تحقيق موفق بن عبدالله بن عبدالقادر، ط١، عالم الكتب، مكة ١٩٨٦م.

١٢٢ ـ مقدمة بن الصلاح في علوم الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨م.

- الصنعاني، ابو بكر عبدالرزاق بن همام (ت ٢١١هـ/ ٨٢٦م)

١٢٣ ـ المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي، ١١ج، ط١، المجلس العلمي، بيروت ١٩٧٢م.

- الصولي، ابو بكر محمد بن يحيى بن عبدالله (ت ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م)

١٢٤ ـ اخبار الشعراء المحدثين، عني بنشره ج. هيورث، ٣ج، دار المسيرة، بيروت ١٩٨٢م.

- الصيمري، أبو عبدالله حسين بن علي (ت ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م)

١٢٥ ـ ادب الكتاب، باعتناء محمد بهجة الاثري، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٢٢م.

١٢٦ ـ اخبار ابي حنيفة واصحابه، ط٢، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٥م.

- ابن طباطبا، محمد بن علي (ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)

١٢٧ ـ الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية، دار صادر، بيروت، د.ت.

- الطبرسي، ابو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)

١٢٨ ـ إعلام الورى بأعلام الهدى، صححه وعلق عليه علي اكبر الغفاري، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٩م.

- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)

١٢٩ ـ تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ١٠ج، ط٣،٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧م.

- الطرطوشي، محمد بن الوليد بن محمد (ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م)

١٣٠ ـ سراج الملوك، تحقيق جعفر البياتي، ٢ج، ط١، رياض الريس للكتب والنشر، لندن ١٩٩٠م.

- ابن طيفور، ابو الفضل احمد بن طاهر (ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)

١٣١ ـ بغداد، تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري، عني بنشره وراجع اصله عزت العطار الحسيني، مكتب نشر الثقافة، القاهرة ١٩٤٩م.

- العاملي، بهاء الدين محمد بن حسين (ت ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م)

١٣٢ ـ الكشكول، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٣م.

- ابن عبدالبر، ابو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)

١٣٣ ـ الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، ٤ج، ط١، دار الجيل، بيروت ١٩٩٢م.

١٣٤ ـ بهجة المجالس وانس المجالس، تحقيق محمد مرسي الخولي، ٣ج، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٢م.

١٣٥ ـ بيان العلم وفضله، ادارة الطباعة المنيرية، ٢ج، دار الكتب العليمة، بيروت ١٩٧٨م.

- ابن عبدربه، احمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)

١٣٦ ـ العقد الفريد، تحقيق مفيد محمد قميحة، ٩ج، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م.

- ابن العبري، ابو الفرج غريغوريوس بن اهرون الملطي (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م).

١٣٧ ـ تاريخ مختصر الدول، دار المسيرة، بيروت، د.ت.

- ابو العرب، محمد بن احمد بن تميم المغربي (ت ٣٣٣هـ/ ٨٤٧م)

١٣٨ ـ كتاب المحن، تحقيق يحيى وهيب الجبوري، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت ١٩٨٣م.

- ابن عربي، ابو بكر محي الدين (ت ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م)

١٣٩ ـ محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار، ٢ج، دار صادر، بيروت، د.ت.

- ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م)

١٤٠ ـ تاريخ مدينة دمشق (تراجم النساء)، تحقيق سكينة الشهابي، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م.

١٤١ ـ تهذيب تاريخ دمشق، هذبه ورتبه عبدالقادر بدران، ٧ج، ط٣، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٧م.

- العلموي، عبدالباسط بن موسى بن محمد (ت ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م)

١٤٢ ـ المعيد في ادب المفيد والمستفيد، ط١، المكتبة العربية، دمشق ١٩٣٠م.

- ابن العماد الحنبلي، ابو الفلاح عبدالحي (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)

١٤٣ ـ شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ٨ج، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

- ابي عمران، نور الدين علي بن الوزير (ت ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م)

١٤٤ ـ المرقصات المطربات، دار حمدو ومحيو، القاهرة ١٩٧٣م.

- ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت حوالي ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)

١٤٥ ـ الانباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السيد احمد السامرائي، المعهد الهولندي للاثار المصرية والبحوث العربية، القاهرة ١٩٧٣م.

- الغزالي، ابو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م)

١٤٦ ـ احياء علوم الدين، ٥ج، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١٤٧ ـ الادب في الدين، تحقيق عبدالله احمد ابو زينة، ط٤، دار الشروق، بيروت ١٩٨٣م.

١٤٨ ـ ايها الولد، تحقيق علي محي الدين علي القرة داني، ط٢، دار البشائر الاسلامية، بيروت ١٩٨٥م.

- ابن الغزي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م)

١٤٩ ـ ديوان الاسلام، تحقيق سيد كسروي حسن، ٤ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.

- ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)

١٥٠ ـ المختصر في اخبار البشر، ٤ج، ط١، المطبعة الحسنية المصرية، القاهرة، د.ت.

- الفيروزابادي، مجد الدين (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م)

١٥١ ـ القاموس المحيط، ٤ج، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

- القابسي، ابو الحسن علي بن محمد بن خلف (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)

١٥٢ ـ الرسالة المفصلة لاحوال المتعلمين، ملحقة بكتاب التربية في الاسلام للاهواني، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠م، ص٢٦١ ـ ٣٤٧.

- القاسم، ابن محمد بن علي (ت ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م)

١٥٣ ـ اداب العلماء والمتعلمين، ط١، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٥م.

- القالي، ابو علي اسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)

١٥٤ ـ الامالي، ٢ج، ط٢، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٦م.

- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)

١٥٥ ـ الشعر والشعراء (طبقات الشعراء)، تحقيق مفيد قميحة، راجعه نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م.

١٥٦ ـ عيون الاخبار، تحقيق يوسف علي طويل، ٤ج، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م.

١٥٧ ـ المعارف، تحقيق ثروت عكاشه، ط٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م.

- القرطبي، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد (ت ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م)

١٥٨ ـ الجامع لاحكام القرآن، ٢٠ج، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٥م.

- القرماني، احمد بن يوسف (ت ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م)

١٥٩ ـ اخبار الدول وآثار الاول في التاريخ، تحقيق فهمي سعد واحمد حطيط، ٣ج، عالم الكتب، بيروت ١٩٩٢م.

- القفطي، جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م)

١٦٠ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ٤ج، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٦م.

١٦١ ـ اخبار العلماء باخبار الحكماء، عني بتصحيحه محمد امين الخانجي، دار الكتب الخديوية، القاهرة، د.ت.

- القلقشندي، احمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)

١٦٢ ـ صبح الاعشى في صناعة الانشاء، تحقيق محمد حسين شمس الدين ويوسف علي طويل، ١٤ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م.

- ابن قيم الجوزية، ابو عبدالله محمد بن ابي بكر بن ايوب (ت ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)

١٦٣ ـ اخبار النساء، شرحه وقدم له عبد مهنا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.

- ابن الكازروني، علي بن محمد (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)

١٦٤ ـ مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، بغداد ١٩٧٠م.

- الكتبي، محمد بن شاكر بن احمد بن عبدالرحمن (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).

١٦٥ ـ فوات الوفيات، تحقيق احسان عباس، ٥ج، دار صادر، بيروت ١٩٧٣م.

- ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)

١٦٦ ـ البداية والنهاية، تحقيق احمد ابو ملحم وآخرون، ١٥ج، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م.

- الكردري، حافظ الدين بن محمد (ت ٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م)

١٦٧ ـ مناقب ابي حنيفة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨١م، (طبع مع الموفق المكي، مناقب ابي حنيفة).

- كشاجم، محمود بن الحسين الكاتب (ت ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م)

١٦٨ ـ ادب النديم، المطبعة الاميرية، بولاق، ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م.

- الكندي، ابو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م)

١٦٩ ـ كتاب الولاة وكتاب القضاة، مهذباً ومصصحاً بقلم رفن كست، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، د.ت.

- ابن ماجة، ابو عبدالله محمد بن يزيد (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)

١٧٠ ـ سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ٢ج، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.

- الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)

١٧١ ـ الاحكام السلطانية والولايات الدينية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.

١٧٢ ـ ادب الدنيا والدين، شرح وتعليق محمد كريم راجح، دار اقرأ، بيروت ١٩٨٣م.

- ابن المبرد، ابو المحاسن يوسف بن الحسن بن عبدالهادي (ت ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م)

١٧٣ ـ بحر الدم فيمن تكلم فيه الامام احمد بمدح او ذم، تحقيق روحية عبدالرحمن السويفي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م.

- المبرد، ابو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)

١٧٤ ـ الكامل، تحقيق محمد احمد الدالي، ٤ج، موسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٦م.

- مجهول

١٧٥ ـ الامامة والسياسة، ٢ج،شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ١٩٦٩م.

- المحاسبي، ابو عبدالله الحارث بن اسد (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)

١٧٦ ـ آداب النفوس، تحقيق عبدالقادر احمد عطا، دار الجيل، بيروت ١٩٨٤م.

- محمود الوراق، ابن حسين (ت ٢٢٥هـ/ ٨٣٩م)

١٧٧ ـ ديوان محمود بن حسين الوراق، جمع وتحقيق عدنان راغب العبيدي، وزارة التربية والتعليم، بغداد ١٩٦٩م.

- المرزباني، ابو عبيد الله بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)

١٧٨ ـ معجم الشعراء، تحقيق عبدالستار احمد فراج، د.د، د.م، ١٩٨٠م.

١٧٩ ـ الموشح، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نضهة مصر، القاهرة ١٩٦٥م.

١٨٠ ـ نور القبس، تحقيق رودلف زلهايم، دار نشر فرانتس شتايتر، فيسباون، ١٩٦٤م.

- المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)

١٨١ ـ التنبيه والاشراف، لجنة تحقيق التراث، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨١م.

١٨٢ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرحه وقدم له مفيد محمد قميحة، ٤ج، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م.

- ابن مسكويه، ابو علي احمد بن محمد (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)

١٨٣ ـ تهذيب الاخلاق في التربية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٠٧م.

- مسلم، ابو الحسين مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤م)

١٨٤ ـ صحيح مسلم بشرح الامام النووي، ١٨ج، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، د.ت.

- المعافري، ابو الحسن علي بن محمد بن جميل (ت ٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م)

١٨٥ - الحدائق الغناء في اخبار النساء، تحقيق عائدة الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٧٨م.

- ابن المعتز، عبدالله بن المعتز بن المتوكل (ت ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م)

١٨٦ - طبقات الشعراء، تحقيق عبدالستار احمد فراج، ط٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٦م.

- المغراوي، احمد بن ابي جمعة (ت ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م)

١٨٧ - جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان، تحقيق احمد جلولي البدوي ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.

- المقدسي الحنبلي، ابو عبدالله محمد بن مفلح (ت ٧٦٣هـ/ ١٣٦١م)

١٨٨ - الآداب الشرعية والمنح المرعية، ٣ج، مؤسسة قرطبة، مدينة الاندلس، ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م.

- المقدسي، محمد بن أحمد (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)

١٨٩ - احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، مكتبة خياط، بيروت، د.ت.

- المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)

١٩٠ - امتاع الاسماع بما للرسول من الانباء والاحوال والحفدة والمتاع، اعتناء محمود شاكر، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، د.م، ١٩٤١م.

١٩١ - كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ٢ج، دار صادر، بيروت، د.ت.

١٩٢ - السلوك لمعرفة دول الملوك، صححه ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة وسعيد عبدالفتاح عاشور، ٤ج، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٢م.

- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)

١٩٣ ـ لسان العرب، ١٥ج، دار صادر، بيروت، د.ت.

١٩٤ ـ مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق رياض عبدالحميد مراد وآخرون، ٢٩ج، ط١، دار الفكر، دمشق ١٩٨٤م.

- الموفق المكي، ابو المؤيد الموفق بن احمد (ت ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م)

١٩٥ ـ مناقب ابي حنيفة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨١م (ويليه الكردري، مناقب).

- ابن نباتة، ابو بكر محمد (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)

١٩٦ ـ سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٩٨٦م.

- النحاس، ابو جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل (ت ٣٣٨هـ/ ٩٤٩م)

١٩٧ ـ صناعة الكتاب، تحقيق بدر احمد ضيف، ط١، دار العلوم العربية، بيروت ١٩٩٠م.

- ابن النديم، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب اسحق (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)

١٩٨ ـ الفهرست، تحقيق ناهد عباس عثمان، ط١، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة ١٩٨٥م.

- ابو نعيم الاصفهاني، احمد بن عبدالله بن احمد (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م)

١٩٩ ـ حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، ١٠ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨م.

- ابو نواس، الحسن بن هانيء (ت ١٩٩هـ/ ٨١٤م)

٢٠٠ ـ ديوان ابي نواس، تحقيق احمد عبدالمجيد الغزالي، مطبعة مصر، القاهرة ١٩٥٣م.

- النووي، ابو زكريا يحيى بن شرف الدين (ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)

٢٠١ ـ تهذيب الاسماء واللغات، ادارة الطباعة المنيرية، ٣ج، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١٠٢ ـ المجموع، ٢٠ج، دار الفكر، د.م، د.ت.

- ابن هذيل، ابو الحسن علي بن عبدالرحمن (ت في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي).

٢٠٣ ـ عين الادب والسياسة وزين الحسبة والرياسة، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، القاهرة ١٩٣٨م.

- الهيثمي، نور الدين بن علي بن ابي بكر (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)

٢٠٤ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ١٠ج، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٦م.

- ابن وادران، حسين بن محمد (كان حياً ١١٧٢هـ/ ١٧٥٨م).

٢٠٥ ـ تاريخ العباسيين، تحقيق المنجي الكعبي، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت ١٩٩٣م.

- ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)

٢٠٦ ـ تاريخ ابن الوردي، ٢ج، المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٦٩م.

- الوشاء، ابو الطيب محمد بن احمد بن اسحاق (ت ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م)

٢٠٧ ـ الظرف والظرفاء، تحقيق فهمي سعد، ط١، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٥م.

- وكيع، محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ/ ٨٢١م)

٢٠٨ ـ اخبار القضاة، ٣ج، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

- اليافعي، عفيف الدين عبدالله بن اسعد (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)

٢٠٩ ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، تحقيق عبدالله الجبوري، ٤ج، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٤م.

- ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)

٢١٠ ـ معجم الادباء، (ارشاد الاريب الى معرفة الاديب)، تحقيق احسان عباس، ٧ج، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت ١٩٩٣م.

٢١١ ـ معجم البلدان، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي، ٦ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.

- اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)

٢١٢ ـ البلدان، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، د.ت.

٢١٣ ـ مشاكلة الناس لزمانهم، تحقيق وليم مِلورد، ط٢، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٨٠م.

- ابو يوسف، يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢هـ/ ٧٩٨م)

٢١٤ ـ كتاب الخراج، ط٥، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

المراجع باللغة العربية:

- ابراهيم محمد الجمل

٢١٥ ـ نشأة المساجد ورسالتها، ٢ج، مطابع الشعب، القاهرة د.ت.

- احمد امين

٢١٦ ـ ضحى الاسلام، ٣ج، ط١٠، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٣٥م.

- احمد حسين

٢١٧ ـ الاسلام والمرأة، دار الشرق الاوسط للنشر، القاهرة، د.ت.

- احمد شلبي

٢١٨ ـ التربية الاسلامية (نظمها فلسفتها تاريخها)، ط٦، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٧٨م.

٢١٩ ـ موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، ١٠ج، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٥م.

- احمد عبدالباقي

٢٢٠ ـ معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩١م.

- احمد عبدالجواد الدومي

٢٢١ ـ احمد بن حنبل (محنة الدين والدنيا)، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.

- احمد عقل الساري السالم

٢٢٢ ـ تمويل مدارس بغداد في العصر العباسي ١٣٢ ـ ٦٥٦هـ، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الاردنية ١٩٩٣م.

- احمد عيسى بك

٢٢٣ ـ تاريخ البيمارستانات في الاسلام، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨١م.

- احمد فؤاد الاهواني

٢٢٤ ـ التربية في الاسلام، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣م.

- احمد فريد رفاعي

٢٢٥ ـ عصر المأمون، ٣ج، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٧م.

- آدم متز.

٢٢٦ ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبدالهادي ابو ريده، ٢ج، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧م.

- اسماء فهمي

٢٢٧ ـ مبادىء التربية الاسلامية، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة ١٩٤٧م.

- اعتماد يوسف القصيري

٢٢٨ ـ فن التجليد عند المسلمين، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد ١٩٧٩م.

- باسمه كيالي

٢٢٩ ـ تطور المرأة عبر التاريخ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨١م.

- باقر شريف القرشي

٢٣٠ ـ النظام التربوي في الاسلام (دراسة مقارنة)، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٩٨٣م.

- ابو بكر جابر الجزائري

٢٣١ ـ العلم والعلماء، دار الكتب السلفية، القاهرة د.ت.

- جان موريس فييه

٢٣٢ ـ احوال النصارى في خلافة بني العباس، ترجمة حسني زينة، ط١، دار المشرق، بيروت ١٩٩٠م.

- جواد علي

٢٣٣ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ١٠ج، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣م.

- الحاج محمد احمد

٢٣٤ ـ العلم، ط١، دار المطبوعات الحديثة، جده ١٩٨٧م.

- حسن ابراهيم حسن

٢٣٥ ـ تاريخ الاسلام (السياسي والديني والثقافي والاجتماعي)، ٤ج، ط٧، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٦٤م.

- حسن ابراهيم عبدالعال.

٢٣٦ ـ فن التعليم عند بدر الدين بن جماعة، مكتب التربية لدول الخليج، الرياض ١٩٨٥م.

- حسن السندوبي

٢٣٧ ـ ادب الجاحظ، ط١، المطبعة الرحمانية، القاهرة ١٩٣١م.

- حسين مؤنس

٢٣٨ ـ المساجد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨١م.

- حطاب عطية علي

٢٣٩ ـ التعليم في مصر في العصر الفاطمي الاول، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٤٧م.

- خالد محمد علي الحاج.

٢٤٠ ـ اعلام التربية والمربين من القدماء والمحدثين، ط١، الناشر المؤلف، عمان ١٩٨٩م.

- خليل طوطح

٢٤١ ـ التربية عند العرب، المطبعة التجارية، القدس، د.ت.

- خير الدين الزركلي

٢٤٢ ـ الاعلام، ٨ج، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤م.

- خير الدين وانلي

٢٤٣ ـ المسجد في الاسلام، د.د، د.م، ١٩٨٠م.

- رفاعه الطهطاوي

٢٤٤ ـ مناهج الالباب المصرية في مباهج الاداب العصرية، دار الطباعة، القاهرة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م.

- ابو زيد شلبي

٢٤٥ ـ تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي، ط٣، مكتبة وهبه، القاهرة ١٩٦٤م.

- زيغريد هونكه

٢٤٦ ـ شمس العرب تسطع على الغرب (اثر الحضارة العربية في اوروبا)، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، مراجعة فاروق عيسى الخوري، ط٧، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٢م.

- سامي مكي العاني

٢٤٧ ـ معجم القاب الشعراء، ط١، مكتبة الفلاح، دبي ١٩٨٢م.

- سعيد اسماعيل علي

٢٤٨ ـ معاهد التربية الاسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٦م.

- سعيد الديوه جي

٢٤٩ ـ التربية والتعليم في الاسلام، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، بغداد ١٩٨٢م.

- سعيد عبدالفتاح عاشور وآخرون

٢٥٠ ـ دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية، ط٢، منشورات ذات السلاسل، الكويت ١٩٨٦م.

- سليم التنير

٢٥١ ـ الشاعرات من النساء (اعلام وطوائف)، ط١، دار الكتاب العربي، دمشق ١٩٨٨م.

- شوقي ضيف

٢٥٢ ـ العصر العباسي الاول، ط٨، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢م.

- صالح ابو دياك

٢٥٣ ـ دراسات في التاريخ الاسلامي (الحضارة الاسلامية ومؤسساتها)، ط١، د.د، عمان ١٩٨٥م.

- ضيف الله يحيى الزهراني

٢٥٤ ـ النفقات وإداراتها في الدولة العباسية من سنة ١٣٢ ـ٣٣٤هـ/ ٧٤٩ ـ ٩٤٥م، ط١، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة ١٩٨٦م.

- طاهر مظفر العميد

٢٥٥ ـ العمارة العباسية في سامراء، منشورات وزارة الاعلام، جامعة بغداد ١٩٧٦م.

- طلب صبار محل

٢٥٦ - رسوم دار الخلافة في العصر العباسي الاول ١٣٢ - ٢٤٧هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صلاح الدين، تكريت ١٩٨٩م.

- عامر جاد الله موسى او جبلة

٢٥٧ - تاريخ التربية والتعليم في صدر الاسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاردنية، عمان ١٩٨٧م.

- عبدالامير مهنا

٢٥٨ - اخبار النساء في كتاب الاغاني لابي فرج الاصفهاني، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٩٨٨م.

٢٥٩ - معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والاسلام، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.

- عبدالجبار الجومرد

٢٦٠ - هارون الرشيد (دراسة تاريخية اجتماعية سياسية)، ٢ج، المكتبة العمومية، بيروت ١٩٥٦م.

- عبدالحي الكتاني

٢٦١ - التراتيب الادارية، ٢ج، دار احياء التراث العربي، بيروت د.ت.

- عبدالرؤوف يوسف عبدالقادر

٢٦٢ - اخلاق العالم والمتعلم عند ابي بكر الآجري، ط١، دار الجيل، بيروت ١٩٩١م.

- عبدالرحمن عثمان حجازي

٢٦٣ - المذهب التربوي عند ابن سحنون، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٦م.

- عبدالعزيز الدوري

٢٦٤ ـ الجذور التاريخية للشعوبية، ط٤، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٦م.

٢٦٥ ـ العصر العباسي الاول (دراسة في التاريخ السياسي والاداري والمالي)، ط٢، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٨م.

- عبدالعزيز محمد اللميلم

٢٦٦ ـ رسالة المسجد في الاسلام، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩١م.

- عبدالغني عبود

٢٦٧ ـ في التربية الاسلامية، دار الفكر العربي، د.م، ١٩٧٧م.

- عبدالقادر عياش

٢٦٨ ـ العصا في حياتنا وتراثنا، مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٩٦٧م.

- عبدالله عبدالدايم

٢٦٩ ـ التربية عبر التاريخ، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨١م.

- عبدالله فياض

٢٧٠ ـ تاريخ التربية عند الامامية واسلافهم من الشيعة، مطبعة اسعد، بغداد ١٩٧٢م.

- ابو عبدالله محمد بن سعيد بن رسلان

٢٧١ ـ آداب طالب العلم، ط١، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٣م.

- عبدالله المشوخي

٢٧٢ ـ موقف الاسلام والكنيسة من العلم، مكتبة المنار، الزرقاء ١٩٨٢م.

- عبدالله منسي السعد العمري

٢٧٣ ـ تاريخ العلم عند العرب، ط١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩٠م.

- عبدالمنعم الغلامي

٢٧٤ ـ مآثر العرب والاسلام في القرون الوسطى، مطبعة ام الربيعين، الموصل ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م.

- عطية القوصي

٢٧٥ ـ الحضارة الاسلامية، دار الثقافة العربية، القاهرة ١٩٨٥م.

- علي ابراهيم حسن

٢٧٦ ـ نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨١م.

- علي حسني الخربوطلي

٢٧٧ ـ الحضارة العربية الاسلامية، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.

- علي عبدالله الدفاع

٢٧٨ ـ اعلام العرب والمسلمين في الطب، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٣م.

- عمر رضا كحالة

٢٧٩ ـ اعلام النساء، ٥ج، ط٥، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٤م.

- عمر فروخ

٢٨٠ ـ تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤م.

- فاروق عمر فوزي

٢٨١ ـ الخليفة المجاهد هارون الرشيد ١٧٠ ـ ١٩٣هـ/ ٧٨٦ ـ ٨٠٩م، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة (افاق عربية) بغداد ١٩٨٩م.

- فالتر هنتس

٢٨٢ ـ المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، الجامعة الاردنية، عمان ١٩٧٠م.

- فخر الدين فخر الدين

٢٨٣ ـ اخبار وطرائف عن الملوك والخلفاء والمغنين والشعراء والعشاق، ط١، دار الحرف العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩١م.

- فهمي عبدالرزاق سعد

٢٨٤ ـ العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين، الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٣م.

- فيليب حتي وآخرون

٢٨٥ ـ تاريخ العرب، ط٨، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٠م.

- قصي الحسين

٢٨٦ ـ من معالم الحضارة العربية الاسلامية، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٣م.

- كارل بروكلمان

٢٨٧ ـ تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبدالحليم النجار وآخرون، ٦ج، ط٥، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٩م.

٢٨٨ ـ تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، ط١١، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٨م.

- كاظم الجنّابي

٢٨٩ ـ مسجد ابي دُلف، وزارة الثقافة والاعلام مديرية الآثار العامة، بغداد ١٩٧٠م.

- ماجد عرسان الكيلاني

٢٩٠ ـ تطور مفهوم النظرية التربوية الاسلامية، ط٢، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة ١٩٨٥م.

- ماجدة فيصل زكريا

٢٩١ ـ عمر بن عبدالعزيز وسياسته في رد المظالم، ط١، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٩٨٧م.

- محمد ابو زهره

٢٩٢ ـ ابن حنبل (حياته وعصره آراؤه وفقهه)، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٤٧م.

- محمد احمد جاد صبح

٢٩٣ ـ التربية الاسلامية (دراسة مقارنة)، ٢ج، ط١، دار الجيل، بيروت ١٩٩٣م.

- محمد أسعد طلس

٢٩٤ ـ التربية والتعليم في الاسلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٥٦م.

- محمد الحسيني عبدالعزيز

٢٩٥ ـ الحياة العلمية في الدولة الاسلامية، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٨٥م.

- محمد رضا الحكيمي

٢٩٦ ـ تاريخ العلماء عبر العصور المختلفة، ط١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٨٣م.

- محمد سعد الشويعر

٢٩٧ ـ ابو الشمقمق شاعر الفقر والسخرية، ط٢، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض ١٩٨٣م.

- محمد شفيق غربال

٢٩٨ ـ الموسوعة العربية الميسرة، ٢ج، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٧م.

- محمد ضيف الله البطاينة

٢٩٩ ـ في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، ط١، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان ١٩٨٤م.

- محمد عطية الابراشي

٣٠٠ ـ تاريخ علماء المسلمين وآثارهم في التربية، ط٣، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٩م.

- محمد كرد علي

٣٠١ ـ خطط الشام، ٦ج، ط٣، مكتبة النوري، دمشق ١٩٨٣م.

- محمد ماهر حماده

٣٠٢ ـ المكتبات في الاسلام (نشأتها وتطورها ومصائرها)، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٨م.

- محمد مصطفى هداره

٣٠٣ ـ المأمون الخليفة العالم، الدار المصرية للتأليف والترجمة، الاسكندرية ١٩٦٦م.

- محمد منير سعد الدين

٣٠٤ ـ العلماء عند المسلمين، ط١، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٢م.

- محمد منير مرسي

٣٠٥ ـ تاريخ التربية في الشرق والغرب، عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٠م.

- محمد مهدي الموسومي

٣٠٦ ـ تحفة الساجد في احكام المساجد، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٥٦م.

- محمود احمد الحفني

٣٠٧ ـ اسحاق الموصلي الموسيقي النديم، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.م، ١٩٨٥م.

- محمود شكري الالوسي

٣٠٨ ـ تاريخ مساجد بغداد وآثارها، تهذيب محمد بهجت الاثري، مطبعة دار السلام، بغداد ١٩٧٠م.

- محمود قمبر

٣٠٩ ـ دراسات تراثية في التربية الاسلامية، دار الثقافة، الدوحة ١٩٨٥م.

- مصطفى الشكعة

٣١٠ ـ الشعر والشعراء في العصر العباسي، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٦م.

- المكي اقلانيه

٣١١ ـ النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الاولى، ط١، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، قطر ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

- ملكه ابيض

٣١٢ ـ التربية والثقافة العربية الاسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاث الاولى، دار العلم للملايين، د.م، ١٩٨٠م.

- منير الدين احمد

٣١٣ ـ تاريخ التعليم عند المسلمين حتى القرن الخامس الهجري، ترجمة سامي الصقار، دار المريخ، الرياض ١٩٨١م.

- ميخائيل عواد

٣١٤ ـ صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي، ط٢، دائرة الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٦م.

- ناجي معروف

٣١٥ ـ اصالة الحضارة العربية، ط٣، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٥م.

- ونسنك

٣١٦ ـ المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي، ٨ج، مكتبة بريل، ليدن ١٩٣٦ ـ ١٩٦٩م.

- وليم الخازن

٣١٧ ـ الحضارة العباسية، ط٢، دار المشرق، بيروت ١٩٩٢م.

- ول وايرل ديورانت

٣١٨ ـ قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ٤٠ج، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٨م.

- يوسف العش

٣١٩ ـ تاريخ عصر الخلافة العباسية، راجعه ونقحه محمد ابو الفرج العش، ط١، دار الفكر، دمشق ١٩٨٢م.

المقالات باللغة العربية:

- احمد الشامي

٣٢٠ ـ «اوراق البردى العربي مصدراً اصيل للتاريخ الاسلامي»، مجلة المؤرخ العربي، ع٩، الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد ١٩٧٨م، ص١١٨ ـ ١٤٤.

- بشار عواد معروف

٣٢١ ـ «التربية والتعليم»، حضارة العراق، ١٣ج، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٥م، ج٨، ص ١١٣ ـ ١٥٠.

- حبيب زيات

٣٢٢ ـ «الجلود والرقوق والطروس في الاسلام»، مجلة الكتاب، م٤، ج٩، السنة الثانية، ١٩٤٧م، ص١٣٥٨ ـ ١٣٦٦.

٣٢٣ ـ «صحف الكتابة وصناعة الورق في الاسلام»، مجلة المشرق، م ٤٨، ١٩٥٤، ص٣ ـ ٣٠.

- حسين فلاح الكساسبة

٣٢٤ ـ «معلمو الكتاتيب في الدولة العربية الاسلامية حتى نهاية القرن الثالث الهجري مكانتهم الاجتماعية»، بحث مقبول للنشر في مجلة دراسات، الجامعة الاردنية.

- خالد خليل حمودي

٣٢٥ ـ «نشأة المدارس في العصر الإسلامي»، مجلة آفاق عربية، السنة الرابعة، ع١، ١٩٧٨م، ص١١٢ ـ ١١٥.

- رناد الخطيب

٣٢٦ ـ «المؤسسات التعليمية في العصر العباسي ١٣٢ ـ ٤٥١هـ/ ٧٥٠ ـ ١٠٥٩م»، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام في العصر العباسي، الجامعة الاردنية، جامعة اليرموك، جامعة دمشق ١٩٩٠م، ص١ ـ ٢٤.

- عبدالسلام محمد هارون

٣٢٧ ـ «الجاحظ والمعلمون»، مجلة الكتاب، م٢، ص١٠، السنة الاولى، ١٩٤٦م، ص٥٦٤ ـ ٥٧١.

- عبدالعزيز الدوري

٣٢٨ ـ «نشأة الثقافة العربية الاسلامية، نظرة الى العراق»، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني، ع١، م٢، ١٩٧٨م، ص٤٩ ـ ٦٨.

- كوركيس عواد

٣٢٩ ـ «خزائن كتب العراق العامة»، مجلة سومر، م٢، ج٢، مطبعة الحكومة، بغداد ١٩٤٦م، ص٢١٤ ـ ٢٣٤.

- محمد توفيق بلبع

٣٣٠ ـ «المسجد والحياة في المدينة الاسلامية»، مجلة عالم الفكر، ع١، م١١، ١٩٨٠م، ص١٦١ ـ ٢٣٢.

- محمد طه الحاجري

٣٣١ ـ «الورق والوراقة في الحضارة الاسلامية»، مجلة المجمع العلمي العراقي،

م١٢، ١٩٦٥م، ص١١٦ ـ ١٣٨

م١٣، ١٩٦٦م، ص٦٣ ـ ٨٧.

- محمد كرد علي

٣٣٢ ـ «التدوين في الاسلام»، مجلة المقتطف، م٧٧م، ١٩٣٠م، ص٢٦٤ ـ ٢٦٦.

- محمد نمر الخطيب

٣٣٣ ـ «الاسلام والعلم»، مجلة التمدن الاسلامي، م١٩، ج١٧، ١٨، جمعية التمدن الاسلامي، دمشق ١٩٥٢م.

- محمود مهدي استامبولي

٣٣٤ ـ «المنهج الاسلامي الجديد للتربية والتعليم»، مجلة التمدن الاسلامي، م٢٢، ج١٠، دمشق ١٩٧٥م، ص٢١٢ ـ ٢٢٢.

- محي هلال السرحان

٣٣٥ ـ «تاريخ التعليم العربي في العصر العباسي»، المعلم الجديد، م٢٥، ج٢، وزارة المعارف، بغداد ١٩٦٢م، ص١٥٠ ـ ١٥٤.

- واجدة مجيد الاطرقجي

٣٣٦ ـ «المرأة»، حضارة العراق، ١٣ج، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٥م، ج ٥، ص٧ ـ ٦٦.

- وداد سكاكيني

٣٣٧ ـ «مجالس الادب عن نساء العرب»، مجلة المقتطف، م١٠٢، ج١، ١٩٤٣م، ص٤٥٢ ـ ٤٥٧.

المراجع باللغة الانجليزية

- George Makdisi,

338 - The Rise of Colloges, University Prees, Edenburgh. 1981.

المقالات باللغة الانجليزية:

339 - EI[2], "Masdjid".

340 - EI[2], "Mihna".

341 - EI[1], "Rābiʿa Al - ʿAdawiyya".

- Goldziher, I

342 - "Education (Muslim)", Encyclopaedia of Religion and Ethics, vol.5.pp. 198 - 207.

- Hamidullah,

343 - "Educatianal System in The Time of The Prophet", Islamic Culture, vol.8 No.1. 1939 .p.p 48 - 60.